

(١١٧٨)

المغبون والمغبونون

أحوال ومواعظ

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"وأما قوله: ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ [التوبة: ١٧] فإن معناه: هؤلاء الذين قالوا إنما كنا نخوض ونلعب، وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم. ﴿حبطت أعمالهم﴾ [البقرة: ٢١٧] يقول: ذهبت أعمالهم باطلا، فلا ثواب لها إلا النار؛ لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه. ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ [التوبة: ٦٩] يقول: وأولئك هم **المغبونون** صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد." (١)

"الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بآياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم شاهدا لي وعلي، لأنه يعلم المحق منا من المبطل، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله، المحق على ثباته على الحق، والمبطل على باطله، بما هو أهله ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ [العنكبوت: ٥٢] يقول: صدقوا بالشرك، فأقروا به ﴿وكفروا بالله﴾ [العنكبوت: ٥٢] يقول: وجحدوا الله ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة: ٢٧] يقول: هم **المغبونون** في صفقتهم. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ [العنكبوت: ٥٢] قال أهل التأويل.." (٢)

"وقوله: ﴿والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ [الزمر: ٦٣] يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها، أولئك هم **المغبونون** -[٢٤٣]- حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها، لأنهم حرموا ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله عز وجل." (٣)

"وقوله: ﴿وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم -[٥٣٤]- يوم القيامة﴾ [الشورى: ٤٥] يقول تعالى ذكره: وقال الذين آمنوا بالله ورسوله: إن **المغبونين** الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة." (٤)

---

(١) تفسير الطبري ٥٥٣/١١

(٢) تفسير الطبري ٤٣٠/١٨

(٣) تفسير الطبري ٢٤٢/٢٠

(٤) تفسير الطبري ٥٣٣/٢٠

"وقوله: ﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ [فصلت: ٢٥] يقول تعالى ذكره: إنهم كانوا **المغبونين** ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة: ١٩] يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ [المجادلة: ١٩] غلب عليهم الشيطان -[٤٩٢]- فأنساهم ذكر الله ﴿أولئك حزب الشيطان﴾ [المجادلة: ١٩] يعني جنده وأتباعه. ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة: ١٩] يقول: ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون **المغبونون** في صفقتهم.." (٢)

"وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ [البقرة: ٢٣١] يقول: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة: ١٢١] يقول: هم **المغبونون** حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.." (٣)

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٦ """""""""

الليث ، وروى عن طاوس قول ثالث : أنه كره فى البيع ، وأجازه فى القرض . وقال ابن المنذر : والقول الأول أولى لحديث ابن عمر . قال المؤلف : ولا يدخل هذا فى نهيه عليه السلام عن بيع الذهب بالورق دينا ؛ لأن الذى يقتضى الدنانير من الدراهم لم يقصد إلى تأخير فى الصرف ، ولا نواه ، ولا عمل عليه فهذا الفرق بينهما .

٧٥ - باب بيع المزابنة

وهو بيع الثمر بالتمر وبيع الزبيب بالكرم وبيع العرايا قال أنس : نهى النبى - عليه السلام - عن المزابنة والمحاقلة . / ١١٢ - فيه : ابن عمر ، قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (لا تبيعوا الثمر حتى يبدو صلاحه ، ولا تبيعوا الثمر بالتمر) . قال زيد بن ثابت : ورخص النبى ، عليه السلام ، بعد ذلك فى بيع العرية بالرطب أو بالتمر ، ولم يرخص فى غيره . / ١١٣ - وفيه : ابن عمر ، أن النبى ، عليه السلام ، نهى عن المزابنة ، وهى اشتراء الثمر بالتمر كيلا ، وبيع الكرم بالزبيب كيلا . / ١١٤ - وقال أبو سعيد : نهى النبى ، عليه السلام ، عن المزابنة والمحاقلة ، والمزابنة اشتراء الثمر بالتمر فى رءوس النخل . المزابنة عند العرب : المدافعة ، وذلك أن المتبايعين إذا وقفا فيه على الغبن أراد **المغبون** أن يفسخ البيع ، وأراد الغابن

(١) تفسير الطبري ١٤٦/٢١

(٢) تفسير الطبري ٤٩١/٢٢

(٣) تفسير الطبري ٦٧١/٢٢

أن يمضيه تزابنا أى : تدافعا واختصما ، وسيأتى تفسير المحاقلة بعد هذا فى موضعه – إن شاء الله – ومعنى النهى عن المزابنة خوف وقوع التفاضل." (١)

"٥٩٣٣ – قوله (أخبرنا المكي)

كذا للأكثر بالألف واللام في أوله ، وهو اسم بلفظ النسب ، وهو من الطبقة العليا من شيوخ البخاري ، وقد أخرج أحمد عنه هذا الحديث بعينه .

قوله (هو ابن أبي هند)

الضمير لسعيد لا لعبد الله ، وهو من تفسير المصنف ، ووقع في رواية أحمد عن مكي ووكيع جميعا " حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند " وعبد الله المذكور من صغار التابعين لأنه لقي بعض صغار الصحابة وهو أبو أمامة بن سهل .

قوله (عن أبيه)

في رواية يحيى القطان عن عبد الله بن سعيد " حدثني أبي " أ خرجه الإسماعيلي

قوله (عن ابن عباس)

في الرواية التي بعدها " سمعت ابن عباس " .

قوله (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ)

كذا لسائر الرواة ، لكن عند أحمد " الفراغ والصحة " وأخرجه أبو نعيم في " المستخرج " من طريق إسماعيل بن جعفر وابن المبارك ووكيع كلهم عن عبد الله ابن سعيد بسنده " الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس " ولم يبين لمن اللفظ ، وأخرجه الدارمي عن مكي بن إبراهيم شيخ البخاري فيه كذلك بزيادة ولفظه " إن الصحة والفراغ نعمتان من نعم الله " والباقي سواء ، وهذه الزيادة وهي قوله " من نعم الله " وقعت في رواية ابن عدي المشار إليها ، وقوله " نعمتان " تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة ، وقيل هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان للغير ، والغبن بالسكون وبالتحريك ، وقال الجوهري : هو في البيع بالسكون وفي الرأي بالتحريك ، وعلى هذا فيصح كل منهما في هذا الخبر فإن من لا يستعملهما فيما ينبغي فقد غبن لكونه باعهما ببخس ولم يحمد رأيه في ذلك قال ابن بطال : معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغا حتى يكون مكفيا صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فمن فرط في ذلك فهو **المغبون** .

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٣٠٦/٦

وأشار بقوله "كثير من الناس " إلى أن الذي يوفق لذلك قليل . وقال ابن الجوزي : قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا ، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو **المغبون** ، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة ، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ، ومن استعملهما في معصية الله فهو **المغبون** ، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ، ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل : يسر الفتى طول السلامة والبقا فكيف ترى طول السلامة يفعل يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوء إذا رام القيام ويحمل

وقال الطيبي : ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمكلف مثلا بالتاجر الذي له رأس مال ، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال ، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن ، فـ ا لصحة والفراغ رأس المال ، وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان ، ومجاهدة النفس وعدو الدين ، ليربح خيري الدنيا والآخرة وقريب منه قول الله تعالى (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) الآيات . وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس ومعاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح . وقوله في الحديث " مغبون فيهما كثير من الناس "كقوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية . وقال القاضي وأبو بكر بن العربي : اختلف في أول نعمة الله على العبد فقيل الإيمان ، وقيل الحياة ، وقيل الصحة ، والأول أولى فإنه نعمة مطلقة ، وأما الحياة والصحة فإنهما نعمة دنيوية ، ولا تكون نعمة حقيقة إلا إذا صاحبت الإيمان وحينئذ يغبن فيها كثير من الناس أي يذهب ربحهم أو ينقص ، فمن استرسل مع نفسه الأمارة بالسوء الخالدة إلى الراحة فترك المحافظة على الحدود والمواظبة على الطاعة فقد غبن ، وكذلك إذا كان فارغا فإن المشغول قد يكون له معذرة بخلاف الفارغ فإنه يرتفع عنه المعذرة وتقوم عليه الحجة .

قوله (وقال عباس العنبري)

هو بالمهملة والموحدة ابن عبد العظيم أحد الحفاظ ، بصري من أوساط شيوخ البخاري ، وقد أخرجه ابن ماجه عن العباس المذكور فقال في كتاب الزهد من السنن في " باب الحكمة منه " : حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري فذكره سواء ، قال الحاكم : هذا الحديث صدر به ابن المبارك كتابه فأخرجه عن عبد الله بن سعيد بهذا الإسناد . قلت : وأخرجه الترمذي والنسائي من طريقه قال الترمذي رواه غير واحد عن عبد الله بن سعيد فرفعوه ، ووقفه بعضهم على ابن عباس وفي الباب عن أنس انتهى وأخرجه الإسماعيلي من طرق عن ابن المبارك ، ثم من وجهين عن إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن سعيد ، ثم من طريق

بندار عن يحيى بن سعيد القطان عن عبد الله به ثم قال : قال بندار ربما حدث بـه يحيى بن سعيد ولم يرفعه . وأخرجه ابن عدي من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعا .." (١)

"٥٩٣٥ - قوله (الفضيل بن سليمان)

هو بالتصغير وهو النميري ، صدوق في حفظه شيء .

قوله (وهو يحفر ونحن ننقل التراب)

تقدم في فضل الأنصار من رواية عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل " خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم يحفرون الخندق " الحديث ، ويجمع بأن منهم من كان يحفر مع النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان ينقل التراب .

قوله (ويصر بنا)

بفتح أوله وضم الصاد المهملة ، وفي رواية الكشميهني " ويمر بنا " من المرور .

قوله (فاغفر)

تقدم في غزوة الخندق بلفظ " فاغفر للمهاجرين والأنصار " وأن الألفاظ المنقولة في ذلك بعضها موزون أكثرها غير موزون ، ويمكن رده إلى الوزن بضرب من الزحاف ، وهو غير مقصود إليه بالوزن فلا يدخل هو في الشعر . وفي هذين الحديثين إشارة إلى تحقير عيش الدنيا لما يعرض له من التكدير وسرعة الفناء .

قال ابن المنير مناسبة إيراد حديث أنس وسهل مع حديث ابن عباس الذي تضمنته الترجمة أن الناس قد غبن كثير منهم في الصحة والفراغ لإيثارهم لعيش الدنيا على عيش الآخرة ، فأراد الإشارة إلى أن العيش الذي اشتغلوا به ليس بشيء بل العيش الذي شغلوا عنه هو المطلوب ، ومن فاته فهو **المغبون** .." (٢)

"والزاني إذا حد ثم زنى ثانيا لزمه حد آخر على ذلك الأئمة الأربعة والإحصان في الرجم شرط والشروط سبعة الحرية والعقل والبلوغ والإسلام وعن أبي يوسف أنه ليس بشرط وبه قال الشافعي وأحمد لأنه رجم يهوديين قلنا كان ذلك بحكم التوراة قبل نزول آية الجلد في أول ما دخل النبي المدينة وصار منسوخا بها ثم نسخ الجلد في حق المحصن والشرط الخامس الوطء والسادس أن يكون الوطء بنكاح صحيح والشرط السابع كونهما محصنين حالة الدخول حتى لو دخل بالمنكوحة الكافرة أو المملوكة أو المجنونة أو الصبية لم يكن محصنا وكذلك لو كان الزوج عبدا أو صبيا أو مجنونا أو كافرا وهي مسلمة عاقلة بالغة فإن قلت

(١) فتح الباري لابن حجر، ٢١٩/١٨

(٢) فتح الباري لابن حجر، ٢٢١/١٨

كيف يتصور أن يكون الزوج كافرا والمرأة مسلمة قلت صورته أن يكونا كافرين فأسلمت المرأة ودخل بها الزوج قبل عرض الإسلام عليه

ومنه استنبط قوم جواز البيع بالغبن قالوا لأنه بيع خطير بثمن يسير وقال القرطبي هذا ليس بصحيح لأن الغبن المختلف فيه إنما هو مع الجهالة من **المغبون** وأما مع علم البائع بقدر ما باع وما قبض فلا يختلف فيه لأنه عن علم منه ورضى فهو إسقاط لبعض الثمن لا سيما أن الحديث خرج على جهة التزهيد وترك الغبطة وفيه ترك اختلاط الفساق وفراقهم فإن قلت فما معنى أمره ببيع الأمة الزانية والذي يشتريها يلزمه من اجتنابها ومباعدتها ما يلزم البائع وكيف يكره شيئا ويرتضيه لأخيه المسلم قلت لعل الثاني يصونها بهيبته أو بالإحسان إليها أو لعلها تستعف عند الثاني بأن يزوجها أو يعفها بنفسه ونحو ذلك

٤٥١٢ - حدثنا (إسماعيل) قال حدثني (مالك) عن (ابن شهاب) عن (عبيد الله بن عبد الله) عن (أبي هريرة وزيد بن خالد) رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن قال إن زنت فاجلدوها ثم إن زنت فاجلدوها ثم إن زنت فبيعوها ولو بنفير قال ابن شهاب لا أدري أبعد الثالثة أو الرابعة." (١)

"والمزابنة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين وأصلها الدفع الشديد قال الداودي كانوا قد كثرت فيهم المدافعة بالخصام فسميت المزابنة ولما كان كل واحد من المتبايعين يدفع الآخر في هذه المبايعة عن حقه سميت بذلك وقال ابن سيده الزبن دفع الشيء عن الشيء زبن الشيء يزبنه زبنا وزبن به وفي (الجامع) للقزاز المزابنة كل بيع فيه غرر وهو بيع كل جزاف لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده وأصله أن **المغبون** يريد أن يفسخ البيع ويريد الغابن أن لا يفسخه فيتزابنان عليه أي يتدافعان وعند الشافعي هو بيع مجهول بمجهول أو معلوم من جنس تحريم الربا في نقده وخالفه مالك في هذا القيد سواء كان مما يحرم الربا في نقده أو لا ولا مطعوما كان أو غير مطعوم قوله والمزابنة بيع الثمر إلى آخره قال أبو عمر لا خلاف بين العلماء أن تفسير المزابنة في هذا الحديث من قول ابن عمر أو مرفوعه وأقل ذلك أن يكون من قوله وهو رواي الحديث فيسلم له وكيف ولا مخالف في ذلك قوله بيع الثمر بالتمر قال الكرماني بيع الثمر بالمثلثة بالتمر بالفوقية ومعناه الرطب بالتمر وليس المراد كل الثمار فإن سائر الثمار يجوز بيعها بالتمر قوله كيلا أي من حيث الكيل نصب على التمييز قوله بالكرم بسكون الراء شجر العنب لكن المراد هنا نفس العنب قال الكرماني وهو من باب القلب إذ المناسب لقرينته أن يدخل الجار على الزبيب لا على الكرم وقال أبو عمر وأجمعوا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/١٨

على تحريم بيع العنب بالزبيب وعلى تحريم بيع الحنطة في سنبلها بحنطة صافية وهو المحاقلة وسواء عند جمهورهم كان الرطب والعنب على الشجر أو مقطوعا وقال أبو حنيفة إن كان مقطوعا جاز بيعه بمثله من اليابس وقال ابن بطال أجمع العلماء على أنه لا يجوز بيع التمر في رؤوس النخل بالتمر لأنه مزابنة وقد نهى عنه وأما رطب ذلك مع يابسه إذا كان مقطوعا وأمكن فيه المماثلة فجمهور العلماء لا يجيزون بيع شيء من ذلك بجنسه لا متماثلا ولا متفاضلا وبه قال أبو يوسف ومحمد." (١)

"٨٤ -(باب القصاص يوم القيامة)

أي هذا باب في بيان كيفية القصاص يوم القيامة والقصاص بكسر القاف مأخوذ من القص وهو القطع أو من اقتصاص الأثر وهو تتبعه لأن الذي يطلب القصاص يتبع جناية الجاني ليأخذ مثلها وفي (المغرب) القصاص مقاصة ولي المقتول القاتل والمجروح الجارح وهي مساواته إياه في قتل أو جرح ثم عم في كل مساواة

وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور الحقة والحاقة واحد

أي القيامة تسمى الحاقة قوله وحواق الأمور بالنصب أي ولأن فيها ثوابت الأمور يعني يتحقق فيها الجزاء من الثواب والعقاب وسائر الأمور الثابتة الحقة الصادقة قوله الحقة والحاقة واحد يعني في المعنى كذا نقل عن الفراء وقيل سميت الحاقة لأنها تحاق الكفار الذين خالفوا الأنبياء يقال حاققته فحققته أي خاصمته فخصمته وقيل لأنها حق لا شك فيها

والقارعة والغاشية والصاحة والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار

أي وهي القارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها وقال الجوهري القارعة الشديدة من شدائد الدهر وهي الداهية وأصل معنى القرع الدق ومنه قرع الباب وقرع الرأس بالعصا قوله والغاشية سميت بذلك لأنها تغشى النار بإفزاعها أي تعمهم بذلك وعن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار وقال أكثر المفسرين الغاشية القيامة تغشى كل شيء بالأهوال قوله والصاخة هي في الأصل الداهية وفي (الصحاح) الصاخة الصيحة يقال صخ الصوت الأذن يصخها صخا ومنه سميت القيامة وقال الثعلبي الصاخة يعني صخة القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تتابع في إسماعها حتى تكاد تصمها قوله والتغابن بالرفع عطف على ما قبله وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد وقال المفسرون **المغبون** من غبن أهله ومنازله." (٢)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٥/١٨

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٤٠/٣٣

"٤١٦٠ - قوله (مغبون فيهما)

أي ذو خسران فيهما قال ابن الخازن النعمة ما يتنعم به الإنسان ويستلذه والغبن أن يشتري بأضعاف الثمن أو يبيع بدون ثمن المثل فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العاتقة ولم يسع لصلاح آخرته فهو **كالمغبون** في البيع ا هـ والمقصود بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ بل يصرفونهما في غير محالهما فيصير كل منهما في حقهم وبالأبعد إن كان كل منهما لو صرفوه في محله لكان لهم خيرا أي خير فكانوا يتبدلون بذلك الخير هذا الوبال والله أعلم بحقيقة الحال .." (١)

" لحاجته فغدا بهم إليكم لا أرى قضاء حاجته عوضا من بذل وجهه فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة

١١٤ - أخبرنا يوسف أخبرنا محمد أخبرنا الحسن أخبرنا محمد أخبرنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا محمد بن المسيب قال سمعت عبد الله بن خبيق يقول

قال عبيد بن عمير [سريع] ما تاقت النفس إلى شهرة ألذ من حب صديق أمين من فاته ود أخ صالح فذلك **المغبون** حق الغبين

١١٥ - قال الحسن وأخبرنا هلال بن محمد حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن إسحاق السوطي حدثنا عبد الله بن علي بن الحسن السراج حدثنا عبد الله بن محمد بن عامر حدثنا أبي حدثنا علي بن موسى الرضا قال حدثنا أبي موسى عن أبيه جعفر عن أبيه علي عن أبيه الحسين

عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم

من المروءة ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر فأما اللاتي في الحضر فتلاوة كتاب الله وعمارة مساجد الله واتخاذ الإخوان في الله وأما اللاتي في السفر فبذل الزاد وحسن الأخلاق والمزاح في غير معاصي الله

١١٦ - وقال معاوية رحمه الله المروءة في ثلاث العفاف في المال أو إصلاح المال وحفظ الإخوان وعون الجار ." (٢)

"قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : «أمد الله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين بألف من الملائكة ؛ فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكال في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه راية

---

(١) حاشية السندي على ابن ماجه، ٨/٢٧

(٢) المتحابين في الله، ص/٨٢

في صورة رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما اصطف القوم قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره، ورفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يده فقال: يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدا. فقال جبريل: خذ قبضة من التراب، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه، فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته، فقال له الرجل: يا سراقة ألم تزعم أنك جار لنا، قال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون»(١).

فالله الله أن يجركم الشيطان إلى الصداقة بالقرناء السوء، والتعلق بهم، والتجرؤ على حرمات الله، فإن الله يغار على أن تنتهك حرماته، كما جاء في حديث أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله »(٢) .

فالمغبون من وقع في حبائل الشيطان وشركه فخسر الدنيا والآخرة، والمعصوم من عصمه الله من شياطين الإنس ، والجن ، ومن الفواحش ما

ظهر منها وما بطن، فحاز برضا الله والجنات العلى.

وما أحسن قول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة، برقم: (٥٢٢٣)، ومسلم في التوبة، باب غيرة الله وتحريم الفواحش، برقم: (٢٧٦١).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره : الجامع لأحكام القرآن، المجلد الرابع، ٨/ ٢٦.." (١)

" ٥٨ – حدثني محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن عثمان بن حمزة بن عبد الله بن [عمر] بن الخطاب حدثني عمارة بن عمرو البجلي قال : سمعت عمر بن ذر يقول :

اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار والمحروم من حرم خيرهما إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيوا لله أنفسهم بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله

---

(١) ثلاث من كن فيه، ص/٩٤

كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته ؟

وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدا ؟

فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله ." (١)

"صفحة رقم ٢٦٣

قال الإمام : ورد السلام فرض على الكفاية ، والابتداء سنة على

الكفاية ، وإذا مر قوم على قوم ، فسلم واحد منهم كان كافيا ، وإذا رد

من الآخرين واحد ، سقط الفرض عنهم.

ويروى عن أبي أمامة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إن أولى الناس

بالله من بدأهم بالسلام ".

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال : إن مما يصفي لك ود أخيك

ثلاثا : أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه ،

وأن توسع له في المجلس

وروي عن أبي هريرة أنه قال : إن أبخل الناس من بخل بالسلام ،

والمغبون من لم يرد ، وإن حال بينك وبين أخيك شجرة ، فاستطعت

أن تبدأ بالسلام ، فافعل.

(باب التسليم على الصبيان

٣٣٠٥ - حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي ، أنا

أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المخلدي الأنصاري ، نا عبد الله بن." (٢)

"البر قاله أبو عمر (بالسلت) بضم السين وإسكان اللام حب بين الحنطة والشعير ولا قشر له كقشر الشعير فهو كالحنطة في ملاسته وكالشعير في طبعه وبرودته قاله الأزهري

وقال الجوهري قيل إنه ضرب من الشعير لا قشر له ويكون في الغور والحجاز (فقال له سعد أيتهما أفضل) قال مالك أي أكثر في الكيل ويدل له احتجاج سعد (فقال البيضاء) أي الشعير (فنهاه عن ذلك) أي بيعها متفاضلا لتقاربهما في المنفعة والخلقة وغيرهما

---

(١) الليالي والأيام، ص/٣٧

(٢) شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا، ١٢/٢٦٣

(وقال سعد) محتجا لفتواه بالمنع (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن اشتراء التمر بالرطب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لمن حوله كما في رواية (أينقص الرطب إذا يبس فقالوا نعم فنهى عن ذلك) لعدم التماثل فقاس سعد ما سئل عنه من الشعير والسلت على ما سئل عنه المصطفى التمر بالرطب بجامع تقارب المنفعة

١٣ ما جاء في المزابنة والمحاقلة بضم الميم مفاعلة من الزبن وهو الدفع الشديد ومنه الزبانية ملائكة النار لأنهم يزبنون الكفرة فيها أي يدفعونهم ويقال للحرب زبون لأنها تدفع أبناءها للموت وناقة زبون إذا كانت تدفع حالبها عن الحلب سمي به هذا البيع المخصوص لأن كل واحد من المتبايعين يزبن أي يدفع الآخر عن حقه بما يزداد منه فإذا وقف أحدهما على ما يكره تدافعا فيحرص أحدهما على فسخ البيع والآخر على إمضائه

والمحاقلة بالمهملة والقاف مفاعلة من الحقل وهو الحرث وقال بعض اللغويين اسم للزرع في الأرض وللأرض التي يزرع فيها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار ما تصنعون بمحاقلكم أي بمزارعكم

(مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة) بضم الميم وفتح الزاي والموحدة قال القزاز أصله أن **المغبون** يريد فسخ البيع والغابن لا يريد فسخه فيتزابنان عليه أن يتدافعان زاد ابن بكير وحده والمحاقلة

(والمزابنة بيع الثمر) بفتح المثلثة والميم الرطب على النخل ولابن بكير بيع الرطب (بالتمر) بالفوقية وسكون الميم اليابس (كيلا) نصب على التمييز أي من حيث الكيل وليس قيدا في هذه الصورة بل جرى على ما كان من عادتهم فلا مفهوم له أو له مفهوم ولكنه مفهوم موافقة لأن المسكوت عنه أولى بالمنع من المنطوق

(وبيع الكرم) بفتح الكاف وسكون الراء شجر العنب والمراد العنب نفسه

وفي مسلم من رواية عبيد الله عن نافع وبيع العنب (بالزبيب

." (١)

"المسيب وقد رواه ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن طارق عن سعيد بن المسيب عن رافع بن خديج قال نهى صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمزابنة وقال إنما يزرع ثلاثة رجل له أرض فهو يزرعها ورجل منح أرضا فهو يزرعها ما منح ورجل استكرى أرضا بذهب أو فضة اه

وأخرجه الخطيب عن أحمد بن أبي طيبة عيسى بن دينار الجرجاني عن مالك عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة موصولا والجرجاني وإن كان صدوقا لكن له إفراد

(قال ابن شهاب فسألت سعيد بن المسيب عن استكراء الأرض بالذهب والورق) الفضة (فقال لا بأس بذلك) أي يجوز وعليه نص الحديث كما رأيت

(قال مالك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزابنة) في الأحاديث المذكورة قال عياض ما فسر به الحديث المزابنة هو أحد أنواعها وفسرها الموطأ بما هو أوسع فقال (وتفسير المزابنة أن كل شيء من الجزاف الذي لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده) إشارة إلى أن قوله في الحديث كيلا خرج على الغالب أو مفهوم موافقة وأنها ليست مقصورة على النخل (ابتيع بشيء مسمى من الكيل أو الوزن أو العدد) فحاصله ما قاله المازري أنها بيع مجهول بمجهول من جنسه وبيع معلوم بمجهول من جنسه فيشمل تفسير الحديث فإن كان الجنس ربويا حرم البيع للربا والمزابنة أما الربا فلعدم تحقق المساواة والشك في الربا كتحققه وأما المزابنة فلوجود معناها لأن كلا من المتبايعين يدفع الآخر ولذا شرط اتحاد الجنس لأن به ينصرف الغرض إلى القلة والكثرة فكل واحد يقول ما أخذت أكثر وقد غبنت صاحبي وإن كان الجنس غير ربوي حرم البيع للمزابنة فقط لكن إن تحقق الفضل فيما ليس بربوي جاز ويقدر أن **المغبون** وهب الفضل لظهوره له وتعقب أبو عبد الله الأبي قول عياض تفسير الحديث أحد أنواعه المزابنة بأنه إن عنى أنه لا يتناول إلا بيع المعلوم بالمجهول لقوله كيلا رد بأنه يتناول بيع المجهول بالمجهول بقياس الأولى وإن عنى أنه لا يتناول إلا الربوي فإنما ذلك من حيث اللفظ وأما من حيث المعنى فيتناول غيره لتقرر معنى المزابنة فيه بالمعنى الذي قرره المازري في الوجه الثاني المتقدم فتفسير العلماء المزابنة ليس بأعم من تفسير الحديث بل هو مساو له وهو إما مرفوع فلا معدل عنه أو من الراوي وله مزية وبسط الإمام هذا فقال (وذلك أن يقول الرجل للرجل يكون له الطعام المصبى) بشد الموحدة المجموع بعضه فوق بعض (الذي لا يعلم كيله من الحنطة أو التمر أو ما أشبه ذلك من الأطعمة أو يكون للرجل السلعة من الخبط) بفتح المعجمة

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٣/٣٤٥

والموحدة ما يسقط من ورق الشجر (أو النوى) للبلح (أو القضب أو العصفر) نبت معروف (أو الكرسف) بالضم القطن (أو الكتان) بفتح

". (١)

"@ ١٣٠ @ هريم ، قال Y حدثني أبو الربيع الأعرج ، قال Y دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب ، فقرب إلي كسيرات يابسة ، فعطشت ، فقمت إلى دن فيه ماء حار ، فقلت Y رحمك الله ، لو اتخذت إناء غير هذا يكون فيه الماء ، فقال لي Y إذا كنت لا أشرب إلا باردا ، ولا آكل إلا طيبا ، ولا ألبس إلا لينا ، فما بقيت لآخرتي ؟ ! قال Y قلت Y أوصني ؟ قال Y صم الدنيا ، واجعل إفطارك فيها الموت ، وفر من الناس / فرارك من السبع ، وصاحب أهل التقوى إن صحبت ، فإنهم أقل مؤنة وأحسن معونة ، ولا تدع الجماعة ، حسبك هذا إن عملت به .

$قول يحيى بن معاذ في **المغبون** من الناس$

١١١ – سمعت أبا حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي ، وسمعت أبا علي بن فضالة النيسابوري ، يقولان Y سمعنا الحسين بن علي." (٢)

"@ ١٣١ @ التميمي ، يقول : سمعت أبا الحسن علي بن محمد القبابي ، يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : **المغبون** من عطل أيامه بالبطالات ، وسلط جوارحه على الهلكات ، ومات قبل إفاقته من الجنايات .

$قول بشر بأن لا نحب الدنيا$

١١٢ – أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان ، حدثنا محمد بن أحمد الجرجرائي ، قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله ، تلميذ بشر بن الحارث ، يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول : ينبغي لنا أن لا نحب هذه الدار ، لأنها دار يعصى الله فيها ، والله لو لم يكن منا إلا أنا أحببنا شيئا أبغضه الله تعالى لكفانا.." (٣)

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٣٤٧/٣

(٢) المنتخب من كتاب الزهد ٤٦٢، ص/١٣٠

(٣) المنتخب من كتاب الزهد ٤٦٢، ص/١٣١

"فرفع يده إلى السماء، وقال: إلهي وسيدي أسألك أن تفرحهم في الآخرة، كما فرحتهم في الدنيا.
فقال له بعض أصحابه: إنما قلنا ادع الله عليهم. فقال: إخواني، إذا فرحهم في الآخرة، تاب عليهم.
ومن الفتوة أن تنسى معروفك عند إخوانك. وتعرف مقاديرهم. سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز يقول: سمعت أبا القاسم إسحاق بن محمد يقول: قلت لأبي بكر الوراق وقت مفارقتي إياه: من أصحب؟ قال: اصحب من ينسى معروفه عندك، وإياك ومن يحفظ مساوئك، ويعدد ذلك عليك ليلاقيك أو يقول ذلك فيك، ولا تصحب من قدرك عنده على قدر حاجته إليك.
ومن الفتوة أن يراعي العبد سره وباطنه أكثر من مراعاة ظاهره لأن السر موضع نظر الله تعالى والظاهر موضع نظر الخلق. سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا يعقوب السوسي يقول: من الناس من يجتهد في حفظ لسانه خمسين سنة أن يجري عليه لحن، ولا يحفظ سره حتى لا يجري عليه لحن، **والمغبون** من يكون هذه صفته.
ومن الفتوة حفظ الآداب في العشرة. كما قال سهل بن عبد الله: عاشر أعداءك بالعدل، وأصدقاءك بالكرم والوفاء.
ومن الفتوة حفظ الأدب في الخلوات مع الله تعالى. سمعت أبا نصر." (١)
"بسواء يدا بيد فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد أي مقايضة. قال الرافعي: ومن لازمه الحلول ولا بد من القبض الحقيقي فلا تكفي الحوالة وإن حصل القبض بها في المجلس ويكفي قبض الوكيل في القبض عن العاقدين أو أحدهما وهما في المجلس وكذا قبض الوارث بعد موت مورثه.

٧٥ - باب بيع الزبيب بالزبيب، والطعام بالطعام

(باب بيع الزبيب بالزبيب والطعام بالطعام) من عطف العام على الخاص.
٢١٧١ - حدثنا إسماعيل حدثنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عن المزابنة. والمزابنة بيع الثمر بالتمر كيلا، وبيع الزبيب بالكرم كيلا".
[الحديث ٢١٧١ - أطرافه في: ٢١٧٢، ٢١٨٥، ٢٢٠٥].
وبه قال: (حدثنا إسماعيل) بن أبي أويس واسم أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن أبي أويس الأصبحي ابن أخت الإمام مالك وصهره على ابنته قال: (حدثنا) بالجمع، ولأبي ذر: حدثني (مالك) إمام دار الهجرة

---

(١) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي، ص/٦٠

ابن أنس الأصبحي (عن نافع عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-):

(أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى) نهي تحريم (عن المزابنة) بضم الميم وفتح الزاي والموحدة والنون مفاعلة من الزبن وهو الدفع الشديد، وسمي به هذا البيع المخصوص لأن كل واحد من المتعاقدين يدفع صاحبه عن حقه. وفي الجامع للقزاز: المزابنة كل بيع فيه غرر وهو كل جزاف لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده، وأصله أن **المغبون** يريد أن يفسخ البيع ويريد الغابن أن لا يفسخه فيتزابنان عليه أي يتدافعان.

قال ابن عمر: (والمزابنة بيع الثمر) بالمثلثة وفتح الميم الرطب على النخل (بالتمر) بالمثناة الفوقية وسكون الميم الياب (كيلا) نصب على التمييز أي من حيث الكيل، وذكر الكيل ليس قيدا في هذه الصورة بل جرى على ما كان من عادتهم فلا مفهوم له أو له مفهوم ولكنه مفهوم موافقة لأن المسكوت عنه أولى ب المنع من المنطوق، (وبيع الزبيب بالكرم كيلا) بفتح الكاف وسكون الراء شجر العنب والمراد العنب نفسه وإدخال حرف الجر على الكرم. قال الكرماني: من باب القلب وكان الأصل إدخالها على الزبيب.

وهذا الحديث أخرجه أيضا في البيوع وكذا مسلم والنسائي.

٢١٧٢ - حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن المزابنة. قال: والمزابنة أن يبيع الثمر بكيل: إن زاد فلي، وإن نقص فعلى".

وبه قال: (حدثنا أبو النعمان) محمد بن الفضل السدوسي قال: (حدثنا حماد بن زيد) هو ابن درهم الجهضمي (عن أيوب) السختياني (عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن المزابنة).

(قال) ابن عمر: (والمزابنة أن يبيع الثمر) بالمثلثة وفتح الميم، وقوله: أن يبيع بيان لقوله المزابنة. وقال العيني: كلمة أن مصدرية في محل رفع على الخبرية وتقديره المزابنة بيع الثمر (بكيل) من التمر أو الزبيب قائلا (إن زاد) التمر المخروص على ما يساوي الكيل (فلي وإن نقص فعلي).

والمطابقة بين الحديث والترجمة مفهومة من النهي عن بيع الزبيب بالعنب أي: فيجوز بيع الزبيب بالزبيب كالبر بالبر ويقاس بيع الطعام بالطعام عليه قاله الكرماني. ومباحث الحديث تأتي إن شاء الله تعالى في بابه.

وهذا الحديث أخرجه مسلم والنسائي في البيوع.

٢١٧٣ - قال وحدثني زيد بن ثابت: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رخص في العرايا بخرصها".

[الحديث ٢١٧٣ - أطرافه في: ٢١٨٤، ٢١٨٨، ٢١٩٢، ٢٣٨٠].
(قال) عبد الله بن عمر مما وصله أيضا في البيوع: (وحدثني) بالإفراد (زيد بن ثابت) الأنصاري -رضي الله عنه- (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رخص في العرايا) وهي بيع الرطب أو العنب على الشجر (بخرصها) بقدره من اليابس في الأرض كيلا وهو مستثنى من بيع المزابنة المنهي عنه، والباء في بخرصها للسببية أي بسبب خرصها وهو بفتح الخاء المعجمة المصدر وبالكسر المخروص. قال النووي: والفتح أشهر، وقال القرطبي: الرواية الكسر كذا قاله البرماوي كالزركشي وكلامهما إنما هو على رواية مسلم، والذي في الفرع وغيره من الأصول التي وقفت عليها من البخاري: الفتح. ولا ينبغي أن ينقل كلام متعلق برواية مسلم إلى لفظ البخاري إلا بعد التثبت ويأتي الكلام على العرايا إن شاء الله تعالى بعون الله وقوته.

٧٦ - باب بيع الشعير بالشعير
(باب بيع الشعير بالشعير).
٢١٧٤ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن مالك بن أوس أخبره "أنه التمس صرفا بمائة دينار، فدعاني طلحة بن عبيد الله فتراوضنا، حتى اصطرف مني، فأخذ

الذهب يقلبها في يده ثم قال: حتى يأتي خازني من الغابة، وعمر يسمع ذلك. فقال: والله لا تفارقه حتى تأخذ منه، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء، والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء".
وبه قال: (حدثنا عبد الله بن يوسف) التنيسي (قال: أخبرنا مالك) هو ابن أنس إمام الأئمة (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري (عن مالك بن أوس) بفتح الهمزة وسكون الواو آخره مهملة ابن الحدثان بفتح المهملتين والمثلثة المدني له رؤية أنه." [1]
"أخبر.
وهذا الحديث من أفراد البخاري.

٨ - باب ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٤/٧٨

المنافقين لا يعلمون﴾

هذا (باب) بالتنوين أي في قوله تعالى: (﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة﴾) [المنافقين: ٨] الغلبة والقوة (﴿ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾) من فرط جهلهم وغرورهم أنه تعالى معز أوليائه بطاعتهم له ومذل أعدائه لمخالفتهم أمره وسقط لأبي ذر ما بعد قوله الأذل ولغيره باب.

٤٩٠٧ - حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال: حفظناه من عمرو بن دينار، قال سمعت جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- يقول: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمعها الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- قال: «ما هذا»؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري، يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «دعوها فإنها منتنة». قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبي أوقد فعلوا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه».

وبه قال: (حدثنا الحميدي) عبد الله بن الزبير قال: (حدثنا سفيان) بن عيينة (قال: حفظناه) أي الحديث (من عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- يقول: كنا في غزاة) سبق أنها غزوة بني المصطلق (فكسع) بالعين والسين المهملتين (رجل من المهاجرين) يسمى

جهجاها الغفاري (رجلا من الأنصار) يسمى سنانا الجهني أي ضرب بيده على دبره (فقال الأنصاري: يا للأنصار) أغيثوني (وقال المهاجري: يا للمهاجرين) أغيثوني (فسمعها الله) بتشديد الميم (رسوله -صلى الله عليه وسلم- قال):

(ما هذا؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار) مستغيثا بهم (وقال المهاجري: يا للمهاجرين) مستغيثا بهم (فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: دعوها) أي كلمة الاستغاثة (فإنها منتنة) بضم الميم خبيثة.

(قال جابر) بالسند السابق (وكانت الأنصار حين قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر) من المهاجرين (ثم كثر المهاجرون بعد) أي بعد هذه القصة (فقال عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا) الأثرة (والله لئن رجعنا إلى

المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) وفي الترمذي فقال غير عمرو فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي والله لا تنقلب أي إلى المدينة حتى تقول: إنك أنت الذليل ورسول الله العزيز ففعل (فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-) بعد أن بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك (دعني يا رسول الله أضرب) بالجزم (عنق هذا المنافق) ابن أبي (قال) ولأبي ذر فقال (النبي -صلى الله عليه وسلم-: دعه لا يتحدث الناس أن محمدا) زاد في نسخة -صلى الله عليه وسلم- وهي ثابتة في اليونينية (يقتل أصحابه).

فإن قلت: الصحابي لا بد أن يكون مسلما والإسلام والنفاق لا يجتمعان، وهذا كان رأس المنافقين فكيف أدخله في الأصحاب؟ أجيب: أدخله فيهم باعتبار الظاهر لنطقه بالشهادتين، وفي قتله تنفير غيره عن الإسلام والتزام مفسدة لدفع أعظم المفسدين جائز.

[٦٤] سورة التغابن

(بسم الله الرحمن الرحيم). وقال علقمة عن عبد الله ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾: هو الذي إذا أصابته مصيبة رضى وعرف أنها من الله. وقال مجاهد: التغابن غبن أهل الجنة أهل النار. ﴿إن ارتبتم﴾: إن لم تعلموا أتحيض أم لا تحيض. ﴿فاللاتي قعدن عن المحيض واللائي لم يحضن بعد فعدتهن ثلاثة أشهر﴾.

([٦٤] سورة التغابن)

قيل: مكية، وقيل مدنية وآيها ثمان عشرة ولأبي ذر زيادة والطلاق.

(بسم الله الرحمن الرحيم) وسقطت البسملة لغير أبي ذر.

(وقال علقمة) بن قيس فيما وصله عبد الرزاق (عن عبد الله) بن مسعود في قوله تعالى: (﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾) [التغابن: ١١] مجزوم بالشرط (هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي بها وعرف أنها من الله) عز وجل فيسلم لقضائه وعن محيي السنة فيما ذكره في فتوح الغيب يهد قلبه يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه.

(وقال مجاهد): فيما وصله الفريابي (التغابن) هو (غبن أهل الجنة أهل النار) لنزول أهل الجنة منازل أهل النار لو كانوا سعداء، وبالعكس مستعار من تغابن التجار كذا قرره القاضي كالكشاف، لكن قال في فتوح الغيب لا يستقيم باعتبار الأشقياء لأنهم لا يغبنون لسعداء بنزولهم في منازلهم من النار إلا بالاستعارة التهكمية، ولذا قال في الكشاف: وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم ليس بغبن، وجعل الواحدي التغابن من طرف واحد للمبالغة حيث قال يوم التغابن يغبن فيه أهل الحق أهل الباطل وأهل الإيمان أهل الكفر ولا غبن أبين من هذا هؤلاء يدخلون الجنة وهؤلاء يدخلون النار وأحسن منهما ما ذكره محيي السنة قال: هو

تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد **فالمغبون** من غبن في أهله ومنازله في الجنة فظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان وغبن." (١)

"في الكواكب: أي كتاب الكلمات المرققة للقلوب، ويقال للكثير الحياء رق وجهه أي استحيا. وقال الراغب: متى كانت الرقة في جسم فضدها الصفاقة كثوب صفيق وثوب رقيق، ومتى كانت في نفس فضدها القسوة كرقيق القلب وقاسيه، وعبر جماعة منهم النسائي في سننه الكبرى بقولهم: كتاب الرقائق وكذا في نسخة معتمدة من رواية النسفي عن البخاري والمعنى واحد، وسميت أحاديث الباب بذلك لأن فيها من الوعظ والتنبيه ما يجعل القلب رقيقا ويحدث فيه الرقة.

١ - باب ما جاء فى الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة

(الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة) كذا لأبي ذر عن الحموي وسقط عنده عن الكشميهني والمستملي الصحة والفراغ، ولأبي الوقت كما في الفتح: باب لا عيش إلا عيش الآخرة ولكريمة عن الكشميهني (ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة) وزاد في الفرع كأصله باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة وفيهما أيضا باب لا عيش إلا عيش الآخرة.

(بسم الله الرحمن الرحيم) وفي الفتح كاليونينية تقديم البسملة على الكتاب.

٦٤١٢ - حدثنا المكى بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن سعيد هو ابن أبى هند، عن أبيه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال النبى -صلى الله عليه وسلم-: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة، والفراغ». قال عباس العنبرى، حدثنا صفوان بن عيسى، عن عبد الله بن سعيد بن أبى هند، عن أبيه قال: سمعت ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مثله.

وبه قال: (حدثنا المكي بن إبراهيم) التميمي البلخي كذا للأكثر بالألف في أوله وهو اسم بلفظ النسب وهو من الطبقة العليا من شيوخ البخاري قال: (أخبرنا عبد الله بن سعيد) بكسر العين (هو) أي سعيد (بن أبي هند) الفزاري مولى سمرة بن جندب (عن أبيه) سعيد بن أبي هند (عن ابن عباس - رضي الله عنهما-) أنه (قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-):

(نعمتان) تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة وقال الإمام فخر الدين المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير وزاد الدارمي من نعم الله (مغبون فيهما) أي في النعمتين (كثير من الناس) رفع بالابتداء وخبره مغبون

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٧/٣٨٩

مقدما والجملة خبر نعمتان وهما (الصحة) في البدن (والفراغ) من الشواغل بالمعاش المانع له عن العبادة والغبن بفتح الغين المعجمة وسكون الموحدة النقص في البيع وبتحريكها في الرأي أي ضعف الرأي قال في الكواكب: فكأنه قال هذان الأمران إذا لم يستعملا فيما ينبغي فقد غبن صاحبهما فيهما أي باعهما ببخس لا تحمد عاقبته أو ليس له رأي في ذلك البتة فقد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا للعبادة لاشتغاله بالمعاش وبالعكس، فإذا اجتمع الصحة والفراغ وقصر في نيل الفضائل فذلك الغبن كل الغبن لأن الدنيا سوق الأرباح ومزرعة للآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة مولاه فهو المغبوط ومن استعملهما في معصية الله فهو **المغبون** لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرم.

والحديث أخرجه الترمذي في الزهد، والنسائي في الرقائق، وابن ماجة في الرقائق.

(قال عباس) بالموحدة المشددة آخره مهملة ابن عبد العظيم (العنبري) البصري الحافظ أحد شيوخ البخاري (حدثنا صفوان بن عيسى) الزهري (عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند) ولأبي ذر هو ابن أبي هند (عن أبيه) سعيد السابق أنه (قال: سمعت ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مثله) أي مثل الحديث السابق.

ورواه ابن ماجة عن العباس العنبري.

٦٤١٣ - حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخره ... فأصلح الأنصار والمهاجره»

وبه قال: (حدثنا) ولأبي ذر: حدثني (محمد بن بشار) بالموحدة والمعجمة المشددة المفتوحتين بندار قال: (حدثنا غندر) ولأبي ذر محمد بن جعفر بدل قوله غندر قال: (حدثنا شعبة) بن الحجاج (عن معاوية بن قرة) بن أبي إياس المزني (عن أنس) -رضي الله عنه- (عن النبي) ولأبي ذر عن المستملي أن النبي (-صلى الله عليه وسلم- قال): عند حفر الخندق متمثلا يقول ابن رواحة:

(اللهم لا عيش إلا عيش الآخره ... فأصلح الأنصار والمهاجره)

بكسر الجيم وسكون الهاء كهاء الآخرة.

٦٤١٤ - حدثنى أحمد بن المقدام، حدثنا الفضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، حدثنا سهل بن سعد الساعدى قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى الخندق وهو يحفر ونحن ننقل التراب ويمر

بنا فقال:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره ... فاغفر للأنصار والمهاجره

تابعه سهل بن سعد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مثله.

وبه قال: (حدثني) بالإفراد، ولأبي ذر: حدثنا (أحمد بن المقدام) بكسر الميم وسكون القاف وبعد الدال المهملة ألف فميم العجلي قال: (حدثنا الفضيل) بضم الفاء وفتح الضاد مصغرا (ابن سليمان) النميري بضم النون وفتح الميم بعدها تحتية ساكنة مصغرا قال: (حدثنا أبو حازم)." (١)

"١١٩٢ - حدثنا محمد بن جعفر المؤدب ، ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري ، ثنا روح بن عصام ، ثنا هشيم بن بشير ، عن العوام بن حوشب ، قال : « الباعة قوم أنذال ، فماكس عند درهمك ، فإن **المغبون** لا محمود ولا مأجور »." (٢)

" ٢٨٣ - حدثنا الكامل بن طلحة الجحدري حدثنا أبو هشام القناد : عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : **المغبون** لا محمود ولا مأجور ." (٣)

" عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلىالله عليه وعلى آله وسلم بمثل معناه

٦٣ - سمعت أبا بكر بن شاذان يقول سمعت جعفر الخلدي يقول سمعت أبا محمد المغازلي يقول

من أحب أن تدوم له المودة فليحفظ مودة إخوانه القدماء

٦٤ - أنشدنى عبد الله بن علي الطوسي قال أنشدنى الوجيهى لبعضهم ... ما ذاقت النفس على شهوة ... ألذ من حب صديق أمين ... من فاته ود أخ صالح ... فذلك **المغبون** حق اليقين ...

٦٥ - سمعت محمد بن طاهر الوزيري يقول سمعت أبا غلي البوشنجي يقول قال بعض الحكماء من السلف

عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم

ومن آدابها

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٣٦/٩

(٢) أخبار أصبهان، ٤٠٢/٤

(٣) إصلاح المال، ص/٨٧

٦٦ – ما سئل أبو عثمان الحيري كيف يصحب المؤمن على شرط السلامة قال يوسع على أخيه ماله ولا يطمع في ماله وينصفه ولا يطلب منه الإنصاف ويسكثر قليل بره ويكون إكرامه أكثر من إكرامه لنفسه

٦٧ – ما سئل أبو عثمان عن من يعاشر الناس ولا يكرمهم ولا يتكبر عليهم فقال ذلك لقلة رأيه وعقله فإنه يعادي صديقه ويكرم عدوه فإن إخوانه ." (١)

"٨٠٨ – نا أحمد بن الأزهر قال : نا قيس بن محمد ، من ولد الأشعث بن قيس ، نا طلحة بن كامل الجحدري ، عن محمد بن هشام ، عن عبد الله بن الحسن بن علي ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي A قال : « **المغبون** لا محمود ولا مأجور (١) »

---

(١) المأجور : المثاب." (٢)

"عن ابن عباس قال قال رسول الله نعمتان مبتدأ مغبون فيهما كثير من الناس صفة له أو خبره الصحة والفراغ أي صحة البدن والقوة الكسبية وفراغ الخاطر بحصول الأمن ووصول كفاية الأمنية والمعنى لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم قال تعالى ذلك يوم التغابن التغابن وقال ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وفي حاشية السيوطي رحمه الله قال العلماء معناه أن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنيا فلا يكون متفرغا للعلم والعمل لشغله بالكسب فمن حصل له الأمران وكسل عن الطاعة فهو **المغبون** أي الخاسر في التجارة مأخوذ من الغبن في البيع اه ويمكن أن يكون الغبن كناية ع ن فساد حاله وضياع ماله كما قال بعضهم إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة وقال العارف بالله ابن الفارض." (٣)

"٥٦٠– أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي ، قال : حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان ،

---

(١) آداب الصحبة، ص/٦٧

(٢) الأحاديث المرفوعة من التاريخ الكبير للبخاري، ٣١٠/٢

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٧/١٥

قال : حدثنا عمرو بن خالد ، قال : حدثنا خديج ، قال : حدثنا كنانة، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله @ :

((إن أبخل الناس من بخل بالسلام ، **والمغبون** من لم يرده ، وإن صحبك أخوك في سفر فحالت بينكما شجرة ، فإن استطعت أن تسبقه بالسلام فافعل)) .

٥٦١- أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي ، قال : حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان ، قال : حدثنا عمرو بن خالد ، قال : حدثنا خديج ، قال : حدثنا كنانة، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله @ يقول :

((ثلاثة لا ينظر الله تعالى إليهم يوم القيامة : الملك الكذاب ، والشيخ الزاني ، والعائل المختال)) .

٥٦٢- أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد ، قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم بن شاكر الهمداني قراءة عليه ، قال : حدثنا أنس بن أسلم ، قال : حدثنا أيوب الرصافي ، قال : حدثنا سلمة بن عبد الملك ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن حميد الكلابي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله @ :

((إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله بالماء سبع مرات)) .

٥٦٣- أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد ، قال : حدثنا القاضي أبو بكر يوسف بن القاسم بن يوسف الميانجي إملاء ، قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاكر الزنجاني بالميانج سنة خمس وتسعين ومائتين ، قال : حدثنا نصر بن علي ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبي @ قال :." (١)

" هريم ، قال : حدثني أبو الربيع الأعرج ، قال : دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب ، فقرب إلي كسيرات يابسة ، فعطشت ، فقمت إلى دن فيه ماء حار ، فقلت : رحمك الله ، لو اتخذت إناء غير هذا يكون فيه الماء ، فقال لي : إذا كنت لا أشرب إلا باردا ، ولا آكل إلا طيبا ، ولا ألبس إلا لينا ، فما بقيت لآخرتي ؟ ! قال : قلت : أوصني ؟ قال : صم الدنيا ، واجعل إفطارك فيها الموت ، وفر من الناس / فرارك من السبع ، وصاحب أهل التقوى إن صحبت ، فإنهم أقل مؤنة وأحسن معونة ، ولا تدع الجماعة ، حسبك هذا إن عملت به . ([قول يحيى بن معاذ في **المغبون** من الناس])

---

(١) الخلعيات، ١٤/١٣

١١١ – سمعت أبا حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي ، وسمعت أبا علي بن فضالة النيسابوري ، يقولان : سمعنا الحسين بن علي

". (١)

" التميمي ، يقول : سمعت أبا الحسن علي بن محمد القبابي ، يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : **المغبون** من عطل أيامه بالبطالات ، وسلط جوارحه على الهلكات ، ومات قبل إفاقته من الجنايات . ([قول بشر بأن لا نحب الدنيا])

١١٢ – أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان ، حدثنا محمد بن أحمد الجرجرائي ، قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله ، تلميذ بشر بن الحارث ، يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول : ينبغي لنا أن لا نحب هذه الدار ، لأنها دار يعصى الله فيها ، والله لو لم يكن منا إلا أنا أحببنا شيئا أبغضه الله تعالى لكفانا .

". (٢)

" ٦٢٧ – أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قالا أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا ابن المبارك قال بلغنا عن عيسى بن مريم أنه قال يوشك أن يفضى بالصابر البلاء الى الرخاء وبالفاجر الرخاء الى البلاء

٦٢٨ – أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قالا أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا ابراهيم بن نشيط الوعلاني قال حدثنا كعب بن علقمة قال قال سعد بن مسعود التجيبي اذا رأيت الرجل دنياه تزداد وآخرته تنقص مقيما على ذلك راضيا به فذلك **المغبون** الذي او بلغت بوجهه وهو لا يشعر

٦٢٩ – أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قالا أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا وهيب قال قال عيسى بن مريم أربع لا تجتمع في أحد من الناس الا يعجب او إلا يعجبه الصمت وهو اول العبادة والتواضع لله والزهادة في الدنيا وقلة الشيء

---

(١) الزهد والرقائق، ص/١٣٠

(٢) الزهد والرقائق، ص/١٣١

٦٣٠ - أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قالا أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال قال عمر بن الخطاب انا وجدنا خير عيشنا بالصبر // أخرجه أبو نعيم من طريق الأعمش ." (١)

"هذه أسباب النجاح في طلب العلم كما ذكره ابن القيم رحمه الله، ونزيد عليه:

أن يتلقى العلم من أهله، ولا يتكئ على الكتب فحسب، كما أنه لا ينبغي أن يتعلم ممن هو ليس بأهله.

أن يقدم الأهم فالمهم، فأولا يحفظ القرآن الكريم وشيئا من السنة النبوية، ثم يركز على حفظ المتون، وهكذا.

أن يسلك سبيل التدرج، فلا يمكن لطالب العلم أن يتقن جميع العلوم مرة واحدة، بل عليه أن يتعلم المختصرات ثم المتوسطات ثم المطولات...

أن يرتب أوقاته، فمثلا بعد العصر لحفظ القرآن الكريم، وبعد المغرب لمذاكرة الدروس، وبعد العشاء للمطالعة، وهكذا..

فإذا راعى الإنسان هذه الصفات يرجى له بمستقبل علمي زاهر، ونفع نفسه وأمته. فهيا بنا أن نشد أزرنا في طلبه، ونبذل ما فيه قصارى جهدنا لحصوله، وننفق الغالي والنفيس لأجله، فإن **المغبون** من حرم بركات العلم(١).

* * *

الوقفة السادسة

الدعوة إلى الله

دل الحديث على أهمية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وعظم شأنها، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم طالب العلم الداعي إلى الله كالأرض التي تنفع الناس بإنباتها للكلأ والعشب، وهذه ثمرة العلم وزكاته، ولذا سنتطرق بشيء من التفصيل في هذه الوقفة عن الجوانب المهمة في الدعوة في ضوء المباحث الآتية:

* * *

المبحث الأول

مفهوم الدعوة

(الدعوة) إلى الطعام: بالفتح، يقال: كنا في دعوة فلان و مدعاة فلان،وهو مصدر، والمراد بهما الدعاء إلى

---

(١) الزهد لابن المبارك، ص/٢٢٢

الطعام.

والدعوة: بالكسر في النسب، والدعي من تبنيته، ومنه قوله تعالى: ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم؟ ﴾ [الأحزاب: ٤].

وداعية اللبن: ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده. وفي الحديث: دع داعي اللبن(٢).

---

(١) هذا الفصل لخصناه من كتابنا: قواعد منهجية في طلب العلم. ومن أراد التوسع فليراجع الكتاب. ولم أفصل هنا اكتفاء بما ذكر هناك.

(٢) ينظر: مختار الصحاح للرازي، ص: ٢٠٦.." [1]

" معاذ الرازي يقول **المغبون** من عطل أيامه بالبطالات وسلط جوارحه على الهلكات ومات قبل إفاقته من الجنايات

٧٧٩ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت ريطة بنت عبيد الله الزاهدة تقول سمعت أبا عثمان يقول ابكوا قبل أن تتمنوا أن تبكوا فلا تقدروا عليه أبكوا على ثروتكم وشبابكم ثم اغتنموا بقية أعماركم فقد قال الصادق علي بن أبي طالب بقية عمر الرجل لا ثمن له

٧٨٠ أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنبأ الحسين بن صفوان البرذعي ثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ثنا علي بن مسلم ثنا سيار ثنا جعفر ثنا مالك بن دينار قال كان عيسى عليه السلام يقول إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما وكان يقول اعملوا لليل لما خلق له واعملوا للنهار لما خلق له

٧٨١ أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنبأ دعلج بن أحمد بن دعلج ثنا موسى يعني ابن هارون ثنا أبو الربيع ثنا حماد عن عاصم قال قال لي فضيل الرقاشي يا هذا (ح) وأخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح بالكوفة ثنا عمي أحمد بن جناح المحاربي ثنا أبو الجريش أحمد بن عيسى الكلابي ثنا فطر بن حماد بن واقد القيسي ثنا حماد بن زيد ثنا عاصم قال قال فضيل الرقاشي وأنا أسائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل أذهب ها هنا وها هنا ليذهب علي النهار فإنه محفوظ عليك ولم نر شيئا قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

وفي رواية جناح ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ هكذا وجدته موقوفا

---

(١) مثل ما بعثني الله، ص/٢٩

". (١)

"١٨٥ – حدثني حمزة بن العباس ، قال : أنا عبدان بن عثمان ، قال : أنا عبد الله بن المبارك ، قال : ثنا إبراهيم بن نشيط ، قال : ثنا كعب بن علقمة ، قال : قال سعد بن مسعود التجيبي : إذا رأيت العبد دنياه تزداد وآخرته تنقص ، مقيما على ذلك ، راضيا به فذلك **المغبون** الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر." (٢)

"٣٢٣ – ثنا أبو عبد الله ، قال : قال أبو المغيرة البصري : لو أن عبدا أشغل نفسه نفسا من أنفاسه فأصاب بذلك النفس الدنيا بما فيها لكان هو **المغبون** في حاضر القيمة." (٣)

"٤٥٤ – حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، Bهم قال : حدثني عمار بن عمر البجلي ، قال : سمعت عمر بن ذر ، يقول : اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده ، فإن **المغبون** من غبن خير الليل والنهار ، والمحروم من حرم خيرهما ، إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم ، ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم ، فأحيوا لله أنفسكم بذكره ، فإنما تحيا القلوب بذكر الله ، كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته ، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله تعالى للعابدين غدا ، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام ، رحمكم الله." (٤)

"٤٦٩ – وحدثني سلمة أنه حدث عن عبد الله بن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : الخاسر من عمر دنياه بخراب آخرته ، والخاسر من استصلح معاشه بفساد دينه ، **والمغبون** حظا من رضي بالدنيا على الآخرة ، وقرأ فإنه قال لقوم (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ((١)

---

(١) الزهد الكبير، ص/٢٩٥

(٢) الزهد، ١/١٨٦

(٣) الزهد، ١/٣٢٥

(٤) الزهد، ١/٤٥٦

(١) سورة : يونس آية رقم : ٧." (١)

" ٦٧٩ - (إذا سرق المملوك) أي القن شيئا قل أو كثر لك أو لغيرك (فبعه) وفي رواية لأبي نعيم إذا سرق العبد فبيعوه [ص ٣٧٥] (ولو) للتقليل هنا كما في القواطع لكن قال الزركشي : الحق أن التقليل مستفاد مما بعد لو من الصيغة (بنش) بكسر الموحدة وفتح النون وشين معجمة نصف أوقية وهو عشرون درهما كأنه سمي به لخفته وقلته من النشنشة وهي التحرك والخفة والحركة من واد واحد كذا ذكره الزمخشري جازما ورأيت في المطامح أنه القربة البالية ولم يذكر فيه سواه ولم أر فيه سلفا لكنه لم يذكره رجما بالغيب وأيا ما كان فهذا خرج مخرج التقليل والترهيب في القن السارق فكأنه قال لا تمسكه عندك ولا تتركه في بيتك بل بعه بما تيسر وإن كان تافها جدا ففيه دليل على إبعاد أهل الفساد والمعاصي واحتقارهم وأن السرقة عيب فاحش منقص للقيمة وإذا باعه وجب أن يعرف بسرقته لكونه من أقبح العيوب فلا يحل له كتمه ويظه ر أن مثل البيع كل ما يزيل الملك عنه أو يحصل به مفارقته كهبته وكتابته ووقفه وعتقه لكن قد يتوقف في العتق من حيث أنه يرفع الرق عنه لكثرة إضراره للناس بالسرقة والظاهر أن المراد بالسرقة هنا معناها اللغوي وكما يطلب بيع القن إذا سرق يطلب بيعه إذا زنى لقوله من حديث مسلم إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليحدها ولا يثرب عليها أو لا يوبخ ولا يعير ولا يكثر من اللوم ثم قال إن زنت فبيعوها ولو بضفير أي بحبل مضفور فعيل بمعنى مفعول وفي رواية ولو بحبل من شعر فوصف الحبل بكونه من شعر لأنها أكثر حبالهم وهذا خارج مخرج التقليل والتزهيد كما تقرر فيما قبله فإن قيل إذا كان مقصوده إبعاد السارق والزاني وأنه يلزم البائع الإخبار بعيبه فلا ينبغي لأحد شراؤه لكونه مأمورا بإبعاده فالجواب أنه مال فلا مساغ للنهي عن إضاعة المال ولا يسيب ولا يحبس دائما إذ كل ذلك إضاعة مال ولو سيب كان إغراء له على السرقة والزنا وتمكينا له منها فلم يبق إلا بيعه ولعل السيد الثاني يبالغ في حفظه فيمنعه من ذلك وبالجملة فعند تبدل الأملاك تختلف الأحوال والجمهور حملوا الأمر ببيع السارق والزاني على الندب والارشاد إلا داود وأهل الظاهر فقالوا بوجوبه تمسكا بظاهر الأمر وصرفه الجمهور عن ظاهره عملا بالأصل الشرعي أنه لا يجبر أحد على إخراج ملكه لملك أحد بغير الشفعة فلو وجب لأجير عليه ولم يجبر عليه فلم يجب واستنبط منه بعضهم جواز البيع بالغبن لأنه بيع خطير بثمن يسير ورد بأن الغبن المختلف فيه بيع جهالة من المغبون وأما مع العلم بقدر المبيع والثمن وحالهما فلا وإنما أمر في حديث مسلم بعدم توبيخه

---

(١) الزهد، ٤٧١/١

وتعييره لأن الإكثار من ذلك يزيك الحياء والحشمة ويجرئ على ذلك الفعل ولأن العبد غالبا لا ينفعه لوم ولا توبيخ بل ربما كان إغراءا وإنما يظهر أثره في الحر إن ظهر ألا ترى إلى قوله :

واللوم للحر مقيم رادع . . . والعبد لا يردعه إلا العصا

ولأنها عقوبة زائدة على الحد المشروع ولا يدخل فيه نحو وعظ وتخويف بعقاب الله وتهديد احتيج إليه لأنه ليس بتثريب وأفاد خبر مسلم أن للسيد أن يحده وبه قال الجمهور إلا أبا حنيفة فقال : لا يحده إلا الإمام وقال الشافعي : يقطعه في السرقة وقال مالك : أمنعه مخافة أن يمثل به قال الراغب : والسرقة أخذ ما ليس لك أخذه في خفاء ثم صار شرعا عبارة عن أخذ شيء مخصوص من محل مخصوص وقدر مخصوص واللائق منا إرادة اللغوي

(هـ) في السرقة وكذا ابن ماجه والنسائي (عن أبي هريرة) رمز لحسنه ولعله لتقويه بتعدد طرقه وإلا ففيه عمر بن أبي سلمة قال النسائي غير قوي وفي المنار سنده ضعيف ." (١)

" ١٨٧٤ - (إن الله تعالى يحب المداومة) أي الاستمرار والملازمة (على الإخاء) بكسر أوله والمد (القديم فداوموا عليه) ندبا بتعهد من آخيتموه في الله منذ زمان ولا تتسببوا في قطعه بالجفاء وعدم الوفاء وقال ابن الأثير وفي حديث معاوية عليك بصاحبك الأقدم فإنك تجده على مودة واحدة وإن قدم العهد وانتاطت البلاد أي بعدت ولذلك عدوا من حق الصحبة حفظ المودة القديمة والأخوة السالفة ودخلت امرأة على المصطفى صلى الله عليه و سلم فأدناها وقربها وسألها عن حالها فقالت له عائشة رضي الله عنها في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وسيجيء ذلك . قال الحكيم : من أحب أن تدوم له المودة في القلوب فليحفظ مودة إخوانه القدماء وما أحسن مودة إخوان الصلاح وما أجل خدمة أرباب الفلاح فمن فاز بودهم حاز النجاح ومن حرمه فاته الرباح ولله در من قال من أهل الأدب في معنى هذا الأدب :

ما ذاقت النفس على شهوة . . . ألذ من حب صديق أمين

من فاته ود أخ صالح . . . فذلك المغبون حق اليقين

وقد أفاد هذا الحديث ندب زيارة الإخوان وتعهدهم ووفاء حقوقهم غيبة وحضورا لله تعالى حتى يعظم من انتسب إليهم بوجه من وجوه الطاعة واجتمع بهم برهة من الزمان ولو ساعة

---

(١) فيض القدير، ٣٧٤/١

(فر) من حديث سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر (عن جابر) قال في اللسان هذا منكر بمرة ولا أظن سفيان بن عيينة حدث به فقط ." (١)

" ٩٢٢٦ - (**المغبون** لا محمود ولا مأجور) لكونه لم يحتسب بما زاد على قيمته فيؤجر ولم يتحمد إلى بائعه فيحمد لكن استرسل في وقت المبايعة فاستغبن فغبن فلم يقع عند البائع موقع المعروف فيحمد بل رجع لنفسه فقال : خدعته فذهب الحمد ولم يحتسب فذهب الأجر ومن ثم قيل الغبن في البيع جود بالعقل وأصل الغبن النقص

(خط عن علي) أمير المؤمنين وفيه أحمد بن ظاهر البغدادي سئل عنه تلميذه الأنبدوني قال : لو قيل له حدثكم أبو بكر الصديق قال : نعم وضعفه كذا ذكره مخرجه الخطيب عقبه فاقتصار المصنف على العزو له وحذف ذلك من سوء التصرف (طب عن الحسن) بن علي قال الهيثمي : وفيه محمد بن هشام ضعيف وبقية رجاله ثقات (ع عن الحسين) بن علي يرفعه قال أبو هاشم : كنت أحمل متاعا إلى الحسين فيماكسني فيه فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته فقلت له في ذلك فقال حدثني أبي يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه و سلم فذكره قال الهيثمي بعد ما عزاه لأبي يعلى : فيه أبو هاشم العبادي قال الذهبي : لا يكاد يعرف ولم أجد لغيره فيه كلاما اه وعبارة الذهبي هذا حديث منكر وأبو هاشم لا يعرف وقد اضطرب فمرة عن الحسن ومرة عن الحسين وأورده في الفردوس بلفظ أتاني جبريل فقال : يا محمد ماكس عن درهمك فإن **المغبون** إلى آخر ما هنا ورواه الحكيم في نوادره من حديث عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده وطرقه كلها ترجع إلى أهل البيت ." (٢)

"٤٨٨ - حدثنا عبد الله بن عبد الصمد الهاشمي ، ثنا محمد بن خالد ، حدثني أبي ، ثنا حديج بن معاوية الجعفي ، ثنا كنانة ، وهو مولى صفية ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله A : « إن أبخل الناس من بخل بالسلام ، **والمغبون** من لم يرده ، وإن صاحبك أخوك في سفر فحالت بينكما شجرة ، فإن استطعت أن تسبقه بالسلام فافعل »." (٣)

" ١٣ - باب صفة المتهجدين ونعتهم

---

(١) فيض القدير، ٢٩١/٢

(٢) فيض القدير، ٢٧٤/٦

(٣) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين، ٥٦/٢

٢٧٨ – حدثني محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن عثمان بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال حدثني عمار بن عمرو البجلي سمعت عمر بن ذر يقول لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل السآمة والغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم من الضجعة والنوم قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عبادة السهر وطول التهجد فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة ولا ملت أبدانهم من طول العبادة فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بربح وغبن أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعبادة شتان ما بين الفريقين فاعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده فإن **المغبون** من غبن خير الليل والنهار والمحروم من حرم خيرهما إنما ." [١]

"(٧) وجوب عدم التقصير في طلب العلم

(خ) ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

" نعمتان مغبون (١) فيهما كثير من الناس : الصحة ، والفراغ (٢) " (٣)

---

(١) **المغبون** : الخاسر في التجارة ، مأخوذ من الغبن في البيع . تحفة الأحوذي – (ج ٦ / ص ٨٩)

(٢) أي : لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس ، حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم ، فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ، ولا ينفعهم الندم ، قال تعالى ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ .

تحفة الأحوذي – (ج ٦ / ص ٨٩)

(٣) (خ) ٦٠٤٩ ، (ت) ٢٣٠٤ ، (جة) ٤١٧٠ ، (حم) ٢٣٤٠." [٢]

"(٨٣٥) – أخبرنا عتيق الله بن أبي العباس بن أبي بكر أبو بكر الميثمي المروزي الحنيفي بقراءتي عليه بمرو أبنا أبو الفضل محمد بن الفضل الأرسابندي أبنا الحاكم الزاهد أبو عمرو محمد بن عبد العزيز القنطري قال ثنا الحاكم الإمام أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أبنا أبو القاسم حماد بن أحمد بن حماد بن رجاء القاضي وأبو عبد الرحمن عبد الله بن محمود السعدي قالا أبنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أحمد الخلال أبنا عبد الله بن المبارك الحنظلي أبو عبد الرحمن ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند

---

(١) التهجد وقيام الليل، ص/٣٣٩

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٣/٦٥

عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ . أخبرناه عاليا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي أبنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور وأبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البسري وأبو محمد أحمد بن علي بن الحسن بن أبي عثمان وأبو عبد الله مالك بن أحمد بن علي البانياسي قالوا أبنا أحمد بن محمد بن موسى بن القاسم بن الصلت ثنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي ثنا الحسين بن الحسن المروزي بمكة ثنا عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى قالا ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند فذكر مثله وقال **المغبون** بالتعريف . أخرجه البخاري عن مكي بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد .

ذكر من اسمه عثمان." (١)

" - * باب ما يقول إذا أصابه هم أو حزن - *

٣٣٩ أخبرنا أبو عروبة ثنا عمرو بن هشام ثنا مخلد بن يزيد عن جعفر بن برقان عن فياض عن عبد الله بن زيد عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات يقول (اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك في قبضتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم نور صدري وربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي وغمي)

فقال الرجل من القوم يا رسول الله إن **المغبون** من غبن هؤلاء الكلمات فقال أجل قولوهن وعلموهن فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله حزنه وأطال فرحه

". (٢)

"فإذا أنت فعلت ذلك فتعاهدني بنفسك ثلاثا وادع الله لي ففعل الفتى ذلك فلما كان يوم الثالث سمع من القبر صوتا فاقشعر له جلده وتغير له لونه ورجع منه مهموما إلى أهله فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه فقال أي بني أنت عندنا عن قليل والأمر بآخره والموت أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحيلك وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم ولا تغتر بما اغتر به

---

(١) معجم ابن عساكر، ١/٤٠٨

(٢) عمل اليوم والليلة، ص/٣٠٠

البطالون فتلك من طول آمالهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف فلا الندامة عند الموت نفعتهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما وافى به **المغبونون** مليكهم بوم القيامة أي بني فبادر ثم بادر ثم بادر .. . قال عبد الله بن صدقة قال أبي قال الشيخ الذي حدثني بهذا الحديث فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلة هذه الرؤيا فقصها علينا وقال ما أرى الأمر إلا كما قال أبي ولا أرى الموت إلا قد أظلني قال فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضي ما عليه من الدين ويستحل خلطاؤه ومعامليه ويحللهم ويسلم عليهم ويودعهم ويودعونه كهيئة رجل أنذر بأمر فهو يتوقعه وكان يقول قال أبي فبادر ثم بادر ثم بادر فهذه ثلاث ساعات مضت فلست بها أو ثلاثة أيام وأنى إما بها أو ثلاثة أشهر وما أرى أدركها أو ثلاث سنين فهو أكثر من ذلك وما أحب أن يكون ذلك كذلك قال فلم يزل الفتى يعطي ويقسم ويتصدق ثلاثة أيام حتى إذا كان في آخر يوم الثالث من صبح ليلة هذه الرؤيا دعى أهله وولده فودعهم وسلم عليهم ثم استقبل القبلة فمدد نفسه وأغمض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله فمكث الناس حينا يأتون قبره من الأمصار يصلون عليه.

(٢١٩) حدثنا محمد بن الحسين حدثني صجعم أو صبعم بن بشير أو إبراهيم الطائي قال سمعت جميعا أبا محمد الغافقي وكان خيار عباد الله يقول مررت بقبر في طريق الشام عليه مكتوب

أيها الركب قفوا فاعتبروا ثم ارحلوا فتذكروا وادكروا." (١)

"(٥٧) حدثني الحسين بن عبد الرحمن وأبو محمد البزار القاسم بن هاشم عن أبي عبد الله اليماني عن أبيه أن الحسن كتب إلى مكحول وكان له نعي فكان في كتابه إليه واعلم رحمنا الله وإياك أبا عبد الله أنك اليوم أقرب إلى الموت يوم نعيت له ولم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الأعمار وتقريب الآجال هيهات هيهات قد صحبنا نوحا وعادا وثمودا: وقرونا بين ذلك كثيرا. فأصبحوا قد قدموا على ربهم ووردوا على أعمالهم فأصبح الليل والنهار غضين جديدين لم يبلهما ما مرا به مستعدين لمن بقي بمثل ما أصابا به من مضى وأنت نظير إخوانك وأقرانك وأشباهك مثلك كمثل جسد نزعت قوته فلم تبق إلا حشاشة نفسه ينتظر الداعي فنعوذ بالله من مقته إيانا فيما يعظ به مما نقصر عنه.

(٥٨) حدثني محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن عثمان بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب حدثني عمارة بن عمرو البجلي قال سمعت عمر بن ذر يقول اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده فإن **المغبون** من غبن خير الليل والنهار والمحروم من حرم خيرهما إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى

---

(١) كتاب القبور، ص/٥٠

طاعة ربهم ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيوا لله أنفسكم بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدا فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله.." (١)

"٢٣- أخبرنا عبد الله بن محمد الصريفيني، أنا عمر بن إبراهيم الكتاني، نا أبو سعيد وهو الحسن بن علي العدوي، نا كامل بن طلحة الجحدري، نا أبو هشام القناد قال: كنت أحمل المتاع من البصرة إلى الحسن بن علي عليهما السلام وكان يماكسني فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته ويقول أن أبي #٨١# حدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**المغبون** لا محمود، ولا مأجور)).." (٢)

" وقوله

(أمنون بدت لنا أم جفون ... حركات للسقم فيها سكون)

(بعتها ما حييت طول هجوعي ... بدموعي فأينا **المغبون**) - من الخفيف -

وقوله

(تعلقته سكران من خمرة الصبابة ... غفلة عن لوعتي ولهيبي)

(وشاركني في حبه كل أغيد ... يشاركني في مهجتي بنصيب)

(فلا تلزموني غيرة ما عرفتها ... فإن حبيبي من أحب حبيبي) - من الطويل -

وقوله

(قلت وقد أوردني حبه ... مواردا ليس لها مصدر)

(أفسدت دنياي ولا دين لي ... تفسده فاصدع بما تؤمر) - من السريع -

وقوله

(أتابعت أهل البيعة اليوم في دمي ... غلبت فخذ أخطارهم وتقدم)

(ولا تورثن عينيك سقمي فإنه ... حرام على الذمي ميراث مسلم) - من الطويل -

وقوله

(رأيت ما لم يره رائي ... ماء غدا يسبح في ماء)

(أومأت باللحظ إلى جسمه ... فكاد أن يدميه إيمائي) - من السريع -

---

(١) كلام الليالي والأيام، ص/١١

(٢) ما قرب سنده من حديث أبي القاسم السمرقندي، ص/٨٠

وقوله

(ظبي أقام قيامتي ... من قبل أن تأتي القيامه) ." [1]

" الأعمال إليه

(انظر إلى الأيام كيف تعود ... وإلى المعالي الغر كيف تزيد)

(وإلى الزمان نبا وعاود عطفه ... فارتاح ظمآن وأورق عود)

(قد عاود الأيام ماء شبابها ... فالعيش غض والليالي عيد)

(إقبال عز كالأسنة مقبل ... يمضي وجد في العلاء جديد)

(وعلا لأبلج من ذؤابة هاشم ... يثني عليه السؤدد المعقود)

(قد فات مطلوبا وأدرك طالبا ... ومقارعوه على الأمور قعود)

(ما السؤدد المطلوب إلا دون ما ... يرمي إليه السؤدد المولود)

(فإذا هما اتفقا تكسرت القنا ... إن غالبا وتضعضع الجلمود) - الكامل -

وله من قصيدة في أبيه ويذكر حجه بالناس

(دعيني أطلب الدنيا فإني ... أرى المسعود من رزق الطلابا)

(ومن أبقى لآجله حديثا ... ومن عانى لعاجله اكتسابا)

(وما المغبون إلا من دهته ... فلا مجدا ولا جدة أصابا)

(ونصل السيف تسلم شفرتاه ... وتخلق كل أيام قرابا)

(وأيام تجوز عليك بيض ... وقد فتحت من الإقبال بابا)

(وكم يوم كيومك قدت فيه ... على الغرر المقانب والركابا)

(إلى البلد الأمين مقومات ... تماطلها التعجل والإيابا) ." [2]

" (وإن أذل الأذلين ... من يروم ببضع النساء الدول) - المتقارب -

وقال

(يا ليلة كرم الزمان ... بها لو أن الليل باقي)

(كان اتفاقا بيننا ... جار على غير اتفاق)

---

(١) قرى الضيف، ٣٦٦/١

(٢) قرى الضيف، ١٥٦/٣

(فاستروح المشتاق من ... زفرات هم واشتياق)

(واقتص للحقب المواضي ... بل تسلف للبواقي)

(حتى إذا نسمت رياح ... الصبح تؤذن بالفراق)

(برد السوار لها فأحميت القلادة بالعناق ...) - مجزوء الكامل -

وله في وزير بذل مالا كثيرا حتى يقلد الوزارة فاستصوب رأيه في ذلك

(اشتر العز بما بيع فما العز بغال ...)

(بالقصار الصفر ... إن شئت وبالسمر الطوال)

(ليس **بالمغبون** حظا ... مشتر عزا بمال)

(إنما يدخر المال ... لحاجات الرجال)

(والفتى من جعل ... الأموال أثمان المعالي) - مجزوء الرمل -

وقال

(يا عذبة المبسم بلي الجوى ... بنهلة من ريقك البارد)

(أرى غديرا شبما ماؤه ... باد فهل للماء من وارد)

(من لي بذاك العسل الذائب الجاري ... خلال البرد الجامد) - السريع ." (١)

"وفي الحديث تنبيه ودليل بالأخبار الصحيح على محل هذين الصفتين، وعظم شأنهما، وجلالة خطرهما، إذ لا يتوصل إلى رئاسة الدنيا وسعادة الآخرة إلا بهما، لكن إذا صرفا في الطاعة، **فالمغبون** من غبن صحة جسمه، وفراغ قلبه، وأكثر الناس يغبن فيهما باغترارهم بدوامها، ويغفلون عن اغتنامها، ولا تستطاع مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة إلا بهما، فقد أبلغ صلى الله عليه وسلم لأمته في النصيحة، وأوجز في اللفظ بلغته الفصيحة، وفي هذا الحديث كفاية لمن كان له قلب وفقه، وهمته شريفة، ونيته صادقة صحيحة. هذا الشيخ سمع أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي، وأبا الخطاب نصر بن أحمد بن البطر القارئ، وأبا الحسن علي بن الحسين بن أيوب البزار، وأبا الفتح عبد الواحد بن علوان بن قيس الشيباني، وغيرهم، مولده سنة سبعين وأربعمائة بالحربية، غربي مدينة السلام بغداد، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.." (٢)

---

(١) قرى الضيف، ٣/١٧٦

(٢) مشيخة أبي المنجى ابن اللتي، ص/٣٩٢

"١٧ – حدثنا يحيى بن يحيى ، وإسحاق بن إبراهيم ، قالا : أخبرنا سفيان ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، أن النبي A قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء (١) الليل وآناء (٢) النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » وفي الباب عن أبي هريرة ، ويزيد بن الأخنس ، ولفظه : « لا تنافس بينكم إلا في اثنتين » ، فذكر مثل معناه ، وفيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله : والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما (٣) قال الحسن : الذين يمشون على الأرض هونا (٤) . قال : بالوقار والسكينة : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يقول : حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا ، ذلت والله الأبدان والأبصار حتى حسبهم الجاهل مرضى ، والله ما بالقوم مرض ، وأنهم لأصحاء القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنع منهم الدنيا علمهم بالآخرة . هذه أخلاقهم التي انتشروا بها في الناس وهم الذين يبتون لربهم سجدا وقياما . أسهروا والله الأعين وهضموا في الآخرة كل شيء ، والله ما تعاظم في أنفسهم شيء طلبوا به الجنة ، وقالوا حين دخلوا الجنة : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٥) ، ثم يقول : والله لقد كابدوا في الدنيا أحزانا شديدة وخوفا شديدا ، والله ما أحزنهم من أحزان الناس شيء ، أبكاهم الخوف من النار ، وأن الله لن يجمع على المؤمن خوف الدنيا وخوف الآخرة ، فعجلوا الخوف حتى تلقوا ربكم . وكان يقول : يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا ، وارض بما قسم الله لك تكن غنيا ، وأحسن جوار من جاورك من الناس تكن مسلما ، وصاحب الناس بالذي تحب أن يصاحبوك به تكن عدلا . وإياك والضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب . إنه قد كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيرا ويبنون شديدا ويأملون بعيدا ، فأين هم ؟ أصبح جمعهم بورا ، وأصبح أملهم غرورا ، وأصبحت مساكنهم قبورا . يا ابن آدم ، إنك مرتهن بعلمك وآت على أجلك ومعروض على ربك ، فخذ مما في يديك لما بين يديك عند الموت يأتيك الخير . يا ابن آدم ، طإ الأرض بقدميك فإنها عن قليل قبرك . يا ابن آدم ، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . يا ابن آدم ، خالط الناس وزائلهم خالطهم ببدنك وزائلهم بقلبك وعلمك . يا ابن آدم ، تحب أن تذكر بحسناتك وتكره أن تذكر بسيئاتك وتبغض على الظن وتغتم على اليقين . وكان يقول : إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدقوا بها وأفضى يقينها إلى قلوبهم خشعت لله قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم ، كنت والله إذا رأيتهم رأيت قوما كأنهم رأي عين . والله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل ولكنهم جاءهم أمر عن الله فصدقوا به فنعتهم الله في القرآن أحسن نعت قال : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا . قال الحسن : والهون في كلام العرب اللين والسكينة والوقار وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال : حلماء لا يجهلون وإن

جهل عليهم حلموا يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون . قال : ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال : والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ينتصبون لله على أقدامهم ويفترشون وجوههم سجدا لربهم تجري دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم . قال الحسن لأمر ما سهروا ليلهم ولأمر ما خشعوا نهارهم . قال : الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما قال : وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام إنما الغرام اللازم ما دامت السموات والأرض . قال : صدق القوم والله الذي لا إله إلا هو فعملوا وأنتم تتمنون فإياكم وهذه الأماني رحمكم الله ، فإن الله لم يعط عبدا بأمنيته خيرا في دنيا ولا آخرة . وكان يقول : يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة . قال : لقد صحبت أقواما يبيتون لربهم في سواد هذا الليل سجدا وقياما يقومون هذا الليل على أطرافهم تسيل دموعهم على خدودهم ، فمرة ركعا ومرة سجدا يناجون ربهم في فكاك رقابهم ، لم يملوا طول السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء في يوم المرجع ، فأصبح القوم بما أصابوا من النصب لله في أبدانهم فرحين ، وبما يأملون من حسن ثوابه مستبشرين ، فرحم الله امرأ نافسهم في مثل هذه الأعمال ولم يرض لنفسه من نفسه بالتقصير في أمره واليسير من فعله فإن الدنيا عن أهلها منقطعة والأعمال على أهلها مردودة . ثم يبكي حتى تبتل لحيته بالدموع وعن الأحنف بن قيس أنه كان جالسا يوما فعرضت له هذه الآية : لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (٦) . فانتبه فقال : علي بالمصحف ، لألتمس ذكري اليوم حتى أعلم مع من أنا ومن أشبه ، فنشر المصحف فمر بقوم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (٧) ، ومر بقوم : تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (٨) . ومر بقوم : يبيتون لربهم سجدا وقياما . ومر بقوم : ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (٩) . ومر بقوم : يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . ومر بقوم : يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (١٠) ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (١١) . قال : فوقف ثم قال : اللهم لست أعرف نفسي ههنا ثم أخذ في السبيل الآخر . فمر بقوم : إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . ومر بقوم : إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ومر بقوم يقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين (١٢) . قال فوقف ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء . قال : فما زال يقلب الورق ويلتمس حتى وقع على هذه الآية :

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم (١٣) فقال : اللهم هؤلاء وقال عمر بن ذر : لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم من النوم ، قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عادة السهر وطول التهجد ، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا الأرض بصفاح وجوههم فانتقى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة ولا ملت أبدانهم من طول العبادة ، فأصبح الفريقان ولى عنهم الليل بربح وغبن ، أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعادة ، شتان ما بين الفريقين . فاعملوا أنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده فإن **المغبون** من غبن خير النهار والليل ، والمحروم من حرم خيرهما ، إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم ، فأحيوا أنفسكم بذكر الله . فإنما تحيى القلوب بذكر الله . كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته . وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدا فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله

---

(١) آناء : أوقات وساعات

(٢) الآناء : جمع إنا وأنا وإني وإنو ، وهي الساعات والأوقات

(٣) سورة : الفرقان آية رقم : ٦٤

(٤) سورة : الفرقان آية رقم : ٦٣

(٥) سورة : فاطر آية رقم : ٣٤

(٦) سورة : الأنبياء آية رقم : ١٠

(٧) سورة : الذاريات آية رقم : ١٧

(٨) سورة : السجدة آية رقم : ١٦

(٩) سورة : آل عمران آية رقم : ١٣٤

(١٠) سورة : الشورى آية رقم : ٣٧

(١١) سورة : الشورى آية رقم : ٣٨

(١٢) سورة : المدثر آية رقم : ٤٢

(١٣) سورة : التوبة آية رقم : ١٠٢." [١]

"قال الإمام : غبن المسترسل وهو المستشلم لبيعه ممنوع ، د اذا وقع فله القيام ولا يلزمه الغبن ، دان لم يستسلم لبيعه وماكسه ، وكان بصيرا بالقيمة عارفا بها فلا قيام له ؛ لأنه يكون حينئذ كالواهب لما غبن فيه .

وان كان غير بصير بالقيمة فهذا موضع اختلاف الأئمة ، وقد تجاذبوا الاستدلال بالكتاب والسنة ، واستدلوا أجمعون بقوله تعالى : ﴿ لا تثلوا أموالكم بينكم بالباطل إلأ أن تكون تجارة عن ترافبى ئنكم﴾ (١) ، فقال من أثبت الخيار بالمغابنة : إن أمضاها عليه كل المال بالباطل فقد نهت عنه هذه الاية ، وقال : من أمضى البيع عليه فإن ذلك عن لراض ، وقد اسشته هذه الآية .

وكذلك – أيضا – تجاذبوا هذا الحديث ، فقال بعضهم : فإنه – عليه السلام – أثبت له الخيار فى بعض طرق هذا الحديث .

وذلك يدل على ما قلناه من إثبات الخيار للمغبون .

وقال من أمضى عليه المغابنة : لو كان له ذلك مجرد الغبن ما افتقر إلى الشرط وهو قوله : الا خلابة) .

صرجح من اثبت الخيار مذهبه بما قدمناه فى حديث النهى عن تلقى الركبان ؛ لأنه –

(١) ا لنساء : ٢٩ .

كتاب البيوع / باب من يخدع فى البيع

الإسناد ، مثله .

وتنس فى! ديثهما : فكان : إفا بايع يقول : لا خيابة .

١٦٥

عليه السلام – أثبت للجالب الخيار إذا جا إلى السوق ، قالوا : وليس ذلك إلا للغبن ، وقد تقدم كلامنا على هذا الحديث فى موضعه .

يإذا قلنا بإثبات الخيار بالمغابنة ، فإنها ذلك فيما خرج عن المعتاد منها ، الذى لا يكاد تسلم منه البياعات .

---

(١) مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي، ص/٢٣

وقد حده بعض أصحابنا بالثلث ؛ لأن كثر البياعات لا تكاد تسلم من الغبن اليسير ؛ ولهذا انتصب التجار ، وعليه تقع كثر البياعات .
فكأن المغبون على ذلك دخل .
وقد قال بعض الناس : فى هذا الحديث دلالة على أن الكبير إذا سفه لا يحجر عليه .
وقال بعضهم : وهذا لا تعلق لهم فه ؛ لأنه لا يجب الحجر على المغبون وانتغ م ا له من يده إذا كان ممسكا له ، ولكنه ينهى عن التجارة المودية لإضاعته .
وقوله : (كان الرجل إذا بايع يقول (١) : لا خيابة) : أشار بعضهم إلى أنه كان ألثغ ؛ فلهذا غير الكلمة .
قال القاضى : وهذا الرجل هو حبان بن منقذ بن عمرو الأنصارى ، والد يحيى ، وواسع بن حبان ، شهد أحداً ، وقيل : بل هو منقذ أبوه ، وكان قد أتى عليه مائة وثلاثون سنة ، وكان شج فى رأسه فى بعض مغازيه مع النبى - عليه السلام - على بعض الحصون بحجر مأمومة ، تغير منها لسانه وعقله ، وذكر الدارقطنى : أنه كان ضرير البصر ، وروى أن النبى - عليه السلام - جعل له هذه الثلاث ، وكان كثر مبايعته بالدقيق شهر فيها وتبين غبنه .
وقد روى - ايضا - أن النبى - عليه السلام - / جعل له مع هذا خيار ثلاثة أيام فيما اشتراه ، أو فى كل سلعة ابتعاها .
وقد اختلف الناس فى معنى هذا الحديث ، فبعضهم جعله خاصئا لهذا الرجل وغيره ، وأن المغابـنة بين الناس ماضية وإن كثرت وهو قول مالك والشافعى وأبى حنيفة ، وقيل : للمغبون الخيار لهذا الحديث إذا كثرت ، د اليه ذهب البغداديون من المالكين وحددوها بالثلاث ، وصار الحديث عاما متعديا .
وقد اختلف الأصوليون فى قضايا الغين ، هل تعدى أم تقصر إلا بدليل ؟ وقد اختلف المذهب عندنا فيمن يخدع فى البيوع ، هل يضرب على يديه أم لا ؟ وقال بعضهم : فيه حجة على إمضاء بيع من لا يحسن النظر لنفسه وشرائه ما لم يحجر عليه ، وفى مذهبنا فى ذلك وغيره اختلاف معلوم .
وقوله : (ذكر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه يخدع فى البيوع) ، وفى حديث اخر : (ممكا)
(١) فى نسخ المال : قال ، والمثبت من الصحيحة المطبرعة ، ع .

١ / ٢١٤

١٦٦ كتاب البيوع / باب من يخدع فى البيع يدل انه ممن لم يبعد ميزه ولا النظر لنفسه بالكلية ، ولعله إنما كان يعتريه هذا ويلبس عليه ، وأنه تبيئ له ذلك إذا ثبت فيه ، اما الذى يضرب على يديه ممن لا يتهم ذلك من نفسه أو من لا يعد المال شيئا ولا يرجع عن شهوته .

كتاب البيوع / باب النهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها ...
إلخ
١٦٧
(١٣) باب النهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها بغير شرط القطع
٤٩ - (١٥٣٤) حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأت على مالك عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحها ، نهى ألبائع والمبتاع .
(...) حدثنا ابن نمئر ، حدشا أبى ، حدشا عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى (صلى الله عليه وسلم) .
بمثله .
٥٠ - (١٥٣٥) وحدثنى على بن حجر ال!ئعدى ، وزهير بن حرب ، قالا : حدثنا إسماعيل عن أئوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نهى عن بيع الئخل حتى وقوله : (نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن بيع الثمر حتى يطيب) ، وفئ حديث اخر :." (١)

"﴿ سندغ الز ؟ يخ!﴾ (١) يعنى ملائكة النار ؛ لأنهم يدفعون الكفرة فيها للعذاب ، ومنه قيل للحرب : ذبون ؛ لأنها تدفع بنيها للموت ، ومنه قول معاوية : ربما زبنت ، يعنى الناقة فكسرت أنف حالبها / ، يقال للناقة إذا كانت عادتها ان تدفع حالب!ا عن حلبها : زبون ، فكأن كل واحد من المتبايعيئ يزبن صاحبه عن حقه بما يزداد منه ، أو إذا وقف أحدهما على ما يكره تدافعا ، فحرص على فسخ البيع ، وحرص الآخر على إمضائه ، وهذا ثمبيه بتسميته ما يوخذ عن العيب أرشا ، لما فيه من التنازع والخصومة ، يقال : أرشت بين القوم تأريثا : إذا أفسدت .
وألقيت بينهم الشر ، والأرش مأخوذ من التأريش ، وإذا ثبت أن هذا أصله ، وإذا كانت الأشياء متجانسة انصرفت الأغراض إلى القلة والكثرة ، فيقول كل واحد : لعل ما آخذه كثر فأغبئ صاحبى ، وهذا لا يرتفع

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ٨٩/٥

حتى يكونا جميغا معلومين ، وأما إن كانا مجهولن أو أحدهما فهذا التدافع حاصل ، فمنع لذلك وإن لم يكن ما وقع عليه التبايع فيه الربا .

وقوله فى بعض الطرق : (وعن كل تمر بخرصه " يوكد ما قلنا فى تفسيرها ، لكن إذا تباين الفضل أنه فى أحد الجانبين جاز ذلك فيما يجوز فيه التفاضل ويقدر **المغبون** واهبا للفضل لظهوره له ، واذا كانت الأشياء مختلفة ولا مانع يمنع من العقد عليها لم يدخلها التزابن ؛ لصحة انصراف الأغراض ؛ لاختلاف المعانى فى الأعواض .

قال القاضى : ما فسر به المزابنة فى الحديث هو أحد أنواعها كما ذكر ، ونبه بذلك على غيره ، كما فسره مالك فى الموطأ من قوله فى المزابنة : إن كل شىء من الجزاف الذى لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده لا يباع بشىء من المكيل أو الموزون أو المعدود ، إلى آخر ما ذكره فى الموطأ (٢) من أنول المخاطرة فى تقرير المبيع من المطعوم وغيره ، وقد عقد فيه قبل ما يكفى .

قال ابن حبيب : الزبن والمحاقلة الخطر ، وقيل : هو من الزبن وهو الدفع ، كأنه دفع عن البيع الشرعى وعن معرفة التساوى .

ومعنى لوله : (بيع الزرع بالحنطة كيلاً " ، وكذلك قال فى العنب والزبيب والثمر والتمر والظاهر ان الكيل إنما هو فى أحدهما ، وهو الذى يتأتى منه الكيل مما ييس ويقع المخاطر فى الاخر ، ولذلك نهى عنه ، إذ لا يدرى مقدار ما يدفع منه ، ألا تراه كيف قال فى الحديث : (إن زاد فلى ، د ان

(١)١ لعلق : ١٨ .

(٢) كالبيوع ، بما جا فى المزابنة والمحاقلة ٢ / ٦٢٥ .

١ / ٢١٥

٢١٥ / ب

١٧٤ كتاب البيوع / باب تحريم بغ الرطب بالتمرإلافى العرايا عن زيد بن ثاب!ت : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رخص دصاحب العرية أن يبيعها بخرصها من التمر .

٦١ - (...) وحدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا سلممان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ،

نقص فعلى) ؛ ولهذا قلنا فى غير الطعام الذى لا يجوز فيه التفاضل : لو حقق أن ما وقع إليه أكثر أو أقل لجاز ، وقد ارتفع .

و أجمع العلماء على أنه لا يجوز بيع الزرع قبل حصده بالطعام ، ولا بيع العنب والنخل قبل جذه بالتمر أو الزبيب .

واختلفوا فى بغ رطب ذلك تبايعه مجذوذ ، فحمله بعضهم على منعه ، لا يجوز متفاضلا ولا متماثلا .

وأجازه أبو حنيفة متماثلا ، وخالفه صاحباه ، ومنعه أصحابنا فى كل رطب ويابس من الثمار ، وأجاز بعضهم ذلك فيما يجوز فيه التفاضل إذا تبيئ الفرق ، وهو الصحيح وعليه حمل مجمل قول الأخرين .

قال الإمام : وأما قوله : (والمحاقلة ان يباع الزرع بالقمح واستكراء الأرض بالقمح)

هذا الذى وقع فى التفسير فى هذا الحديث ، وبعض اهل اللغة يقول : الحقل اسم للزرع الأخضر ، والحقل اسم للأرض نفسها التى تزرع فيها .

وفى الحديث : (فما تصنعون بمحاقلكم) (١) أى بمزارعكم ، يقال للرجل : أحقل ، أى أزرع .

وقال الليث : الحقل الزرع إذا تشعب من قبل ان تغلظ سوقه .

فإن كانت المحاقلة مأخوذة من هذا فهو من بغ الزرع قبل إدراكه .

قال : والحقلة : المزرعة ، ويقال : لا تنبت البقلة إلا الحقلة .

وقال ابو عبيد : هو بغ الطعام وهو فى سنبله بالبر مأخوذ من الحقل ، وهو الذى يسميه الناس بالعراق : القراح .

وقال قوم : هى المزارعة بالجزء مما تنبت الأرض .

قال الإمام : الذى وقع فى الحديث من التفسير يجمع هذا كله ة لأنا إن قلنا : إن ذلك تسميته للزرع الأخضر فكأنه نهى عن بيعه بالبرث إذ بيعه بالعروض والعن يجوز إذا كان معلوما ، وكأن المحاقلة تدل على ذلك لأنها مفاعلة ؛ ولذلك قال أبو عبيد فى تفسيرها : إنها بغ الطعام فى سنبله بالبر ، وظن الآخرون أنها بيعه قبل زهوه / ، فكأنه قال : نهى عن بيع الزرع الأخضر ، وهذا يطابق قوله : (نهى عن بغ النخل حتى يزهو ، وعن السنبل حتى يبيض) ، فهذه طريقة من صرف التسمية إلى الزرع الأخضر .
". (١)

"حدثنا كامل بن طلحة حدثنا أبو هشام القناد عن الحسين بن علي يرفعه لي النبي صلى الله عليه وسلم قال * **المغبون** لا محمود ولا مأجور \٦٧٨٦\

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ٣٩/٥

أبي يعلى في مسنده ج١٢/ص١٥٤ ح٦٧٨٣." (١)

"حدثنا مسعدة بن سعد العطار المكي ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن حكيم بن حزام * أنه باع داره من معاوية رضي الله عنه بستين ألفا فقالوا غبنك والله معاوية فقال ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق خمر أشهدكم أنها في سبيل الله والمساكين والرقاب وأينا **المغبون**

الطبراني في معجمه الكبير ج٣/ص١٨٧ ح٣٠٧٣." (٢)

"قال الهيثمى (١٠٥/٥) : رواه البزار ، وفيه الحسن بن أبى جعفر ، وهو متروك ، وقد قيل فيه صدوق منكر الحديث .

٢١٢٦٠- من أصابه هم أو حزن فليدع بهؤلاء الكلمات اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك فى قبضتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى فقال قائل يا رسول الله إن **المغبون** لمن غبن هؤلاء الكلمات قال أجل فقولوهن وعلموهن فإنه من قالهن وعلمهن التماس ما فيهن أذهب الله كربه وأطال فرحه (الطبرانى ، وابن السنى فى عمل يوم وليلة عن أبى موسى)

أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (١٣٦/١٠) قال الهيثمى : فيه من لم أعرفه .." (٣)

"ومن غريب الحديث : "المعول عليه" : أى الذى يناح عليه .

٢٤٦٢٥- **المغبون** لا محمود ولا مأجور (الحكيم ، والطبرانى عن عبد الله بن الحسن بن على عن أبيه . أبو يعلى عن الحسين . الخطيب ، وابن عساكر عن على)

حديث الحسن بن على : أخرجه الطبرانى (٨٣/٣ رقم ٢٧٣٢) وأخرجه أيضا : البخارى فى التاريخ الكبير (١٥٢/٧) .

حديث الحسين بن على : أخرجه أبو يعلى (١٥٣/١٢ ، رقم ٦٧٨٣) .

حديث على : أخرجه ابن عساكر (١١٢/١٤) . وأخرجه أيضا : الخطيب (٢١٢/٤) ، والديلمى (٢١١/٤

---

(١) التبويب الموضوعي للأحاديث، ٧٨٧٨/١

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١٩٢٠٩/١

(٣) جامع الأحاديث، ٤٧٤/١٩

، رقم ٦٦٤٠) .

ومن غريب الحديث : "المغبون" : أى الأحمق والشديد .

٢٤٦٢٦- المغرب وتر النهار فأوتروا صلاة الليل (الطبرانى عن ابن عمر)

وللحديث أطراف أخرى منها : "صلاة المغرب وتر" .

٢٤٦٢٧- المقام المحمود الشفاعة (أبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة)."

(١)

"وليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يئوب وأكرم نفسك عن كل ريبة وإن ساقتك إياك أن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا وقد جعلك الله به حرا وما منفعة خير لا يدرك باليسير ويسير لا ينال إلا بالعسير وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وإن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فإنك مدرك قسمك وآخذ سهمك وإن اليسير من الله أعظم وأكرم وإن كان كل من الله ولله المثل الأعلى واعلم أن لك فى يسير مما تطلب فتنال من الملوك افتخارا وبيع عرضك ودينك عليك عار فاقتصد فى أمرك تحمد معقبة عقلك إنك لست بائعا شيئا من عرضك ودينك إلا بثمن والمغبون من حرم نصيبه من الله فخذ من الدنيا ما أتاك وتولى عما تولى عنك فإن أنت لم تفعل فأجمل فى الطلب وإياك ومقاربة من يسيئك وتباعد من السلطان ولا تأمن خدع الشيطان ومتى ما رأيت منكرا من أمرك فأصلحه بحسن نظرك فإن لكل وصف صفة ولكل قول حقيقة ولكل أمر وجها ينال الأريب فيه رشده ويهلك الأحمق بتعسفه فيه نفسه." (٢)

" ٣٦ -

(أبواب الزهد)

هو ضد الرغبة قال القاموس زهد فيه كمنع وسمع وكرم زهدا وزهادة ضد الرغبة انتهى

والمراد هنا ترك الرغبة في الدنيا على ما يقتضيه الكتاب والسنة

[٢٣٠٤] قوله (نعمتان) مبتدأ (مغبون فيهما كثيرون من الناس) صفة له خبره (الصحة والفراغ) أي صحة البدن وفراغ الخاطر بحصول الأمن ووصول كفاية الأمنية

---

(١) جامع الأحاديث، ١٨٧/٢٢

(٢) جامع الأحاديث، ١٢٦/٣٠

والمعنى لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم قال تعالى ذلك يوم التغابن وقال صلى الله عليه و سلم ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وفي حاشية السيوطي رحمه الله قال العلماء معناه أن الانسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنيا فلا يكون متفرغا للعلم والعمل لشغله بالكسب فمن حصل له الأمران وكسل عن الطاعة فهو **المغبون** أي الخاسر في التجارة مأخوذ من الغبن في البيع

قوله (حدثنا محمد بن بشار) هو بندار (أخبرنا يحيى بن سعيد) هو القطان أخرجه الاسماعيلي من هذا الطريق ثم قال قال بندار بما حدث به يحيى بن سعيد ولم يرفعه كذا في الفتح ." (١)

"فرع : إذا باعها عرف بزناها ، لأنه عيب ، فلا يحل أن يكتم . فإن قيل : إذا كان مقصود هذا الحديث إبعاد الزانية ، ووجب على بائعها التعريف بزناها ، فلا ينبغي لأحد أن يشتريها ، لأنها مما قد أمر بإبعادها . فالجواب : أنها مال ولا يضاع للنهي عن إضاعة المال ، ولا تسيب ، ولا تحبس دائما ؛ إذ كل ذلك إضاعة مال ، ولو سيبت لكان ذلك إغراء لها بالزنى وتمكينا منه ، فلم يبق إلا بيعها . ولعل السيد الثاني يعفها بالوطء ، أو يبالغ في التحرز بها ، فيمنعها من ذلك . وعلى الجملة فعند تبدل الأملاك تختلف عليها الأحوال . وجمهور العلماء حملوا الأمر ببيع الجارية الزانية على الندب ، والإرشاد للأصلح ما خلا داود وأهل الظاهر فإنهم حملوه على الوجوب تمسكا بظاهر الأمر ، والجمهور صرفوه عن ظاهره تمسكا بالأصل الشرعي ، وهو : أنه لا يجبر أحد على إخراج ملكه لملك آخر بغير الشفعة . فلو وجب ذلك عليه لجبر عليه ، ولم يجبر عليه فلا يجب . وقد استنبط بعض العلماء من هذا الحديث جواز البيع بالغبن ، قال : لأنه بيع خطير بثمن يسير . وهذا ليس بصحيح ؛ لأن الغبن المختلف فيه إنما هو مع الجهالة من **المغبون** . وإما مع علم البائع بقدر ما باع وبقدر ما قبض فلا يختلف فيه ؛ لأنه عن علم منه ورضا ، فهو إسقاط لبعض الثمن ، وإرفاق بالمشتري ، لاسيما وقد بينا : أن الحديث خرج على جهة التزهيد ، وترك الغبطة .

وقوله : ((سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن)) ؛ هذه الزيادة التي هي قوله : ((ولم تحصن)) هي رواية مالك عن ابن شهاب . قال الطحاوي : لم يقله غير مالك . قال غيره : ليس ذلك بصحيح ، بل قد رواه

---

(١) تحفة الأحوذي، ٦/٤٨٥

سفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد عن ابن شهاب ، كما قاله مالك .

." (١)

"وعزم أمير المؤمنين على أن يحمل الناس في سائر الممالك على الاقتداء بـ"موطأ" مالك –ـــ– واطراح ما عداه، وأن لا يتجاوزه أحد ولا يتعداه، فمنعه مالك من ذلك، وتحرج من أن يكون في قواصي البسيطة من السنن المنقولة والعلوم المحفوظة نوادر ما أحاط بها! ومن أين للبشر قوة محيطة!؟

وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم نشروا الحق في البلاد، ونصحوا في النظر للعباد، وقد بث الله فضله حيث شاء، ولعل في اللحوق ما يفوق الإنشاء، وقد يفهم الفرع ما خفي عن الأصل، وكيف لأحد أن يحجر واسعا من الفضل، وبهذا يتنزل قوله عليه السلام: "رب مبلغ أوعى من سامع" على نصابه، ويفهم على ما هو عليه، والمتواضع هو الذي يأتي البيت من بابه. والعلوم واسعة وما أوتي الخلق منها إلا قليلا، وأولئك أيضا الأقلون، والزيادات المتواضعة رحمة ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

ومقتضى الدليل أن باب الزيادة مفتوح إلى عصرنا، فدخل الذي ساءت به الظنون، وقعد المحقق فيه في حيز **المغبون**، فإن الشريعة مضمونة الحفظ مأمونة الإضاعة، متكلفة في ذمة الله إلى قيام الساعة، فيلزم من ذلك أن يؤهل الله لها في كل عصر قومة بأمرها وخزنة لسرها، يستنثرون جواهرها ويستبينون بواطنها وظواهرها، ويعالجون أدواء كل فصل بما يليق بالحكمة المضبوطة في ذلك الفصل، ويتنزلون الأحكام على المصالح السوانح المختلفة الفروع المتفقة الأصل.

وإلى هذه النكتة أشار مالك –'– في متقادم العصور بقوله: "تحدث للناس فتاوى بقدر ما أحدثوا من الفجر".

وفضل الله واسع فمن زعم أنه محصور في بعض العصور فقد حجر واسعا، ورضي بالهوينا، وما أفلح من أصبح بها قانعا، وربما عقب النجيب، والليالي –كما علمت– حبالى مقربات يلدن كل عجيب.." (٢)

"الدنيا تحتنا

(٩٥) حدثنا هارون بن عبد الله ثنا محمد بن بشر نا مسعر عن إبراهيم بن محمد ابن المنتشر قال كان مسروق يركب بغلته كل جمعة ويحملني خلفه فأتى كناسة بالحيرة قديمة فحمل عليها بغلته ويقول الدنيا تحتنا .

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣٩/١٦

(٢) المتواري على أبواب البخاري، ص/٣

(٩٦) حدثني حمزة بن العباس أنا عبدان بن عثمان نا عبد الله بن المبارك أنا إبراهيم ابن نشيط نا كعب بن علقمة قال قال سعد بن مسعود التجيبي

إذا رأيت العبد دنياه تزداد وآخرته تنقص مقيما على ذلك راضيا به فذلك **المغبون** الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر .

هل اجتمع فيك هؤلاء الأربع ؟

(٩٧) حدثني حمزة أنا عبدان أنا عبد الله أنا وهيب قال قال عيسى عليه السلام

أربع لا يجتمعن في أحد من الناس إلا تعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع لله عز وجل والزهادة في الدنيا وقلة الشيء .

الدنيا بحذافيرها

(٩٨) حدثني حمزة بن العباس أنا عبدان بن عثمان أنا عبد الله أنا حريث بن السائب نا الحسن قال مر رسول الله × على مزبلة في طريق من طرق المدينة فقال

من سره أن ينظر إلى الدنيا بحذافيرها فلينظر إلى هذه المزبلة ثم قال ولو أن الدنيا تعدل عند الله جناح ذبابة ما أعطى كافرا منها شيئا . وقال بعض الحكماء من الشعراء

أما مررت بساحات معطلة فيها المزابل كانت قبل مغشية

أما نظرت إلى الدنيا وزينتها بزخرف من غرور اللهو موشية

أعظم بحمقة نفس لا تكون بما تغنى به من صروف الدهر مغنية

لله در أذى عين تقر بها وإنها لعلى التنغيص مبنية

قال أبو بكر أملى على عبد الرحمن بن صالح هذه الرسالة

أما بعد عافانا الله وإياك من شر دار قد أدبرت والنفوس عليها قد ولهت ورزقت وإياك خير دار قد أقبلت والقلوب عنها قد غلقت وكأن المعمور من هذه الدار قد يرحل عن أهله وكأن المغفول عنه من تلك الدار قد أباح بأهله فغنم غانم وندم نادم واستقبل الخلق خلد لا يزول وحكم عليهم جبار لا يجور فهنالك فضع الهموم وصغر ما دونه من متاع هذا الغرور والسلام .." (١)

"(٣٣٩) وحدثني ابن أبي مريم عن خالد بن يزيد القرني قال نا فروة الخياط عن رجل من أهل البصرة يقال له صالح قال سمعت فرقد السبخي يقول

---

(١) ذم الدنيا، ص/١٨

خدعتكم الدنيا وأبطرتكم أما والله لتدعنها غير محمودين ولا معروف لكم ذلك .

(٣٤٠) قال أبو بكر قرأت في كتاب داود بن رشيد بخطه حدثني أبو عبد الله الصوفي قال قال إبراهيم بن أدهم إنما زهد الزاهدون في الدنيا اتقاء أن يشاركوا الحمقى والجهال في جهلهم .

(٣٤١) وقرأت في كتاب داود أيضا وحدثني أبو عبد الله قال كتب عمر ابن عبد العزيز إلى الحسن أن عظني وأوجز فكتب إليه الحسن

أما بعد فإن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يديك الزهد في الدنيا وإنما الزهد باليقين واليقين بالتفكر والتفكر بالاعتبار فإذا أنت فكرت في الدنيا لم تجدها أهلا أن تبيع بها نفسك ووجدت نفسك أهلا أن تكرمها بهوان الدنيا فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة .

طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر

(٤٢٣) وقرأت في كتاب داود بن رشيد حدثني أبو عبد الله قال قال عيسى ابن مريم طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقبله .

(٣٤٣) قال وحدثني أبو عبد الله قال قال أبو المغيرة البصري لو أن عبدا شغل نفثة من نفثاته فأصاب بتلك النفثة الدنيا بما فيها كان هو **المغبون** في حاضرة القيامة .

(٣٤٤) قال وقال عيسى بن مريم

يا معشر الحواريين ازهدوا في الدنيا تمشوا فيها بلا هم .

(٣٤٥) قال وقال عبد الله قال أبو هاشم كانوا وإن كانت الدنيا في أيديهم كانوا فيها لله خزانا لم ينفقوها في شهواتهم ولا لذاتهم كانوا إذا ورد عليهم حق من حقوق الله أمضوها فيه .

(٣٤٦) وقرأت في كتاب داود بن رشيد قال بعض الحكماء كل شيء فاتك من الدنيا غنيمة .

من أسماء الدنيا الخنزيرة

(٣٤٧) حدثنا محمد بن عبد الله المديني نا إسماعيل بن عياش الحمصي حدثني أبو راشد التنوخي عن يزيد بن ميسرة قال." (١)

"(٣٨٠) وحدثني سلمة أنه حدث عن عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الخاسر من عمر دنياه بخراب آخرته والخاسر من استصلح معاشه بفساد دينه **والمغبون** حظا من رضي بالدنيا من الآخرة فإنه قال لقوم ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ .

---

(١) ذم الدنيا، ص/٧٠

(٣٨١) حدثني سلمة نا سهل بن عاصم قال قال الأصمعي كان يقال خبر الدنيا أشد من مختبرها ومختبر الآخرة أشد من خبرها .

(٣٨٢) حدثني سلمة نا سهل بن عاصم نا عبدة بن سليمان قال قال خالد ابن يزيد بن معاوية

ابن آدم لا يلهيك أهل إنما أنت فيهم ضعيف غير أهل لا تزايلهم ولا تلهينك مساكن إنما أنت فيهم عمري عن مساكن أنت مخلد فيها أبدا . ابن آدم إنك إنما تسكن يوم القيامة في بيت اليوم وتنزل يومئذ على ما نقلت في حياتك من متاعك .

(٣٨٣) حدثني سلمة بن شبيب عن أحمد بن أبي الحواري قال قال لي أبو عبد الله النباجي تدري أي شيء قلت البارحة يا أحمد قلت إنه قبيح بعبد ضعيف مثلي يعلم عظيما مثلك ما لا يعلم إنك تعلم أني لو جعلت لي الدنيا كلها من أولها إلى آخرها حلالا لقذرتها ولم أردها .

(٣٨٤) حدثني سلمة بن شبيب عن زهير بن عباد عن داود بن هلال قال أوحى الله إلى داود

ما لقلوب أحبائي وما للغم بالدنيا إن الغم بها يمص حلاوة مناجاتي من قلوبهم مصا داود لا تجعل بيني وبينك عالما قد أسكرته الدنيا فيحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع طريق عبادي المريدين .

إياك والاطمئنان إلى الدنيا

(٣٨٥) حدثني سلمة بن شبيب عن عبد الله بن عمر الواسطي عن أبي الربيع الأعرج عن شريك عن جابر قال قال لي محمد بن علي." (١)

" التوبة طول الأمل وعلامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة والمحاسبة للنفس عند كل همة

سمعت ظفر بن علي الهمداني يقول سمعت أبا الفتح محمد بن أحمد المعلم يقول سمعت أبا زرعة روح بن علي البستي يقول سمعت الحسن بن علي التميمي يقول سمعت علي بن محمد بن العلاء يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول المغبون من عطل أيامه بالبطالات وسلط جوارحه على الهلكات ومات قبل إفاقته من الجنايات

أخبرنا محمد بن عبد الملك قال أنبأنا أحمد بن الحسن بن خيرون قال سمعت أحمد بن عبد الله الحربي يقول سمعت أبا بكر النجاد يقول من نقر على الناس قل أصدقاؤه ومن نقر على ذنبه طال بكاؤه ومن نقر على مطعمه طال جوعه

---

(١) ذم الدنيا، ص/٧٨

أخبرنا ابن ظفر قال أنبأنا ابن السراج قال أنبأنا ألأزجي قال حدثنا ابن جهضم قال حدثنا المفيد قال حدثنا عبد الله بن سهل عن مضر بن جرير قال دخلت على ابي الحجاج الجرجاني يوما فكلمته فلم يكلمني فقلت له أنت في حرج إن كان عندك علم إلا ما علمتني

فقال لي عصيت الله عز و جل بمعصية قلت نعم قال كتبت عليك ورفعت إلى الله عز و جل قلت نعم قال علمت أنه غفرها قلت لا قال فما قعودك وسكوتك اذهب فابك على نفسك أيام الحياة حتى تعلم ما حالك عنده في هذه المعصية قال ثم بكى مضر على هذه ثلاثين سنة خوفا حتى مات

أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا أبو بكر الشيرازي قال أنبأنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا علي الروذبادي يقول من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح في الهفوات ." (١)

" ألا يا حمام الطلح إن كنت باكيا ... فملآن فاهتج إنني قد أنى ليا

فيا أخوي حزم ألما هديتما ... على حاضري الريان ثم اذكرانيا

وله

وإني لمجنون بليلى موكل ... ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا

إذا ذكرت ليلى بكيت صبابة ... لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

ويروى له في اخرى

أيا حرجات الحي يوم تحملوا ... بذي سلم لا جادكن ربيع

إلى الله أشكو أنه شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي أمس جمع

فإن انهمال العين يا ليل كلما ... ذكرتك وحدي خاليا لسريع

فلو لم يهجني الظاعنون لهاجني ... حمائم ورق في الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذا ... هوى نوائح ما تجري لهن دموع

لعمرك إني يوم جرعاء مالك ... لعاص لأمر الراشدين مضيع

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

ندمت على ما كان مني فقدتني ... كما يندم **المغبون** حين يبيع

فقدتك من نفس شعاع فإنما ... نهيتك عن هذا وأنت جميع

---

(١) ذم الهوى، ص/٢١٧

فقربت لي غير القريب وأشرفت ... مناك ثنايا ما لهن طلوع

وله

يقر بعيني قربها ويزيدني ... بها عجبا من كان عندي يعيبها

فكم قائل فيكم قريب عصيته ... وتلك لعمري توبة لا أتوبها

فيا نفس صبرا لست والله فاعلميه ... بأول نفس غاب عنها حبيبها ." (١)

" وقلعت فص خاتم في يدها تحته سم ساعة فمصته ثم اعتنقت أبرويز ولفت عليه يديها ورجليها حتى ماتت

فلما أبطأت على الحواضن والخدم صاحوا بها فلم تجب فدخلوا فوجدوها ميتة معانقة لأبرويز فرجعوا فأخبروا شيرويه فندم ندامة لا توصف وجعل يأكل أصابعه على صنيعها

قلت وقد سبق في باب الحيل والمخاطرات ذكر جماعة قتلوا أنفسهم بسبب العشق فلم نر إعادة ذكرهم

فصل فانظر وفقك الله إلى ما صنع العشق بهؤلاء **المغبونين** من بين قاتل لنفسه وقاتل لغيره

فأما قتل الغير فقد قال الله عز و جل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما وقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه ذكر الموبقات فعد منهن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق

وأما قتل النفس فقد قال الله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم ." (٢)

"@ ١٧٣ @كانت البقية هم الذين لله فيهم حاجة على ما قال : صلى الله عليه وسلم أي : هم صوفة من بقي ، ومن ورائهم الخير ممن هداهم للإيمان وطهر قلوبهم ، وصغ اسرارهم ، وأدناهم منه وقربهم إليه ، وإن أبطأ بهم القوت وتأخرت بهم المدة.

| الا يرى انه لم يكن منهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم منافق ، ولا بعد موته منهم مرتد ، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد العرب أو اكثرها ولم ترتد قريش ، ولا أحد منهم على كراهتهم في الدخول في الاسلام ، ونأى بهم عنه المدة الطويلة ، وتربصهم بعد الفتح حتى جعل لهم مدة أربعة اشهر ،

---

(١) ذم الهوى، ص/٤٠٦

(٢) ذم الهوى، ص/٥٨٠

قال تعالى : ﴿فسيحوا في الأرض أربعة اشهر﴾ [التوبة : ٢] ، وكان صفوان بن أمية منهم ، ثم اسلم وحسن إسلامه ، وعكرمة بن أبي جهل ذهب على وجهه فرارا من الإسلام كراهة له حتى بلغ البحر وله قصة ، ثم بلغ من حسن إسلامه انه كان إذا نشر المصحف يقول هذا كلام أبي فيغشى عليه ، وسهيل بن عمرو وهو الذي كان منه يوم الحديبيه ما كان ، بلغ من حسن إسلامه أن هاجر إلى أرض الشام وقتل شهيدا وحث يوم اليرموك وخطب خطبة بليغة بلغت من الناس مبلغا كان سبب الفتح ، وكذلك صفوان بن أمية كان يسأل الله الشهادة في أغوار الدين ، وحكيم بن حرام باع داره من معاوية بستين ألفا ، فقالوا له : غبنك والله معاوية ، فقال : والله ما اخذتها في الجاهلية إلا بزق من خمر ، واشهدكم انها في سبيل الله ، والمساكين ، والرقاب فأينا **المغبون** ، وهاشم بن عتبة والمسور بن مخرمة ، وجميع مسلمة الفتح وإن أبطأت بهم المدة وتأخر دخولهم في الإسلام . فقد بلغ من حسن إسلامهم المبلغ العلي ، فهم الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإن لله فيهم حاجة ، أي : لله فيهم إرادة خير ومشيئة فضل ، وودائع يودعها الله تعالى أسرارهم وانوارا يجعلها في صدورهم كما قال الله تعالى : ﴿فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر : ٢٢].

| وأما سائر الناس فأخذ الله تعالى منهم صفوتهم وجاءوا إلى الإسلام راغبين كما قال الله تعالى : ﴿يدخلون في دين الله افواجا﴾ [النصر : ٢] وبقيت حثالة لا يعبأ الله بهم ، فقال : اقطعوهم قطعا . ألا يرى أن اكثر من انفلت ودخل في الإسلام كرها كما قال الله تعالى : ﴿قولوا اسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [الحجرات : ١٤] ، فلما قبض الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم ارتدوا حتى جذهم أبو بكر رضي الله عنه جذا.." (١)

"٦٢٨ - أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا إبراهيم بن نشيط الوعلاني قال: حدثنا كعب بن علقمة قال: قال سعد بن مسعود التجيبي: «إذا رأيت الرجل دنياه تزداد، وآخرته تنقص، مقيما على ذلك، راضيا به، فذلك **المغبون**، الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر»." (٢)

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/١٧٣

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ٢٢٢/١

"٢٦٦٣ – حدثنا علي، أنا زهير، عن كنانة مولى صفية، عن أبي هريرة قال: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام، **والمغبون** من لم يرد، وإن حالت بينك وبين أخيك شجرة، فاستطعت أن تبدأه بالسلام فافعل»." (١)

"١٠١٥ – حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا زهير قال: حدثنا كنانة مولى صفية، عن أبي هريرة قال: أبخل الناس من بخل بالسلام، **والمغبون** من لم يرده، وإن حالت بينك وبين أخيك شجرة، فإن استطعت أن تبدأه بالسلام لا يبدأك فافعلKضعيف الإسناد موقوفا." (٢)

"٨٠٨ – نا أحمد بن الأزهر قال: نا قيس بن محمد، من ولد الأشعث بن قيس، نا طلحة بن كامل الجحدري، عن محمد بن هشام، عن عبد الله بن الحسن بن علي، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**المغبون** لا محمود ولا مأجور»." (٣)

"١٠١٥ – (ث ٢٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أبخل الناس من بخل بالسلام **والمغبون** من لم يرده وإن حالت بينك وبين أخيك شجرة فإن استطعت أن تبدأه بالسلام لا يبدأك فافعل.

ضعيف الإسناد موقوفا، كنانة ضعيف. والجملة الأولى صحت مرفوعا- «الصحيحة» (٥١٨) وكذلك الأخيرة صحت مرفوعا، وكذا موقوفا نحوه، انظر الحديث رقم (١٠١٠)

١٠١٦ – (ث ٢٤١) عن سالم مولى عبد الله بن عمرو قال: وكان ابن عمرو إذا سلم عليه فرد زاد، فأتيته وهو جالس فقلت: السلام عليكم. فقال: السلام عليكم ورحمة الله، ثم أتيته مرة أخرى فقلت: السلام عليكم ورحمة الله. قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم أتيته مرة أخرى فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطيب صلواته.

ضعيف موقوفا: «الضعيفة» تحت رقم (٥٤٣٣) .." (٤)

"٤١٧٠ – حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري قال: حدثنا صفوان بن عيسى، عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، قال: سمعت ابن عباس، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان

---

(١) مسند ابن الجعد ابن الجعد ص/٣٩٠

(٢) الأدب المفرد مخرجا البخاري ص/٣٥١

(٣) تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري البخاري ص/١٢٤٥

(٤) الأدب المفرد بالتعليقات البخاري ص/٥٦٦

مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة، والفراغ»

---

s [ش - (مغبون فيهما) أي ذو خسران فيهما. قال ابن الخازن النعمة ما ينتعم به الإنسان ويستلذه. والغبن أن يشتري بأعاف الثمن أو يبيع بدون ثمن المثل. فمن صح بدنه وتفرغ من الاشتغال العائقة ولم يسمع لصلاح آخرته فهو **كالمغبون** في البيع والمقصود بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ بل يصرفونهما في غير محالهما. فيصير كل واحد منهما في حقهم وبالا. ولو أنهم صرفوا كل واحد منهما في محله لكان خيرا لهم أي خير.]

Kصحيح." (١)

"٤١٧٠ - حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري، حدثنا صفوان بن عيسى، عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه

قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (١).

٤١٧١ - حدثنا محمد بن زياد، حدثنا الفضيل بن سليمان، حدثنا عبد الله ابن عثمان بن خثيم، حدثني عثمان بن جبير مولى أبي أيوب

عن أبي أيوب، قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله، علمني وأوجز. قال: "إذا قمت في صلاتك، فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، وأجمع اليأس عما في أيدي الناس" (٢).

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه البخاري (٦٤١٢)، والترمذي (٢٤٥٦) و (٢٤٥٧) من طريق عبد الله ابن سعيد بن أبي هند، بهذا الإسناد.

وهو في "مسند أحمد" (٢٣٤٠).

قال ابن بطال: معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغا حتى يكون مكفيا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك، فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب

---

(١) سنن ابن ماجه ابن ماجه ٢/١٣٩٦

نواهيه، فمن فرط في ذلك، فهو **المغبون**.

وقال الطيبي: ضرب النبي – صلى الله عليه وسلم – للمكلف مثلا بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله، ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، وينبغي أن يعامل الله بالإيمان ومجاهدة النفس وعدو الدين، ليربح خيري الدنيا والآخرة، وقريب منه قوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ [الصف: ١٠] الآيات، وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس ومعاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة عثمان بن جبير، وقد اضطرب في إسناده كما سيأتي في التخريج.=." (١)

"١٨٥ – حدثني حمزة بن العباس، قال: أنا عبدان بن عثمان، قال: أنا عبد الله بن المبارك، قال: ثنا إبراهيم –[٨٩]– بن نشيط، قال: ثنا كعب بن علقمة، قال: قال سعد بن مسعود التجيبي: إذا رأيت العبد دنياه تزداد وآخرته تنقص، مقيما على ذلك، راضيا به فذلك **المغبون** الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر." (٢)

"٣٢٣ – ثنا أبو عبد الله، قال: قال أبو المغيرة البصري: لو أن عبدا أشغل نفسه نفسا من أنفاسه فأصاب بذلك النفس الدنيا بما فيها لكان هو **المغبون** في حاضر القيمة "." (٣)

"٤٥٤ – حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني عبد الله بن عثمان بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم قال: حدثني عمار بن عمر البجلي، قال: سمعت عمر بن ذر، يقول: اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن **المغبون** من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيا القلوب بذكر الله، كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله تعالى للعابدين غدا، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام، رحمكم الله." (٤)

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ٥/٢٧٠

(٢) الزهد لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٨٨

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٥١

(٤) الزهد لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٩٥

"٤٦٩ – وحدثني سلمة أنه حدث عن عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: الخاسر من عمر دنياه بخراب آخرته، والخاسر من استصلح معاشه بفساد دينه، **والمغبون** حظا من رضي بالدنيا على الآخرة، وقرأ فإنه قال لقوم ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ [يونس: ٧]." (١)

"٢٨٣ – حدثنا الكامل بن طلحة الجحدري ، حدثنا أبو هشام القناد ، عن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما قال: " **المغبون** لا محمود ولا مأجور." (٢)

"٥٦ – حدثني محمد بن الحسين، حدثني عبد الله بن عثمان بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، حدثني عمارة بن عمرو البجلي، قال: سمعت عمر بن ذر، يقول: «اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن **المغبون** من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيا القلوب بذكر الله، –[٣٨]– كم من قائم لله في الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته؟، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدا؟، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله»." (٣)

"٩٦ – حدثني حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان بن عثمان، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا إبراهيم بن نشيط، أخبرنا كعب بن علقمة، قال: قال سعد بن مسعود التجيبي: إذا رأيت العبد دنياه تزداد، وآخرته تنقص مقيما على ذلك راضيا به، فذلك **المغبون** الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر.." (٤)

"٣٤٣ – قال: وحدثني أبو عبد الله، قال: قال أبو المغيرة البصري:

لو أن عبدا شغل نفثة من نفثاته فأصاب بتلك النفثة الدنيا بما فيها كان هو **المغبون** في حاضرة القيامة.." (٥)

"٣٨٠ – وحدثني سلمة، أنه حدث عن عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: الخاسر من عمر دنياه بخراب آخرته، والخاسر من استصلح معاشه بفساد دينه، **والمغبون** حظا من رضي

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٢٠١

(٢) إصلاح المال ابن أبي الدنيا ص/٨٧

(٣) كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٣٧

(٤) ذم الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٥٤

(٥) ذم الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٤٦

بالدنيا من الآخرة، فإنه قال لقوم: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ . [يونس: ٧] .." (١)

"٢١٨- وحدثني محمد ثنا أبو عمر العمري ثنا عبد الله بن صدقة بن مرداس البكري عن أبيه قال نظرت إلى ثلاثة أقبر على -[١٦٧]- شرف من الأرض مما يلي بلاد أنطابلس وإذا على أحدها مكتوب

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لا بد سائله

فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وعلى القبر الثاني إلى جنبها

وكيف يلذ العيش من كان موقنا ... بأن المنايا بغتة ستعاجله

فتسلبه ملكا عظيما وبهجة ... وتسكنه البيت الذي هو أهله

وعلى القبر الثالث إلى جنبها

وكيف يلذ العيش من كان صائرا ... إلى جدث أبلى التراب مناهله

ويذهب وسم الوجه من بعد صونه ... ويبلى منه جسمه ومفاصله

وإذا هي قبور متسنمة على قدر واحد مصطفة بعضها إلى جنب بعض فلما نزلت القرية التي كانت في القرب منها قلت لشيخ جلست إليه لقد رأيت في قريتكم عجبا قال وما رأيت فقصصت -[١٦٨]- عليه قصة القبور قال فحدثتهم أعجب ما رأيت على قبورهم قال قلت حدثني قال كانوا ثلاثة إخوة أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش وتاجر موسر مطاع في ناحيته وزاهد قد تخلى لنفسه وتفرد بعبادته قال فحضرت أخاهم هذا العابد الوفاة فاجتمع عنده أخواه وكان الذي يصحب منهم السلطان قد ولي بلادنا هذه أمره عليها عبد الملك بن مروان وكان ظالما غشوما متعسفا فاجتمعا عند أخيهما لما احتضر فقالا له ألا توصي قال لا والله ما لي من مال فأوصي فيه ولا لأحد علي دين فأوصي فيه ولا أخلف من الدنيا شيئا فأسلبه فقال أخوه ذو السلطان أي أخي قل ما بدا لك فهذا مالي بين يديك فأوصي فيه بما أحببت وانفذ فيه ما بدا لك واعهد إلي بما شئت قال فسكت عنه قال فقال أخوه التاجر أي أخي قد عرفت مكسبي وكثرة مالي فلعل في قلبك غصة من الخير لم تبلغها إلا بالإنفاق فيها فهذا مالي بين يديك فاحكم فيه بما أحببت ينفذ لك ذلك أخوك فأقبل عليهما فقال لا حاجة لي في مالكما ولكن أعهد إليكما عهدا فلا تخالفا عهدي قال إذا أنا مت فغسلاني وكفناني وادفناني على نشر من الأرض واكتبا على قبري

---

(١) ذم الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٥٩

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لا بد سائله

فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

فإذا أنتما فعلتما ذلك فأتياني في كل يوم مرة لعلكما أن تتعظا -[١٦٩]- ففعلا لما مات قال وكان أخوه يركب في جنوده حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ عليه ويبكي فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع الجنود فنزل فبكى كما كان يبكي فلما أراد ن أن ينصرف سمع هذة من داخل القبر كاد أن ينصدع لها قلبه قال فانصرف مذعورا فزعا وجلا فلما كان من الليل رأى أخاه في منامه فقال أي أخي ما الذي سمعت من قبرك قال تلك هذه المقمعة قيل لي رأيت مظلوما فلم تنصره قال فأصبح مهموما فدعى أخاه وخاصته وقال ما الذي أخي أراد بما أوصانا أن يكتب على قبره غيري وأشهدكم أني لا أقيم بين ظهرانيكم أبدا فترك الإمارة ولزم العبادة وكتب إلى عبد الملك في ذلك فكتب أن خلوه وما أراد قال وكان إنما يأوي إلى الجبال والبراري حتى حضرته الوفاة في بعض هذا الجبل وهو مع بعض الرعاة فبلغ أخاه ذلك وأتاه فقال أي أخي ألا توصي قال بما أوصي لا مال لي فأوصي به ولكن أعهد إليك عهدا إذا أنا مت فبوأني قبري فادفعني إلى جانب قبر أخي واكتب على قبري

وكيف يلذ العيش من كان موقنا ... بأن المنايا بغتة ستعاجله

فتسلبه ملكا عظيما وبهجة ... وتسكنه البيت الذي هو أهله

ثم تعاهدني ثلاثا بعد موتي فادع الله لي أن يرحمني قال فمات ففعل به أخوه ذلك -[١٧٠]- فلما كان في اليوم الثالث في أثنائه أتاه فدعى له وبكى عنده فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة من قبره كادت أن تذهل عقله فرجع مقلقلا فلما كان من الليل إذا بأخيه في منامه قد أتاه فقال ذلك الرجل فلما رأيت أخي وثبت إليه لما كان قد وجل قلبي فقلت أي أخي أتيتنا زائرا قال هيهات أخي بعد المزار فلا مزار واطمأنت بنا الدار قال قلت أي أخي كيف أنت قال بخير ما أجمع التوبة لكل خير قال فقلت وكيف أخي قال ذاك مع الأئمة الأبرار قال قلت فما أمرنا قبلكم قال من قدم شيئا وجده فاغتنم وجدك قبل فقدك قال فأصبح أخوه معتزلا للدنيا قد انخلع منها ففرق ماله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله قال فنشأ له ابن كأهنأ الشباب وجها وجمالا قال فأقبل على المكاسب والتجارة حتى بلغ منها الغاية قال وحضرت أباه الوفاة فقال له ابنه يا أبه ألا توصي فقال يا بني والله ما لأبيك مال فيوصي فيه ولكن أعهد إليك عهدا إذا أنا مت فادفني مع عمومك واكتب على قبري هذين البيتين

-[١٧١]-

وكيف يلذ العيش من هو صائرا ... إلى جدث تبلى التراب مناهله

ويذهب وسم الوجه من بعد صورة ... ويبلى منه جسمه ومفاصله

فإذا أنت فعلت ذلك فتعاهدني بنفسك ثلاثا وادع الله لي ففعل الفتى ذلك فلما كان يوم الثالث سمع من القبر صوتا فاقشعر له جلده وتغير له لونه ورجع منه مهموما إلى أهله فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه فقال أي بني أنت عندنا عن قليل والأمر بآخره والموت أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحيلك وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم ولا تغتر بما اغتر به البطالون فتلك من طول آمالهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف فلا الندامة عند الموت نفعتهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما وافى به **المغبونون** مليكهم يوم القيامة أي بني فبادر ثم بادر ثم بادر.. . قال عبد الله بن صدقة قال أبي قال الشيخ الذي حدثني بهذا الحديث فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلة هذه الرؤيا فقصها علينا وقال ما أرى الأمر إلا كما قال -[١٧٢]- أبي ولا أرى الموت إلا قد أظلني قال فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضي ما عليه من الدين ويستحل خلطاؤه ومعامليه ويحللهم ويسلم عليهم ويودعهم ويودعونه كهيئة رجل أنذر بأمر فهو يتوقعه وكان يقول قال أبي فبادر ثم بادر ثم بادر فهذه ثلاث ساعات مضت فلست بها أو ثلاثة أيام وأنى إما بها أو ثلاثة أشهر وما أرى أدركها أو ثلاث سنين فهو أكثر من ذلك وما أحب أن يكون ذلك كذلك قال فلم يزل الفتى يعطي ويقسم ويتصدق ثلاثة أيام حتى إذا كان في آخر يوم الثالث من صبح ليلة هذه الرؤيا دعى أهله وولده فودعهم وسلم عليهم ثم استقبل القبلة فمدد نفسه وأغمض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله فمكث الناس حينا يأتون قبره من الأمصار يصلون عليه.." (١)

"حدثنا يحيى بن يحيى، وإسحاق بن إبراهيم، قالا: أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار " وفي الباب عن أبي هريرة، ويزيد بن الأخنس، ولفظه: «لا تنافس بينكم إلا في اثنتين»، فذكر مثل معناه، وفيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله: ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ [الفرقان: ٦٤] قال الحسن: ﴿الذين يمشون على الأرض هونا﴾ [الفرقان: ٦٣]. قال: بالوقار والسكينة: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان: ٦٣] يقول: حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا، ذلت والله الأبدان والأبصار حتى حسبهم الجاهل مرضى، والله

---

(١) القبور لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٦٦

ما بالقوم مرض، وأنهم لأصحاء القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنع منهم الدنيا علمهم بـالآخرة. هذه أخلاقهم التي انتشروا بها في الناس وهم الذين يبتون لربهم سجدا وقياما. أسهروا والله الأعين وهضموا في الآخرة كل شيء، والله ما تعاظم في أنفسهم شيء طلبوا به الجنة، وقالوا حين دخلوا الجنة: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ [فاطر: ٣٤]، ثم يقول: والله لقد كابدوا في الدنيا أحزانا شديدة وخوفا شديدا، والله ما أحزنهم من أحزان الناس شيء، أبكاهم الخوف من النار، وأن الله لن يجمع على المؤمن خوف الدنيا وخوف الآخرة، فعجلوا الخوف حتى تلقوا ربكم. -[٤٣]- وكان يقول: يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا، وارض بما قسم الله لك تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك من الناس تكن مسلما، وصاحب الناس بالذي تحب أن يصاحبوك به تكن عدلا. وإياك والضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب. إنه قد كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيرا ويبنون شديدا ويأملون بعيدا، فأين هم؟ أصبح جمعهم بورا، وأصبح أملهم غرورا، وأصبحت مساكنهم قبورا. يا ابن آدم، إنك مرتهن بعلمك وآت على أجلك ومعروض على ربك، فخذ مما في يديك لما بين يديك عند الموت يأتيك الخير.
يا ابن آدم، طإ الأرض بقدميك فإنها عن قليل قبرك. يا ابن آدم، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك. يا ابن آدم، خالط الناس وزائلهم خالطهم ببدنك وزائلهم بقلبك وعلمك. يا ابن آدم، تحب أن تذكر بحسناتك وتكره أن تذكر بسيئاتك وتبغض على الظن وتغتم على اليقين. وكان يقول: إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدقوا بها وأفضى يقينها إلى قلوبهم خشعت لله قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم، كنت والله إذا رأيتهم رأيت قوما كأنهم رأي عين. والله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل ولكنهم جاءهم أمر عن الله فصدقوا به فنعتهم الله في القرآن أحسن نعت قال: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ [الفرقان: ٦٣]. قال الحسن: والهون في كلام العرب اللين والسكينة والوقار ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان: ٦٣] قال: حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون. قال: ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال: ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ [الفرقان: ٦٤] ينتصبون لله على أقدامهم ويفترشون وجوههم سجدا لربهم تجري دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم. قال الحسن لأمر ما سهروا ليلهم ولأمر ما خشعوا نهارهم. قال: ﴿الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ [الفرقان: ٦٥] قال: وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام إنما الغرام اللازم ما دامت السموات والأرض. قال: صدق القوم والله الذي لا إله إلا هو فعملوا وأنتم تتمنون فإياكم وهذه الأماني رحمكم الله، فإن الله لم يعط عبدا بأمنيته خيرا في دنيا ولا آخرة. -[٤٤]- وكان يقول: يا

لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة. قال: لقد صحبت أقواما يبيتون لربهم في سواد هذا الليل سجدا وقياما يقومون هذا الليل على أطرافهم تسيل دموعهم على خدودهم، فمرة ركعا ومرة سجدا يناجون ربهم في فكاك رقابهم، لم يملوا طول السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء في يوم المرجع، فأصبح القوم بما أصابوا من النصب لله في أبدانهم فرحين، وبما يأملون من حسن ثوابه مستبشرين، فرحم الله امرأ نافسهم في مثل هذه الأعمال ولم يرض لنفسه من نفسه بالتقصير في أمره واليسير من فعله فإن الدنيا عن أهلها منقطعة والأعمال على أهلها مردودة. ثم يبكي حتى تبتل لحيته بالدموع وعن الأحنف بن قيس أنه كان جالسا يوما فعرضت له هذه الآية: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ [الأنبياء: ١٠]. فانتبه فقال: علي بالمصحف، لألتمس ذكري اليوم حتى أعلم مع من أنا ومن أشبه، فنشر المصحف فمر بقوم ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ [الذاريات: ١٨]، ومر بقوم: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾ [السجدة: ١٦]. ومر بقوم: ﴿يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ [الفرقان: ٦٤]. ومر بقوم: ﴿ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ومر بقوم: ﴿يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩]. -[٤٥]- ومر بقوم: ﴿يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ [الشورى: ٣٧]، ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الشورى: ٣٨]. قال: فوقف ثم قال: اللهم لست أعرف نفسي ههنا ثم أخذ في السبيل الآخر. فمر بقوم: ﴿إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ [الصافات: ٣٥]. ومر بقوم: ﴿إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ [الزمر: ٤٥] ومر بقوم يقال لهم ﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ [المدثر: ٤٢]. قال فوقف ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء. قال: فما زال يقلب الورق ويلتمس حتى وقع على هذه الآية: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ [التوبة: ١٠٢] فقال: اللهم هؤلاء وقال عمر بن ذر: لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم من النوم، قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عادة السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا الأرض بصفاح وجوههم فانتقى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من

التلاوة ولا ملت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان ولى عنهم الليل بربح وغبن، أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعادة، شتان ما بين الفريقين. فاعملوا أنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده فإن **المغبون** من غبن خير النهار والليل، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا أنفسكم بذكر الله. فإنما تحيى القلوب بذكر الله. كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته. وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدا فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله." (١)

"٦٧٨٣ – حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا أبو هشام القناد، عن الحسين بن علي، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**المغبون** لا محمود ولا مأجور» Kإسناده ضعيف." (٢)

"٢٧٣٢ – حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، ثنا عبدة بن عبد الله، ثنا قيس بن محمد الكندي، ثنا طلحة بن كامل، عن محمد بن هشام، عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «**المغبون** لا محمود ولا مأجور»." (٣)

"٣٠٧٣ – حدثنا مسعدة بن سعد العطار المكي، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا سفيان بن حمزة، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن حكيم بن حزام أنه باع داره من معاوية رضي الله عنه بستين ألفا، فقالوا: غبنك والله معاوية. فقال: «ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق خمر، أشهدكم أنها في سبيل الله والمساكين والرقاب، وأينا **المغبون؟**»." (٤)

"٣٣٩ – حدثني أبو عروبة، ثنا عمرو بن هشام، ثنا مخلد بن يزيد، عن جعفر بن برقان، عن فياض، عن عبد الله بن زبيد، عن أبي موسى، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات يقول: أنا عبدك وابن أمتك في قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن نور صدري، وربيع قلبي، وجلاء حزني،

---

(١) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر محمد بن نصر المروزي ص/٤٢

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي أبو يعلى الموصلي ١٥٣/١٢

(٣) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٨٣/٣

(٤) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ١٨٧/٣

وذهاب همي وغمي ". فقال رجل من القوم: يا رسول الله، إن **المغبون** لمن غبن هؤلاء الكلمات. قال: «أجل، فقولوهن وعلموهن، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله عز وجل حزنه، وأطال فرحه»." (١)

"، كانت البقية هم الذين لله فيهم حاجة على ما قال صلى الله عليه وسلم، أي: هم صفوة من بقي، ومن ورائهم الخير ممن هداهم للإيمان، وطهر قلوبهم، وصفى أسرارهم، وأدناهم منه، وقربهم إليه، وإن أبطأ بهم القوت، وتأخرت بهم المدة ، ألا يرى أنه لم يكن منهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم منافق، ولا بعد موته منهم مرتد، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتد العرب، أو أكثرها، ولم ترتد قريش، ولا أحد منهم على كراهتهم في الدخول في الإسلام، ونأى بهم عنه المدة الطويلة، وتربصهم بعد الفتح، حتى جعل لهم مدة أربعة أشهر، قال تعالى: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ [التوبة: ٢] ، وكان صفوان بن أمية منهم، ثم أسلم وحسن إسلامه، وعكرمة بن أبي جهل ذهب على وجهه فرارا من الإسلام، كراهة له، حتى بلغ البحر، وله قصة، ثم بلغ من حسن إسلامه أنه كان إذا نشر المصحف يقول: هذا كلام ربي، فيغشى عليه، وسهيل بن عمرو، وهو الذي كان منه يوم الحديبية ما كان بلغ من حسن إسلامه أن هاجر إلى أرض الشام، وقتل شهيدا، وحث يوم اليرموك، وخطب خطبة بليغة بلغت من الناس مبلغا، كان سبب الفتح، وكذلك صفوان بن أمية كان يسأل الله الشهادة في أغوار الدين، وحكيم بن حرام باع داره من معاوية بستين ألفا، فقالوا له: غبنك والله معاوية، فقال: والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق من خمر، وأشهدكم أنها في سبيل الله، والمساكين، والرقاب، فأينا **المغبون؟**، وهاشم بن عتبة، والمسور بن مخرمة، وجميع مسلمة الفتح، وإن أبطأت بهم المدة، وتأخر دخولهم في الإسلام، فقد بلغ من حسن إسلامهم المبلغ العلي، فهم الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإن لله فيهم حاجة» ، أي: لله فيهم إرادة خير، ومشيئة فضل، وودائع يودعها الله تعالى أسرارهم، وأنوارا يجعلها في صدورهم كما قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] وأما سائر الناس، فأخذ الله تعالى منهم صفوتهم، وجاءوا إلى الإسلام راغبين كما قال الله تعالى: ﴿يدخلون في دين الله أفواجا﴾ [النصر: ٢] ، وبقيت حثالة لا يعبأ الله بهم، فقال: اقطعوهم قطعا. ألا يرى أن أكثر من انفلت، ودخل في الإسلام كرها كما قال الله تعالى: ﴿قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [الحجرات: ١٤] ، فلما قبض الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم، ارتدوا حتى جذهم أبو بكر رضي الله عنه جذا." (٢)

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني ابن السني ص/٣٠٠

(٢) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي أبو بكر الكلاباذي ص/١٧٣

"٤٨٨ - حدثنا عبد الله بن عبد الصمد الهاشمي، ثنا محمد بن خالد، حدثني أبي، ثنا حديج بن معاوية الجعفي، ثنا كنانة، وهو مولى صفية، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام، **والمغبون** من لم يرده، وإن صاحبك أخوك في -[١٤١]- سفر فحالت بينكما شجرة، فإن استطعت أن تسبقه بالسلام فافعل»." (١)

"مقبلا على شانه حافظا للسانه عارفا بزمانه وفي بعضها مكرما لإخوانه فأول وقت المباح من الأوقات فالنوائب والحاجات تطرقه به والفاقات تدخله عليه فلا يتكلفه قبل وقته فيشغله عن وقته ثم إن العباد في مشاهدة الملك على أربع مقامات: كل عبد يشهد الملك من مقامه بعين حاله فمنهم من ينظر إلى الملك بعين التبصرة والعبرة فهؤلاء أولو الألباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب وهم أولو الأيدي والأبصار الذين أقامهم مقام الإعتبار وهذا مقام العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ومنهم من ينظر إلى الملك وأهله بعين الرحمة والحكمة وهذا مقام الخائفين، ومنهم من ينظر إلى الملك وأهله بعين المقت والبغضة وهذا مقام الزاهدين ومنهم من ينظر إلى الملك بعين الشهوة والغبطة وهذا مقام الهالكين وهم أبناء الدنيا الذين لها يسعون وعلى فوتها يتحسرون، فإن أعطى العبد النظر إلى الملك بعين العبرة والحكمة أدخله الملك على المـلك فاستغنى به عما سواه وإن أعطى الخائف النظر إلى الملك بعين الرحمة اغتبط بمقامه وعظمت لربه تعالى عليه النعمة وإن أعطى الزاهد النظر إلى الملك بعين البغضة أخرجه الملك عن الملك بالزهد فيه فعوضه من فوت الملك الصغير درك الملك الكبير، ومن ابتلى بالنظر إلى الملك بعين الغبطة والحسرة أوقعه الملك في الهلكة فسلك طريق المهالك، ومن شاهد معنى خلق من أخلاق الذوات أو معنى وصف من الصفات كان مقتضاه ما يوجب الخلق أو الوصف من شهود نعيم أو عذاب وهو مقام له في التعريف يرفعه إلى مقام التعرف وهذه شهادة العارفين من كل ماشهدوه من الأفعال التي تدل على معاني الأخلاق والأوصاف لأنه أظهرها عنه ليستدل عليه بها وينظر إليه منها فأما من شهد شهوة من شهوات النفس بعين الهوى أخرجته إلى الأهواء فتخطفه الشياطين وهوت به الريح في مكان سحيق وتنكب طريق المسالك إلى المولى التي تخرجه إلى القريب وتقعده عند الحبيب في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فمن فاته القرب وقع في التيه والبعد فهو اليائس **المغبون** الخائن المفتون الذي يكون أبدا يومه شرا من أمسه وغده شرا من يومه، فالموت خير له من حياته لأن حياته عن الحبيب تبعده وبقاءه عن السبيل يصده ووجده لهواه يفقده وظهور نفسه عليه من السوابق يقعده لأنه إذا كان في إدبار وكان إدباره في إقبال فقد فاته عمره عن آخره كفوت وقت واحد وفوت

(١) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ابن شاهين ص/١٤٠

شيء واحد لأن العمر ليس مما يتأتى فوته دفعة واحدة كشيء واحد لأنه ينشأ وقتا بعد وقت وإنما يفوت جزءا جزءا على حكمة من الله عز وجل وتمهل واستدراج منه وقتا بعد وقت ويوما بعد يوم يستدرجه في ذلك كما يصعد الدراج في الدرج مرقاة مرقاة، كذلك يشغله في وقت عنه ويفرغه وقتا آخر لغيره ويذكره في وقت سواه وينسيه وقتا آخر إياه فشغله حينئذ كفراغه وذكره يومئذ كنسيانه وعلى هذا سائر أوقاته تارة يقطعه عنه وتارة." (١)

"لمكان ملكه فالحسرة العظمى والفوات الأكبر الذي لا درك له وهو تأبيد حرمان ما أعطي غيرك من المزيد هناك لفوت أوقاتك في الدنيا ههنا ثم درك ذلك بأوقاته العامرة ههنا تأبيد مزيد جزائه ثم وهذا هو التغابن؛ غبن العاملون البطالين وغبن السابقون المخلفين وغبن المسارعون المثبطين ثم خلود العبد البطال **المغبون** في الدنيا في تأبيد حرمان مزيد الغابن العامل ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم: ما من ساعة تأتي على ابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا كانت عليه حسرة وان دخل الجنة، وفي لفظ آخر، وهو أشد إلا كانت عليه ترة يوم القيامة أي مطالبة ومؤاخذة، فالحسرة في الجنة بعد دخولها والظفر بنعيمها هو ما ذكرناه من حرمان مزيد العاملين فيها ثم دوام الحرمان مؤبد بها وهو كون العبد في نقصان درجة غيره ثم هو مخلد في النقصان سرمدا ومع ذلك فلا يؤبه له ولا يفطن به كيلا ينقص عليه نعيمه والطرفة والنفس إذا خلتا من اليقظة والذكر فيهما بمنزلة الساعة الخالية إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على الساعة ولم يذكر ما دونها لأن اسم الساعة أقل الزمان المستعمل عند العرب ليواطيء بقوله قول الله سبحانه وتعالى: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الأعراف: ٣٤ ومعلوم أنه إذا جاء الأجل لا يستأخرون نفسا ولا طرفة عين وكذلك لا يستقدمون طرفة ولانفسا، فذكرت الساعة دون ما نقص منها لئلا يخرج الكلام عن حد استعمالهم وعرفهم وليستدل بها على ما دونها في القلة من النفس والطرفة، وكذلك دل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصه على الساعة على ما دونها لأن حكمته من حكمة مولاه وكلامه على معاني كلامه وقد دخلت الساعة فما دونهافي الأيام التي قال الله تعالى: (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) الحاقة: ٢٤ قيل: هي والله أيامكم هذه وستخلو فأشغلوها بالأعمال الصالحة قبل خلوها منكم وانقضائها عنكم، وكان الحسن يقول: يا ابن آدم إنما أنت مراحل كلما مضى منك يوم أو ليلة قطعت مرحلة فإذا فنيت المراحل بلغت المنزل إلى الجنة أو النار، فالساعات تنقلنا والأيام تطوينا، وكما قال بعض الحكماء: مثل العبد في عمره مثل رجل في سفينة تسير وهو قاعد كذلك العبد يدنو من الآخرة وهو غافل ويقال: إن

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٦١/١

العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعة وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزانته من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به، فإذا مرت به في الدنيا ساعة لم يذكر الله تعالى فيها رآها في الآخرة خزائن فرغا لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاته أن لم يدخر فيها شيئا فيرى جزاءه مدخرا ثم يلقى في نفسه الرضا والسكون فلو لم يتحسر العبد إلا على فوت الفضائل والمندوب إليه من الخيرات لكان في فوت المسابقة والمسارعة حسرات فكيف بمن فاته أوقاته في السيئات وفرطت منه في الخسارات ولو لم يشتغل العبد في عمره إلا بالحلال." (١)

"والمباحات لكان ذلك نقصانا من الدرجات له فكيف بمن شغل بالمحظورات؟ فسبحان الله ما أعظم الخطر وأصعب الأمر وأقل المشاهدين لذلك وأغفل البطالين، وقد قال بعض العلماء: هب أن المسيء قد غفر له، أليس قد فاته ثواب المحسنين، وقد جاء في الأثر أن بعض أهل الجنة بيناهم في نعيم إذ سطع لهم نور من فوقهم أضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فنظروا إلى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدري في أفق السماء قد فضلوا عليهم في الأنوار والنعيم والجمال كما فضل القمر على سائر الكواكب فينظرون إليهم يطيرون على نجب تسرح بهم في الهواء حيث شاؤوا ويتزاورون بعضهم بعضا يزورون ذا الجلال والإكرام فينادون هؤلاء: يا إخواننا ما أنصفتمونا، كنا نصلي كماتصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا؟ قال: فإذا النداء من الله عز وجل إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون

حين تروون ويعرون حين تكتسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلواعليكم اليوم، فذلك قوله تعالى: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا بعملون) السجدة: ١٧، وقد جاء في الخبر: أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب. ن تروون ويعرون حين تكتسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلواعليكم اليوم، فذلك قوله تعالى: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا بعملون) السجدة: ١٧، وقد جاء في الخبر: أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب.

ذكر المقام الخامس من مراقبة الموقنين من المقربين

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٨٧/١

قال الله تعالى مخوفا للكافة: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال: رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت) ثم أجابه فقال: كلا وحقق قوله تعالى فقال: (إنها كلمة هو قائلها) المؤمنون: ١٠٠ ثم نهى المؤمنين نهيا صريحا عن مثل هذه الحال وأخبر بنقصان من فعل ذلك فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) المنافقون: ٩ أي لا تشغلكم عن الطاعة الله تعالى ثم قال: (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) المنافقون: ١٧ أي **المغبونون** المنقوصون في الآخرة لأنهم آثروا المال والولد على الخالق الرازق ثم أمر بالإنفاق مما رزق وقرنه بالإيمان وأخبر أنه استخلفنا في ملكه اختبارا لنا فقال: (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) الحديد: ٧ فيه فسمع الغافلون نصف الكلام فآمنوا ولم ينفقواوعقل العاملون كل الكلام فآمنوا وأنفقوا ومايعقلها إلا العالمون، وقال سبحانه: (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) المنافقون: ١٠ أي بالأعمال وكان ابن عباس يقول: هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد لأنه لا يتمنى التأخير والرجوع إلى الدنيا أحد له عند الله خير في الآخرة." (١)

"من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك، وكانوا يأمرون بالأخوة ويتحاضون على الألفة، ويقال: إذا غفر للعبد شفع في إخوانه، وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا غريبا في تفسير قوله تعالى: (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) الشورى: ٢٦، قال: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم، وممن مال إلى هذا الطريق: ابن المسيب والشعبي، وابن أبي ليلى وهشام بن عروة، وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله، وابن عيينة وابن المبارك، والشافعي وأحمد بن حنبل، ومن وافقهم، وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون.

وروينا عنه صلى الله عليه وسلم: المؤمن مألوف ولا خير فيمن يألف ولا يؤلف، وقد قيل: أول ما يرفع من هذه الأمة، الخشوع ثم الورع ثم الأمانة ثم الألفة، وفي الخبر: من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وروينا في خبر مثل الأخوين: إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان إلا أفاد الله عز وجل أحدهما من صاحبه خيرا، وروينا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آخى أخا في الله عز وجل، رفعه الله عز وجل درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله، ويقال إن الأخوين في الله عز وجل إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر، رفع الآخر معه إلى مقامه، وأنه يلحق

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٨٨/١

به كما تلحق الذرية بالأبوين، والأهل بعضهم ببعض، لأن الأخوة عمل كالولادة، وقد قال الله سبحانه بعد قوله: (ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) الطور: ٢١، أي وما نقصناهم، وقال تعالى مخبرا عمن لا صديق له حميم تنفعه شفاعته: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) الشعراء: ١٠٠ - ١٠١ ومعنى حميم أي هميم، أبدلت الحاء هاء لتقاربهما، مأخوذ من الاهتمام أي مهتم بأمره، ففيه دليل أن الصديق لك هو المهتم بك، وإن الاهتمام حقيقة الصداقة، وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: المؤمن كثير بأخيه، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أعطى عبد بعد الإسلام خيرا من أخ صالح، وقال أيضا: إذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به، فقلما تصيب ذلك، وقد قال بعض الحكماء في معناه كلاما منظوما شعرا:

ما نالت النفس على بغية ... ألذ من ود صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك المقطوع منه الوتين

وقد يروي هذا المصراع الثاني فذلك **المغبون** حقا يقين، وروينا في الأخبار السابقة إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا ابن عمران كن يقظان وارتد لنفسك إخوانا، وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو، وفي خبر غيره عن داود عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه: يا داود ما لي أراك منتبذا وحدانا." (١)

"ويسير المغابنة في التجارات جائز، فإن موضوع التجارة على الغبن إذا كان عن تراض، فإذا تفاوتت القيمة وعلم الغبن فمكروه، وقد يروى في حديث أن غبن المستغفل حرام، وفي حديث: فيه مقال **المغبون** لا محمود ولا مأجور، هذا والله أعلم إذا تغابن وهو يعلم فيخسر نفسه حقه وحمل غيره على ظلمه، وكان إياس بن معاوية قاضي البصرة من علماء الزمان ومن عقلاء التابعين وكانت لأبيه صحبة كان يقول: لست بخب والخب لا يغبن يعني محمد بن سيرين، ولكن يغبن الحسين ومعاوية بن قرة، وكان الزبير بن عدي يقول: أدركت ثمانية عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم رجل يحسن يشتري لحما بدرهم.

وقد روي أن الحسن باع بغلا له بأربعمائة درهم، فلما استوجب المال قال له المشتري: اسمح يا أبا سعيد، قال: قد أسقطت عنك مائة قال له المشتري: فأحسن يا أبا سعيد، قال: قد وهبت له مائة أخرى فنقص من حقه مائتي درهم، وفي رواية أخرى قال: أحسن، قال: وهبت لك مائتي درهم، فقيل له: يا أبا سعيد

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٦٠/٢

هذا نصف الثمن، فقال: هكذا يكون الإحسان وإلا فلا، وقد كان الحسن والحسين رضي الله عنهما وغيرهما من خيا رالسلف يستقصون في الاشتراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم: تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي، فقال قائلهم: إن الواهب يعطي فضله وإن المغبون يغبن عقله، وقال آخر: إنما أغبن وبصيرتي، أو قال: معرفتي، ولا أمكن الغابن من ذلك، وإذا وهبت فإنما أعطى لله عز وجل فلا استكثر له شيئا والأخبار في هذه المعاني تكثر والفضائل فيها تطول، ولم نقصد جمع ذلك، فقد ذكرنا جملة وهذا كله داخل في البر والتقوى ومن العدل والإحسان، ومن تطوع الخير وفعل المعروف فقد أمر الله بذلك في مواضع من كتابه، وينبغي أن يستعمل النصح في البيع والشراء وفي الصنعة ويستوي عملهما في المبيع والمشترى والمصنوع ويفطن كل واحد منهما صاحبه بعيب إن كان في السلعة وينقص إن كان في الصنعةإن لم يفطن المشتري لذلك والمستعمل ليتكافأ العلمان ويثني كل واحد منهما على صاحبه بإحسان، وفي الخبر: البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما وإذا كذبا وكتما أنزعت بيعهما، وفي حديث آخر: يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، فإذا تخاونا رفع يده عنهما، ولما بايع النبي صلى الله عليه وسلم جريرا، على الإسلام ذهب لينصرف جذب ثوبه، واشترط عليه النصح لكل مسلم، قال: فكان جرير إذا أقام السلعة ليبيعها بصر عيوبها ثم أخبر: فقال: إن شئت فخذ وإن شئت فاترك، فقلنا له: رحمك الله، إنك إذا قلت هذا لم ينفذ لك بيع، فقال: إنما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصيحة لأهل الإسلام، وكان واثلة بن الأسقع واقفا بالناس في الكوفة فباع رجل ناقة بثلاثمائة درهم وغفل واثلة، وقد ذهب الرجل بالناقة." (١)

"وأنشدنا لبعضهم:

ما خلفت حواء أحمق لحية ... من سائل يرجو الغنى من سائل

وحدثونا عن زيد بن أسلم قال: كان محمد بن مسلمة في أرض يغرس النخل، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما تصنع يا محمد؟ قال: ما ترى قال: أصبت، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم كيف، قال صاحبكم لحيحة بن الحلاج:

فلن أزال عن الزوراء أعمرها ... إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال

روينا عن ابن مسعود قال: ما كس دون درهمك فإن المغبون لا محمود ولا مأجور، وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: إذا قلت لصاحبك أحسن فأحسن فهو صدقة، وحدثت عن عبد الله بن عبد الرحمن قال:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب و وصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/٤٤٤

كان إبراهيم بن أدهم ورفقاؤه في المسجد في شهر رمضان، فلما سلم الإمام قام رجل فسأل، فلم يعط شيئا ووضعوا عشاءهم فقالوا لإبراهيم: يا أبا إسحاق ندعوه؟ قال: لا تدعوه، فبات بغير عشاء فلما كان من الغد جاء رفيق لإبراهيم فقال له: يا أبا إسحاق، رأيت الذي سأل البارحة وعلى رأسه حزمة حطب فقال: تدرون لم قلت لكم: لا تدعوه سبق إلى قلبي أنه لم يسأل قبلها فكرهت أن أدعوه فيتكل على عشائكم، قال عبد الله: وقال رجل لإبراهيم: كيف أصبحت؟ قال: بخير ما لم يتحمل مؤونتي غيري، وعن موسى بن طريف قال: كان إبراهيم بن أدهم لا يماكس إذا عمل مع أحد، حدثونا عن يوسف بن سعيد قال: سمعت إنسانا يسأل علي بن بكار: أيهما أفضل، اللقاط أو التكابة؟ فقال: اللقاط فيه معروف كثير، كان سليمان الخواص يلقط ههنا عندنا وكان إبراهيم بن أدهم يؤاجر نفسه وكان حذيفة يضرب اللبن، أبو عمرو بن العلاء قال: قال الحسن: الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها، الحسن بن دينار عن قتادة قال: مكتوب في التوراة اتق توق وسل تعط وأطلب تجد، ومكتوب في الإنجيل: ابن آدم اصبر تصبر.

عن أبي خلدة عن أبي العالية قال: إذا اشتريت شيئا فاشتر أجوده.

أبو الطفيل قال: كنت عن أنس بن مالك فقيل له: خرج الدجال فقال: كذبة صباغ، حدثنا عن يحيى بن يمان عن بسام الصيرفي عن عكرمة قال: أشهد أن الصيارفة من أهل النار.

وروينا عن عبد الحميد بن محمود قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل قال: أقبلنا حجاجا حتى إذا كنا بالصفاح توفي صاحب لنا فحفرنا له، وإذا أسود قد ملأ اللحد كله، ثم حفرنا له قبرا آخر فإذا الأسود قد ملأ اللحد، فحفرنا له قبرا آخر فإذا الأسود قد ملأ اللحد كله، فتركناه وأتيناك نسألك ما تأمرنا، قال: ذاك عمله الذي كان يعمل، وفي رواية." (١)

"فرفع يده إلى السماء، وقال: إلهي وسيدي أسألك أن تفرحهم في الآخرة، كما فرحتهم في الدنيا. فقال له بعض أصحابه: إنما قلنا ادع الله عليهم. فقال: إخواني، إذا فرحهم في الآخرة، تاب عليهم.

ومن الفتوة أن تنسى معروفك عند إخوانك. وتعرف مقاديرهم. سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز يقول: سمعت أبا القاسم إسحاق بن محمد يقول: قلت لأبي بكر الوراق وقت مفارقتي إياه: من أصحب؟ قال: اصحب من ينسى معروفه عندك، وإياك ومن يحفظ مساوئك، ويعدد ذلك عليك ليلاقيك أو يقول ذلك فيك، ولا تصحب من قدرك عنده على قدر حاجته إليك.

ومن الفتوة أن يراعي العبد سره وباطنه أكثر من مراعاة ظاهره لأن السر موضع نظر الله تعالى والظاهر موضع

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٤٥١/٢

نظر الخلق. سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا يعقوب السوسي يقول: من الناس من يجتهد في حفظ لسانه خمسين سنة أن يجري عليه لحن، ولا يحفظ سره حتى لا يجري عليه لحن، والمغبون من يكون ہ ذه صفته.

ومن الفتوة حفظ الآداب في العشرة. كما قال سهل بن عبد الله: عاشر أعداءك بالعدل، وأصدقاءك بالكرم والوفاء.

ومن الفتوة حفظ الأدب في الخلوات مع الله تعالى. سمعت أبا نصر." (١)

"٦٤ – أنشدني عبد الله بن علي الطوسي قال: أنشدني الوجيهي لبعضهم:

[البحر السريع]

ما ذاقت النفس على شهوة ... ألذ من حب صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك المغبون حق اليقين"." (٢)

"لم يأسف عليها ولم يبال بها. فإن من فعل ذلك أمن فلم يجزع وفرح فلم يحزن وسعد فلم يشق.

ومن لم يقبل هذه الوصية ولما يعالج نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم وحزن غير منتقص.

وذلك أنه لا يعدم في كل حال فوت مطلوب أو فقد محبوب وهذا لازم لعالمنا هذا لأنه عالم الكون والفساد. ومن طمع من الكائن الفاسد أن لا يكون ولا يفسد فقد طمع في المحال لم يزل خائبا والخائب أبدا محزون والمحزون شقي. ومن استشعر بالعادة الجميلة ورضى بكل ما يجده ولا يحزن لشيء يفقده لم يزل مسرورا سعيدا. فإن ظن ظان أن هذا الإستشعار لا يتم له أو لا ينتفع به فلينظر إلى استشعارات الناس في مطالبهم ومعايشهم وإختلافهم فيها بحسب قوة الإسشعار. فإنه سيرى رؤية بينة ظاهرة فرح المتعيشين بمعايشهم على تفاوتها. وسرور أصحاب الحرف المختلفة بمذاهبهم على تباينها. وليتصفح ذلك في طبقة طبقة من طبقات الدهماء فإنه لا يخفى عليه فرح التاجر بتجارته والجندي بشجاعته والمقامر بقماره والشاطر بشطارته والمخنث بتخنثه حتى يظن كل واحد منهم أن المغبون من عدم تلك الحالة حتى فقد بهجتها والمجنون من غبي عنها فحرم لذتها. وليس ذلك إلا لقوة إستشعار كل طائفة بحسن مذهبها ولزومها إياه بالعادة الطويلة. وإذا لزم طالب الفضيلة مذهبه وقوى إستشعاره وحسن رأيه وطالت عادته كان أولى بالسرور ومن هذه الطبقات الذين يخبطون في جهالاتهم وكان أحظاهم بالنعيم المقيم لأنه محق وهم

---

(١) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٦٠

(٢) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٦٧

مبطلون. وهو متيقن وهم ظانون. ثم هو صحيح وهم مرضى. وهو سعيد وهم أشقياء. وهو ولي الله عزوجل وهم أعداؤه وقد قال الله عز من قائل (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)." (١)

"سمعت محمد بن محمد يقول: سمعت محمد بن أحمد بن مسعود البدشي ، يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: " الكيس من فيه ثلاثة خصال: من بادر بعمله وتسوف بأمله واستعد لأجله " قال: وسمعت يحيى ، يقول: **المغبون** يوم القيامة من فيه ثلاثة خصال: من قرض أيامه بالبطالات ، وبسط جوارحه على الحسرات ومات قبل إفاقته من السكرات ، قال: وسمعت يحيى بن معاذ ، يقول: سبحان الله ، فلعل لا إله إلا الله تستوهبه من أهل لا إله إلا الله فليس ما أتى به من الذنب عصيانا أكثر مما أتى به من التوحيد إيمانا "." (٢)

"حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن، ثنا عباس بن يوسف الشكلي، ثنا محمد بن إسحاق الأسلمي قال: سمعت السري، يقول: «**المغبون** من فنيت أيامه بالتسويف **والمغبون** من تمنى الصالحون مقامه»." (٣)

"حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، ثنا أبي، حدثني أبو بكر بن عبيد، حدثني محمد بن الحسين، ثنا عبد الله بن عثمان بن حمزة العمري، ثنا عمار بن عمر بن العلاء، سمعت عمر بن ذر، يقول: اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن **المغبون** من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، وإنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيا القلوب بذكر الله، كم من قائم في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله عز وجل للعابدين غدا، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله." (٤)

"حدثنا أبي، ثنا أبو الحسن بن أبان، ثنا أبو بكر بن عبيد، حدثني محمد بن -[١١٤]- الحسين، حدثني عبد الله بن عثمان بن حمزة بن عبد الله بن عمر، حدثني عمار بن عمرو البجلي، سمعت عمر بن ذر، يقول: لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم، ونظروا إلى أهل السآمة والغفلة قد سكنوا إلى فراشهم،

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكويه ص/٢٢٥

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٥٨/١٠

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١١٨/١٠

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠٩/٥

ورجعوا إلى ملاذهم من الضجعة والنوم، قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عبادة السهر، وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم، وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بربح وغبن، أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجئ الليل للعبادة، شتان ما بين الفريقين، فاعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن **المغبون** من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيا القلوب بذكر الله، كم من قائم في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومته عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدا، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام، رحمكم الله." (١)

"وقال آخر:

لكل شيء عدمته عوض ... وما لفقد الصديق من عوض

ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه، وحمد أكثر شيمه؛ لأن اليسير مغفور والكمال معوز. وقد قال الكندي: كيف تريد من صديقك خلقا واحدا وهو ذو طبائع أربع؟ مع أن نفس الإنسان التي هي أخص النفوس به ومدبرة باختياره وإرادته، لا تعطيه قيادها في كل ما يريد، ولا تجيبه إلى طاعته في كل ما يحب، فكيف بنفس غيره، وحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره.

وقد قال أبو الدرداء – رضي الله عنه –: معاتبة الأخ خير من فقده، ومن لك بأخيك كله؟ فأخذ الشعراء هذا المعنى، فقال أبو العتاهية:

أأخي من لك من بني الدنيا ... بكل أخيك من لك

فاستبق بعضك لا يملك ... كل من أعطيت كلك

وقال أبو تمام الطائي:

ما غبن **المغبون** مثل عقله ... من لك يوما بأخيك كله

؟ وقال بعض الحكماء: طلب الإنصاف من قلة الإنصاف. وقال بعض البلغاء: لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وبطنت عقله عيب تحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١١٣/٥

فإنك لن تجد، ما بقيت، مهذبا لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب. فاعتبر نفسك، بعد، أن لا تراها بعين الرضى، ولا تجري فيها على حكم الهوى، فإن في اعتبارك واختيارك لها ما يؤيسك مما تطلب، ويعطفك على من يذنب. وقد قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وقال النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب." (١)

"فتندم إذ لا تنفعك ندامة ... كما ندم **المغبون** لما تفرقا

وقال آخر:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي أصم وأذني غير صماء

والثامن من أسبابه: الخوف من العقوبة على الجواب. وهذا يكون من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم. وقد قيل في منثور الحكم: الحلم حجاب الآفات. وقال الشاعر:

ارفق إذا خفت من ذي هفوة خرقا ... ليس الحليم كمن في أمره خرق

والتاسع من أسبابه: الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة. وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد، وقد قيل في منثور الحكم: أكرم الشيم أرعاها للذمم. وقال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة ... واللؤم مقرون بذي الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا ... وترى اللئيم مجانب الإنصاف

والعاشر من أسبابه: المكر وتوقع الفرص الخلفية. وهذا يكون من الدهاء. وقد قيل في منثور الحكم: من ظهر غضبه قل كيده. وقال بعض الأدباء: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله. وقال بعض الحكماء: إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا. وقال إياس بن قتادة:

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

وقال بعض الشعراء:

وللكف عن شتم اللئيم تكرما ... أضر له من شتمه حين يشتم

فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم. وبعض الأسباب أفضل من بعض. وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولا

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/١٧٣

ما يقتضي أن تكون نتيجته من الحلم مذمومة. وأما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه، وإن." (١)

"٧٧٨ – أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا أحمد الحسين بن علي التميمي يقول: سمعت علي بن محمد القباني يقول: سمعت يحيى بن –[٢٩٥]– معاذ الرازي يقول: «**المغبون** من عطل أيامه بالبطالات، وسلط جوارحه على الهلكات، ومات قبل إفاقته من الجنايات»." (٢)

"قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إن مما يصفى لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس.

قال بعض الحكماء: رأس المداراة ترك المماراة.

وفي الحديث المرفوع: " إذا أحب الله عبدا أحبه الناس ".

أخذه الشاعر فقال:

إذا أحب الله يوما عبده ... ألقى عليه محبة في الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بشراركم "؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: " من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة. ألا أنبئكم بشر من ذلكم " قالوا: بلى. قال: " من يبغض الناس ويبغضونه ".

روينا أن داود عليه السلام، جلس كئيبا خاليا، فأوحى الله إليه: مالى أراك خاليا؟ قال: هجرت الناس فيك. قال: أفلا أدلك على شئ تبلغ رضاي؟ خالق الناس بأخلاقهم، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك.

كان يقال: من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم.

قال أكثم بن صيفي: من تشدد فرق، ومن تراخى تألف، والسرور في التغافل.

قال علي رضى الله عنه: شرط الصحبة إقاله العثرة، ومسامحة العشرة، والمواساة في العسرة.

قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر! قال: دفع ضغينة بأيسر مؤونة،واكتساب إخوان بأيسر مبذول.

قال محمود الوراق:

أخو البشر محمود على كل حالة ... ولن يعدم البغضاء من كان عابسا

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للعرض حارسا

قال أعرابي يمدح رجلا بساما هو زياد الأعجم يمدح عبد الله بن عامر ابن كريز.

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٢٥٥

(٢) الزهد الكبير للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٢٩٤

أخ لك ما تراه الدهر إلا ... على العلات بساما جوادا
سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا
مرارا ما أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

وقال آخر:

ولي صاحب كالموت يوم فراقه ... تغير والأيام جم عجيبها
أريد له هجرا لبعض خلاله ... فتعطفي أخرى له فأجيبها

وقال آخر:

أخ لي كأيام الحي ١ة إخاؤه ... تلون ألوانا كثيرا خطوبها
إذا عبت منه خلة فهجرته ... دعتني إليه خلة لا أعيبها

وقال ابن وكيع:

من لم يدار الناس عن علم بهم ... انصرفوا وكلهم له عدا

وقال كثير:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولا يسلم الدهر صاحب

وقال آخر:

وكم من أخ لم يحتمل منه خلة ... قطعت ولم يمكنك منه بديل
ومن لم يرد إلا خليلا مهذبا ... فليس له في العالمين خليل

قال آخر:

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت راجع

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع: " أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما ".

وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية:

قل لمن يعجب من ... حسن رجوعي ومقالي

رب صد بعد ود ... وهوى بعد تقالى

قد رأينا ذا كثيرا ... جاريا بين الرجال

أنشد حبيب للفند الزماني وقال الجاحظ لا أظنها له:

صفحنا عن بنى ذهل ... وقلنا: القوم إخوان

عسى الأيام أن يرجع ... ن قوما كالذي كانوا

قال آخر:

وكنت إذا صبحت رجال قوم ... صحبتهم وشيمتي الوفاء

فأحسن حين يحسن محسونهم ... وأجتنب الإساءة إن أساءوا

وأبصر ما ينقصني بعين ... عليها من عيونهم غطاء

وقال آخر:

ما نالت النفس على شهوة ... ألذ من ود صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك **المغبون** حق اليقين

قال آخر:

استوحش الناس على جدا ... ولا أرى لي من أناس بدأ." (١)

"وقال المتلمس:

أحارث أنا لو تشاط دماؤنا ... تزايلن حتى لا يمس دم دما

وقال آخر:

إذا كنت مما لا ترى نافعا ... صديق ولا بالعدو تضر

فسيان إن مت أو إن حييت ... فلا ذا يسوء ولا ذا يسر

لأبي عيينة المهلب، أو علي بن جبلة:

ولما رأيتك لا فاجرا ... قويا ولا أنت بالزاهد

وليس عدوك بالمتقي ... وليس صديقك بالحامد

دخلت بك السوق سوق الرقيق ... وناديت هل فيك من زائد؟

فما جائني رجل واحد ... يزيد على درهم واحد

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٤٣

سوى رجل حان منه الشقا ... ء وحلت به دعوة الوالد

محاط به معه درهم ... ردئ فأقبل كالراصد

فبعتك منه بلا شاهد ... مخافة ردك بالشاهد

وأبت إلى منزلي غانما ... وحل البلاء على الناقد

وقال آخر:

سأصبر من صديقي إن جفاني ... على كل الأذى إلا الهوانا

قال العطوى:

إذا ما الحر فاز بحسن حال ... أجاز صديقه من سوء حال

إذا أثرى رأى حقا عليه ... له الإفضال من قبل السؤال

لعمرك ما رأيت فتى كريما ... يحب المال إلا للنوال

أبا حسن ثكلت الحزم فيما ... أحاول من مقالي أو فعالى

لقد كذبت ظنوني فيك أن لم ... أتب من حسن ظني بالرجال

وقال آخر:

إذا ما المرء كان له صديق ... فبر صديقه فرض عليه

فإن عنه الصديق أقام يوما ... فوجه البر أن يسعى إليه

وإن كان الصديق قليل مال ... يضيق بذرعه ما في يديه

فمن أسنى فعال المرء ألا ... يضن على الصديق بما لديه

وقال آخر:

ما ضاقت النفس على شهوة ... ألذ من ود صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك **المغبون** حق اليقين

عبد الله طاهر،ويروى لعلى بن الجهم،وهي له لا غيره،حدثنا عبد الوارث،حدثنا قاسم بن أصبغ،حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد،قال:أخبرني يحيى بن المعلم،قال:مررت بعلي بن الجهم،وقد أذن لصلاة الظهر،وقد دخل المسجد يريد أن يركع،فسلمت عليه وقلت له:لا يمكنني أن أقيم حتى تصلى لأني مبادر،قال:فيم ذا؟ فقلت:أبيع قميصي هذا وأكافئ به صديقا له قبلى يد.

قال:فلم أمش إلا قليلا حتى ردني،فقال لي:اكتب وأنشدني:

أميل مع الصديق على ابن أمي ... وأحمل للصديق على الشقيق

وإن ألفيتني ملكا مطاعا ... فإنك واجدي عبد الصديق

أفرق بين معروفي ومني ... وأجمع بين مالي والحقوق

قالوا:أحذر من وترته وإن أحسنت إليه،ومن أوحشته فلا تثق به.

قال الشاعر:

إذا وترت امرءا فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عبنا

إن العدو وإن أبدي بشاشته ... إذا رأى منك يوما فرصة وثبا

وقد تقدم في باب التودد إلى الناس أبيات تصلح في هذا الباب،فلم أروجها لتكرارها.

باب جامع متخير في الإخوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المرء على دين خليله،فلينظر امرؤ من يخالل ".

قال الأوزاعى: الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب،إن لم تكن مثله شانته.

قال الشاعر:

وما صاحب الإنسان إلا كرقعة ... على ثوبه فليتخذه مشاكلا

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا خير في صحبة من لا يرى لك كالذي يرى لنفسه ".

وفي الخبر المرفوع أيضا " شيئان لا يزدادان إلا قلة:درهم حلال،وأخ في الله تسكن إليه " وقد روى مرفوعا: " المرء كثير بأخيه ".

قال على بن أبي طالب،رضي الله عنه:لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه الخلال:من إذا حدثك كذبك، وإذا ائتمنته خانك،وإذا ائتمنك اتهمك،وإذا أنعمت عليه كفرك،وإذا أنعم عليك من عليك.." (١)

"أسيئي بنا أو أحسن لا ملومة ... لدنيا ولا مقلية إن تقلت

وقال أبو العتاهية:

أصبحت الدنيا لنا عبرة ... والحمد الله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها ... وما أرى منهم لها تاركا

وقال لسابق البربري:

جمعنا لها أكلا وذما بألسن ... أليس عجيبا ذمها واحنلاتها

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٥٠

قال أبو الطيب:

تفاني الرجال على حبها ... ولا يحصلون على طائل

وقال أيضا:

ومن لم يعشق الدنيا قديما ... ولكن لا سبيل إلى الوصال

وقال آخر:

يذمون دنياهم وهم يحلبونها ... ولم أر كالدنيا تذم وتحلب

وقال سعيد بن حميد:

ولم أر كالدنيا تذم صروفها ... ونوسعها شتما ونحن عبيدها

وقال منصور الفقيه:

ضحكت دنياك يا إن ... سان من نهيك عنها

مع تمنيك على ربك ... ما لم تؤت منها

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، في خطبة له: أيها الناس! إنما الدنيا أجل محترم، وأمل منتقص، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله من فكر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه. أيها الناس! قد علمتم أن أباكم أخرج من الجنة بذنب واحد، وأن ربكم وعد على التوبة خيرا، فليكن أحدكم من ذنبه على وجل، ومن ربه على أمل.

قال بعض الحكماء. إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر.

قال محمود الوراق:

ما أفضح الموت للدنيا وزينتها ... جدا، وما أفضح الدنيا لأهليها

لا ترجعن على الدنيا بلائمة ... فعذرها لك باد في مساويها

لم تبق في غيبها شيئا لصاحبها ... إلا وقد بينته في معانيها

تفني البنين وتفني الأهل دائبة ... ونستنيم إليها لا نعاديها

فما يزيدكم قتل الذي قتلت ... ولا العداوة إلا رغبة فيها

قال أبو حفص عمر بن علي الفلاس: كتبت إلى صديق لي أشاوره في شيء من أمر الدنيا، فكتب إلى رقعة فيها سطران، أحدهما: بسم الله الرحمن الرحيم، والآخر: اطلب الدنيا على قدر مكثك فيها، واطلب الآخرة على قد حاجتك إليها.

كان صالح المري يتمثل:

مؤمل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمل قبل الأمل

وبات يروي أصول الفسيل ... فعاش الفسيل ومات الرجل

وقال آخر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وقال آخر:

لقد غرت الدنيا رجالا فأصبحوا ... بمنزلة ما بعدها متحول

فساخط أمر لا يبدل غيره ... وراض بأمر غيره سيبدل

وبالغ أمر كان يأمل غيره ... ومختلج من دون ما كان يأمل

وقال آخر:

ويح دنيا غرورها يضنيني ... كم إلى كم غررتني فدعيني

كم تسومينني خداعا عن الرش ... د وكم ذا الخداع ويك ذريني

أملي زائد وعمري يفني ... ويح نفسي عن رأيها **المغبون**

همتي تعتلي السماء وسعيي ... كسلا سعي عاجز مأفون

ويح نفسي أما كفاها من العي ... ش تقضى سنين بعد سنين

ليت شعري وما انتظاري وقد ... لاح شيب بعارضي وقروني

ويا ابن ستين ما اعتذارك من بع ... د بلوغ الأشد والستين

قيل لراهب: كيف سخت نفسك بالخروج عن الدنيا؟ قال: أيقنت أني خارجها منها كارها، فأحببت أن أخرج منها طائعا.

قال بزرجمهر: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق، إما زادته وإما نقصته.." [١]

"هريم، قال: حدثني أبو الربيع الأعرج، قال: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب، فقرب إلي كسيرات يابسة فعطشت، فقمت إلى دن فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله، لو اتخذت إناء غير هذا يكون فيه الماء، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا باردا ولا آكل إلا طيبا، ولا ألبس إلا لينا، فما بقيت لآخرتي "؟

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢٣٦

قال: قلت: أوصني؟ قال: " صم الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أقل مؤنة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به "

قول يحيى بن معاذ في **المغبون** من الناس

١١١ - سمعت أبا حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي، وسمعت أبا علي بن فضالة النيسابوري، يقولان: سمعنا الحسين بن علي." (١)

"التميمي، يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد القبابي، يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي، يقول: " **المغبون** من عطل أيامه بالبطالات، وسلط جوارحه على الهلكات، ومات قبل إفاقته من الجنايات "

قول بشر بأن لا نحب الدنيا

١١٢ - أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان، حدثنا محمد بن أحمد الجرجرائي، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله، تلميذ بشر بن الحارث يقول: سمعت بشر بن الحارث، يقول: " ينبغي لنا أن لا نحب هذه الدار، لأنها دار يعصى الله فيها، والله لو لم يكن منا إلا أنا أحببنا شيئا أبغضه الله تعالى لكفانا "." (٢)

"قال كتب أبو بكر الصديق إلى عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر ما جمعت الروم من الجمع وأن الله تعالى لم ينصرنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة عدد ولا بكثرة خيل ولا سلاح ولقد كنا ببدر وما معنا إلا فرسان وإن نحن إلا نتعاقب الإبل وكنا يوم أحد وما معنا إلا فرس واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبه ولقد كان الله يظهرنا ويعيننا على من خالفنا فاعلم يا عمرو أن أطوع الناس لله تعالى أشدهم بغضا للمعصية وأن من خاف الله تعالى ردعه خوفه عن كل ما لله تعالى معصية فأطع الله تعالى وسم ومر أصحابك بطاعته فإن **المغبون** من حرم طاعة الله واحذر على أصحابك

---

(١) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي الخطيب البغدادي ص/١٣٠

(٢) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي الخطيب البغدادي ص/١٣١

البيات وإذا نزلت منزلا فاستعمل على أصحابك أهل الجلد والقوة ليكونوا نعم الذين يحرضونهم ويحفظونهم وقدم أمامك الطائع حتى يأتوا بالخير وشاور أهل الرأي والتجربة ولا تستبد برأيك دونهم فإن في ذلك احتقارا للناس ومعصية لهم فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب وإياك والاستهانة بأهل الفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرفنا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار عند موته حين قال ((أحسنوا إلى محسنهم وجاوزوا عن مسيئهم وقربهم منك وأدنهم واستشرهم وأشركهم في أمرك ولا يغب عني خبرك كل يوم بما فيه إن قدرت على ذلك وأشبع الناس في بيوتهم ولا تشبعهم عندك وتعاير أهل الرعاية والأحداث بالعقوبة من غير تعد عليهم وليكن تقدمك إليهم في ما تنهى عنه قبل العقوبة تبرأ إلى أهل الذمة من معرتهم واعلم أنك مسؤول عما أنت فيه فالله الله يا عمرو فيما أوصيك به – جعلني الله وإياك من رفقاء محمد صلى الله عليه وسلم في دار المقامة وقد كتبت إلى خالد بن الوليد يمدك بنفسه ومن معه فله مدد في الحرب وهو ممن يعرف الله تعالى فلا يخالف وشاوره والسلام عليك

(٢ – باب النهي عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو)

٩٣١ – ذكر فيه مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو

قال مالك وإنما ذلك مخافة أن يناله العدو." (١)

"–١٠ – أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال ، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي ، قال: حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان ، قال: حدثنا عمرو بن خالد ، قال: حدثنا حديج ، قال: حدثنا كنانة ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام ، **والمغبون** من لم يرده ، وإن صحبك أخوك في سفر فحالت بينكما شجرة ، فإن استطعت أن تسبقه بالسلام فافعل»." (٢)

"٥٦٠ – أخبرنا أبوعبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن إسحاق بن عتبة الرازي، قال: حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمان القطان قال حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا حديج قال حدثنا كنانة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الاستذكار ابن عبد البر ٢١/٥

(٢) الثالث عشر من الخلعيات الخلعي /

وسلم: إن أبخل الناس من بخل بالسلام، **والمغبون** من لم يرده وإن صحبك أخوك في سفر، فحالت بينكما شجرة، فإن استطعت أن تسبقه بالسلام فافعل.

٥٦١ – أخبرنا أبوعبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن إسحاق بن عتبة الرازي، قال: حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمان القطان قال حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا حديج قال حدثنا كنانة، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ثلاثة لاينظر الله، تعالى، إليهم يوم القيامة: الملك الكذاب، والشيخ الزان والعائل المختال.." (١)

"باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام (١)

وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم إن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت

وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السري السقطي أنه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم فقال

بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد عقدت عقدا لا أحله لست أبيعه إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بتسعين

قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ فقيل له هذا محمد بن المنكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في

---

(١) الفوائد المنتقاة الحسان للخلعي (الخلعيات) رواية السعدي–مخطوط (ن) الخلعي ٤٣٧/١

البوادي إذا قحطنا

فهذا إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصفا أو واحد على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة

كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره

قيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة

ويقال إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربح من نفقته عليها ليومه ألفا

الثاني في احتمال الغبن والمشتري إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرءا سهل البيع سهل الشراء فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد فقد ورد في حديث من طريق أهل البيت المغبون في الشراء لا محمود ولا مأجور (٢)

وكان إياس ابن معاوية بن قرة قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبي يعني معاوية بن قرة والكمال في أن لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر

---

(١) حديث غبن المسترسل حرام أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا ﴿بدل﴾ حرام

(٢) حديث المغبون في الشراء لا محمود ولا مأجور أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي يرفعه قال الذهبي هو منكر." [١]

"رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يخدع وأعقل من أن يخدع

وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال

---

[١] إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٨٠

فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال إن الواهب يعطي فضله وإن المغبون يغبن عقله

وقال بعضهم إنما أغبن عقلي وبصري فلا أمكن الغابن منه وإذا وهبت أعطي لله ولا أستكثر منه شيئا

الثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرءا سهل البيع سهل الشراء سهل الاقتضاء (١) فليغتنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم اسمح يسمح لك (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله (٣)

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتياني

سامحوا الموسر وانظروا المعسر (٤)

وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منه فتجاوز الله عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وسلم من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة (٥)

وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضي غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه في كل يوم

وقال صلى الله عليه وسلم رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة (٦)

فقيل في معناه إن الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذل الاستقراض إلا محتاج

ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلا بدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده أن ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فأعطه (٧)

وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى المقرض

وروي أن الحسن البصري باع بغلة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا أبا سعيد

قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى فقبض من حقه

مائتي درهم

فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا

وفي الخبر خذ حقك في كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا (٨)

---

(١) حديث رحم الله امرءا سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله

(٢) حديث اسمح يسمح لك أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات

(٣) حديث من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله رواه مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو

(٤) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتياني سامحوا الموسرالحديث رواه مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة

(٥) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة أخرجه ابن ماجة من حديث بريدة من أنظر معسرا كان له كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين

(٦) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة أخرجه ابن ماجة من حديث أنس بإسناد ضعيف

(٧) حديث أومأ إلى صاحب الدين بيده ضع الشطرالحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك

(٨) حديث خذ حقك في عفافالحديث أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حسابا يسيرا وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة." (١)

"فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فأكبر الكبائر الإعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف

ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٨١/٢

وانظر الى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمعاينة

واعلم أن العلم الذي أشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فإن لم يؤثر في الحال أثر في المآل

وأما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره

ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب

فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل **المغبون** وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الإدلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء (١)

كما قال صلى الله عليه وسلم

ولذلك حكي عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول أني أشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي

وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث

ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا

فهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان غافلا في مثل هذا الزمان أن يتركه

فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان العلانية أعداء السر إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أتاك منهم كان عليك رقيبا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلما الى أوطارهم وأغراضهم وحمارا في حاجاتهم إن قصرت في غرض من

أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا

ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة

فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق

فإنك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكأنه يهدي تحفة اليهم ويرى حقه واجبا عليهم

وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الإدرار

ثم إن المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا الى أبواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل

---

(١) حديث آفة العلم الخيلاء المعروف ما رواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الحمال الخيلاء." (١)

"قال الإمام: ورد السلام فرض على الكفاية، والابتداء سنة على الكفاية، وإذا مر قوم على قوم، فسلم واحد منهم كان كافيا، وإذا رد من الآخرين واحد، سقط الفرض عنهم.

ويروى عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام».

وروي عن عمر بن الخطاب، أنه قال: إن مما يصفي لك ود أخيك ثلاثا: «أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه، وأن توسع له في المجلس».

وروي عن أبي هريرة أنه قال: إن أبخل الناس من بخل بالسلام، **والمغبون** من لم يرد، وإن حال بينك وبين أخيك شجرة، فاستطعت أن تبدأ بالسلام، فافعل.

باب التسليم على الصبيان

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢٣٧/٢

٣٣٠٥ - حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المخلدي الأنصاري، نا عبد الله بن." (١)

"والبعوض صغار البق سميت بعوضة كأنها بعض البق ﴿فما فوقها﴾ يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل ﴿فأما الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فيعلمون أنه﴾ يعني: المثل هو ﴿الحق﴾ الصدق ﴿من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أي بهذا المثل فلما حذف الألف واللام نصبه على الحال والقطع ثم أجابهم فقال ﴿يضل به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيرا﴾ الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالا ﴿ويهدي به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيرا﴾ المؤمنين فيصدقونه، والإضلال: هو الصرف عن الحق إلى الباطل. وقيل: هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا هلك ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الكافرين وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها قال الله تعالى: "ففسق عن أمر ربه" (٥٠-الكهف) أي خرج ثم وصفهم فقال:

﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧) كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (٢٩) ﴾

فقال ﴿الذين ينقضون﴾ يخالفون ويتركون وأصل النقض الكسر ﴿عهد الله﴾ أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: "ألست بربكم قالوا بلى" (١٧٣-الأعراف) وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله: "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين" (٨١-آل عمران) الآية وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته ﴿من بعد ميثاقه﴾ توكيده. والميثاق: العهد المؤكد ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل عليهم السلام لأنهم قالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون "لا نفرق بين أحد من رسله" (٢٨٥-البقرة) وقيل: أراد به الأرحام ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ **المغبونون**، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب

﴿كيف تكفرون بالله﴾ بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين ثم ذكر الدلائل فقال ﴿وكنتم أمواتا﴾ نطفا في

---

(١) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ٢٦٣/١٢

أصلاب آبائكم ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام والدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.." (١)

"﴿خذوا﴾ أي قلنا لهم خذوا ﴿ما آتيناكم﴾ أعطيناكم ﴿بقوة﴾ بجد واجتهاد ومواظبة ﴿واذكروا﴾ وادرسوا ﴿ما فيه﴾ وقيل: احفظوه واعملوا به ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، فإن قبلتم وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب لهم عنها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصار سنة لليهود، ولا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم، ويقولون: بهذا السجود رفع العذاب عنا.

﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما قبلتم التوراة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم ﴿لكنتم﴾ لصرتم ﴿من الخاسرين﴾ من **المغبونين** بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة وقيل: من المعذبين في الحال لأنه رحمهم بالإمهال.

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥) فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (٦٦) وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (٦٧) ﴾

قوله تعالى ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ أي جاوزوا الحد، وأصل السبت: القطع، قيل: سمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال، والقصة فيه: أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لأمنها، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فإذا مضى السبت تغرقن ولزمن مقل (١) البحر، فلا يرى شيء منها فذلك قوله تعالى "إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم" (١٦٣-الأعراف) .

ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار، فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض، فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا يسوقون الحيتان إلى (الحياض) (٢) يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل: كانوا ينصبون

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٧٧/١

(١) مقر البحر وأسفله.

(٢) زيادة من (ب) .." [١]

"﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين (١٠٧) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون (١٠٨) لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون (١٠٩) ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٠) ﴾

﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ لا يرشدهم. ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ عما يراد بهم. ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ أي **المغبونون**. ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ عذبوا ومنعوا من الإسلام، فتنهم المشركون، ﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ على الإيمان والهجرة والجهاد، ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد تلك الفتنة والغفلة ﴿لغفور رحيم﴾

نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاعة، وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسيد الثقفي، فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا (١) .

وقال الحسن وعكرمة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة، فاستجاره له عثمان، وكان أخاه لأمه من الرضاعة، فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه، فأنزل الله هذه الآية (٢) .

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ٤ / ٩٧. وهناك أقوال أخرى تجمع على عياش بن ربيعة بين من نزلت الآية فيهم، وذكر بعضهم عمارا رضي الله عنه، ورده ابن عطية. وانظر: الطبري: ١٤ / ١٨٤، الدر المنثور: ٥ / ١٧٢-١٧٣، المحرر الوجيز: ٨ / ٥٢٤-٥٢٥، زاد المسير: ٤ / ٤٩٧-٤٩٨، أسباب النزول ص (٢٣٧) ، روح المعاني للآلوسي: ١٤ / ٢٤٠، البحر المحيط: ٥ / ٥٤٠.

---

[١] تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠٤/١

(٢) أخرجه الطبري عنهما: ١٤ / ١٨٤-١٨٥، وأخرج ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس مثله. الدر المنثور: ٥ / ١٧٢. وانظر: البحر المحيط: ٥ / ٥٤١، زاد المسير: ٤ / ٤٩٨.." [١]

"﴿خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير (٣) يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور (٤) ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم (٥) ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد (٦) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (٧) فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير (٨) يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (٩) ﴾

﴿يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾

﴿ألم يأتكم﴾ يخاطب كفار مكة ﴿نبأ الذين كفروا من قبل﴾ يعني: الأمم الخالية ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيا ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة. ﴿ذلك﴾ العذاب ﴿بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا﴾ ولم يقل: يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحدا فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه وواحده إنسان، ومعناها: ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا! ﴿فكفروا وتولوا واستغنى الله﴾ عن إيمانهم ﴿والله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ في أفعاله. ثم أخبر عن إنكارهم البعث فقال جل ذكره: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل﴾ ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل﴾ يا محمد ﴿بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ وهو القرآن ﴿والله بما تعملون خبير﴾ ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السماوات والأرض ﴿ذلك يوم التغابن﴾ وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد **با لمغبون** من غبن عن أهله ومنازله في الجنة، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ قرأ أهل المدينة." [٢]

"أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (٥٧) فقال من أثبت الخيار بالمغابنة: إن أمضاها عليه أكل المال بالباطل وقد نهت عنه هذه الآية. وقال من أمضى البيع عليه: فإن ذلك عن تراض وقد استثنته هذه

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٤٧/٥

(٢) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٤١/٨

الآية.

وكذلك أيضا تجاذبوا هذا الحديث فقال بعضهم: فإنه –عليه السلام– أثبت له الخيار في بعض طرق هذا الحديث، وذلك يدل على ما قلناه من إثبات الخيار للمغبون، وقال من أمضى عليه المغابنة: لو كان له ذلك بمجرد الغبن ما افتقر إلى الشرط وهو قوله: "لا خلابة"، ورجح من أثبت الخيار مذهبه بما قدمناه في حديث النهي عن تلقي الركبان لأنه –عليه السلام– أثبت للجالب الخيار (٥٨) إذا جاء إلى السوق قالوا: وليس ذلك إلا للغبن، وقد تقدم كلامنا على هذا الحديث في موضعه. وإذا قلنا بإثبات الخيار بالمغابنة فإنما ذلك فيما خرج عن المعتاد منها الذي لا يكاد (٥٩) تسلم منه البياعات، وقد حده بعض أصحابنا بالثلث لأن أكثر ال بياعات لا تكاد تسلم من الغبن اليسير، ولهذا انتصب التجار، وعليه تقع أكثر البياعات فكأن **المغبون** على ذلك دخل. وقد قال بعض الناس: في هذا الحديث دلالة على أن الكبير إذا سفه لا يحجر عليه. وقال بعضهم: هذا لا تعلق لهم فيه، لأنه لا يجب الحجر على **المغبون** وانتزاع ماله من يده إذا كان ممسكا له ولكنه ينهى عن التجارة المؤدية لإضاعة المال (٦٠).

وقوله: "كان الرجل إذا بايع يقول لا خيابة" أشار بعضهم إلى أنه كان ألثغ (٦١) فلهذا غير الكلمة.

---

(٥٧) (٢٩) النساء.

(٥٨) في (ب) "الخيار" ساقط.

(٥٩) "لا يكاد" ساقطة من (ب).

(٦٠) في (ب) "لإضاعته".

(٦١) في (ب) "المنع" وهو تحريف.." [١]

"إن كانا مجهولين أو أحدهما، فهذا التدافع حاصل فمنع لذلك وإن لم يكن ما وقع عليه التبايع فيه الربا.

وقوله في بعض الطرق: "وعن كل ثمر (٧٧) بخرصه" يؤكد ما قلنا في تفسيرها لكن إذا تباين الفضل أنه في أحد الجانبين جاز ذلك فيما يجوز فيه التفاضل ويقدر **المغبون** واهبا للفضل لظهوره له وإذا كانت الأشياء مختلفة ولا مانع يمنع من العقد عليها لم يدخلها التزابن لصحة انصراف الأغراض لاختلاف المعاني في الأعواض (٧٨).

---

(١) المعلم بفوائد مسلم المازري ٢/٢٥٧

وأما قوله: "والمحاقلة (٧٩) أن يباع الزرع بالقمح واستكراء الأرض بالقمح".

هذا الذي وقع في التفسير في هذا الحديث. وبعض أهل اللغة يقول: الحقل اسم للزرع الأخضر، والحقل اسم للأرض نفسها التي يزرع فيها. وفي الحديث: "ما تصنعون بمحاقلكم" أي بمزارعكم. يقال للرجل (٨٠): احقل، أي ازرع. وقال الليث: الحقل الزرع إذا تشعب من قبل أن تغلظ سوقه فإن كانت المحاقلة مأخوذة من هذا فهو من بيع الزرع قبل إدراكه. قال: والحقلة المزرعة. ويقال: لا تنبت البقلة إلا الحقلة. وقال أبو عبيد: هو بيع الطعام وهو في سنبله بالبر، مأخوذ من الحقل، وهو الذي يسميه الناس بالعراق القراح. وقال قوم: هي المزارعة بالجزء مما تنبت الأرض.

قال الشيخ -وفقه الله-: الذي وقع في الحديث من التفسير يجمع

---

(٧٧) في (ب) وفي (ج) "عن كل تمر"، وفي (ب) عوض "بخرصه"، "يخرصه".

(٧٨) في (ب) و (ج) "الأغراض".

(٧٩) "والمحاقلة" ساقطة من (أ).

(٨٠) في (ب) "يقول الرجل" وفي (ج) "تقول".." [1]

"٢٣- أخبرنا عبد الله بن محمد الصريفيني، أنا عمر بن إبراهيم الكتاني، نا أبو سعيد وهو الحسن بن علي العدوي، نا كامل بن طلحة الجحدري، نا أبو هشام القناد قال: كنت أحمل المتاع من البصرة إلى الحسن بن علي عليهما السلام وكان يماكسني فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته ويقول إن أبي -[٨١]- حدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((المغبون لا محمود، ولا مأجور)) .." [2]

"لها فقال (١): "المحاقلة: اكتراء (٢) الأرض بالحنطة" وكذلك قال ابن المسيب (٣).

وقال أبو عبيد (٤): سمعت غير واحد ولا اثنين من أهل العلم قالوا: المحاقلة: بيع الزرع وهو في سنبله بالبر، وهو مأخوذ من الحقل.

وقال الهروي (٥) وغيره (٦): يريد نهى عن بيع الزرع الذي في الحقل، فكنى بالحقل عن الزرع الذي في الحقل، وعلى هذا التفسير فهمه البخاري فبوب عليه (٧)، فقال: "باب بيع الخضر" ثم أدخل هذا الحديث (٨)، وعلى هذا التأويل أكثر العلماء (٩).

---

(١) المعلم بفوائد مسلم المازري ٢/٢٦٢

(٢) ما قرب سنده من حديث أبي القاسم السمرقندي ابن السمرقندي ص/٨٠

وقال ابن حبيب (١٠): "أصل المزابنة: المخاطرة والغرر، والزبن هو الخطار، (١١). وقال غيره: الزبن الدفع، تقول: زبنته الناقة إذا دفعته برجلها، فكأن هذا الضرب من البيع الذي تدخله المزابنة يقع فيه التدافع (١٢).

وقال غيره: معنى ذلك أن كل واحد منهما قد دفع صاحبه إلى الغرر.

---

(١) في حديث الموطأ (١٨٢٨) رواية يحيى.

(٢) في الموطأ: "كراء"، وكذلك في الأصل المنقول منه وهو تفسير الموطأ للبوني.

(٣) في حديث الموطأ (١٨٢٩) رواية يحيى.

(٤) في غريب الحديث: ١/ ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٥) لم نجده في المطبوع من الغريبين، وهو من زيادات المؤلف على نص البوني.

(٦) انظر الاقتضاب في غريب الموطأ: ٧٠/ ب.

(٧) في الجامع الصحيح المسند.

(٨) هو برقم (٢٢٠٧).

(٩) تتمة الكلام كما في تفسير الموطأ للبوني: ٩٤/ أ " لأنه بين الغرر".

(١٠) في تفسيره لغريب الموطأ: الورقة ٧٥ [١/ ٣٧٥] قد اقتبس المؤلف كلام ابن حبيب بواسطة البوني.

(١١) تتمة الكلام كما في شرح الغريب: " ... والخطار من القمار، والقمار من الميسر الذي حرم الله في كتابه".

(١٢) تتمة الكلام كما في تفسير الموطأ للبوني: ٩٤/ أ "كأن المتبايعين إذا وقعا [واحد] منها على الغبن، أراد **المغبون** أن يفسخ البيع، وأراد الغابن أن يمضيه، فتزابنا، أي تدافعا واختصما".." [١]

"غيرهم فأقرع النبي - صلى الله عليه وسلم - بينهم (١) الحديث فأما كيفيتها فليس فيها أثر وإنما سبيلها النظر وكلت إليه وعصبت به لأن المطلوب فيها تمييز الحق والمخوف فيها ثلاثة أشياء الغرر والربا وأكل المال بالباطل فميز الحقوق ان أردت القسمة وخلصها عن هذه العوارض الثلاثة إن أردت أن تكون واقعة على وفق الشرع وعلى هذه الأصول تبنى مسائل القسمة كلها وهي ثلاثة أنواع قسم مهيأة (٢) وهي في المنفعة دون الأعيان وقسمة أعيان وهي على وجهين:

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٩٢/٦

أحدهما: أن تكون بالتراضي بأن يقول أحدهما للآخر خذ أنت هذه العين وآخذ أنا (الأخرى) (٣).
الثاني: وهو الثالث من الأصل أن يقوم المشترك قيمة تحرير وتعديل ثم "يقرر" (٤) على الأجزاء ويعدد على الأقل من السهام ثم يقترع عليها على صفة تؤمن فيها الحيلة والانخداع بأن يكتب اسم المشتركين في الرقاع ثم تطلى بطين أو قار أو شمع ثم يجعلها من لا يدريها على الأعيان فمن وقع على شيء منها اسمه فهو سهمه. وعرضت ههنا مسألة بديعة وهي أن علماءنا قالوا إذا وقع في قسمة التراضي غبن لم يكن فيها رجوع ولو وقع الغبن في قسمة التقويم والإقراع لوجب الارتجاج بناء على أن القسمة هل هي تمييز حق أو عقد بيع وإذا قلنا إنها بيع فالغبن في البيع لا يوجب الرجوع فكيف وجب في القسمة (فتبين أنها لا تكون بيعا بحال لأن المغبون في القسمة) (٥) يقول للآخر أكلت مالي بغير عوض فلي رده وفي البيع لا مقال له لأنه مبني على المغابنة والمكايسة فكيف تكون بيعا وهي أقوى من البيع ولكن الرد فيها إنما يكون من أحد الوجوه الثلاثة المتقدمة ولذلك قال علماؤنا في صفة القسمة إن الأصناف المختلفة لا يجوز جمعها في قسمة الإقراع ولا للنوع الواحد إذا كانت أنواعه مختلفة القسمة كالدور الظاهرة والخفية والثياب الرفيعة والدنيئة وهذا فيه نظر عظيم لأن نص الحديث يرده وهو قوله لأصحاب السفينة فاستهموا على أعلاها وأسفلها وبين

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان باب من أعتق شركا له في عبد (١٦٦٨) وأبو داود (٣٩٥٨) والترمذي في الأحكام (١٣٦٤) والنسائي في الجنائز (١٩٦٠) باب الصلاة على من يحيف في وصيته، وابن ماجة في الأحكام (٢٣٤٥) باب القضاء بالقرعة وأحمد في المسند ٤/ ٤٢٦ و ٤٣١ وشرح السنة ٩/ ٣٥٩.
(٢) قال في القاموس المهيأة الأمر المتهيأ عليه. ترتيب القاموس ٤/ ٥٤٩.
(٣) زيادة الأخرى من ك.
(٤) يقرر الأخرى زيادة من ج.
(٥) زيادة من ك وم.." (١)

"الإسناد، مثله. وليس فى حديثهما: فكان: إذا بايع يقول: لا خيابة.

عليه السلام - أثبت للجالب الخيار إذا جاء إلى السوق، قالوا: وليس ذلك إلا للغبن، وقد تقدم كلامنا

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/٩٣١

على هذا الحديث فى موضعه. وإذا قلنا بإثبات الخيار بالمغابنة، فإنها ذلك فيما خرج عن المعتاد منها، الذى لا يكاد تسلم منه البياعات. وقد حده بعض أصحابنا بالثلث؛ لأن أكثر البياعات لا تكاد تسلم من الغبن اليسير؛ ولهذا انتصب التجار، وعليه تقع أكثر البياعات. فكأن **المغبون** على ذلك دخل.

وقد قال بعض الناس: فى هذا الحديث دلالة على أن الكبير إذا سفه لا يحجر عليه. وقال بعضهم: وهذا لا تعلق لهم فيه؛ لأنه لا يجب الحجر على **المغبون** وانتزاع ماله من يده إذا كان ممسكا له، ولكنه ينهى عن التجارة المؤدية لإضاعته.

وقوله: "كان الرجل إذا بايع يقول (١): لا خيابة ": أشار بعضهم إلى أنه كان ألثغ؛ فلهذا غير الكلمة.

قال القاضى: وهذا الرجل هو حبان بن منقذ بن عمرو الأنصارى، والد يحيى، وواسع بن حبان، شهد أحدا، وقيل: بل هو منقذ أبوه، وكان قد أتى عليه مائة وثلاثون سنة، وكان شج فى رأسه فى بعض مغازيه مع النبى - عليه السلام - على بعض الحصون بحجر مأمومة، تغير منها لسانه وعقله، وذكر الدارقطنى: أنه كان ضرير البصر، وروى أن النبى - عليه السلام - جعل له هذه الثلاث، وكان أكثر مبايعته بالدقيق شهر فيها وتبين غبنه. وقد روى - أيضا - أن النبى - عليه السلام - جعل له مع هذا خيار ثلاثة أيام فيما اشتراه، أو فى كل سلعة ابتعاها.

وقد اختلف الناس فى معنى هذا الحديث، فبعضهم جعله خاصا لهذا الرجل وغيره، وأن المغابنة بين الناس ماضية وإن كثرت وهو قول مالك والشافعى وأبى حنيفة، وقيل: للمغبون الخيار لهذا الحديث إذا كثرت، وإليه ذهب البغداديون من المالكيين وحددوها بالثلاث، وصار الحديث عاما متعديا.

وقد اختلف الأصوليون فى قضايا الغبن، هل تعدى أم تقصر إلا بدليل؟ وقد اختلف المذهب عندنا فيمن يخدع فى البيوع، هل يضرب على يديه أم لا؟ وقال بعضهم: فيه حجة على إمضاء بيع من لا يحسن النظر لنفسه وشرائه ما لم يحجر عليه، وفى مذهبنا فى ذلك وغيره اختلاف معلوم.

وقوله: " ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يخدع فى البيوع "، وفى حديث آخر: " شكا "

---

(١) فى نسخ الإكمال: قال، والمثبت من الصحيحة المطبوعة، ع.." [1]

"ذلك فى بيع العرية بالرطب أو بالتمر، ولم يرخص فى غير ذلك.

٦٠ - (...) حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك عن نافع، عن ابن عمر،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ١٦٥/٥

وأما دخول المزابنة فيه، فلأن أصل الزبن فى اللغة الدفع، ومنه قوله تعالى: ﴿سندع الزبانية﴾ (١) يعنى ملائكة النار؛ لأنهم يدفعون الكفرة فيها للعذاب، ومنه قيل للحرب: ذبون؛ لأنها تدفع بنيها للموت، ومنه قول معاوية: ربما زبنت، يعنى الناقة فكسرت أنف حالبها، يقال للناقة إذا كانت عادتها أن تدفع حالبها عن حلبها: زبون، فكان كل واحد من المتبايعين يزبن صاحبه عن حقه بما يزداد منه، أو إذا وقف أحدهما على ما يكره تدافعا، فحرص على فسخ البيع، وحرص الآخر على إمضائه، وهذا شبيه بتسميته ما يؤخذ عن العيب أرشا، لما فيه من التنازع والخصومة، يقال: أرشت بين القوم تأريشا: إذا أفسدت. وألقيت بينهم الشر، والأرش مأخوذ من التأريش، وإذا ثبت أن هذا أصله، وإذا كانت الأشياء متجانسة انصرفت الأغراض إلى القلة والكثرة، فيقول كل واحد: لعل ما آخذه أكثر فأغبن صاحبى، وهذا لا يرتفع حتى يكونا جميعا معلومين، وأما إن كانا مجهولين أو أحدهما فهذا التدافع حاصل، فمنع لذلك وإن لم يكن ما وقع عليه التبايع فيه الربا. وقوله فى بعض الطرق: " وعن كل تمر بخرصه " يؤكد ما قلنا فى تفسيرها، لكن إذا تباين الفضل أنه فى أحد الجانبين جاز ذلك فيما يجوز فيه التفاضل ويقدر **المغبون** واهبا للفضل لظهوره له، وإذا كانت الأشياء مختلفة ولا مانع يمنع من العقد عليها لم يدخلها التزابن؛ لصحة انصراف الأغراض؛ لاختلاف المعانى فى الأعواض.

قال القاضى: ما فسر به المزابنة فى الحديث هو أحد أنواعها كما ذكر، ونبه بذلك على غيره، كما فسره مالك فى الموطأ من قوله فى المزابنة: إن كل شيء من الجزاف الذى لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده لا يباع بشيء من المكيل أو الموزون أو المعدود، إلى آخر ما ذكره فى الموطأ (٢) من أنواع المخاطرة فى تقرير المبيع من المطعوم وغيره، وقد عقد فيه قبل ما يكفى. قال ابن حبيب: الزبن والمحاقلة الخطر، وقيل: هو من الزبن وهو الدفع، كأنه دفع عن البيع الشرعى وعن معرفة التساوى. ومعنى قوله: " بيع الزرع بالحنطة كيلا "، وكذلك قال فى العنب والزبيب والثمر والتمر والظاهر أن الكيل إنما هو فى أحدهما، وهو الذى يتأتى منه الكيل مما يبس ويقع المخاطر فى الآخر، ولذلك نهى عنه؛ إذ لا يدرى مقدار ما يدفع منه، ألا تراه كيف قال فى الحديث: " إن زاد فلى، وإن

(١) العلق: ١٨.

(٢) ك البيوع، ب ما جاء فى المزابنة والمحاقلة ٢/ ٦٢٥.." (١)

"عتيق الله

٨٣٥- أخبرنا عتيق الله بن أبي العباس بن أبي بكر أبو بكر الميثمي المروزي الحنيفي بقراءتي عليه بمرو أبنا أبو الفضل محمد بن الفضل الأرسابندي أبنا الحاكم الزاهد أبو عمرو محمد بن عبد العزيز القنطري قال ثنا الحاكم الإمام أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أبنا أبو القاسم حماد بن أحمد بن حماد بن رجاء القاضي وأبو عبد الرحمن عبد الله بن محمود السعدي قالا أبنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أحمد الخلال أبنا عبد الله بن المبارك الحنظلي أبو عبد الرحمن ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ. أخبرناه عاليا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي أبنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور وأبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البسري وأبو محمد أحمد بن علي بن الحسن بن أبي عثمان وأبو عبد الله مالك بن أحمد بن علي البانياسي قالوا أبنا أحمد بن محمد بن موسى بن القاسم بن الصلت ثنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي ثنا الحسين بن الحسن المروزي بمكة ثنا عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى قالا ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند فذكر مثله وقال المغبون بالتعريف.

-[٦٧٤]-

أخرجه البخاري عن مكي بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد.." (٢)

"من فوائد وهب بن منبه الغزنوي

أخبرنا الشيخ أبو المعالي وهب بن منبه بن عبد الله الحنيفي الغزنوي، ببغداد، في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وأربع مائة، وبلغني أنه توفي منصرفه من بغداد، إما سنة سبع، أو سنة ثمان، وكذلك عيسى الغزنوي الواعظ الشافعي، رحمهما الله، وقد كتبت أيضا عن أبيه منبه بن عبد الله، وكان منبه من علماء الحنفية وفقهائهم كتب هذا القدر عنه لغرابة اسمه، قال: أنشدنا حامد بن محمد الفمغاني الحنيفي بغزنة للقاضي أبي زيد الدبوسي صاحب الطريقة في الخلاف، وقيل: هو لغيره:

مضيت والحاسد المغبون يتبعني ... إن المنية كأس كلنا حاسي

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ١٧٣/٥

(٢) معجم ابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٧٣/٢

لو كان للناس ضيق في مزاحمتي ... فالموت قد وسع الدنيا على النفس

سمعت وهب بن منبه يقول: وجدت في كتاب بخط بعض أصحابنا بغزنة للقاضي أبي زيد الدبوسي:

علي بغيتم هل أرى لك علة ... فقالوا نعم علم خصصت به جزاء

فإن ألطف الحذاء نعلي دونكم ... فما الذنب مني جاء فأدركتم الحذاء

قال: السلفي رحمه الله: الدبوسي بالتخفيف وهو منسوب إلى موضع لها أعمال ما وراء النهر يقال له: الدبوسي." (١)

"تبارك من يجري على الخلق حكمه ... فليس لشيء منه عنه محيد

يا لله مصرعهم كم فيهم من مجرر ذيل إعجابه متطاول على أصحابه متعاظم على أقرانه وأترابه تجمع له الأماني وترتاح إلى وصله الغواني إن بصر لا يستبصر وإن أمر لا يأتمر وإن زجر لا يكف ولا ينزجر لا يسمع إلا داعي الهوى ولا يستجيب إلا لمن إليه دعا يلهو ويفرح ويمزح ويمرح ويبيت من دنياه مثل ما كان أصبح قد أبدأ في أمره وأعاد وأحكم غيه فأجاد وأشاد من أمله ما أشاد حتى إذا نال مراده أو كاد صاحت به المنية صيحة الغضبان وصدمته صدمة اللهفان فهدت أركانه وكسرت أعضانه وفرقت أنصاره وأعوانه فأصبح قد باع النفيس بالدون وأعطى الثمين بالمثمون ومضى يعض بنانه **المغبون** لم يرح بنائل ولا حصل على طائل فنعوذ بالله من سوء الأقدار وسيء الاختيار

وأنشدوا

جر ذيل التيه والغي ... وقال من مثلي في الحي

ومر يرتاح إلى وصله ... ما شاء من زينب أو مي

لا ينثني عن خوف شيء ولا ... يسمع إلا داعي الغي

وبات من دنياه في مثل ما ... أصبح من نشر ومن طي

حتى إذا ما نال أو كاد أن ... ينال منها جرعة الري

صيح به في سربه صيحة ... ضعضع منه كل ما شي

وإنفذ الأمر على رغمه ... وأنجز الوعد بلا لي

ولم يرح من ذاك إلا بما ... راح الذي يقبض في الفي

---

(١) الرابع والثلاثون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي أبو طاهر السلفي ص/٢٠

تبارك الله وسبحانه ... ما أقرب الموت من الحي ويا لله كم هنالك من ملك طوة يل النجاد رفيع العماد عظيم الأجناد كثير." (١)

"ما تريد العداة مني وإني ... لبحال يرق لي المبغضونا

زفرات هتكن خلب فؤادي ... وهموم قطعن مني الوتينا

خنت عهد المليك قولا وفعلا ... واتخذت الخلاف شرعا ودينا

غرست في الحياة كفي شرا ... فاجتنيت العقاب منه فنونا

ليتني لم أكن وأين لمثلي ... ظالم نفسه بأن لا يكونا

يا خليلي ولا خليل لي اليو ... م سوى حسرة تديم الأنينا

ربح الرابحون وانقضت السو ... ق وخلوا بغبنه **المغبونا**

فابكني إن يكن بكاك مفيدا ... أو فدعني وعصبة يبكونا

وأما الآخر الذي كتب إليه الملك بمثل ما كتب به إلى هذا فإنه أخذ كتاب الملك وقبله وقرأه وتصفحه وتدبره وقال أرى الملك قد كتب إلي بأن أعمل له كذا وكذا وأقضي له كذا وكذا وأنظر له في كذا وكذا ومن أين سبقت لي هذه السابقة عند الملك ومن الذي عني بي عنده ومن الذي أنزلني منه بهذه المنزلة حتى جعلني من بعض خدامه والقائمين بأمره والناظرين في أعماله

والله إن هذه لسعادة والله إن هذه لعناية الحمد لله رب العالمين ثم نظر في الكتاب وقال أسمع الملك وقد قال لي في كتابه وانتظر رسولي فإني سأبعثه إليك ليأتيني بك وأراه لم يحد لي الوقت الذي يبعث فيه الرسول إلي ولا سماه لي ولعلي لا أفرغ من قراءة كتابه إلا ورسوله قد أتاني ونزل علي والله لا قدمت شغلا على شغل الملك ولا نظرت في شيء إلا بعد فراغي مما أمرني به الملك وإعدادي زادا أتزوده ومركوبا أركبه إذا جاءني رسوله وحملني إليه

فتعرض له رجل وقال له لم هذه المسارعة كلها وفيم هذه المبادرة كلها فقال له ويحك أما ترى كتاب الملك بما جاءني أما تسمع ما فيه أما تصدقه." (٢)

"فيا " يوسف " الطلب: ذق مرارة الجب، وكمد الغيابة، وصابر رق البيع، ودار السجن، لعلك تخرج إلى مملكة (اجعلني على خزائن الأرض) دافع ليل البلى، فما أسرع فجر الأجر (أليس على خزائن الأربض)

---

(١) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/٥٢

(٢) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/٧٧

الفقر من الدنيا عدم كله وجود، والغنى فيها وجود كله عدم.

عرضت على نبينا " صلى الله عليه وسلم " بطحاء مكة ذهبا فأبى.

يا " محمد " ممن تعلمت القناعة؟ قال لسان حاله: من عجلة أبي.

كان الرجل من الصحابة يدعى إلى المال حلالا فيقول: لا، لا.

يا معاشر الفقراء: زينوا حلة الفقر بحلية الكتمان، فالفقراء الصبر جلساء الله، اصبروا على عطش الفاقة، فالحرة تجوع ولا تأكل بثدينها، إن سألتم فاسألوا مولاكم، فإن سؤال العبد غير سيده تشنيع على السيد.

يا معاشر الغافلين والواقفين مع الأسباب، إنما المعطي والمانع واحد (فلا تجعلوا لله أندادا) إذا عرضت حاجة فتعرضوا بالمحراب، واكتفوا من السؤال بالخدمة أتشتغلون بنا وننساكم؟ كلا " من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ".

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ... فلقاؤه يغنيك والتسليم

ويحك: إن الفقير الصادق يترك الدنيا أنفة، رآها مقاطعة فقاطع، جاز على جيفة مستحيلة فسد منخر الظرف وأسرع، سلك سبيل القناعة فوقع على كنز ما وجده " الإسكندر " فقلبه أغنى من " قارون " وبيته أفرغ من فؤاد أم " موسى ".

ومن كان في ثوب القناعة رافلا ... أصاب الغنى في الفقر والخصب في المحل

إذا حشر الفقراء يوم القيامة بادروا باب الجنة فتقول لهم الملائكة: قفوا فهذا يوم الحساب، فينفضون أكمام الإدلال من يد المعوق، ويقولون: هل أعطيتمونا شيئا تحاسبونا عليه؟؟

الصبر مثل اسمه في كل نائبة ... لكن عواقبه أحلى من العسل

؟ الفصل الأربعون؟ ذم الحرص على المال يا مشغولا بالعمل للدنيا، والدنيا تعمل فيه، تجمع ما يفرقك، وتوصل ما يمزقك، ويحك: أتبني قصرا وتهدم مصرا؟ إن لم تعرف عيوبها " فاخبر تقهل ".

داء الآدمي الهوى، وعلاجه الحسم، متى استعجل الداء، فالكي أنفع، وما يفيدك من جار السوء التوقي.

المال ماء كلما زاد غرق. قنعت العنكبوت بزاوية البيت فسبق الحريص إليها وهو الذباب، فصار قوتا لها، وصوت بك نذير العبر: رب ساع لقاعد.

ويحك: طلق كواذب آمالك، لتكون وارث مالك. أعظم المغبونين حسرة من نفع كده لغيره. أفضل أعمال البخيل الصدقة لأنه يحارب شيطانين أصغرهما إبليس، وأعظمهما النفس وجنودها، ومن يقوى بأسد الحرص، وكلب الهوى، وخنزير الشره؟؟!.

امدد يديك بالصدقة فإن لم تطق فاكففهما عن الظلم، أطلق لسانك بالذكر، فإن لم تطق فاحبسه عن الغيبة.

كم يقف السائل سائل الدمع على باب الذل لديك فتقول: هذا هذاء.

كلام الجائع عند الشبعان كله هذيان. ويحك: إن الدقة صداق الجنة، فدع جمع الأكياس (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) .

انظر في أخلاق الفقير لا في إخلاقه ... وما ضر نصل السيف إخلاق غمده

إن أعطيت فاحذر منا يتأذى به المعروف. ويحك: كلما عاش أملك مات الفقراء.

كأنني كلما أصبحت أعتبه ... أخط حرفا على صفح من الماء

واعجبا! لمن يجمع الأموال جمع الثريا نفسها، كيف تأتي الأقدار فتفرقه تفريق بنات نعش، يا كدر القلب: آثار كدر باطنك ما تخفى على ناظرك، إن أسرار القلوب تبين ما في وجوده الوجنات.

لو سمعت كلامي بقلبك كان طول الأسبوع نصب عينيك، وإنما تسمعه بأذنك، وفرق بين السامعين: كثر المال على " الصديق " و " ثعلبة " ووقه التفاوت بين " البخل والتخلل ".

وليس كل ذوات المخلب السبع أما حب الدنيا عندك فراسخ، وأما قلبك من الموعظة فعلى فراسخ، وإذا غلب الهوى فمن ينتبه؟ وإذا غاب القلب فمن يحدث؟

إذا كان قلبي موثقا بحبالكم ... وجسمي لديكم كيف أفهم عنكم؟

فإن شئتم أن تعذلوا فتوصلوا ... إلى أن تعيدوا القلب ثم تكلموا

الفصل الحادي والأربعون

إحياء القلوب بالعبرات." (١)

"الحديث الثامن والستون:

سمعت شيخنا أدام الله أيامه، يقول: سمعت ظفر بن علي، يقول: سمعت أبا الفتح محمد بن أحمد بن الحسين المعلم، يقول: سمعت أبا زرعة روح بن محمد البستي، يقول: سمعت الحسين بن علي التميمي، يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن العلاء، يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي، يقول: **المغبون** من عطل أيامه بالبطالات، وسلط جوارحه على الهلكات، ومات قبل إفاقته من الجنايات.." (٢)

---

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/٢٤

(٢) كتاب المسلسلات لابن الجوزي - مخطوط (ن) ابن الجوزي ص/٦٣

"القرشي، قال: حدثني أبو علي الطائي، قال حدثني المحاربي، عن ليث، أن عيسى بن مريم عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها: كم تزوجت؟ فقالت: لا أحصيهم. قال: أو كلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت. فقال عيسى: بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين!

(إلام تغر بالأمل الطويل ... وليس إلى الإقامة من سبيل)

(فدع عنك التعلل بالأماني ... فما بعد المشيب سوى الرحيل)

(أتأمن أن تدوم على الليالي ... وكم أفنين قبلك من خليل)

(وما زالت بنات الدهر تفني ... بني الأيام جيلا بعد جيل)

لله در أقوام تركوا الدنيا فأصابوا، وسمعوا منادى " والله يدعو " فأجابوا، وحضروا مشاهد التقى فما غابوا، واعتذروا مع التحقيق ثم تابوا، وقصدوا باب مولاهم فما ردوا ولا خابوا.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال حدثنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال أنبأنا محمد بن عبد الله الدقاق، أنبأنا ابن صفوان حدثنا أبو بكرالقرشي، أخبرنا محمد بن الحسين، قال حدثني عبد الله بن عثمان، قال حدثني عمار بن عمرو البجلي، قال سمعت عمر بن ذر يقول: لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم، قاموا إلى الله سبحانه وتعالى فرحين مستبشرين بما قد وهب الله لهم من السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم، وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم

من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولى الليل بربح وغبن، فاعملوا لأنفسكم في هذا الليل وسواده، فإن **المغبون** من غبن خير النيا والآخرة، كم من قائم لله تعالى في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته،." (١)

"بن القاسم ، عن صالح المري ، عن أبي عمران الجوني قال: مكتوب في الإنجيل: تعملون الخطايا وتنكرون العقوبة!

يا من معاصيه جمة مشهورة ونفسه بما يجني عليها مسرورة ، أفي العين كمه أم عشى ، أإليك الأمر كما تشاء ، أعلى القلب حجاب أم غشا ، يا كثير المعاصي قعد أو مشى ، عظمت ذنوبك فمتى تقضي ، يا مقيما وهو في المعنى يمضي ، أفنيت الزمان في الخطايا ضياعا ، وساكنت غرورا من الأمل وأطماعا ،

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٣١/١

وصرت في تحصيل الدنيا محترفا صناعا ، تصبح جامعا وتمسي مناعا ، فتش على قلبك ولبك قد ضاعا تفكر في عمرك مضى نهبا ، مشاعا لا في الشباب أصلحت ولا في الكهولة أفلحت ، كم حملت أزرك وزرا ثقيلا ، واجترحت يا بعد صلاح ما جرحت، يا سيء السريرة كم عليك جريرة ، ويحك أتنسى الحفيرة ، أم هي عندك حقيرة ، أيام عمرك قصيرة وتضيعها على بصيرة لقد قطع الأجل مسيرة ولكن على أقبح سيرة ، ذنوبك جمة كثيرة ، وعينك به قريرة ، ما تظلم بها مقدار شعيرة.

قال محمد بن كعب القرظي: إنما الدنيا سوق خرج الناس منها بما يضرهم وبما ينفعهم ، وكم اغتر ناس فخرجوا ملومين واقتسم ما جمعوا من لم يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم فيحق لنا أن ننظر إلى ما نغبطهم به من الأعمال فنعملها وإلى ما نتخوف فنجتنبها.

وقال يحيى بن معاذ: **المغبون** من عطل أيامه بالبطالات وسلط جوارحه على الهلكات ، ومات قبل إفاقته من الجنايات:

(بدت دهياء تنذر بالخطوب ... نلاحظها بأبصار القلوب)

(وقد دل المجيء على ذهاب ... كما دل الطلوع على الغروب)

يا هذا الطالب حييت فبادر ، والفضائل معرضة فثابر ، اترك الهوى محمودا ، قبل أن يتركك مذموما ، إن فاتتك قصبات السبق في الولاية ، فلا تفوتنك." (١)

"كيف تبيت وحدك، ويباشر الثرى خدك، وتقتسم الديدان جلدك، ويضحك المحب بعدك ناسيا عنه بعدك، والأهل مذ وجدوا المال ما ما وجدوا فقدك، إلى متى وحتى متى تترك رشدك، أما تحسن أن تحسن إلينا قصدك، الأمر جد مجد فلازم جدك.

(ذهب الأحبة بعد طول تودد ... ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا)

(خذلوك أفقر ما تكون لغربة ... لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا)

(قضي القضاء وصرت صاحب حفرة ... عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا)

ووجد على قبر مكتوب:

(سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل)

(إذا انقطعت يوما من العيش مدتي ... فإن غناء الباكيات قليل)

إلى متى هذا التخليط والموت بكم محيط، أين الأخ والخليط بادرهما موت نشيط، كيف يلهوا هذا

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ١/١٥١

الشميط، وله أسد مستشيط، عليه وسخ وما يميط لا بل دم عبيط، يا ربما انقبض النشيط، تيقظ فكم هذا الغطيط، اقبل نصحي واسمع من الوسيط، يا ذا التحرك في الهوى لا بد له من سكون. على هذا كانت الدنيا وعليه تكون، لا يغرنك سهلها فبعد السهل حزون، لا تنظر إلى فرحها فكل فرح محزون، تأمل فعلها بغيرك فبغض المقبح يهون، إن روحك دين الممات وستقضى الديون، ما فرحها مستتم ولا ترحها مأمون، ما أضحكت السن إلا وأبكت العيون، إياك وإيا المومس الخثون، إنها لدار الغرور ومنزل للمنون، كم نلوم على الغبن وما يعقل المغبون، مهلا أضعتم المواعظ قلب هذا مفتون، يا لائما لي في الهوى ماذا هوى هذا جنون.

أيها الغافل عما بين يديه لا يذكر الموت ولا يلتفت إليه، شغله عن العواقب ما لديه وألهاه ما له عما عليه:

(يا لقومي للآمل المغرور ... ولجاج لا ينقضي في الصدور)

(ولنفس مخدوعة بالأماني ... ولهم موكل بسرور)." (١)

"طمريه، فقلت له يا أخي وما انتهاء المحبة، فقال: يا ذا النون محبوب بلا انتهاء ومحبته بابتهال محال، فقلت له: يا أخي الزهد في الدنيا طلب للعقبى، أم طلب للمولى؟

فقال: يا ذا النون، الزهد في مخلوق لطلب مخلوق آخر خسران، وإنما يصلح الزهد في الدنيا المخلوقة لطلب المولى الخالق.

يا ذا النون، صغرت همة عبد رضيت من محبوب قديم بجنة مخلوقة. إنما معنى الزهد: التجنب عن الأغيار، وتتبع الأخيار، ومشاهدة الآثار لوجود الملك الجبار، فمن طلب الأغيار، فمطلوبه مشهوده، ومن طلب الجبار، فمطلوبه محبوبه، فالمخلوق إذا رضي بمخلوق مثله، فالمشاكلة مقصودة.

يا أخي ذا النون: الدون كل الدون والمغبون كل المغبون من هجر لذة الكرى والهوى، وأبغض طيب الدنيا، ثم رضي بدون المولى، وكد نفسه وهجر دنياه، رهبة أن تكون النار مثواه، أو رغبة أن تكون الجنة مأواه.

فقلت له: يا أخي: تصبرون في هذه الفيافي والمهالك المقحطة بلا زاد؟.

فغضب، وقال: يا بطال، ما هذا الاعتراض على من لم يطلعك على حاله، ولا يأتمنك على سره، أما أمرنا في حال المأكول والمشروب، فهكذا، فوكز برجله اليمنى الأرض، فإذا بعين من سمن وعسل، فأكل وأكلت معه، ثم وكز الأرض برجله اليسرى فإذا بعين من الماء أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، فشرب وشربت

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ١٩٦/٢

معه، ورد الرمل عليهما، فعادت الأرض كما كانت، كأن لم يكن بها شيء قط، ثم ولى عني وتركني، فبقيت باكيا، ومما عاينت متعجبا، رضي الله عنه ونفعنا بأمثاله.." (١)

"واصبا حتى قد محا المحاجر متى تطرق طريقهم قبل طروق الطوارق

هذا ذئب السقام قد عوى للعوائق يا من أعماله فيما خلا للخلائق كم داواك الطبيب وكم رقا بالرقايق أين من ربا في الربى ونما بين النمارق أبرزهم حادي الموت لما حدا من الحدايق وأمال مستقيمهم فالتوى فهل من هذا التوى أنت واثق ويحك إن الدنيا سراب مخلف فإن وجد شراب اعطش أزدهت فدهت على أنها تذم وتضم كم عقدت لمحبها عقد عهد فلما حلت عنده حلت إنها لعجوز وهي في عينك كالقمر وقد قمر هواها قلبك فما أبقى منه إلا قلب قمر للشريف الرضى

(شرت الفؤاد رخيصة أعلاقه ... ومضى يعض بنانه **المغبون**)

أفنيت عمرك في طلبها وما حصل بيدك منها إلا ما حصل بيد قيس من ليلى

(صحا كل عذري الغرام عن الهوى ... وأنت على حكم الصبابة نازل)

ول الدنيا ظهرك تنص الآخرة لك نقابها تعر عن الدنيا تعز وخذ قدر البلغة وجز تفز إلى متى زنبيل حرصك على كاهل همتك وأنت تسعى في مزابل طمعك تحش وقود الحطام لنار هواك وقد أقمت موقدا من الشره لا يفتر أما علمت أنه كلما ترقى دخان أتون الهوى في برابخ الحس سود وجه القلب أنت في جمع الحطام نظير الزبال وفي فعل الخير غلام الخبال عالم الهمم مختلف الأجناس هذا الشفنين لا يقرب غير زوجته أبدا فإن ماتت لم يتزوج أبدا وكذلك الأنثى والدجاجة مع أي ديك كان

كلامي يدور حول ستور سمعك وموانع الهوى تحجبه أن لا يصل فلو قد وصل إلى القلب أثر عضت رجلا حية فلم يعلم أنها حية فلم." (٢)

"التوبة طول الأمل وعلامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة والمحاسبة للنفس عند كل همة

سمعت ظفر بن علي الهمداني يقول سمعت أبا الفتح محمد بن أحمد المعلم يقول سمعت أبا زرعة روح بن علي البستي يقول سمعت الحسن بن علي التميمي يقول سمعت علي بن محمد بن العلاء يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول **المغبون** من عطل أيامه بالبطالات وسلط جوارحه على الهلكات ومات قبل إفاقته من الجنايات

---

(١) بحر الدموع ابن الجوزي ص/٨٧

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/١٩٥

أخبرنا محمد بن عبد الملك قال أنبأنا أحمد بن الحسن بن خيرون قال سمعت أحمد بن عبد الله الحربي يقول سمعت أبا بكر النجاد يقول من نقر على الناس قل أصدقاؤه ومن نقر على ذنبه طال بكاؤه ومن نقر على مطعمه طال جوعه

أخبرنا ابن ظفر قال أنبأنا ابن السراج قال أنبأنا الأزجي قال حدثنا ابن جهضم قال حدثنا المفيد قال حدثنا عبد الله بن سهل عن مضر بن جرير قال دخلت على أبي الحجاج الجرجاني يوما فكلمته فلم يكلمني فقلت له أنت في حرج إن كان عندك علم إلا ما علمتني

فقال لي عصيت الله عز وجل بمعصية قلت نعم قال كتبت عليك ورفعت إلى الله عز وجل قلت نعم قال علمت أنه غفرها قلت لا قال فما قعودك وسكوتك اذهب فابك على نفسك أيام الحياة حتى تعلم ما حالك عنده في هذه المعصية قال ثم بكى مضر على هذه ثلاثين سنة خوفا حتى مات

أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا أبو بكر الشيرازي قال أنبأنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا علي الروذبادي يقول من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح في الهفوات." (١)

"ألا يا حمام الطلح إن كنت باكيا ... فملآن فاهتج إنني قد أنى ليا

فيا أخوي حزم ألما هديتما ... على حاضري الريان ثم اذكرانيا

وله

وإني لمجنون بليلى موكل ... ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا

إذا ذكرت ليلى بكيت صبابة ... لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

ويروى له في أخرى

أيا حرجات الحي يوم تحملوا ... بذي سلم لا جادكن ربيع

إلى الله أشكو أنه شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي أمس جمع

فإن انهمال العين يا ليل كلما ... ذكرتك وحدي خاليا لسريع

فلو لم يهجني الظاعنون لهاجني ... حمائم ورق في الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذا ... هوى نوائح ما تجري لهن دموع

لعمرك إني يوم جرعاء مالك ... لعاص لأمر الراشدين مضيع

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٢١٧

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

ندمت على ما كان مني فقدتني ... كما يندم المغبون حين يبيع

فقدتك من نفس شعاع فإنما ... نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقربت لي غير القريب وأشرفت ... مناك ثنايا ما لهن طلوع

وله

يقر بعيني قربها ويزيدني ... بها عجبا من كان عندي يعيبها

فكم قائل فيكم قريب عصيته ... وتلك لعمري توبة لا أتوبها

فيا نفس صبرا لست والله فاعلميه ... بأول نفس غاب عنها حبيبها." (١)

"وقلعت فص خاتم في يدها تحته سم ساعة فمصته ثم اعتنقت أبرويز ولفت عليه يديها ورجليها حتى ماتت

فلما أبطأت على الحواضن والخدم صاحوا بها فلم تجب فدخلوا فوجدوها ميتة معانقة لأبرويز فرجعوا فأخبروا شيرويه فندم ندامة لا توصف وجعل يأكل أصابعه على صنيعها

قلت وقد سبق في باب الحيل والمخاطرات ذكر جماعة قتلوا أنفسهم بسبب العشق فلم نر إعادة ذكرهم فصل فانظر وفقك الله إلى ما صنع العشق بهؤلاء المغبونين من بين قاتل لنفسه وقاتل لغيره

فأما قتل الغير فقد قال الله عز وجل ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ وقال ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الموبقات فعد منهن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأما قتل النفس فقد قال الله تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾." (٢)

"تذكره بأمر هو فيك فما ظنك بربك إذا ذكرت أخاك بأمر هو فيك؟ ولعلك تذكره بأمر، فيك أعظم منه، فذلك أشد استحكاما لمقته إياك، ولعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه فهذا جزاؤه إذ عافاك. أما سمعت: ارحم أخاك واحمد الذي عافاك؟

الحسين بن عبد الرحمن قال: كان ابن السماك يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٤٠٦

(٢) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٥٨٠

مرارتها لتجافيه عنها.

أبو الحسين علي بن الحسين الفقيه قال: سمعت عبد الله بن محمد بن السماك يقول: سمعت أبي يقول: إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبه وأعطي حاجته فهو متأهب مبادر، فافعل فإن **المغبون** من لم يقدم من ماله شيئا ومن نفسه لنفسه.

أبو جعفر الربعي قال: لما حضرت ابن السماك الوفاة قال: اللهم إني وإن كنت أعصيك لقد كنت أحب فيك من يطيعك.

أسد بن السماك عن عدة من التابعين منهم: إسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وهشام بن عروة، وروى عنه عن الأئمة حسين الجعفي، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن حنبل، وهو كوفي لكنه قدم بغداد فمكث بها مدة ثم عاد إلى الكوفة فتوفي فيها سنة ثلاث وثمانين ومائة.." (١)

"١٣ - حدثنا أبو المعالي، وأخوه أبو محمد الحسين بن عبد الواحد بن الحسن بن معالي المقرئان، والرئيس أبو المعالي بن أبي أيوب، قالوا: ثنا أبو شجاع، إملاء، أنبا أبو الحسن أحمد بن محمد البزار، أنبا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى، ثنا أبو القاسم البغوي، ثنا أبو يحيى كامل بن طلحة الجحدري، عن أبي هاشم القناد البصري، قال: كنت أحمل المتاع من البصرة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه فكان يماكسني فيه لعلني لا أقوم من عنده حتى يهب عامته، قلت: يابن رسول الله أجيئك بالمتاع من البصرة تماكسني فيه فلعلي لا أقوم حتى تهب عامته، فقال: إن أبي، حدثني أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**المغبون** لا محمود ولا مأجور»." (٢)

"لحاجته فغدا بهم إليكم لا أرى قضاء حاجته عوضا من بذل وجهه فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة

١١٤ - أخبرنا يوسف أخبرنا محمد أخبرنا الحسن أخبرنا محمد أخبرنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا محمد بن المسيب قال سمعت عبد الله بن خبيق يقول

قال عبيد بن عمير [سريع] ما تاقت النفس إلى شهرة ألذ من حب صديق أمين من فاته ود أخ صالح فذلك **المغبون** حق الغبين

١١٥ - قال الحسن وأخبرنا هلال بن محمد حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن إسحاق السوطي

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ١٠٢/٢

(٢) جزء العبدي أبو الحسن العبدي ص/١٤

حدثنا عبد الله بن علي بن الحسن السراج حدثنا عبد الله بن محمد بن عامر حدثنا أبي حدثنا علي بن موسى الرضا قال حدثنا أبي موسى عن أبيه جعفر عن أبيه علي عن أبيه الحسين

عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من المروءة ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر فأما اللاتي في الحضر فتلاوة كتاب الله وعمارة مساجد الله واتخاذ الإخوان في الله وأما اللاتي في السفر فبذل الزاد وحسن الأخلاق والمزاح في غير معاصي الله

١١٦ - وقال معاوية رحمه الله المروءة في ثلاث العفاف في المال أو إصلاح المال وحفظ الإخوان وعون الجار." (١)

"لا يطلب ربحا؛ إلا بعد إحراز رأس ماله» .

وكتب أبو بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- إلى عمرو بن العاص: «أما بعد، فقد جاءني كتابك، يذكر ما جمعت الروم من الجموع، وإن الله -عز وجل- لم ينصرنا مع نبينا - صلى الله عليه وسلم - بكثرة عدد، ولا بكثرة خيل، ولا سلاح، ولقد كنا ببدر، وما معنا إلا فرسان، وإن نحن إلا نتعاقب الإبل، وكنا يوم أحد، وما معنا إلا فرس واحد، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يركبه، ولقد كان الله -عز وجل- يظهرنا، ويعيننا على من خالفنا، فاعلم يا عمرو، أن أطوع الناس لله -عز وجل- أشدهم بغضا للمعصية، ومن خاف الله -عز وجل- ورعه خوفه عن كل ما فيه معصية، فأطع الله -تعالى-، وأمر أصحابك بطاعته؛ فإن **المغبون** من حرم طاعة الله -تعالى-، واحذر على أصحابك البيات، وإذا نزلت منزلا فاستعمل على أصحابك أهل الجلد والقوة؛ ليكونوا هم الذين يحرسونهم ويحفظونهم، وقدم أمامك الطلائع، حتى يأتوا بالخبر، وشاور أهل الرأي والتجربة، ولا تستبد برأيك دونهم، فإن في ذلك احتقارا للناس، ومغضبة لهم، فقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشاور أصحابه في الحرب، وإياك والاستهانة بأهل الفضل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقد عرفت وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأنصار عند موته حين قال: «أحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم» (١) ، فقربهم منك وأدنهم، واستشرهم، وأشركهم في أمرك،

= ذكر الجاحظ في «البيان والتبيين» (٢/٢٦٨) ، وابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/١٨٨) ، والقلعي في «تهذيب الرياسة» (ص ٢٤٠) ، أنه قال في وصية له لقائد في مقدم جيش مضى إلى بلاد الروم: «إنك

---

(١) المتحابين في الله موفق الدين ابن قدامة المقدسي ص/٨٢

تاجر الله لعباده. فكن كالمضارب الكيس، إن رأيت ربحا لا يشك فيه اتجرت، وإلا احتفظت برأس المال، لا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة» .

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم») (رقم ٣٧٩٩ و ٣٨٠٠ و ٣٨٠١) بأطول من هذا.

وأخرجه في كتاب الجمعة (باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد) (رقم ٩٢٧) .

وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل الأنصار –رضي الله عنهم–) (رقم ٢٥١٠) .." (١)

"ففعل الفتى ذلك فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير له لونه فرجع منه محموما إلى أهله.

فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه فقال له: أي بني! أنت عندنا عن قليل والأمر بآخره والموت أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحيلك وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم ولا تغتر بما اغتر به المبطلون قبلك من طول آمالهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما وافى به **المغبونون** مليكهم يوم القيامة أي بني فبادر ثم بادر ثم بادر.

قال عبيد الله بن صدقة: قال الشيخ الذي حدثني بهذا الحديث: فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلته من هذه الرؤيا فقصها علينا وقال: ما أرى الأمر إلا كما قال: أبي ولا أرى الموت إلا قد أظلني قال: فجعل يفرق ماله ويقضي ما عليه من الدين ويستحل خلطاءه ومعامليه ويحللهم ويسلم عليهم ويودعهم ويودعونه كهيئة رجل قد أنذر بأمر فهو يتوقعه.

وكان يقول: قال أبي: فبادر ثم بادر ثم بادر فهذه ثلاث فهي ثلاث ساعات قد مضت فليست بها أو ثلاثة أيام وأنى لي بها أو ثلاثة أشهر وما أراني أدركها أو ثلاث سنين فهو أكثر من ذلك وما أحب أن يكون ذلك كذلك.

قال: فلم يزل يعطي ويقسم ويتصدق ثلاثة أيام حتى إذا كان في آخر اليوم الثالث من صبيحة هذه الرؤيا دعا أهله وولده فودعهم وسلم عليهم ثم استقبل القبلة فمدد نفسه وأغمض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم

---

(١) الإنجاد في أبواب الجهاد ابن المناصف ص/١٤٢

مات رحمه الله تعالى.

قال: فمكث الناس حينا ينتابون قبره من الأمصار فيصلون عليه.." [١]

"إشتر العز بما بي ... ع فما العز بغالي

بالقصار الصفر إن شئ ... ت أو السمر العوالي

ليس **بالمغبون** عقلا ... مشتر عزا بمال

إنما يدخر الما ... ل لحاجات الرجال

أبو العلاء الأسدي:

ورب كريم تعتريه كزازة ... كما قد رأيت الشوك في أكرم الشجر

ورب جواد يمسك الله جوده ... كما يمسك الله السحاب عن المطر

أبو بشر النحوي:

وإني لأكره من شيمتي ... زيارة حي بلا منفعه

ولا أحمد القول من قائل ... إذا لم يكن منه فعل معه

ومن ضاق صدرا بإكرامنا ... فلسنا نضيق بأن نقطعه

الصاحب بن عباد:

إذا أدناك سلطان فزده ... من التعظيم وانصحه وراقب

فما السلطان إلا البحر عظما ... وقرب البحر محذور العواقب

وقال آخر:

إذا ما العصا كانت على كل حالة ... تزيد اعوجاجا ما لها من يقيمها

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمها

أحمد بن بندار:

وقالوا يعود الماء في النهر بعدما ... عفت منه آثار وخفت مشارعه

فقلت إلى أن يرجع الماء عائدا ... ويعشب شطاه، تموت ضفادعه

تاج الدولة بن عضد الدولة:

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه ... وأعقب بالحسنى من الحبس والأسر

---

(١) التوابين لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ص/٩١

فمن لي بأيام الهموم التي مضت ... ومن لي بما أنفقت بالحبس من عمري

وقال آخر:

إن من السؤال والاعتذار ... خطة صعبة على الأحرار

ليس جهلا بها تجشمها ال ... حر ولكن سوابق الأقدار

أرض للسائل الخضوع ولل ... مقارف ذنبا غضاضة الاعتذار

وقال آخر:

إذا رأيت أخا في حال عسرته ... مواصلا لك، ما في وده خلل

فلا تمن له أن يستفيد غنى ... فإنه بانتقال الحال يتتقل

أبو الطيب:

أرى كلبا يبغي الحياة لنفسه ... حريصا عليها مستهاما بها صبا

فحب الجبان النفس أورثه البقا ... وحب الشجاع النفس أورثه الحربا

ويختلف الرزقان والفعل واحد ... إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

وقال أيضا:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته ... فأصبح في شيء من الشك مظلم

وما كل هاو للجميل بفاعل ... ولا كل فعال له بمتيم

وأحسن وجه في الورى وجه محسن ... وأيمن كف فيهم كف منعم

لمن يطلب الدنيا إذا لم يرد بها ... سرور محب أو إساءة مجرم

وقال أيضا:

وشبه الشيء منجذب إليه ... وأشبهنا بدنيانا الطغام

ولو لم يعل إلا ذو محل ... تعالى الجيش وانحط القتام

ولو حيز الحفاظ بغيرعقل ... تجنب عنق صيقله الحسام

وقال أيضا:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم

ومن البلية عذل من لا يرعوي ... عن جهله وخطاب من لا يفهم

ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضر ويألم

أبو العتاهية:

ألم تعلمي أن الغنى يجعل الفتى ... سنيا وأن الفقر بالمرء قد يزري

فما رفع النفس الوضيعة كالغنى ... ولا وضع النفس الرفيعة كالفقر

صاحب الكتاب في المعنى:

لله در المال كم من خامل ... أضحى به علما من الأعلام

يكسو الدني من الرجال مهابة ... ويزين لفظ الألكن التمتام

وفخار ذي الإقتار زور والعلى ... بسوى الغنى عقد بغير نظام

وقال غيره في المعنى:

لا بد للعاقل من زلة ... تحط عند الناس من قدره

واحدة تربي على كل ما ... يزله الجاهل في عمره

وقال أيضا:

ذهب الأولى كنا بهم ... نعصي الخطوب ولا نطيع

وإذا الأصول وهت فلا ... تعجب إذا وهت الفروع

وقال أيضا:

دع الناس أو سسهم ببرك والجفا ... إذا أنت ام تفعل وعرفك النكر

فليس كمال المرء بالخير وحده ... إذا لم يكن في المرء سيء من الشر

باب

أبيات الأمثال المفردة

الله أنجح ما طلبت به ... والبر خير حقيبة الرجل." (١)

"وما لا تراه العين لا يوجع القلبا

وفي دنوك أخشى العار والنارا

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/٣٥

فالأرض من تربة والناس من رجل

ما غبن **المغبون** مثل عقله

لا علم لي أن بعضي بعض أعدائي

والزرع ما تحصد لا ما تزرع

وليس لعظم هاضه الله جابر

ويعرف فضل الشمس عند مغيبها

والحر يصبر خوف العار للنار

دية الذنب عندنا الاعتذار

والحر يعذر من بالحق يعتذر

والشيء بعد عزه يهون

وكل مصعدة يوما ستنحدر

كل امرئ محتطب في حبله

وكل جان يده إلى فمه

وكل عزيز في السؤال ذليل

وإذا القريب جفاك فهو بعيد

فصل

المزدوج

لله أسرار من التدبير ... يحار فيها بصر البصير

يا رب من أسخطنا بجهده ... قد سرنا الله بغير حمده

الحر يلحى والعصا للعبد ... وليس للملحف غير الرد

والكلب قد يحتمل الملامة ... ما دام من ضربك في سلامة

يا قارع الباب على عبد الصمد ... لا تقرع الباب فما ثم أحد

عند الصباح يحمد القوم السرى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى

أين مفر المرء من أمر قدر ... هيهات لا ينفعه طول الحذر

حتى متى يلعب ليت شعري ... سال بك السيل ولست تدري

قد صدق القائل إن المبتلى ... لا يعدم الدهر الطويل الأجلا

لا تدع الفرصة في يوم لغد ... في كل يوم عارض من النكد

هي المقادير فلب أو فذر ... إن كنت أخطأت فما أخطا القدر

إليك إن حملتني ما لم أطق ... ساءك ما سرك مني من خلق

إذا تمنى أحمق أمنيه ... يحسبها كائنة مقضيه

من لك بالمحض وليس محض ... يخبث بعض ويطيب بعض

إن الشباب والفراغ والجده ... مفسدة للدين أي مفسده

ما تطلع الشمس ولا تغيب ... إلا لأمر شأنه عجيب

العذر ذل في الوفاء عز ... والصدق في بعض الأمور حرز

خل من قل خيره ... لك في الناس غيره

كم نعيم نعمته ... غير أني عدمته." (١)

"وقوله: "وحدثنا زيد بن ثابت أنه أرخص في العرايا" فيه إشارة إلى أنه استثنى ذلك عن بيع الرطب بالتمر تخفيفا ورخصة، ويوضحه أن في رواية الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم: لا تبيعوا الثمر بالتمر.

قال: وأخبرني عبد الله عن زيد بن ثابت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رخص بعد ذلك في بيع العرية.

وعد استثناء العرايا من بيع الرطب بالتمر كاستثناء السلم من بيع ما ليس عند الإنسان.

وقوله: "بعت ما في رءوس نخلي بمائة وسن " أي من التمر إن زاد ما حصل منه فهو لهم وإن نقص فعليهم، ولما سأل ابن عمر عنه بين رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نهى عن ذلك، إلا أنه أرخص في العرايا وليس الصورة صورة العرايا لكثرة القدر، وبيع الرطب على رأس النخل بالثمر على وجه الأرض يسمى "مزابنة" على ما بين التفسير في حديث جابر، واللفظة مأخوذة من الزبن وهو الدفع، ومهما ظهر غبن في العقد سعى المغبون في فسخه والغابن في إمضائه، فيتزابنان أي: يدفع كل واحد منهما الآخر عما يرومه، وتقدير ما على رأس الشجر إنما يكون بالخرص وهو حدس وتخمين يكثر فيه الغلط ويظهر الغبن فخص لذلك باسم المزابنة، وقيل: الزبن: الغبن، وبيع المزابنة: بيع المغابنة فيما لا يجوز فيه الغبن

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/٤٤

والزيادة لكونه ربا.

ولو باع على رأس الشجر بجنس آخر على وجه الأرض فلا بأس، لأنه لا يشترط المماثلة حينئذ، وقبض ما على رأس الشجر يكون بالتخلية وقبض ما على وجه الأرض بالنقل، والعرايا المستثناة عن مطلق بيع الرطب بالتمر، وعن بيع الرطب على رأس النخيل بالتمر." (١)

"وفي الحديث تنبيه ودليل بالإخبار الصحيح على محل هذين الصفتين، وعظم شأنهما، وجلالة خطرهما، إذ لا يتوصل إلى رئاسة الدنيا وسعادة الآخرة إلا بهما، لكن إذا صرفا في الطاعة، **فالمغبون** من غبن صحة جسمه، وفراغ قلبه، وأكثر الناس يغبن فيهما باغترارهم بدوامها، ويغفلون عن اغتنامها، ولا تستطاع مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة إلا بهما، فقد أبلغ صلى الله عليه وسلم لأمته في النصيحة، وأوجز في اللفظ بلغته الفصيحة، وفي هذا الحديث كفاية لمن كان له قلب وفقه، وهمته شريفة، ونيته صادقة صحيحة.

هذا الشيخ سمع أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي، وأبا الخطاب نصر بن أحمد بن البطر القارئ، وأبا الحسن علي بن الحسين بن أيوب البزار، وأبا الفتح عبد الواحد بن علوان بن قيس الشيباني، وغيرهم، مولده سنة سبعين وأربعمائة بالحربية، غربي مدينة السلام بغداد، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.." (٢)

"ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحا

قالوا يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات قال أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن

رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم كلهم عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه

قال الحافظ لم يسلم وأبو سلمة الجهني يأتي ذكره

وروى هذا الحديث الطبراني من حديث أبي موسى الأشعري بنحوه وقال في آخره قال قائل يا رسول الله إن **المغبون** لمن غبن هؤلاء الكلمات

قال أجل فقولوهن وعلموهن فإنه من قالهن وعلمهن التماس ما فيهن أذهب الله كربه وأطال فرحه

(١) شرح مسند الشافعي الرافعي، عبد الكريم ٢/٤٢٥

(٢) مشيخة أبي المنجى ابن اللتي ابن اللتي ص/٣٩٢

٢٨٠٧ - وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلمات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله

رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه

وزاد في آخره لا إله إلا أنت

٢٨٠٨ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب

رواه أبو داود واللفظ له والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي كلهم من رواية الحكم بن مصعب وقال الحاكم صحيح الإسناد

٢٨٠٩ - وروي عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله قبل كل شيء ولا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء عوفي من الهم والحزن

رواه الطبراني

٢٨١٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم

رواه الطبراني في الأوسط والحاكم." (١)

"١٦٣- باب ما يقول إذا أصابه هم أو حزن:

٦٧٥- روينا في "كتاب ابن السني" [رقم: ٣٤١] ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات، يقول: اللهم أنا عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، في قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم نور صدري، وربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همي" فقال رجل من القوم:

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٢/٣٨٣

يا رسول الله! إن **المغبون** لمن غبن في هؤلاء الكلمات؛ فقال: "أجل، فقولوهن وعلموهن، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه، وأطال فرحه"؛ والله أعلم.." (١)

"(باب ما يقول إذا أصابه هم أو حزن)

٣٥٥ - روينا في كتاب ابن السني، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات، يقول: اللهم أنا عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، في قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدري، وربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همي، فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن **المغبون** لمن غبن في هؤلاء الكلمات، فقال: " أجل فقولوهن وعلموهن، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه، وأطال فرحه " (١) .

(باب ما يقوله إذا وقع في هلكة)

٣٥٦ - روينا في كتاب ابن السني عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا علي ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتها؟ " قلت: بلى، جعلني الله فداك، قال: " إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء " (٢) .

قلت: الورطة بفتح الواو وإسكان الراء: وهي الهلاك.

(باب ما يقول إذا خاف قوما)

٣٥٧ - روينا بالإسناد الصحيح في سنن أبي داود، والنسائي، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوما قال: " اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم ".

---

(١) رواه ابن السني في " عمل اليوم والليلة "، باب ما يقول إذا أصابه هم أو حزن رقم (٣٣٤) وقال الحافظ

---

(١) الأذكار للنووي ط ابن حزم النووي ص/٢٣٥

بعد تخريجه: حديث غريب، وقد ذكر ابن السني عقب حديث أبي موسى المذكور هنا عن عبد الله بن مسعود نحوه، وحديث ابن مسعود أثبت سندا وأشهر رجالا، وهو حديث حسن، وقد صححه بعض الأئمة. قال الحافظ في تخريج الأذكار: فعجبت من عدول الشيخ - يعني النووي - عن القوي إلى الضعيف.
أقول: وحديث ابن مسعود رواه أحمد في المسند رقم (٣٧١٢) وابن حبان في صحيحه رقم (٢٣٧٣) موارد والحاكم وصصحه في مجمع الزوائد ١٠ / ١٣٦ ونسبه لأحمد وأبي على والتراز.
(٢) رواه ابن السني في " عمل اليوم والليلة " رقم (٣٣١) باب ما يقول إذا وقع في ورطة، وإسناده ضعيف. وقال الحافظ بعد تخريجه من طريق الطبراني في كتاب الدعاء: هذا حديث غريب.
(*)."[1]

"بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون" وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه. قال الترمذي: حديث حسن.

٨٠ . باب ما يقول إذا أصابه هم أو حزن

[١/ ٣١٧] روينا في كتاب ابن السني، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات، يقول: أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك في قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك؛ أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدري، وربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همي. فقال رجل من القوم: يا رسول الله! إن **المغبون** لمن غبن هؤلاء الكلمات، فقال: أجل فقولوهن وعلموهن، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه، وأطال فرحه".

٨١ . باب ما يقوله إذا وقع في هلكة

[١/ ٣١٨] روينا في كتاب ابن السني، عن علي رضي الله عنه قال:

---

[٣١٧] ابن السني (٣٣٤)، وقال الحافظ ابن حجر بعد تخريجه: حديث غريب، وقد ذكر ابن السني

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/١٢٣

عقب حديث أبي موسى المذكور هنا عن عبد الله بن مسعود نحوه، وحديث ابن مسعود أثبت سندا وأشهر رجالا، وهو حديث حسن وقد صححه بعض الأئمة .. فعجبت من عدول الشيخ عن القوي إلى الضعيف. الفتوحات ٤/ ١٣. ومعنى "جلاء حزني": إزالته وكشفه.

[٣١٨] ابن السني (٣٣١) وقال الحافظ ابن حجر: هذا حديث غريب، وفي سنده عمرو بن بشر وهو ضعيف، اتفقوا على توهينه. الفتوحات ٤/ ١٤،١٥.." [١]

"٢٤٥٢ - وعن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من كثر همه، فليقل: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، وفي قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو ألهمت عبادك، أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وجلاء همي وغمي. ما قالها عبد قط إلا أذهب الله غمه، وأبدله فرحا)). رواه رزين. [٢٤٥٢]

٢٤٥٣ - وعن جابر، قال: كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا. رواه البخاري.

٢٤٥٤ - وعن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كربه أمر يقول: ((يا حي يا قيوم! برحمتك أستغيث)). رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، وليس بمحفوظ. [٢٤٥٤]

الحديث الثالث عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه الشيخ محيي الدين عن ابن السنى عن أبي موسى الأشعري، وزاد فيه زيادات وتغييرات، وفي آخره: ((قال رجل: يا رسول الله! إن **المغبون** لمن غبن هؤلاء الكلمات، فقال: أجل، فقولوهن وعلموهن، فإن من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالي حزنه، وأطال فرحه)).

قوله: ((هو لك)) مجمل، ويفصله ما يعقبه منسوقا بـ ((أو)) التنويعية علي سبيل التقسيم الحاصر، فينبغي أن يحمل قوله: ((سميت به نفسك)) علي أنك وضعت ألفاظا مخصوصة، وسميت بها نفسك، وألهمت عبادك بغير واسطة، فيكون من سماه الأمم المختلفة الفائتة للحصر بلغات مختلفة من هذا النوع. وقوله: ((أو أنزلته في كتابك)) علي جميع ما سمى به في الكتب المنزلة، وأفرد الكتاب، وأراد به الجنس، وقد تقرر في موضعه أنه أشمل من الجمع. وقوله: ((أو استأثرت)) به أي انفردت، محمول علي أنه انفرد به بنفسه، ولا ألهم أحدا ولا أنزل في كتاب.

---

(١) الأذكار للنووي ت مستو النووي ص/٢١٧

قوله: ((أن تجعل القرآن ربيع قلبي)) هذا هو المطلوب، والسابق وسائل إليه، فانظر أولا غاية ذلته وصغاره، ونهاية افتقاره وعجزه، وثإنيا بين عظمة شأنه وجلالة أسمه سبحانه وتعالي بحيث لم يبق فيه بقية، وألطف في المطلوب حيث جعل المطلوب وسيلة إزالة الهم المطلوب أولا. قوله: ((ربيع قلبي)) ((نه)): جعل القرآن ربيعا له؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان، ويميل إليه. أقول: كما أن الربيع زمان إظهار آثار رحمة الله تعالي، وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك القرآن يظهر منه تباشير لطف الله من الإيمان والمعارف، وتزول به ظلمات الكفر والجهالة والهموم.." (١)

"عليهم الحال، وانقلب الفال (١) ، انشمر (٢) المشركون ففازوا بصفقة **المغبون**، فكما راموا العز ذلوا (٣) ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾ (٤) ، فالذين قتلوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء.

قال (٥) الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن بشير، أخبرنا عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظي قال: عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا في، فأمر بي النبي صلى الله عليه وسلم أن ينظروا: هل أنبت بعد؟ فنظروا فلم يجدوني أنبت، فخلى عني وألحقني بالسبي.

وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق، عن عبد الملك بن عمير، به (٦) . وقال الترمذي: "حسن صحيح".

ورواه النسائي أيضا، من حديث ابن جريج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن عطية، بنحوه (٧) .

وقوله: ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ أي: جعلها لكم من قتلكم (٨) لهم ﴿وأرضا لم تطؤوها﴾ قيل: خيبر. وقيل: مكة. رواه مالك، عن زيد بن أسلم. وقيل: فارس والروم. وقال ابن جرير: يجوز أن يكون الجميع مرادا.

﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ : قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص قال: أخبرتني (٩) عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفو الناس، فسمعت وئيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه، قالت: فجلست إلى الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، فمر وهو يرتجز (١٠) ويقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل ...

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٩١٠/٦

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيها عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة (١١) له -تعني المغفر -فقال عمر: ما جاء بك؟ لعمري والله إنك لجريئة (١٢) ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز. قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بي (١٣)

---

(١) في ت، أ: "وانقلب عليهم الفال".

(٢) في أ: "اشمر".

(٣) في ت: "فلما راموا العز أذلوا".

(٤) في ت:"يقتلون ويأسرون".

(٥) في ت: "روى".

(٦) المسند (٥/٣١١) وسنن أبي داود برقم (٤٤٠٤) وسنن الترمذي برقم (١٥٨٤) وسنن النسائي (٨/٩٢) وسنن ابن ماجه برقم (٢٥٤٢) .

(٧) النسائي في السنن الكبرى برقم (٨٦١٩) .

(٨) في ت، ف: "قبلكم".

(٩) في ت: "وروى الإمام أحمد بإسناده عن".

(١٠) في ت: "يرتجل".

(١١) في ت: "مشيقة" وفي ف: "نشيقة".

(١٢) في ت: "محدبة".

(١٣) في ت، ف: "لي".." [١]

"ورضى كنت في ديوان **المغبونين**، وإن أحدثت له اعتراضا عليه وقدحا في حكمته ومجادلة في الأقدار، فقد قرعت باب الزندقة، وفتح لك وولجته فاحذر عذاب الله يحل بك، فإنه لمن خالفه بالمرصاد. وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله كنت في ديوان الصابرين، وإن أحدثت له رضى بالله ورضى عن الله وفرحا بقضائه كنت في ديوان الراضين، وإن أحدثت له حمدا وشكرا كنت في ديوان الشاكرين الحامدين، وإن أحدثت له حمدا واشتياقا إلى لقائه كنت في ديوان المحبين المخلصين.

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي، من حديث «محمود بن لبيد، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٣٩٩

الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي الله فله الرضى، ومن سخط فله السخط» زاد الإمام أحمد: ومن جزع فله الجزع.

فأنفع الأدوية للمصاب موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له، وإن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب، فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخط ما يحبه، وأحب ما يسخطه، فقد شهد على نفسه بكذبه، وأسخط عليه محبوبه.

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به.

وكان عمران بن حصين - رضي الله عنه - يقول في مرضه: أحبه إلي أحبه إليه.

وقال بعده أبو العالية: وهذا دواء المحبين وعلاجهم لأنفسهم.

ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به، فانظر هذه الطرائق واختر وفقنا الله وإياك لما يحب.

فصل - فيمن طلب المصائب وفرح بها رجاء ثوابها

روى ابن أبي حاتم بإسناده في تفسيره عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابن يقال له: يحيى، فلما نزل في قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش، فاحتسبه، فقال والده: وما يمنعني أن أحتسبه وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟! فهذا رجل صابر راض محتسب، ما أحسن فهمه وحسن تعزيته لنفسه، وثقته بما أعطاه الله من ثواب الصابرين.." (١)

"عبد تقي، فالمقسر يود لو أنه رد فاستدرك ما فات، ونظر فيما فيه فرط، والمهمل العمل بالجملة، يكون تمنية الرجوع أكثر، وحرصه على العودة أشد، فالواجب اغتنام الصحة والفراغ، **المغبون** فيهما كثير الناس.

وإنما يحصل للشخص الحزن والبكاء على ما أصيب به، لذهوله عما بين يديه من سكرات الموت وغصصه، والانفراد في القبر وحيدا ذليلا مستوحشا ثم مسائلة منكر ونكير عليهما السلام، وطول مكثه تحت الثرى، إما منعما وإما معذبا، ثم من بعد ذلك خروجه من قبره وقيامه لرب العالمين، ثم وقوفه الطويل في المحشر وما يرى من أهوال يوم القيامة، ثم حسابه بين يدي الله تعالى ووزن أعماله وتطاير الصحف والمحاسبة على مثاقيل الذر، وأنه وجد ما عمل محصيا عليه، محررا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأنه بين رجاء وخوف، إما لذات اليمين أو لذات الشمال.

---

(١) تسلية أهل المصائب المنبجي ص/٣١

فلو استشعر المصاب هذه المصائب العظيمة التي بين يديه، وهو غافل عنها، غير مستعد لها، لشغلته عن مصابه بأحبابه، ولرجع إلى الصبر والرضا بما قدره وأمضاه، فإن قدر على نفع، نفع ميته به، وإلا فلا يؤذيه بما نهى الشرع عنه من الندب والنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب، وغير ذلك من الأفعال والأقوال المكروهة، التي ذمها السلف والخلف، كما سنبينه بعد إن شاء الله، نسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة.

فصل ـ في أن الحزن لم يأمر به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم

والحزن لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله، لا في المصيبة ولا في غيرها، بل قد نهى الله عنه في كتابه وإن تعلق بأمر الدين.

لكن منه محمود ومذموم كقوله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ .

وقوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ .

وقوله تعالى في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ .

وقوله تعالى: ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ .

ونحو ذلك من." (١)

"وهل يجلدها السيد أم لا؟

قال مالك والشافعي وأحمد: نعم، وخالف أبو حنيفة فقال: لا يقيمه إلا الإمام بخلاف التعزير، احتج في "الهداية" بحديث "أربع إلى الوالي" فذكر منها الحدود (١)، ولا نعلمه (٢).

وهل يكتفي السيد بعلم الزنا أو لا؟

فيه روايتان عند المالكية، ومنهم من فرق بين المزوجة فلا يقيمه السيد، وغيرها فيقيمه، وفي الحديث أن الأمة لا ترجم وإن كانت مزوجة، وأن الزاني إذا حد ثم زنى ثانيا حد أيضا.

واستنبط بعضهم من قوله: "ولو بضفير"، جواز البيع بالغبن، لأنه بيع حقير بثمن يسير، وليس بجيد؛ لأن الغبن المختلف فيه إنما هو مع الجهالة من **المغبون**، وأما مع علم البائع بقدر ما باع وما قبض فلا يختلف فيه؛ لأنه عن علم منه ورضا، فهو إسقاط لبعض الثمن لا سيما والحديث خرج على جهة التزهيد

---

(١) تسلية أهل المصائب المنبجي ص/٤٥

وترك الغبطة.

وأجمع فقهاء الأمصار أن العبد في الحد كالأمة.

وانفرد أهل الظاهر فقالوا بجلده مائة، عملا بظاهر القرآن، لكنهم خالفوا ظاهره في الأمة؛ فإنهم نصفوا عملا بالآية الأخرى ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ [النساء: ٢٥].

وزعم بعضهم فيما حكاه الطحاوي (٣) أن قوله: (ويجلدها) على التأديب لا الحد، ويحتمل أن الله تعالى أعلم نبيه أن حد الإماء إذا

---

(١) "الهداية" ٢/ ٣٨٥.

(٢) وأورده الزيلعي في "نصب الراية" ٣/ ٣٢٦ وقال: غريب.

وتبعه الحافظ فقال في "الدراية" ٢/ ٩٩: لم أجده.

(٣) في "شرح معاني الآثار" ٣/ ١٣٧.." [1]

"الأعرج عن سهل: لا يباع التمر في رءوس النخل بالأوساق الموسقة إلا أوسق ثلاثة أو أربعة أو خمسة يأكلها الناس. وهي المزابنة ففي قول سهل حجة لمالك في مشهور قوله أنه يجوز العرايا في خمسة أوسق. وقد يجوز أن يكون الشك في دون خمسة أوسق، واليقين في خمسة؛ إذ الواو لا تعطي رتبة (١).

وقوله: (وقال يزيد) هو ابن هارون أبو خالد السلمي (٢)، وسفيان بن حسين سلمي أيضا أبو محمد، وقيل: أبو المؤمل، روى له الجماعة إلا البخاري فاستشهد به، وروى له مسلم في مقدمة كتابه (٣). وشيخ شيخ البخاري في الحديث الأخير عبد الله هو: ابن المبارك الإمام، وشيخ البخاري محمد هو: ابن مقاتل أبو الحسن المروزي، مات سنة ست وعشرين ومائتين (٤).

إذا عرفت ذلك: فالمزابنة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين، من الزبن،

وهو الدفع الشديد، ومنه الزبانية، وقيل من الحظر، أي: التحريم، وهو بيع الرطب على رءوس النخل بتمر على وجه الأرض، ومثله بيع العنب في الكرم بالزبيب؛ لأن الغبن فيها يكثر؛ لبنائها على التخمين، فيريد **المغبون** دفعه والغابن إمضاءه فيتدافعان. ووجه البطلان أنه بيع مال الربا بجنسه من غير تحقيق المساواة في المعيار الشرعي، وهو الكيل، وذلك إجماع.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٩٦/١٤

(١) "شرح ابن بطال" ٦/ ٣١٢.

(٢) انظر ترجمته في "طبقات ابن سعد" ٧/ ٣١٤، "ثقات ابن شاهين" ترجمة (١٥٥٤)، "تهذيب الكمال" ٣٢/ ٢٦١ (٧٠٦١).

(٣) انظر ترجمته في "طبقات ابن سعد" ٧/ ٣٠٢، "ثقات ابن حبان" ١/ ١٦٥، "تهذيب الكمال" ١١/ ١٣٩ (٢٣٩٩).

(٤) ورد بهامش الأصل ما نصه: ثم بلغ في الثامن بعد الأربعين. كتبه مؤلفه غفر الله له.." [١]

"قال الداودي: كانوا قد كثر فيهم المدافعة بالخصام، فسمي مزابنة، ولما كان كل واحد من المتبايعين يدفع الآخر في هذه المبايعة عن حقه سميت بذلك، وفي "الجامع" للقزاز: المزابنة: كل بيع فيه غرر، وهو بيع كل جزاف لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده، وأصله أن **المغبون** يريد أن يفسخ البيع، ويريد الغابن أن لا يفسخه فيتزابنان عليه، أي: يتدافعان.

وعند الشافعي: هو بيع مجهول بمجهول، أو معلوم من جنس يحرم الربا في نقده، وخالفه مالك في هذا القيد فقال: سواء كان مما يحرم الربا في نقده أو لا، مطعوما كان أو غير مطعوم (١). وعبارة ابن الجلاب: إنها بيع معلوم بمجهول من جنسه. زاد القاضي في "معونته": أو مجهول بمجهول (٢)، وذكر ابن جرير اختلاف العلماء في معناها، فقال قوم: هي بيع ما في رءوس النخل بالتمر وكذا ذكر ابن فارس (٣) وهو ما في البخاري، وقال آخرون: هو بيع السنبل القائم بالحنطة. وقيل: هي بيع التمر قبل بدو صلاحه. وقال قوم: هي المزارعة.

وقام الإجماع على المنع من بيع ما على رءوس النخل بثمر، لأنه مزابنة وقد نهي عنه. واختلفوا في بيع رطب ذلك مقطوعا وأمكن فيه المماثلة، فالجمهور على المنع أيضا بجنسه لا مماثلة ولا متفاضلا، وبه قال أبو يوسف ومحمد، وقال أبو حنيفة: يجوز بيع الحنطة الرطبة باليابسة، والتمر بالرطب مثلا بمثل، ولا نجيزه متفاضلا.

---

(١) انظر "الأم" ٣/ ٥٥، و"المنتقى" ٤/ ٢٤٤.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ١٤/٤٦٠

(٢) "المعونة" ٢/ ١٠.

(٣) "المجمل" ص ٤٤٨.." [1]

"قلت: هو في الصحيح باختصار.

باب: في الأسواق

٦٥٥ – حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الملك بن عمرو أبو عامر، عن زهير بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي البلدان شر؟ فقال: «لا أدري» .

فلما جاءه جبريل عليه السلام قال: «يا جبريل أي البلدان شر» ؟ قال: لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل. فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله ثم جاء فقال: يا محمد، إنك سألتني أي البلدان شر؟ فقلت: لا أدري وإني سألت ربي عز وجل أي البلدان شر؟ فقال: أسواقها.

باب: في المغبون

٦٥٦ – حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا أبو هشام القناد، عن الحسين بن علي يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المغبون لا محمود ولا مأجور» .." [2]

"٦٢٤ -[٢٣٠٤] "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ".

قال ابن الخازن: "النعمة ما يتنعم به الإنسان ويستلذه، والغبن: أن يشتري بأضعاف الثمن، أو يبيع بدون ثمن المثل، فمن صح بدنه وتفرغ للأشغال العائقة، ولم يسع لإصلاح آخرته فهو كالمغبون في البيع".." [3]

"أرضا وأشبعها بلادا طولا وعرضا وخصوصا حاضرة فاس وانظارها ونواحيها من كل الجهات وأقطارها ولئن سلم هذا الوهم وعدم صاحبه والعياذ بالله العقل الراجح والرأي الناجح والفهم فقد أقام علما وبرهانا على نفسه الخسيسة الرذلة بترجيح عرض دنياوي حطامى محتقر على عمل ديني أخروى مدخر وبئست هذه المفاضلة والأرجيحة وخاب وخسر من آثرها ووقع فيها أما علم المغبون في صفقته النادم على هجرته

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٤٦١/١٤

(٢) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي نور الدين الهيثمي ٢٨٧/٢

(٣) قوت المغتذي على جامع الترمذي السيوطي ٥٥٩/٢

من دار يدعى فيها التثليث وتضرب فيها النواقيس ويعبد فيها الشيطان ويكفر بالرحمن أن ليس للانسان إلا دينه إذ به نجاته الأبدية وسعادته الأخروية وعليه يبذل نفسه النفيسة فضلا عن جملة ماله قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ وقال تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾ وأعظم فوائد المال وأجلها عند العقلاء إنفاقه في سبيل الله وابتغاء مرضاته وكيف يتقحم بالتشبث (٩٠ ب) ويترامى ويتطارح أو يتسارع من أجله إلى موالاة العداة وقد قال تعالى ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ والدائرة في هذه النازلة فوات التمسك بعقار المال فوصف بمرمض القلب وضعف اليقين ولو كان قوي الدين صحيح اليقين واثقا بالله تعالى معتمدا عليه ومسندا ظهره إليه لما أهمل قاعدة التوكل على علو رتبها ونمو ثمرتها وشهادتها بصحة." (١)

"الفصيح أبكم والذكي أبلم، وتذهب الفطنة، وتحدث البطنة، وتورث العنة واللعنة والبعد عن الجنة. ومن قبائحها أنها تنسي الشهادتين عند الموت، بل قيل إن هذا أدنى قبائحها. وهذه القبائح كلها موجودة في الأفيون وغيره مما سبق، بل يزيد الأفيون ونحوه بأن فيه مسخا للخلقة كما يشاهد من أحوال آكليه وعجيب ثم عجيب ممن يشاهد من أحوال آكليه تلك القبائح التي هي مسخ البدن والعقل وصيرورتهم إلى أخس حالة وأرث هيئة وأقذر وصف. وأفظع مصاب لا يتأهلون لخطاب ولا يميلون قط إلى صواب ولا يهتدون إلا إلى خوارم المروآت وهو أذم الكمالات وفواحش الضلالات، ثم مع هذه العظائم التي نشاهدها منهم يحب الجاهل أن يندرج في زمرتهم الخاسرة وفرقتهم الضالة الحائرة متعاميا عما على وجوههم من الغبرة وما يعتريها من القترة ذلك يخشى عليه أن يكون من الكفرة الفجرة، فمن اتضحت له فيهم هذه المثالب وبان عنده ما اشتملوا عليه من كثير المعايب ثم نحا نحوهم وحذا حذوهم فهو المفتون **المغبون** الذي بلغ الشيطان فيه غاية أمله بعد أن كان يتربص به ريب المنون، لأنه لعنه الله إذا أحل عبدا في هذه الورطة لعب به كما يلعب الصبي بالكرة إذ ما يريد منه حينئذ شيئا إلا وسابقه إلى فعله لأن العقل الذي هو آلة الكمال زال عن محله فصار كالأنعام بل هو أضل سبيلا ومن أهل النيران، فبئس ما رضيه لنفسه مبيتا ومقيلا وأف لمن باع نعيم الدنيا والآخرة بتلك الصفقة الخاسرة، وفقنا الله لطاعته وحمانا من مخالفته آمين. تنبيه: عد ما ذكر من الكبائر ظاهر وبه صرح أبو زرعة وغيره كالخمر، بل بالغ الذهبي فجعلها كالخمر في النجاسة والحد ومال في ذلك إلى ما قدمته عن الحنابلة وغيرهم. قال: وهي أخبث من جهة أنها تفسد

---

(١) أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر الونشريسي ص/٤٥

العقل والمزاج حتى يصير في متعاطيها تخنيث أي ابنة ونحوها ودياثة وقوادة وفساد في المزاج والعقل وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة كلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة. قال: وتوقف بعض العلماء المتأخرين على الحد فيها ورأى أن فيها التعزير لأنها تغير العقل من غير طرب كالبنج وأنه لم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما وليس كذلك، بل آكلوها يحصل لهم نشوة واشتهاء كشرب." (١)

"حفظ المودة والأخوة

ومنها حفظ المودة القديمة والأخوة الثابتة، لقوله عليه السلام: (إن الله يحب حفظ الود القديم) ؛ ودخلت امرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدناها، فقيل له في ذلك، فقال: (إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان؛ وقال محمد المغازلي رحمه الله: (من أحب أن تدوم له المودة، فليحفظ مودة إخوانه القدماء) ولبعضهم:

ما ذاقت النفس على شهوة ... ألذ من حب صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك **المغبون** حق اليقين

ولبعض الحكماء من السلف: (عاشروا الناس، فإن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم) .." (٢)

"٦٧٩ - (إذا سرق المملوك) أي القن شيئا قل أو كثر لك أو لغيرك (فبعه) وفي رواية لأبي نعيم إذا سرق العبد فبيعوه -[٣٧٥]- (ولو) للتقليل هنا كما في القواطع لكن قال الزركشي: الحق أن التقليل مستفاد مما بعد لو من الصيغة (بنش) بكسر الموحدة وفتح النون وشين معجمة نصف أوقية وهو عشرون درهما كأنه سمي به لخفته وقلته من النشنشة وهي التحرك والخفة والحركة من واد واحد كذا ذكره الزمخشري جازما ورأيت في المطامح أنه القربة البالية ولم يذكر فيه سواه ولم أر فيه سلفا لكنه لم يذكره رجما بالغيب وأيا ما كان فهذا خرج مخرج التقليل والترهيب في القن السارق فكأنه قال لا تمسكه عندك ولا تتركه في بيتك بل بعه بما تيسر وإن كان تافها جدا ففيه دليل على إبعاد أهل الفساد والمعاصي واحتقارهم وأن السرقة عيب فاحش منقص للقيمة وإذا باعه وجب أن يعرف بسرقته لكونه من أقبح العيوب فلا يحل له كتمه ويظهر أن مثل البيع كل ما يزيل الملك عنه أو يحصل به مفارقته كهبته وكتابته ووقفه وعتقه لكن قد يتوقف في العتق من حيث أنه يرفع الرق عنه لكثرة إضراره للناس بالسرقة والظاهر أن المراد بالسرقة هنا معناها

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٣٥٩/١

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة الغزي، أبو البركات ص/٣٢

اللغوي وكما يطلب بيع القن إذا سرق يطلب بيعه إذا زنى لقوله من حديث مسلم إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليحدها ولا يثرب عليها أو لا يوبخ ولا يعير ولا يكثر من اللوم ثم قال إن زنت فبيعوها ولو بضفير أي بحبل مضفور فعيل بمعنى مفعول وفي رواية ولو بحبل من شعر فوصف الحبل بكونه من شعر لأنها أكثر حبالهم وهذا خارج مخرج التقليل والتزهيد كما تقرر فيما قبله فإن قيل إذا كان مقصوده إبعاد السارق والزاني وأنه يلزم البائع الإخبار بعيبه فلا ينبغي لأحد شراؤه لكونه مأمورا بإبعاده فالجواب أنه مال فلا مساغ للنهي عن إضاعة المال ولا يسيب ولا يحبس دائما إذ كل ذلك إضاعة مال ولو سيب كان إغراء له على السرقة والزنا وتمكينا له منها فلم يبق إلا بيعه ولعل السيد الثاني يبالغ في حفظه فيمنعه من ذلك وبالجملة فعند تبدل الأملاك تختلف الأحوال والجمهور حملوا الأمر ببيع السارق والزاني على الندب والارشاد إلا داود وأهل الظاهر فقالوا بوجوبه تمسكا بظاهر الأمر وصرفه الجمهور عن ظاهره عملا بالأصل الشرعي أنه لا يجبر أحد على إخراج ملكه لملك أحد بغير الشفعة فلو وجب لأجير عليه ولم يجبر عليه فلم يجب واستنبط منه بعضهم جواز البيع بالغبن لأنه بيع خطير بثمن يسير ورد بأن الغبن المختلف فيه بيع جهالة من المغبون وأما مع العلم بقدر المبيع والثمن وحالهما فلا وإنما أمر في حديث مسلم بعدم توبيخه وتعييره لأن الإكثار من ذلك يزيك الحياء والحشمة ويجرئ على ذلك الفعل ولأن العبد غالبا لا ينفعه لوم ولا توبيخ بل ربما كان إغراءا وإنما يظهر أثره في الحر إن ظهر ألا ترى إلى قوله:

واللوم للحر مقيم رادع. . . والعبد لا يردعه إلا العصا

ولأنها عقوبة زائدة على الحد المشروع ولا يدخل فيه نحو وعظ وتخويف بعقاب الله وتهديد احتيج إليه لأنه ليس بتثريب وأفاد خبر مسلم أن للسيد أن يحده وبه قال الجمهور إلا أبا حنيفة فقال: لا يحده إلا الإمام وقال الشافعي: يقطعه في السرقة وقال مالك: أمنعه مخافة أن يمثل به قال الراغب: والسرقة أخذ ما ليس لك أخذه في خفاء ثم صار شرعا عبارة عن أخذ شيء مخصوص من محل مخصوص وقدر مخصوص واللائق منا إرادة اللغوي

(هـ) في السرقة وكذا ابن ماجه والنسائي (عن أبي هريرة) رمز لحسنه ولعله لتقويه بتعدد طرقه وإلا ففيه عمر بن أبي سلمة قال النسائي غير قوي وفي المنار سنده ضعيف." (١)

"١٨٧٤ - (إن الله تعالى يحب المداومة) أي الاستمرار والملازمة (على الإخاء) بكسر أوله والمد (القديم فداوموا عليه) ندبا بتعهد من آخيتموه في الله منذ زمان ولا تتسببوا في قطعه بالجفاء وعدم الوفاء

---

(١) فيض القدير المناوي ٣٧٤/١

وقال ابن الأثير وفي حديث معاوية عليك بصاحبك الأقدم فإنك تجده على مودة واحدة وإن قدم العهد وانتاطت البلاد أي بعدت ولذلك عدوا من حق الصحبة حفظ المودة القديمة والأخوة السالفة ودخلت امرأة على المصطفى صلى الله عليه وسلم فأدناها وقربها وسألها عن حالها فقالت له عائشة رضي الله عنها في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وسيجيء ذلك. قال الحكيم: من أحب أن تدوم له المودة في القلوب فليحفظ مودة إخوانه القدماء وما أحسن مودة إخوان الصلاح وما أجل خدمة أرباب الفلاح فمن فاز بودهم حاز النجاح ومن حرمه فاته الرباح ولله در من قال من أهل الأدب في معنى هذا الأدب:

ما ذاقت النفس على شهوة. . . ألذ من حب صديق أمين

من فاته ود أخ صالح. . . فذلك **المغبون** حق اليقين

وقد أفاد هذا الحديث ندب زيارة الإخوان وتعهدهم ووفاء حقوقهم غيبة وحضورا لله تعالى حتى يعظم من انتسب إليهم بوجه من وجوه الطاعة واجتمع بهم برهة من الزمان ولو ساعة

(فر) من حديث سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر (عن جابر) قال في اللسان هذا منكر بمرة ولا أظن سفيان بن عيينة حدث به فقط." (١)

"٩٢٢٦ - (**المغبون** لا محمود ولا مأجور) لكونه لم يحتسب بما زاد على قيمته فيؤجر ولم يتحمد إلى بائعه فيحمد لكن استرسل في وقت المبايعة فاستغبن فغبن فلم يقع عند البائع موقع المعروف فيحمد بل رجع لنفسه فقال: خدعته فذهب الحمد ولم يحتسب فذهب الأجر ومن ثم قيل الغبن في البيع جود بالعقل وأصل الغبن النقص

(خط عن علي) أمير المؤمنين وفيه أحمد بن ظاهر البغدادي سئل عنه تلميذه الأنبدوني قال: لو قيل له حدثكم أبو بكر الصديق قال: نعم وضعفه كذا ذكره مخرجه الخطيب عقبه فاقتصار المصنف على العزو له وحذف ذلك من سوء التصرف (طب عن الحسن) بن علي قال الهيثمي: وفيه محمد بن هشام ضعيف وبقية رجاله ثقات (ع عن الحسين) بن علي يرفعه قال أبو هاشم: كنت أحمل متاعا إلى الحسين فيماكسني فيه فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته فقلت له في ذلك فقال حدثني أبي يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره قال الهيثمي بعد ما عزاه لأبي يعلى: فيه أبو هاشم العبادي قال الذهبي: لا يكاد يعرف ولم أجد لغيره فيه كلاما اه وعبارة الذهبي هذا حديث منكر وأبو هاشم لا يعرف وقد اضطرب فمرة عن الحسن ومرة عن الحسين وأورده في الفردوس بلفظ أتاني جبريل فقال: يا محمد ماكس عن درهمك

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٩١/٢

فإن **المغبون** إلى آخر ما هنا ورواه الحكيم في نوادره من حديث عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده وطرقه كلها ترجع إلى أهل البيت." (١)

"عند شروطهم ما وافق الحق من ذلك) أي ما وافق منها كتاب الله تعالى والا فهو باطل كشرط نصر ظالم وباغ (ك عن أنس وعن عائشة) واسناده واه

(المسلمون عند شروطهم فيما أحل) بخلاف ما حرم فلا يجب بل لا يجوز الوفاء به (طب عن رافع بن خديج) واسناده حسن

(المشاؤن الى المساجد في الظلم) أي لصلاة أو اعتكاف فيها (أولئك) العالو المرتبة (الخواضون في رحمة الله هـ عن أبي هريرة) وضعفه شارحه مغلطاي فقول المؤلف حسن ممنوع

(المصائب والامراض والاحزان في الدنيا جزاء) لما اقترفه الانسان من الذنوب (ص حب عن مسروق مرسلا المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه) وعسى أن تكرهوا شيأ وه خير لكم (طس عن ابن عباس) وضعفه المنذري

(المضمضة والاستنشاق سنة) وبه أخذ مالك والشافعي وأوجبهما أحمد (والاذنان من الرأس) لا من الوجه ولا مستقلتان فيمسحان بماء الرأس عند الثلاثة وقال الشافعي عضوان مستقلان (خط عن ابن عباس) باسناد ضعيف

(المطلقة ثلاثا ليس لها) على المطلق (سكنى ولا نفقة) في مدة العدة وعلله في رواية بأنهما انما يجبان ما كانت له عليها رجعة واليه ذهب الجمهور (ن عن فاطمة بنت قيس) واسناده صحيح بل هو في مسلم

(المعتدى في الصدقة) بأن يعطيها غير مستحقها (كمانعها) في بقائها في ذمته (حم دت هـ عن أنس) قال ت غريب

(المعتكف يتبع الجنازة) أي يشيعها أي له ذلك ولا يبطل به اعتكافه (ويعود المريض) كذلك وتمامه واذا خرج لحاجة قنع رأسه حتى يرجع (هـ عن أنس) بن مالك باسناد ضعيف

(المعتكف يعكف الذنوب ويجرى له من الاجر كأجر عامل الحسنات كلها هـ هب عن ابن عباس

المعروف باب من أبواب الجنة) وهو أي فعله (يدفع مصارع السوء) أي يردها (أبو الشيخ عن ابن عمر) فيه محمد بن القاسم الازدي متهم

(المعك) بسكون العين المهملة المطل واللى بأداء الحق (طرف من الظلم) ان وقع من موسر (طب حل

---

(١) فيض القدير المناوي ٦/٢٧٤

والضياء عن حبشي بن جن١دة) السلولي

(المغبون) أي المسترسل في وقت المبايعة حتى دفع أكثر من القيمة (لا محمود ولا مأجور) لكونه لم يحتسب بما زاد على القيمة فيؤجر ولم يتحمد الى بائعه فيحمد (خط عن علي) وضعفه (طب عن الحسن) بن علي (ع عن الحسين) بن علي وفي كل منهما مقال لكن الحديث حسن لشواهده

(المغرب وتر النهار) أطلق كونها وتره لقربها منه والا فهي ليلية جهرية (فاوتروا صلاة الليل) ندبا لا جوبا بدليل خبر هل على غيرها قال لا الا أن تطوع (طب عن ابن عمر) باسناد حسن

(المقام المحمود) الموعود به النبي هو (الشفاعة) في فصل القضاء يوم القيامة ووراء ذلك أقوال هذا الحديث يردها (حل هب عن أبي هريرة

المقيم على الزنا) أي المصر عليه (كعابد وثن) في مطلق التعذيب ولا يلزم منه استواؤهما بل ذلك يخلد وذا يخرج (الخرائطي في) كتاب (مساوئ الاخلاق وابن عساكر عن أنس) واسناده ضعيف

(المكاتب عبد) أي في اكثر الاحكام كشهادته وارثه وحده وجناية له أو لغيره عليه (ما بقى عليه من كتابته) أي من نجومها (درهم) فلا يعتق منه الا بقدر ما ادى وهو قول الجمهور (د عن ابن عمرو) بن العاص باسناد حسن

(المكثرون) من المال (هم الاسلفون يوم القيامة) لطول حسابهم وتوقع عقابهم (الطيالسي) أبو داود (عن أبي ذر) واسناده صحيح

(المكر والخديعة في النار) أي صاحبهما لا يكون تقيا ولا خائفا لله لانه اذا." (١)

"[باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة]

حدثني يحيى عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة والمزابنة بيع الثمر بالتمر كيلا وبيع الكرم بالزبيب كيلا»

---

١٣ - باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة

بضم الميم مفاعلة، من الزبن، وهو الدفع الشديد، ومنه الزبانية ملائكة النار ؛ لأنهم يزبنون الكفرة فيها أي يدفعونهم، ويقال للحرب زبون لأنها تدفع أبناءها للموت، وناقة زبون إذا كانت تدفع حالبها عن الحلب، سمي به هذا البيع المخصوص لأن كل واحد من المتبايعين يزبن أي يدفع الآخر عن حقه بما يزداد منه،

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٤٥٧

فإذا وقف أحدهما على ما يكره تدافعا فيحرص أحدهما على فسخ البيع والآخر على إمضائه. والمحاقلة بالمهملة والقاف مفاعلة من الحقل وهو الحرث، وقال بعض اللغويين: اسم للزرع في الأرض وللأرض التي يزرع فيها، ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم – للأنصار: " «ما تصنعون بمحاقلكم؟» ". أي بمزارعكم.

١٣١٧ – ١٣٠٥ – (مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نهى عن المزابنة) بضم الميم وفتح الزاي والموحدة، قال القزاز: أصله أن **المغبون** يريد فسخ البيع والغابن لا يريد فسخه فيتزابنان عليه أي يتدافعان، زاد ابن بكير وحده: والمحاقلة. (والمزابنة بيع الثمر) بفتح." (١)

"والشك في الربا كتحققه، وأما المزابنة فلوجود معناها لأن كلا من المتبايعين يدفع الآخر، ولذا شرط اتحاد الجنس لأن به ينصرف الغرض إلى القلة والكثرة، فكل واحد يقول ما أخذت أكثر وقد غبنت صاحبي، وإن كان الجنس غير ربوي حرم البيع للمزابنة فقط، لكن إن تحقق الفضل فيما ليس بربوي جاز، ويقدر أن **المغبون** وهب الفضل لظهوره له، وتعقب أبو عبد الله الأبي قول عياض: تفسير الحديث أحد أنواعه المزابنة بأنه إن عنى أنه لا يتناول إلا بيع المعلوم بالمجهول ؛ لقوله "كيلا " رد بأنه يتناول بيع المجهول بالمجهول بقياس الأولى، وإن عنى أنه لا يتناول إلا الربوي فإنما ذلك من حيث اللفظ، وأما من حيث المعنى فيتناول غيره لتقرر معنى المزابنة فيه بالمعنى الذي قرره المازري في الوجه الثاني المتقدم، فتفسير العلماء المزابنة ليس بأعم من تفسير الحديث، بل هو مساو له، وهو إما مرفوع فلا معدل عنه، أو من الراوي وله مزية، وبسط الإمام هذا فقال: (وذلك أن يقول الرجل للرجل يكون له الطعام المصبى) بشد الموحدة المجموع بعضه فوق بعض (الذي لا يعلم كيله من الحنطة أو التمر أو ما أشبه ذلك من الأطعمة، أو يكون للرجل السلعة من الخبط) بفتح المعجمة والموحدة، ما يسقط من ورق الشجر (أو النوى) للبلح (أو القضب أو العصفر) نبت معروف (أو الكرسف) بالضم، القطن (أو الكتان) بفتح الكاف معروف، وله بزر يعتصر ويستصبح به، قال ابن دريد: الكتان عربي سمي بذلك لأنه يكتن أي يسود إذا ألقي بعضه على بعض (أو القز) بفتح القاف وبالزاي، معرب، قال الليث: هو ما يعمل منه الإبريسم، ولذا قال بعضهم: القز والإبريسم مثل الحنطة والدقيق. (أو ما أشبه ذلك من السلع لا يعلم كيل شيء من تلك ولا وزنه ولا عدده، فيقول الرجل لرب تلك السلعة كل) بكسر الكاف (سلعتك هذه) بنفسك (أو مر من يكيلها، أو زن من ذلك ما يوزن، أو عد منها ما كان يعد فما نقص من كذا وكذا صاعا لتسمية يسميها، أو وزن كذا وكذا رطلا، أو

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٠٥/٣

عدد كذا وكذا، فما نقص من ذلك فعلي غرمه) بضم فسكون، أي دفعه (لك حتى أوفيك تلك التسمية، فما زاد علي." [1]

"الأجور (أبو الشيخ (١) عن ابن عمر) سكت عليه المصنف. وفيه محمد بن القاسم الأزدي (٢)، قال الذهبي في الضعفاء: كذبه أحمد والدارقطني عن عنبسة وهو متهم.

٩٢٠٦ - "المعكر طرف من الظلم. (طب حل) والضياء عن حبشي بن جنادة (صح) ".

(المعكر) بالعين المهملة الساكنة وهو: المطل واللي (طرف من الظلم) من الموسر لحديث: "مطل الموسر ظلم" فلا يحل للموسر [٤/ ٣١٨] فإن الظلم محرم لا يباح. (طب حل والضياء (٣) عن حبشي بن جنادة) رمز المصنف لصحته.

٩٢٠٧ - "**المغبون** لا محمود ولا مأجور. (خط) عن علي (طب) عن الحسن (ع) عن الحسين".

(**المغبون**) في ما باعه أو شراه إلا (محمود) لم يقصد الإحسان إلى من عامله فيحمد (ولا مأجور) لأنه لا نية له والأعمال بالنيات، والحديث تحذير عن الغبن وأنه ليس من صفات أهل الكمال. (خط عن علي، طب عن الحسن، ع (٤) عن الحسين)، والحديث بجميع طرقه ضعيف، في الأول أحمد بن طاهر

ـــــــــــــــــــــــــ

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ٢٦٢)، والديلمي في الفردوس (٦٦٤٦)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٩٤١)، والضعيفة (٤٦٨٠).

(٢) انظر المغني (٢/ ٦٢٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٧) رقم (٣٥١٦)، وأبو نعيم (٤/ ٣٤٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٩٤٢)، والضعيفة (٤٦٨١).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه (٤/ ٢١٢) عن علي بن أبي طالب، والطبراني في الكبير (٣/ ٨٣) رقم (٢٧٣٢) عن الحسن، وأبو يعلى (٦٧٨٣) عن الحسين، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٩٤٣)، والضعيفة (٦٧٤).." [2]

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٠٨/٣

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٤٨٧/١٠

"٣٤ – أبواب الزهد
هو ضد الرغبة قال القاموس زهد فيه كمنع وسمع وكرم زهدا وزهادة ضد الرغبة انتهى
والمراد هنا ترك الرغبة في الدنيا على ما يقتضيه الكتاب والسنة
[٢٣٠٤] قوله (نعمتان) مبتدأ (مغبون فيهما كثيرون من الناس) صفة له خبره (الصحة والفراغ) أي صحة البدن وفراغ الخاطر بحصول الأمن ووصول كفاية الأمنية
والمعنى لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم قال تعالى ذلك يوم التغابن وقال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وفي حاشية السيوطي رحمه الله قال العلماء معناه أن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنيا فلا يكون متفرغا للعلم والعمل لشغله بالكسب فمن حصل له الأمران وكسل عن الطاعة فهو **المغبون** أي الخاسر في التجارة مأخوذ من الغبن في البيع
قوله (حدثنا محمد بن بشار) هو بندار (أخبرنا يحيى بن سعيد) هو القطان أخرجه الإسماعيلي من هذا الطريق ثم قال قال بندار بما حدث به يحيى بن سعيد ولم يرفعه كذا في الفتح." (١)
"وقالت الحنفية: هو عيب في الجارية دون الغلام كما مر، ثم هل يجلدها السيد أم لا؟ فقال مالك والشافعي وأحمد: نعم. وقال أبو حنيفة: لا يقيم الجلد أو الحد إلا الإمام بخلاف التعزير، واحتج بحديث أربع إلى الوالي فذكر منها الحدود، ولم يذكر في الحديث عدد الجلد ورواه النسائي: ((أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن جاريتي زنت وتبين زناها، قال: اجلدها خمسين، ثم أتاه فقال: عادت وتبين زناها، قال: اجلدها خمسين، ثم أتاه فقال: عادت قال: بعها ولو بحبل من شعر)).
والأمة لا ترجم سواء كانت متزوجة أم لا؟ والزاني إذا حد ثم زنى ثانيا لزمه حد آخر على ذلك الأئمة الأربعة، والإحصان في الرجم شرط.
والشروط سبعة: الحرية، والعقل، والبلوغ، والإسلام، وعن أبي يوسف أنه ليس بشرط، وبه قال الشافعي وأحمد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين قلنا: كان ذلك بحكم التوراة قبل نزول آية الجلد في أول ما دخل صلى الله عيه وسلم المدينة وصار منسوخا بها، ثم نسخ الجلد في حق المحصن.

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٦/٤٨٥

والشرط الخامس: الوطء، والسادس: أن يكون الوطء بنكاح صحيح. والشرط السابع: كونهما محصنين حالة الدخول حتى لو دخل بالمنكوحة الكافرة، أو المملوكة، أو المجنونة، أو الصبية لم يكن محصنا وكذلك لو كان الزوج عبدا، أو صبيا، أو مجنونا، أو كافرا، وهي مسلمة عاقلة بالغة.

فإن قيل: كيف يتصور أن يكون الزوج كافرا والمرأة مسلمة؟.

فالجواب أن صورته أن يكونا كافرين فأسلمت المرأة، ودخل بها الزوج قبل

[ج ١٠ ص ٢٥٩]

عرض الإسلام عليه، ومنه استنبط قوم جواز البيع بالغبن؛ لأنه بيع خطير بثمن يسير.

وقال القرطبي: هذا ليس بصحيح؛ لأن الغبن المختلف فيه إنما هو مع الجهالة من **المغبون**، وإما مع علم البائع بقدر ما باع وما قبض فلا يختلف فيه؛ لأنه عن علم منه ورضا فهو إسقاط لبعض الثمن لا سيما أن الحديث أخرج على جهة التزهيد وترك ا لغبطة، وفيه: ترك اختلاط الفساق وفراقهم.

فإن قيل: ما معنى أمره صلى الله عليه وسلم ببيع الأمة الزانية، والذي يشتريها يلزمه من اجتنابها ومباعدتها ما يلزم البائع وكيف يكره شيئا ويرتضيه لأخيه المسلم؟.." (١)

"٧٥ - (باب بيع الزبيب بالزبيب والطعام بالطعام).

٢١٧١ - (حدثنا إسماعيل) هو: ابن أبي أويس ابن أخت مالك، قال: (حدثنا مالك) الإمام (عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة) والمزابنة هي مفاعلة من الزبن ــ بالزاي والموحدة وبالنون ــ لا تكون إلا بين اثنين وأصلها الدفع الشديد. قال الداودي: كانوا قد كثر فيهم المدافعة بالخصام فسمي بالمزابنة؛ يعني: لما كان كل واحد من المتبايعين يدفع الآخر في هذه المبايعة عن حقه سميت بذلك.

وقال الكرماني: وخص هذا البيع بهذا الاسم؛ لأن مداره على الحرص الذي لا يؤمن التفاوت فيه فالمخاصمة والمدافعة أكثر فيه من غيره، وهذا عين ما قاله الداودي، كما لا يخفى.

وقال ابن سيده: الزبن دفع الشيء عن الشيء، يقال: زبن الشيء يزبنه زبنا وزبن به. وفي «الجامع» للقزاز: المزابنة: كل بيع فيه غرر، وهو بيع شيء جز ا فا لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده، وأصله: أن **المغبون** يريد أن ينفسخ البيع، ويريد الغابن أن لا يفسخه فيتزابنان عليه؛ أي: يتدافعان. وعند الشافعي: هو بيع مجهول

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٥٨٦

بمجهول أو معلوم [من جنس تحريم الربا] في نقده

==================." (١)

"(وقال مجاهد: التغابن: غبن أهل الجنة أهل النار) كذا في رواية أبي ذر عن الحموي وحده، وسقط في غيرها. وقد وصله الفريابي وعبد بن حميد من طريق مجاهد، و «غبن»: بفتح المعجمة والموحدة.

وروى الطبري من طريق شعبة عن قتادة: يوم التغابن يوم غبن أهل الجنة أهل النار؛ أي: لكون أهل الجنة بايعوا على الإسلام بالجنة فربحوا، وأهل النار امتنعوا من الإسلام فخسروا، فشبهوا بالمتبايعين يغبن أحدهما الآخر في بيعه، ويؤيد ذلك ما سيأتي [خ¦٦٥٦٩] من طريق الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: ((لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكرا، ولا يدخل أحد النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة)).

وقال القاضي كـ «الكشاف»:

[ج ٢١ ص ٢٤٧]

لنزول أهل الجنة منازل أهل النار، لو كانوا سعداء، وبالعكس مستعار من تغابن التجار، لكن قال في «فتوح الغيب»: لا يستقيم باعتبار الأشقىاء؛ لأنهم لا يغبنون السعداء بنزولهم في منازلهم من النار إلا بالاستعارة التهكمية.

ولذا قال في «الكشاف»: وفيه تهكم بالأشقياء؛ لأن نزولهم ليس بغبن، وجعل الواحدي التغابن من طرف واحد للمبالغة حيث قال: يوم التغابن يغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، وأهل الإيمان أهل الكفر، ولا غبن أبين من هذا، هؤلاء يدخلون الجنة، وهؤلاء يدخلون النار.

وأحسن منهما ما ذكره محيي السنة قال: هو تفاعل من الغبن، وهو فوت الحظ والمراد، **فالمغبون** من غبن في أهله ومنازله في الجنة، فظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان، والله تعالى أعلم.

==================." (٢)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٨٦٢٣

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٧٣٥٥

"قال ابن الجوزي: فقد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا للعبادة لاشتغاله بأسباب المعايش وبالعكس، فإذا اجتمع الصحة والفراغ وقصر في نيل الفضائل فذلك هو الغبن كل الغبن؛ لأن الدنيا سوق الأرباح ومزرعة للآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته

[ج ٢٧ ص ٤٦]

في طاعة مولاه فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو **المغبون**؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل:

يسر الفتى طول السلامة والبقا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ... ينوء إذا رام القيام ويحمل

وقال ابن بطال: معنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغا حتى يكون مكفيا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو **المغبون** وأشار بقوله: «كثير من الناس» إلى أن الذي يوفق لذلك قليل.

وقال الطيبي: ضرب صلى الله عليه وسلم للمكلف مثلا بالتاجر الذي له رأس مال فهو يبغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، فينبغي له أن يعامل الله بالإيمان ومجاهدة النفس وعدو الدين ليربح خير الدنيا والآخرة، وقريب منه قوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ [الصف: ١٠] الآيات، وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس ومعاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح.

وقوله في الحديث: ((مغبون فيهما كثير من الناس)) كقوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية.." (١)

"قال ابن المنير: مناسبة إيراد حديث أنس رضي الله عنه وسهل مع حديث ابن عباس رضي الله عنهم الذي تضمنه الترجمة أن الناس قد غبن كثير منهم في الصحة والفراغ لإيثارهم لعيش الدنيا على عيش الآخرة، فأراد الإشارة إلى أن العيش الذي اشتغلوا به ليس بشيء، بل العيش الذي شغلوا عنه هو المطلوب، ومن فاته فهو **المغبون**.

(تابعه سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله) وهذا ثابت في غير رواية أبي ذر ساقط فيها. قال صاحب «التلويح»: هذا يحتاج إلى نظر، وقال غيره: هذا ليس بموجود في نسخ البخاري فينبغي

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٠٨٦

إسقاطه.

==================." (١)

"وجوب عدم التقصير في طلب العلم

(خ) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعمتان مغبون (١) فيهما كثير من الناس: الصحة ، والفراغ (٢) " (٣)

---

(١) **المغبون**: الخاسر في التجارة ، مأخوذ من الغبن في البيع. تحفة الأحوذي - (ج ٦ / ص ٨٩)

(٢) أي: لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس ، حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم ، فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها، ولا ينفعهم الندم ، قال تعالى ﴿ذلك يوم التغابن﴾.تحفة (٦/ ٨٩)

(٣) (خ) ٦٠٤٩ ، (ت) ٢٣٠٤ ، (جة) ٤١٧٠ ، (حم) ٢٣٤٠." (٢)

"ص -١٦٢- ومن علاجها: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له، فمن رضى، فله الرضى، ومن سخط، فله السخط، فحظك منها ما أحدثته لك، فاختر خير الحظوظ أو شرها، فإن أحدثت له سخطا وكفرا، كتب فى ديوان الهالكين، وإن أحدثت له جزعا وتفريطا فى ترك واجب، أو فى فعل محرم، كتب فى ديوان المفرطين، وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر، كتب فى ديوان **المغبونين**، وإن أحدثت له اعتراضا على الله، وقدحا فى حكمته، فقد قرع باب الزندقة أو ولجه، وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله، كتب فى ديوان الصابرين، وإن أحدثت له الرضى عن الله، كتب فى ديوان الراضين، وإن أحدثت له الحمد والشكر، كتب فى ديوان الشاكرين، وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين، وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه، كتب فى ديوان المحبين المخلصين.

وفى "مسند الإمام أحمد" والترمذى، من حديث محمود بن لبيد يرفعه: "إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضى، ومن سخط فله السخط". زاد أحمد: "ومن جزع فله الجزع".

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ فى الجزع غايته، فآخر أمره إلى صبر الاضطرار، وهو غير محمود ولا

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٠٩٠

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٣٣١/٨

مثاب، قال بعض الحكماء: العاقل يفعل فى أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم

وفى "الصحيح" مرفوعا: "الصبر عند الصدمة الأولى".

وقال الأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا، وإلا سلوت سلو البهائم.

ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له، وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب، فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخط ما يحبه، وأحب ما يسخطه، فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمقت إلى محبوبه.

وقال أبو الدرداء: إن الله إذا قضى قضاء،." (١)

" ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود الى اوطاننا ونسلم

فسر هذه الوجوه انه سبحانه وتعالى سبق في حكمه وحكمته ان الغايات المطلوبة لا تنال الا باسبابها التي جعلها الله اسبابا مفضية اليها ومن تلك الغايات اعلى انواع النعيم وافضلها وأجلها فلا تنال الا باسباب نصبها مفضية اليها وإذا كانت الغايات التي هي دون ذلك لاتنال لا باسبابها مع ضعفها وانقطاعها كتحصيل المأكول والمشروب والملبوس والولد والمال والجاه في الدنيا فكيف يتوهم حصول اعلى الغايات واشرف المقامات بلا سبب يفضى اليه ولم يكن تحصيل تلك الاسباب الا في دار المجاهدة والحرث فكان اسكان آدم وذريته هذه الدار التي ينالون فيها الاسباب الموصلة الى أعلى المقامات من إتمام انعامه عليهم وسرها ايضا انه سبحانه جعل الرسالة والنبوة والخلة والتكليم والولاية والعبودية من اشرف مقامات خلقه ونهايات كمالهم فأنزلهم دارا اخرج منهم الانبياء وبعث فيها الرسل واتخذ منهم من اتخذ خليلا وكلم موسى تكليما واتخذ منهم اولياء وشهداء وعبيدا وخاصة يحبهم ويحبونه وكان إنزالهم الى الارض من تمام الانعام والاحسان وايضا انه اظهر لخلقه من آثار اسمائه وجريان احكامها عليهم ما اقتضته حكمته ورحمته وعلمه وسرها ايضا انه تعرف الى خلقه بافعاله واسمائه وصفاته وما احدثه في اوليائه واعدائه من كرامته وانعامه على الاولياء واهانته واشقائه للاعداء ومن اجابته دعواتهم وقضائه حوائجهم وتفريج كرباتهم وكشف بلائهم وتصريفهم تحت أقداره كيف يشاء وتقليبهم في أنواع الخير والشر فكان في ذلك اعظم دليل لهم على انه ربهم ومليكهم وانه الله الذي لا إله الا هو وأنه العليم الحكيم السميع البصير وأنه الاله الحق وكل ما سواه باطل فتظاهرت ادلة ربوبيته وتوحيده في الارض وتنوعت وقامت من كل جانب فعرفه الموفقون من عباده وأقروا بتوحيده

---

(١) الطب النبوي، ٧/٤٦

إيمانا واذعانا وجحده المخذولون على خليقته واشركوا به ظلما وكفرانا فهلك من هلك عن بينة وحيي من حى بينة والله سميع عليم ومن تأمل آياته المشهودة والمسموعة في الارض ورأى آثارها علم تمام حكمته في اسكان آدم وذريته في هذه الدار الى أجل معلوم فالله سبحانه إنما خلق الجنة لآدم وذريته وجعل الملائكة فيها خدما لهم ولكن اقتضت حكمته ان خلق لهم دارا يتزودون منها الى الدار التي خلقت لهم وأنهم لاينالونها الا بالزاد كما قال تعالى في هذه الدار وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس إن ربكم لرؤوف رحيم فهذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد الى بلد فكيف الانتقال من الدنيا الى دار القرار وقال تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فباع **المغبونون** ." (١)

" ينبغي ان يوقع عليه ويجرى فيه فانه لا يتم المقصود منه الا بذكر متعلقه الذي يقع الفكر فيه والا ففكر بغير متفكر فيه محال قيل مجرى الفكر ومتعلقه اربعة امور احدها غاية محبوبة مرادة الحصول الثاني طريق موصلة الى تلك الغاية الثالث مضرة مطلوبة الاعدام مكروهة الحصول الرابع الطريق المفضي اليها الموقع عليها فلا تتجاوز افكار العقلاء هذه الامور الاربعة وأي فكر تخطاها فهو من الافكار الردية والخيالات والاماني الباطلة كما يتخيل الفقير المعدم نفسه من اغنى البشر وهو يأخذ ويعطي وينعم ويحرم وكما يتخيل العاجز نفسه من اقوى الملوك وهو يتصرف في البلاد والرعية ونظير ذلك من افكار القلوب الباطولية التي من جنس افكار السكران والمحشوش والضعيف العقل فالافكار الردية هي قوت الانفس الخسيسة التي هي في غاية الدناءة فإنها قد قنعت بالخيال ورضيت بالمحال ثم لا تزال هذه الافكار تقوى بها وتتزايد حتى توجب لها آثارا ردية ووساوس وأمراضا بطيئة الزوال وإذا كان الفكر النافع لا يخرج عن الاقسام الاربعة التي ذكرناها فله ايضا محلان ومنزلان احدهما هذه الدار والاخر دار القرار فأبناء الدنيا الذين ليس لهم في الاخرة من خلاق عمروا بيوت افكارهم بتلك الاقسام الاربعة في هذه الدار فأثمرت لهم افكارهم فيها ما اثمرت ولكن إذا حقت الحقائق وبطلت الدنيا وقامت الاخرة تبين الرابح من **المغبون** وخسر هنالك المبطلون وأبناء الاخرة الذين خلقوا لها عمروا بيوت افكارهم على تلك الاقسام الاربعة فيها ونحن نفصل ذلك بعون الله وفضله فنقول كل طالب لشيء فهو محب له مؤثر لقربه ساع في طريق تحصيله متوصل اليه بجهده وهذا يوجب له تعلق افكاره بجمال محبوبه وكماله وصفاته التي يحب لاجلها وتعلقها بما يناله به من الخير والفرح والسرور ففكره في حال محبوبه دائر بين الجمال والاجمال والحسن والاحسان فكلما قويت محبته ازداد هذا الفكر وقوى وتضاعف حتى يستغرق اجزاء القلب فلا يبقى فيه فضل لغيره

---

(١) مفتاح دار السعادة، ١/١٠

بل يصير بين الناس بقالبه وقلبه كله في حضرة محبوبه فإن كان هذا المحبوب هو المحبوب الحق الذي لا تنبغي المحبة إلا له ولا يحب غيره إلا تبعا لمحبته فهو اسعد المحبين به وقد وضع الحب موضعه وتهيأت نفسه لكمالها الذي خلقت له والذي لا كمال لها بدونه بوجه وان كانت تلك المحبة لغيره من المحبوبات الباطلة المتلاشية التي تفنى وتبقى حزازات القلوب بها على حالها فقد وضع المحبة في غير موضعها وظلم نفسه اعظم ظلم واقبحه وتهيأت بذلك نفسه لغاية شقائها والمها وإذا عرف هذا عرف ان تعلق المحبة بغير الاله الحق هو عين شقاء العبد وخسرانه فافكفاره المتعلقة بها كلها باطلة وهي مضرة عليه في حياته وبعدموته والمحب الذي قد ملك المحبوب افكار قلبه لا يخرج فكره عن تعلقه بمحبوبه او بنفسه ثم فكره في محبوبه لا يخرج عن حالتين ." (١)

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج حر المصيبة وحزنها

قال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة ١٥٥] . وفي " المسند " عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجاره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها

[إذا تحقق العبد بأنه لله وأن مصيره إليه تسلى عن مصيبته]

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته . أحدهما : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضا فإنه محفوف بعدمين عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له متعة مءارة في زمن يسير وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو [ص ١٧٤] والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال

---

(١) مفتاح دار السعادة، ١/١٨٤

فخور ﴾ [الحديد ٢٢] .

[ذكر بعض العلاجات منها النظر إلى ما أبقى الله عليه من النعم]

ومن علاجه أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه وادخر له – إن صبر ورضي – ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي .

[التأسي بأهل المصائب وذكر قصص في ذلك]

ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما ساءت دهرا وإن متعت قليلا [ص ١٧٥] خيرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور قال ابن مسعود – رضي الله عنه – لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا وقال ابن سيرين : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء وقالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس وأنه حق على الله ألا يملأ دارا خيرة إلا ملأها عبرة . وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها فقيل لها : ما يبكيك لعل أحدا آذاك ؟ قالت لا ولكن رأيت غضارة في أهلي وقلما امتلأت دار سرورا إلا امتلأت حزنا . قال إسحاق بن طلحة : دخلت عليها يوما فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة إلا سيعقبون بعدها عبرة وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

[ص ١٧٦]

[الجزع يضاعف المرض]

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع لا يردها بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض .

[فوت ثواب الصبر أعظم من المصيبة]

ومن علاجها أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على

الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة .

[الجزع يشمت الأعداء]

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه ورده خاسئا وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا هو الثبات والكمال الأعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور .

[لذة الصبر ومنها بيت الحمد]

ومن علاجها : أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه فلينظر أي ال‍مصيبتين أعظم ؟ : مصيبة العاجلة أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد . وفي الترمذي مرفوعا : يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء وقال بعض السلف لولا مصائب الدنيا لوردنا القيام مفاليس .

[ترويح القلب برجاء الخلف من الله]

ومن علاجها : أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله فإنه من كل شيء عوض إلا الله فما منه عوض كما قيل [ص ١٧٧] من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعته عوض

[الحظ من المصيبة ما تحدثه له]

ومن علاجها : أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط فحظك منها ما أحدثته لك فاختر خير الحظوظ أو شرها فإن أحدثت له سخطا وكفرا كتب في ديوان الهالكين وإن أحدثت له جزعا وتفريطا في ترك واجب أو فعل محرم كتب في ديوان المفرطين وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين وإن أحدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله كتب في ديوان الصابرين وإن أحدثت له الرضى عن الله كتب في ديوان الراضين وإن أحدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين . وفي مسند " الإمام أحمد " والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه إن الله إذا أحب قوما ا بتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط زاد أحمد : ومن جزع فله الجزع ومن علاجها : أن يعلم أنه وإن

بلغ في الجزع غايته فآخر أمره إلى صبر الاضطرار وهو غير محمود ولا مثاب قال بعض الحكماء العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم . وفي " الصحيح " مرفوعا : الصبر عند الصدمة الأولى وقال [ص ١٧٨] الأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت سلو البهائم

[أنفع الأدوية موافقة الله فيما أحبه]

ومن علاجها : أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت إلى محبوبه . وقال أبو الدرداء : إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به وكان عمران بن حصين يقول في علته أحبه إلي أحبه إليه وكذلك قال أبو العالية . وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به .

[لذة التمتع بثواب الله أعظم من لذة التمتع بما أصيب به]

ومن علاجها : أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدومهما : لذة تمتعه بما أصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وإن آثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه .

[ابتلاء الله العبد لامتحان صبره]

ومن علاجها أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحا ببابه لائذا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى إليه . قال الشيخ عبد القادر : يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك يا بني القدر سبع والسبع لا يأكل الميتة . والمقصود أن المصيبة كير العبد الذي يسبك به حاصله فإما أن يخرج [ص ١٧٩] أحمر وإما أن يخرج خبثا كله كما قيل سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل .

[المصيبة كاسرة لداء الكبر وقسوة القلب]

ومن علاجها : أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد – من أدواء الكبر والعجب والفرعنة

وقسوة القلب – ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظا لصحة عبوديته واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل قد ينعم بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا أنه – سبحانه – يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله – سبحانه – إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه .

[مرارة الدنيا حلاوة الآخرة]

ومن علاجها : أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة يقلبها الله سبحانه كذلك وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق وظهرت حقائق الرجال فأكثرهم [ص ١٨٠] آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ولا ذل ساعة لعز الأبد ولا محنة ساعة لعافية الأبد فإن الحاضر عنده شهادة والمنتظر غيب والإيمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ويجاوزه إلى العواقب والغايات فله شأن آخر . فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الأبدية والفوز الأكبر وما أعد لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ثم اختر أي القسمين أليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه وما هو الأولى به ولا تستطل هذا العلاج فشدة الحاجة إليه من الطبيب والعليل دعت إلى بسطه وبالله التوفيق .." (١)

" الباب السادس والعشرون في ترك المحبين أدنى المحبوبين رغبة في أعلاهما

هذا باب لا يدخل فيه إلا النفوس الفاضلة الشريفة الأبية التي لا تقنع بالدون ولا تبيع الأعلى بالأدنى بيع العاجز **المغبون** ولا يملكها لطخ جمال مغش على أنواع من القبائح كما قال بعض الأعراب وقد نظر إلى امرأة مبرقعة

---

(١)

إذا بارك الله في ملبس ... فلا بارك الله في البرقع

يريك عيون المها مسبلا ... ويكشف عن منظر في أشنع

وقال الآخر

لا يغرنك ما ترى من نقاب ... إن تحت النقاب داء دويا

فالنفس الأبية لا ترضى بالدون وقد عاب الله سبحانه أقواما استبدلوا طعاما بطعام أدنى منه فنعى ذلك عليهم وقال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وذلك دليل على وضاعة النفس وقلة قيمتها

وقال الأصمعي خلا رجل من الأعراب بامرأة فهم بالريبة فلما تمكن منها تنحى سليما وجعل يقول إن امرءا باع جنة عرضها السموات والأرض بفتر ما بين رجليك لقليل البصر بالمساحة ." (١)

"ص -٢٤٩- الحسنة مكان السيئة فحق. وكذلك نقول: إن الحسنة المفعولة صارت فى مكان السيئة التى لولا الحسنة لحلت محلها. قالوا: وأما احتجاجكم بإضافة السيئات إليهم وذلك يقتضى أن تكون هى السيئات الواقعة.

وتنكير الحسنات وهو يقتضى أن تكون حسنات من فضل الله، فهو حق بلا ريب ولكن من أين يبقى أن يكون فضل الله بها مقارنا لكسبهم إياها بفضله؟ قالوا: وأما قولكم: إن التبديل مضاف إلى الله لا إليهم وذلك يقتضى أنه هو الذى بدلها [سبحانه] من الصحف لا أنهم هم الذين بدلوا الأعمال بأضدادها، فهذا لا دليل لكم فيه، فإن الله خالق أفعال العباد، فهو المبدل للسيئات حسنات خلقا وتكوينا، وهم المبدلون لها فعلا وكسبا.

قالوا: وأما احتجاجكم بأن الجزاء من جنس العمل، فكما بدلوا سيئات أعمالهم بحسناتهم بدلها الله كذلك فى صحف الأعمال، فهذا حق وبه نقول، وأنه بدلت السيئات التى كانت مهيأة ومعدة أن تحل فى الصحف بحسنات حلت موضعها.

فهذا منتهى أقدام الطائفتين، ومحط نظر الفريقين. وإليك أيها المنصف الحكم بينهما، فقد أدلى كل منهما بحجته، فأقام بينته، والحق لا يعدوهما ولا يتجاوزهما، فأرشد الله من أعان على هدى فنال به درجة الداعين إلى الله القائمين ببيان حججه ودينه، أو عذر طالبا منفردا فى طريق مطلبه قد انقطع رجاؤه من رفيق فى الطريق، فغاية أمنيته أن يخلى بينه وبين سيره وأن لا يقطع عليه طريقه.

فمن رفع له مثل هذا العلم ولم يشمر إليه فقد رضى بالدون، وحصل على صفقة المغبون، ومن شمر إليه

---

(١) روضة المحبين، ص/٣٩٤

ورام أن لا يعارضه معارض، ولا يتصدى له ممانع فقد منى نفسه المحال، وإن صبر على لأوائها وشدتها فهو والله الفوز المبين والحظ الجزيل.. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

فالصواب إن شاء الله فى هذه المسألة أن يقال: لا ريب أن الذنب نفسه لا ينقلب حسنة، والحسنة إنما هى أمر وجودى يقتضى ثوابا، ولهذا كان تارك المنهيات إنما يثاب على كف نفسه." (١)

"ص -٤٠٤- عمى وعرف ثم تجاهل وأقر ثم أنكر وآمن، ثم كفر، ومن كان هكذا كان أشد كفرا وأخبث قلبا وأعتى على الله ورسله، فاستحق الدرك الأسفل.

وفيه معنى آخر أيضا وهو أن الحامل لهم على النفاق طلب العز والجاه بين الطائفتين فيرضوا المؤمنين ليعزوهم، ويرضوا الكفار ليعزوهم أيضا.

ومن [هاهنا] دخل عليهم البلاء، فإنهم أرادوا العزتين من الطائفتين، ولم يكن لهم غرض فى الإيمان والإسلام ولا طاعة الله ورسوله، بل كان ميلهم وضعوهم وجهتهم إلى الكفار، فقوبلوا على ذلك بأعظم الذل وهو أن جعل مستقرهم فى أسفل السافلين تحت الكفار، فما اتصف به المنافقون من مخادعة الله ورسوله والذين آمنوا، والاستهزاء بأهل الإيمان والكذب والتلاعب بالدين وإظهار أنهم [من المؤمنين وأبطنوا قلوبهم فتغلظ كفرهم به، فاستحقوا الدرك الأسفل] من النار ولهذا لما ذكر تعالى أقسام الخلق فى أول سورة [البقرة: ٢- ٢٠]فقسمهم إلى مؤمن ظاهرا وباطنا، وكافر ظاهرا وباطنا، ومؤمن فى الظاهر كافر فى الباطن وهم المنافقون، وذكر فى حق المؤمنين ثلاث آيات ٣-٥، وفى حق الكفار آيتين ٦- ٧.

فلما انتهى إلى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة آية ٨- ٢٠ ذمهم فيها غاية الذم وكشف عوراتهم وقبحهم وفضحهم، وأخبر أنهم هم السفهاء المفسدون فى الأرض المخادعون المستهزئون **المغبونون** فى اشترائهم الضلالة بالهدى، وأنهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون، وأنهم مرضى القلوب وأن الله يزيدهم مرضا إلى مرضهم، فلم يدع ذما ولا عيبا إلا ذمهم به، وهذا يدل على شدة مقته سبحانه لهم، وبغضه إياهم، وعداوته لهم، وأنهم أبغض أعدائه إليه.فظهرت حكمته الباهرة فى تخصص هذه الطبقة بالدرك الأسفل من النار.

نعوذ بالله من مثل حالهم، ونسأله معافاته ورحمته. ومن تأمل ما وصف [الله به المنافقين فى القرآن من

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ١٢٩/٢٣

صفات الذم علم أنهم أحق بالدرك الأسفل فإنه وصفهم بمخادعته ومخادعة عباده ووصف] قلوبهم بالمرض وهو مرض الشبهات." (١)

" فصل

في هديه صلى الله عليه و سلم في علاج حر المصيبة وحزنها

قال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٥] وفي المسند عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجاره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها]

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته

أحدهما : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز و جل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضا فإنه محفوف بعدمين : عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ولا يبقي عليه وجوده فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي وأيضا فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور المنهي لا تصرف الملاك ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي

والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [الحديد : ٢٢]

ومن علاجه أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه وادخر له – إن صبر ورضي – ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ١١٠/٢٤

ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما ساءت دهرا وإن متعت قليلا منعت طويلا وما ملأت دارا خيرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا وقال ابن سيرين : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء

وقالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس وأنه حق على الله ألا يملأ دارا خيرة إلا ملأها عبرة

وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت : أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا

وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها فقيل لها : ما يبكيك لعل أحدا آذاك ؟ قالت : لا ولكن رأيت غضارة في أهلي وقلما امتلأت دار سرورا إلا امتلأت حزنا

قال إسحاق بن طلحة : دخلت عليها يوما فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت : ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة إلا سيعقبون بعدها عبرة وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت :

(فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف)

(فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف)

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع لا يردها بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض

ومن علاجها أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والإسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه ورده خاسئا وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا هو الثبات والكمال الأعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور

ومن علاجها : أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والإحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه فلينظر : أي المصيبتين أعظم ؟ : مصيبة العاجلة أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد وفي الترمذي مرفوعا : [يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء]

وقال بعض السلف : لو لا مصائب الدنيا لوردنا القيام مفاليس

ومن علاجها : أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله فإنه من كل شئ عوض إلا الله فما منه عوض كما قيل :

(من كل شئ إذا ضيعته عوض ... وما من الله إن ضيعته عوض)

ومن علاجها : أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط فحظك منها ما أحدثته لك فاختر خير الحظوظ أو شرها فإن أحدثت له سخطا وكفرا كتب في ديوان الهالكين وإن أحدثت له جزعا وتفريطا في ترك واجب أو فعل محرم كتب في ديوان المفرطين وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان **المغبونين** وإن أحدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله كتب في ديوان الصابرين وإن أحدثت له الرضى عن الله كتب في ديوان الراضين وإن أحدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه : [إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط] زاد أحمد : [ومن جزع فله الجزع]

ومن علاجها : أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته فآخر أمره إلى صبر الإضطرار وهو غير محمود ولا مثاب قال بعض الحكماء : العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم وفي الصحيح مرفوعا : [الصبر عند الصدمة الأولى] وقال الأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت سلو البهائم

ومن علاجها : أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت إلى محبوبه

وقال أبو الدرداء : أن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به وكان عمران بن حصين يقول في علته : أحبه إلي أحبه إليه وكذلك قال أبو العالية

وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به

ومن علاجها : أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدومهما : لذة تمتعه بما أصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وإن آثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه

ومن علاجها أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحا ببابه لائذا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى إليه

قال الشيخ عبد القادر : يا بني ! إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك يا بني ! القدر سبع والسبع لا يأكل الميتة

والمقصود : أن المصيبة كير العبد الذي يسبك به حاصله فإما أن يخرج ذهبا أحمر وإما أن يخرج خبثا كله كما قيل :

(سبكناه ونحسبه لجينا ... فأبدى الكير عن خبث الحديد)

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل

ومن علاجها : أن يعلم أنه لو لا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد - من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب - ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظا لصحة عبوديته واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل :

(قد ينعم بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم)

فلو لا أنه - سبحانه - يداوي عباده بأدوية المحن والإبتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله - سبحانه - إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الإبتلاء والإمتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه

ومن علاجها : أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة يقلبها الله سبحانه كذلك وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق : [حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات]

وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق وظهرت حقائق الرجال فأكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ولا ذل ساعة لعز الأبد ولا محنة ساعة لعافية الأبد فإن الحاضر عنده شهادة والمنتظر غيب والإيمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ويجاوزه إلى العواقب والغايات فله شأن آخر

فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الأبدية والفوز الأكبر وما أعد لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ثم اختر أي القسمين أليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه وما هو الأولى به ولا تستطل هذا العلاج فشدة الحاجة إليه من الطبيب والعليل دعت إلى بسطه وبالله التوفيق ." (١)

" السيئة فحق وكذلك نقول إن الحسنة المفعولة صارت في مكان السيئة التي لولا الحسنة لحلت محلها قالوا وأما احتجاجكم بإضافة السيئات إليهم وذلك يقتضي أن تكون هي السيئات الواقعة وتنكير الحسنات وهو يقتضي أن تكون حسنات من فضل الله فهو حق بلا ريب ولكن من أين يبقى أن يكون فضل الله بها مقارنا لكسبهم إياها بفضله قالوا وأما قولكم إن التبديل مضاف إلى الله لا إليهم وذلك يقتضي أنه هو الذي بدلها من الصحف لا أنهم هم الذين بدلوا الأعمال بأضدادها فهذا لا دليل لكم فيه فإن الله خالق أفعال العباد فهو المبدل للسيئات حسنات خلقا وتكوينا وهم المبدلون لها فعلا وكسبا قالوا وأما احتجاجكم بأن الجزاء من جنس العمل فكما بدلوا سيئات أعمالهم بحسناتهم بدلها الله كذلك في صحف الأعمال فهذا حق وبه نقول وأنه بدلت السيئات التي كانت مهيأة ومعدة أن تحمل في الصحف بحسنات حلت موضعها

فهذا منتهى إقدام الطائفتين ومحط نظر الفريقين وإليك أيها المنصف الحكم بينهما فقد أدلى كل منهما بحجته فأقام بينته والحق لا يعدوهما ولا يتجاوزهما فأرشد الله من أعان على هدى فنال به درجة الداعين إلى الله القائمين ببيان حججه ودينه أو عذر طالبا منفردا عفي طريق مطلبه قد انقطع رجاؤه من

---

(١) زاد المعاد، ١٧٣/٤

رفيق في الطريق فغاية أمنيته أن يخلي بينه وبين سيره وأن لا يقطع عليه طريقه فمن رفع له مثل هذا العلم ولم يشمر إليه فقد رضي بالدون وحصل على صفقة **المغبون** ومن شمر إليه ورام أن لا يعارضه معارض ولا يتصدى له ممانع فقد منى نفسه المحال وإن صبر على لأوائهاه وشدتها فهو والله الفوز المبين والحظ الجزيل وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب فالصواب إن شاء الله في هذه المسألة أن يقال لا ريب أن الذنب نفسه لا ينقلب حسنة والحسنة إنما هي أمر وجودي يقتضي ثوابا ولهذا كان تارك المنهيات إنما يثاب على كف نفسه وحبسها عن مواقعة المنهي وذلك الكف والحبس أمر وجودي وهو متعلق ." (1)

" الأسفل من النار ولهذا لما ذكر تعالى أقسام الخلق في أول سورة البقرة ٢٢ فقسمهم إلى مؤمن ظاهرا وباطنا وكافر ظاهرا وباطنا ومؤمن في الظاهر كافر في الباطن وهم المنافقون وذكر في حق المؤمنين ثلاث آيات ٣ ٥ وفي حق الكفار آيتين ٦ ٧ فلما انتهى إلى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة آية ٨ ٢ ذمهم فيها غاية الذم وكشف عوراتهم وقبحهم وفضحهم وأخبر أنهم هم السفهاء المفسدون في الأرض المخادعون المستهزئون **المغبونون** في اشترائهم الضلالة بالهدى وأنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون وأنهم مرضى القلوب وأن الله يزيدهم مرضا إلى مرضهم فلم يدع ذما ولا عيبا إلا ذمهم به وهذا يدل على شدة مقته سبحانه لهم وبغضه اياهم وعداوته لهم وأنهم أبغض أعدائه إليه فظهرت حكمته الباهرة في تخصيص هذه الطبقة بالدرك الأسفل من النار نعوذ بالله من مثل حالهم ونسأله معافاته ورحمته ومن تأمل ما وصف قلوبهم بالمرض وهو مرض الشبهات والشكوك ووصفهم بالإفساد في الأرض وبالاستهزاء بدينه وبعباده وبالطغيان واشتراء الضلالة بالهدى والصمم والبكم والعمى والحيرة والكسل عند عبادته والزنا وقلة ذكره والحلف باسمه تعالى كذبا وباطلا وبالكذب وبغاية الجبن وبعدم الفقه في الدين وبعدم العلم وبالبخل وبعدم الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالرب وبأنهم مضرة على المؤمنين ولا يحصل لهم بنصيحتهم إلا الشر من الخبال و الإسراع بينهم بالشر وإلقاء الفتنة وكراهتهم لظهور أمر الله ومحو الحق وأنهم يحزنون بما يحصل للمؤمنين من الخير والنصر ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاء وأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين وبكراهتهم الإنفاق في مرضاة الله وسبيله وبعيب المؤمنين ورميهم بما لس فيهم فيلزمون المتصدقين ويعيبون مزهدهم ويرمون بالرياء إرادة الثناء في لناس مكثرهم وأنهم عبيد الدنيا إن أعطوا منها رضوا وإن منعوا ." (2)

---

(١) طريق الهجرتين، ص/٣٧٨

(٢) طريق الهجرتين، ص/٥٩٩

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج حر المصيبة وحزنها

قال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة ١٥٥] . وفي " المسند " عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجاره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها

[إذا تحقق العبد بأنه لله وأن مصيره إليه تسلى عن مصيبته]

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته . أحدهما : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضا فإنه محفوف بعدمين عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو [ص ١٧٤] والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [الحديد ٢٢] .

[ذكر بعض العلاجات منها النظر إلى ما أبقى الله عليه من النعم]

ومن علاجه أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه وادخر له - إن صبر ورضي - ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي .

[التأسي بأهل المصائب وذكر قصص في ذلك]

ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما ساءت دهرا وإن متعت قليلا [ص ١٧٥] خيرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور إلا

خبأت له يوم شرور قال ابن مسعود – رضي الله عنه – لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا وقال ابن سيرين : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء وقالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس وأنه حق على الله ألا يملأ دارا خيرة إلا ملأها عبرة . وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها فقيل لها : ما يبكيك لعل أحدا آذاك ؟ قالت لا ولكن رأيت غضارة في أهلي وقلما امتلأت دار سرورا إلا امتلأت حزنا . قال إسحاق بن طلحة : دخلت عليها يوما فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة إلا سيعقبون بعدها عبرة وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

[ص ١٧٦]

[الجزع يضاعف المرض]

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع لا يردها بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض .

[فوت ثواب الصبر أعظم من المصيبة]

ومن علاجها أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة .

[الجزع يشمت الأعداء]

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه ورده خاسئا وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا هو الثبات والكمال الأعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور .

[لذة الصبر ومنها بيت الحمد]

ومن علاجها : أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه

فلينظر أي ال‍مصيبتين أعظم ؟ : مصيبة العاجلة أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد . وفي الترمذي مرفوعا : يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء وقال بعض السلف لولا مصائب الدنيا لوردنا القيام مفاليس .

[ترويح القلب برجاء الخلف من الله]

ومن علاجها : أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله فإنه من كل شيء عوض إلا الله فما منه عوض كما قيل [ص ١٧٧] من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعته عوض

[الحظ من المصيبة ما تحدثه له]

ومن علاجها : أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط فحظك منها ما أحدثته لك فاختر خير الحظوظ أو شرها فإن أحدثت له سخطا وكفرا كتب في ديوان الهالكين وإن أحدثت له جزعا وتفريطا في ترك واجب أو فعل محرم كتب في ديوان المفرطين وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان **المغبونين** وإن أحدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله كتب في ديوان الصابرين وإن أحدثت له الرضى عن الله كتب في ديوان الراضين وإن أحدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين . وفي مسند " الإمام أحمد " والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه إن الله إذا أحب قوما ا بتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط زاد أحمد : ومن جزع فله الجزع ومن علاجها : أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته فآخر أمره إلى صبر الاضطرار وهو غير محمود ولا مثاب قال بعض الحكماء العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم . وفي " الصحيح " مرفوعا : الصبر عند الصدمة الأولى وقال [ص ١٧٨] الأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت سلو البهائم

[أنفع الأدوية موافقة الله فيما أحبه]

ومن علاجها : أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت إلى محبوبه . وقال أبو الدرداء : إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به وكان عمران بن حصين يقول في علته أحبه إلي أحبه إليه وكذلك قال أبو العالية . وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين

ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به .

[لذة التمتع بثواب الله أعظم من لذة التمتع بما أصيب به]

ومن علاجها : أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدومهما : لذة تمتعه بما أصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وإن آثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه .

[ابتلاء الله العبد لامتحان صبره]

ومن علاجها أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحا ببابه لائذا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى إليه . قال الشيخ عبد القادر : يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك يا بني القدر سبع والسبع لا يأكل الميتة . والمقصود أن المصيبة كير العبد الذي يسبك به حاصله فإما أن يخرج [ص ١٧٩] أحمر وإما أن يخرج خبثا كله كما قيل سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل .

[المصيبة كاسرة لداء الكبر وقسوة القلب]

ومن علاجها : أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد – من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب – ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظا لصحة عبوديته واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل قد ينعم بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا أنه – سبحانه – يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله – سبحانه – إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه .

[مرارة الدنيا حلاوة الآخرة]

ومن علاجها : أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة يقلبها الله سبحانه كذلك وحلاوة الدنيا

بعينها مرارة الآخرة ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق وظهرت حقائق الرجال فأكثرهم [ص ١٨٠] آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ولا ذل ساعة لعز الأبد ولا محنة ساعة لعافية الأبد فإن الحاضر عنده شهادة والمنتظر غيب والإيمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ويجاوزه إلى العواقب والغايات فله شأن آخر . فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الأبدية والفوز الأكبر وما أعد لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ثم اختر أي القسمين أليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه وما هو الأولى به ولا تستطل هذا العلاج فشدة الحاجة إليه من الطبيب والعليل دعت إلى بسطه وبالله التوفيق .." (١)

"فيقول مشيرا إلى عاذلته: ذريني لأنال من العلا ما يصعب نيله، وأدرك منها ما لا يقرب مثله، فليس يدرك من المعالي ما تجل قيمته، إلا بتكلف ما تعظم مشقته، وما كان منها يقرب تناوله، فبحسب ذلك يكون تسافله.

ثم قال مخاطبا لها: تريدين أن ألقى المعالي وادعا غير متمون، وأدركها ريحا غير متكلف، ولابد دون الشهد والتلذذ بتطعمه من لدغ إبر النحل، والتحمل لألمه.

ثم قال، وهو يريد عاذلته، وأشار إلى الوقعة التي شهدها عند وروده الكوفة، حذرت علينا الموت، والحرب تسعر، والفرسان في غمراتها تدعي وتفتخر، ولم تعلمي ما أجلت عنه من الظهور والغبطة، وما أعقبت به من الكرامة والرفعة. وأشار إلى تشكره له دلير بن يشكروز من اشتهاره في تلك الحروب، وما قارضه به من الإحسان والبر.

ولست غبينا لو شربت منيتي ... بإكرام دلير بن يشكروز لي

تمر الأنابيب الخواطر بيننا ... ونذكر إقبال الأمير فتحلو لي

ولو كنت أدري أنها سبب له ... لزاد سروري بالزيادة في القتل

(١) زاد المعاد، ١٧٣/٤

الغبين: **المغبون**، وهو فعيل بمعنى مفعول، كما يقال قتيل بمعنى مقتول، وشريت الشيء، بعته، وشريته: ابتعته، وأراد هاهنا الابتياع، والأنابيب: ما بين كعوب القناة، واحدها: أنبوب، وأشار بها إلى الرماح.

فيقول: ولست مغبونا لو ابتعت المنية مغتبطا بها، ولقيتها غير متكره لها، جزاء بما أولاني دلير بن يشكروز من كرامته، ومقارضة لما خصني به من ملاطفته.

ثم قال مشيرا إلى الوقعة التي شهدها بالكوفة، وكانت سبب قدوم دلير بن يشكروز على الناحية: تمر بيننا أنابيب الرماح التي استعملناها في المطاعنة، وضربناها فيما عانيناه من المقاتلة، ونذكر ما يدعو ذلك إليه من قدوم الأمير دلير بن يشكروز، فيحلو لي لنا من ذلك ما مر طعمه، ويحسن عندنا منه ما يستكره أمره.." (١)

"زيد أضرب من عمرو. والسيف أقتل من الرمح. ولا يبنى من فعل المفعول به ألا ترى أنك لا تقول: زيد أضرب من عمرو وتريد أن الضرب أوقع به من عمرو. وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العربية، وإلا في الشاذ الذي لا يقاس عليه.

والمعنى إنه يقول لعاذلته: كفى لومك، أراني ألوم منك. أي أرى نفسي أقدر على اللوم منك. فلومك نصب بوقوع كفى عليه. ثم تم الكلام فابتدأ يشكو حاله يقول: حالي هم أقام على فؤاد أنجم. فهو رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو رفع بالابتداء وخبره محذوف. كأنه يريد: هم أقام على فؤاد أنجم شكواي. ومثله في القصيدة:

غصن على نقوي فلاة نابت ... شمس النهار تقل ليلا مظلما

يريد غصن هذه حاله. حبيبي أو حبيبتي غصن هذه حاله. وكذلك ارتفاع شمس على هذين التأويلين. فأما قوله: أراني فليس من الرؤية بالعين، وإنما هو من باب العلم. وإن كان قوله إذا كنت في هبوة لا أراني ممتنعا. لأن العرب لا تقول في الأفعال المؤثرة: ضربتني وأكرمتني. واكتفت بضربت نفسي، وأكرمت نفسي. ووجب أن يقول أرى نفسي لأنه من الرؤية بالعين. فهذا البيت غير ممتنع لأنه من رؤية العلم. وهم يقولون في أفعال الشك واليقين نحو: ظننتني، وخلتني. وقد (يقرأ) قول المجنون:

ندمت على ما كان مني فعدتني ... كما فعل **المغبون** حين يبيع." (٢)

---

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الثاني، ابن الإفليلي ٦٣/٢

(٢) الفتح على أبي الفتح، ابن فورجة ص/٢٩٩

"الثوب وخبنته إذا طال عن مقدارك فخطت منه شيئا، فهو نقصان أيضا. والمغابن: ما انثنى من الخلق نحو الإبطين والفخذين. قال المفسرون: **فالمغبون** من غبن أهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وتضييعه الأيام. قال الزجاج: ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان دون منزلته. الثانية- فإن قيل: فأي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها. قيل له: هو تمثيل الغبن في الشراء والبيع، كما قال تعالى: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى «١» [البقرة: ١٦]. ولما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا، وذكر أيضا أنهم غبنوا، وذلك أن أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا، واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة. وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا. وقد فرق الله سبحانه وتعالى الخلق فريقين: فريقا للجنة وفريقا للنار. ومنازل الكل موضوعة في الجنة والنار. فقد يسبق الخذلان على العبد- كما بيناه في هذه السورة وغيرها- فيكون من أهل النار، فيحصل الموفق على منزل المخذول ومنزل الموفق في النار للمخذول، فكأنه وقع التبادل فحصل التغابن. والأمثال موضوعة للبيان في حكم اللغة والقرآن. وذلك كله مجموع من نشر الآثار وقد جاءت مفرقة في هذا الكتاب. وقد يخبر عن هذا التبادل بالوراثة كما بيناه في قد أفلح المؤمنون «٢» [المؤمنون: ١] والله أعلم. وقد يقع التغابن في غير ذلك اليوم على ما يأتي بيانه بعد، ولكنه أراد التغابن الذي لا جبران لنهايته. وقال الحسن وقتادة: بلغنا أن التغابن في ثلاثة أصناف: رجل علم علما فعلمه وضيعه هو ولم يعمل به فشقي به، وعمل به من تعلمه منه فنجا به. ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه، وفرط في طاعة ربه بسببه، ولم يعمل فيه خيرا، وتركه لوارث لا حساب عليه فيه، فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه. ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه فسعد، وعمل السيد بمعصية وبه فشقي. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا فما أنتما بقائلين فيقول الرجل يا رب أوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حلال وحرام وهؤلاء الخصوم

---

(١). راجع ج ١ ص (٢١٠)

(٢). راجع ج ١٢ ص ١٠٨." (١)

"وقد ذكر أبو نعم الحافظ، عن أبي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا، فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه، فخرج إليه، ثم مر بعمر فدعاه،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨/١٣٧

فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: (أطعمنا بسرا) فجاء بعذق، فوضعه فأكلوا، ثم دعا بماء فشرب، فقال: (لتسألن عن هذا يوم القيامة) قال: وأخذ عمر العذق، فضرب به الأرض حتى تناثر البسر نحو وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: (نعم إلا من ثلاث: كسرة يسد بها جوعته، أو ثوب يستر به عورته، أو حجر يأوي فيه من الحر والقر). واختلف أهل التأويل في النعيم المسئول عنه على عشرة أقوال: أحدها: الأمن والصحة، قاله ابن مسعود. الثاني- الصحة والفراغ، قاله سعيد بن جبير. وفي البخاري عنه عليه السلام: (نعمتان «١» مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ). الثالث- الإدراك بحواس السمع والبصر، قاله ابن عباس. وفي التنزيل: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان «٢» عنه مسؤلا [الاسراء: ٣٦]. وفي الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقول له: ألم أجعل لك سمعا وبصرا، ومالا وولدا ...)، الحديث. خرجه الترمذي وقال فيه: حديث حسن صحيح. الرابع- ملاذ المأكول والمشروب قاله جابر بن عبد الله الأنصاري. وحديث أبي هريرة يدل عليه. الخامس- أنه الغداء والعشاء، قاله الحسن. السادس- قول مكحول الشامي-: أنه شبع البطون وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. ورواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتسألن يومئذ عن النعيم) يعني عن شبع البطون ... (. فذكره. ذكره الماوردي، وقال: وهذا السؤال يعم الكافر والمؤمن، إلا أن سؤال المؤمن

---

(١). أي ذو خسران فيهما. والنعمة: ما يتنعم به الإنسان ويستلذه. والغبن: أن يشتري بأضعاف الثمن. أو يبيع بدون ثمن المثل. فمن صح بدنه: وتفرغ من الاشغال العائقة ولم يسع لصلاح آخرته فهو **كالمغبون** في البيع. والمقصود: بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ، بل يصرفونهما في غير محالهما. (عن شرح سنن ابن ماجة).

(٢). آية ٣٦ سورة الاسراء. [.....]." [١]

"روى عنه مسلم بن جندب فيما ذكره الطبراني، وشيخ من أهل المدينة، والقاسم بن عبد الرحمن المدني عند أبي داود في «السنن».

وفي كتاب «الصحابة» للبرقي: أمه زينب وكان من المؤلفة، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧٦/٢٠

حنين مائة بعير.

وفي «البيان والتبين» لابن بحر، عن كثير بن أبي الصلت: إن حكيما باع داره من معاوية بستين ألف دينار، فقيل له: غبنك والله معاوية. فقال: والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق خمر، أشهدكم أنها في سبيل الله تعالى، فانظروا

أينا **المغبون**.

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن»: وقول من قال: إن علي بن أبي طالب ولد في جوف الكعبة ليس بصحيح، لم يولد فيها غير حكيم.

وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر: روى عنه عراك بن مالك.

وكناه أبو عبيد القاسم بن سلام: أبا يزيد.

وقال العجلي: كان متبتلا.

١٣١٣ - (٤) حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصاري المدني أخو عثمان بن حكيم.

خرج أبو حاتم البستي، وأستاذه إمام الأئمة، وابن البيع، وأبو علي الطوسي، وأبو محمد الدارمي حديثه في «صحاحهم».

ولما ذكر الترمذي حديثه عن نافع بن جبير عن ابن عباس: «صلى جبريل." [١]

"وغيره. تقدم.

٢٤٩٨ - أبو هشام (١) القناد.

عن الحسين بن علي مرفوعا: «**المغبون** لا محمود ولا مأجور»، رواه أبو يعلى عن كامل بن طلحة، وهذا منكر.

٢٤٩٩ - أبو هشام (٢).

عن [أبي] (٣) معاذ. وعنه سهل العسكري.

قال أبو حاتم: هو وشيخه مجهولان.

---

(١) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ٤/١٢٠

- (خ م د س ق) أبو همام [محمد بن] (٤) الزبرقان الأهوازي، عن موسى بن عقبة وغيره. تقدم.
- (د س ق) أبو همام الدلال: محمد بن مجيب، عنه بندار وغيره. تقدم.
- (م د ت ق) أبو همام: الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني، مشهور بهما، شيخ مسلم وغيره. تقدم.
- (د عس) أبو همام: عبد الله بن يسار الكوفي، عنه يعلى بن عطاء. تقدم.

٢٥٠٠ - أبو همام (٥) البصري.

---

(١) «ميزان الاعتدال»: (٤/ ٥٨٢) و «لسان الميزان»: (٩/ ١٨٢).

(٢) «الجرح والتعديل»: (٩/ ٤٥٥) و «ميزان الاعتدال»: (٤/ ٥٨٢) و «لسان الميزان»: (٩/ ١٨٣).

(٣) زيادة من المصدر.

(٤) زيادة من المصدر.

(٥) «الجرح والتعديل»: (٩/ ٤٥٥).." [١]

"٩١٢٣ - ص- أبو هشام القناد.

كان يبيع للحسين.

حدث عنه كامل بن طلحة.

لا يعرف وخبره منكر.

أخبرنا أحمد بن هبة الله أخبرنا عبد المعز بن محمد إجازة أخبرنا تميم أخبرنا الكنجروذي أخبرنا أبو عمرو الحيري أخبرنا أبو يعلى الموصلي حدثنا كامل بن طلحة الجحدري حدثنا أبو هشام القناد عن الحسين بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **المغبون** لا محمود، ولا مأجور.." [٢]

"وله رحمه الله تعالى

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته ... فأصبح في ليل من الشك مظلم

وما كل هاو للجميل بفاعل ... ولا كل فعال له بمتمم

---

(١) التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، ابن كثير ١٧/٤

(٢) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ١٨٢/٩

وأحسن وجه في الورى وجه محسن ... وأيمن كف فيهم كف منعم

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها ... سرور محب أو إساءة مجرم

ابن الرومي

ليس عند البشر للقا ... طب من فرط اختياله

بل ألاقيه عبوسا ... باسرا في مثل حاله

أنا كالمرآة ألقى ... كل وجه بمثاله

الشريف الرضي رضي الله عنه

اشتر العز بما يبيع ... فما العز بغالي

بالعصر الصفر إن شئت ... أو السمر الطوال

ليس **بالمغبون** عقلا ... من شرى عزا بمال

إنما يدخر المال ... لحاجات الرجال

والفتى من جعل الأموال ... أثمان المعالي

وله رحمه الله تعالى

عجبا للزمان في حالتيه ... وبلاء وقت منه إليه

أي خير أرجو من الدهر في الد ... هر وما زال قائلا لبنيه

من يعمر يفجع لفقد الأحبا ... ء ومن مات فالمصيبة فيه

رب يوم بكيت منه فلما ... صرت في غيره بكيت عليه

وله رضي الله عنه

بين الأظاعن حاجة خلفتها ... أودعتها يوم الفارق مودعي

وأظنها لا بل يقيني إنها ... قلبي لأني لم أجد قلبي معي

المهيار الديلمي رحمه الله تعالى

اذكرونا مثل ذكرانا لكم ... رب ذكرى قربت من نزحا

وارحموا صبا إذا غنى بكم ... شرب الدمع وعافا القدحا." (١)

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/١٠٩

"المؤمنين، وقيل وصل القول بالعمل لزوم الجماعات المفروضة، وقيل أمر أن يوصل التصديق بجميع أنبيائه فقطعوه بتصديق بعضهم وتكذيب البعض الآخر، وقيل المراد به حفظ شرائعه وحدوده التي أمر في كتبه المنزلة على ألسن رسله بالمحافظة عليها، وقيل سائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر، فإنه يقطع الوصلة بين الله وبين عبده فهي عامة، وبه قال الجمهور وهو الحق، والأمر هو القول الطالب للفعل، وقيل مع العلو، وقيل مع الاستعلاء، وبه الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر فإنه مما يؤمر به.

(ويفسدون في الأرض) يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه، فالمراد بالفساد في الأرض الأفعال والأقوال المخالفة لما أمر الله به كعبادة غيره، والإضرار بعباده، وتغيير ما أمر بحفظه، وبالجملة فكل ما خالف الصلاح شرعا أو عقلا فهو فساد، وهؤلاء لما استبدلوا النقض بالوفاء، والقطع بالوصل كان عملهم فسادا لما نقضوا أنفسهم من الفلاح والربح، وعن قتادة قال ما نعلم الله أوعد في ذنب ما أوعد في نقض هذا الميثاق، فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليوف به الله، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث ثابتة في الصحيح وغيره من طريق جماعة من الصحابة النهي عن نقض العهد والوعيد الشديد عليه.

(أولئك هم الخاسرون) أي **المغبونون** بإهمال العقل عن النظر، واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية، وأصل الخسار والخسران النقصان، والخاسر هو الذي نقص نفسه من الفلاح والفوز، قال مقاتل: الخاسرون هم أهل النار، وقال ابن عباس كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام مثل خاسر ومسرف وظالم ومجرم وفاسق فإنما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذم.." (١)

"(ثم توليتم) أصل التولي الإدبار عن الشيء والإعراض بالجسم ثم استعمل في الأعراض عن الأمور والأديان والمعتقدات اتساعا ومجازا (من بعد ذلك) أي الميثاق أو رفع الطور أو إيتاء التوراة؛ والمراد هنا إعراضهم عن الميثاق المأخوذ عليهم من بعد البرهان لهم والترهيب بأشد ما يكون وأعظم ما تجوزه العقول. وتقدره الأفهام، وهو رفع الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة عليهم.

(فلولا) حرف امتناع لوجود تختص بالجمل الإسمية (فضل الله عليكم) بأن تدارككم بلطفه؛ والفضل الزيادة

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١٧/١

والخير والأفضال والإحسان قاله ابن فارس في المجمل (ورحمته) حتى أظهروا التوبة (لكنتم من الخاسرين) أي **المغبونين** بذهاب الدنيا والهالكين بالعذاب في العقبى: والخسران النقصان.." [١]

"والآخرين من الإنس والجن وجميع أهل السماء، وأهل الأرض.

(ذلك) يعني أن يوم القيامة هو (يوم التغابن) وذلك أنه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضا فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، ويغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر، وأهل الطاعة أهل المعصية، ولا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار، فتركوا منازلهم التي كانوا يستنزلونها، لو لم يفعلوا ما يوجب النار، فكأن أهل النار استبدلوا الخير بالشر، والجيد بالرديء، والنعيم بالعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك يقال: غبنت فلانا إذا بايعته أو شاركته، فكان النقص عليه، والغلبة والغبن فوت الحظ، كذا قال المفسرون، **فالمغبون** من غبن أهله ومنازله في الجنة، فإطلاق التغابن على ما يكون فيها إنما هو بطريق الاستعارة، وإن التفاعل ليس من اثنين، وكذا المغابنة على سبيل التجريد، قال ابن عباس يوم التغابن من أسماء يوم القيامة، وعنه قال: غبن أهل الجنة أهل النار.

(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته) أي من وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيئاته (ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) قرأ الجمهور يكفر ويدخله بالتحتية وقرىء بالنون وفيه التفات من الغيبة إلى التكلم (خالدين فيها أبدا) حال مقدرة فيه مراعاة معنى من (ذلك) أي ما ذكر من التكفير والإدخال (الفوز العظيم) أي الظفر الذي لا يساويه ظفر، والعظيم أعلى حالا من الكبير الذي ذكر في سورة البروج، لأن ما فيها قد رتب على إدخال الجنات فقط، وما هنا قد رتب على الأمرين المذكورين، فهو جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع.." [٢]

"الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسأل عنه.

عن أبي الدرداء قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم في الآية: " أكل خبز البر والنوم في الظل وشرب ماء الفرات مبردا " أخرجه ابن مردويه، ولعل رفع هذا لا يصح فربما كان من قول أبي الدرداء.

وعن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال: " ناس من أمتي يعقدون السمن والعسل بالنقى فيأكلونه " أخرجه أحمد في الزهد وابن مردويه وهذا مرسل.

وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يا رسول الله أي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في إنصاف

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٩٠/١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٦٩/١٤

بطوننا خبز الشعير، فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن قل لهم " أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد، فهذا من النعيم " أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

وعن محمود بن لبيد قال لما نزلت (ألهاكم التكاثر) فقرأ حتى بلغ النعيم، قالوا يا رسول الله أي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال " أما إن ذلك سيكون " أخرجه ابن أبي شيبة وهناد وأحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

وأخرجه الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة.

وأخرجه أحمد والترمذي وحسنه وغيرهما من حديث الزبير بن العوام.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " أن أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسدك ونرويك من الماء البارد " (١) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي

---

(١) روى البخاري في " صحيحه " ١١/ ١٩٦ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ ". قال الحافظ ابن حجر في " الفتح "

-[٣٧١]-

١١/ ١٩٧: وقوله في الحديث: " مغبون فيهما كثير من الناس " كقوله تعالى: (وقليل من عبادي الشكور) فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية، ونقل عن ابن بطال أن معنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغا حتى يكون مكفيا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك، فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو **المغبون**. قال ابن حجر: وأشار بقوله: " كثير من الناس " إلى أن الذي يوفق لذلك قليل. ونقل عن ابن الجوزي قوله: قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو **المغبون**، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو **المغبون**، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم.. " (١)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٥/٣٧٠

"وقد يتغابى المرء عن عظم ماله ... ومن تحت برديه المغيرة أو عمرو

المغيرة: هو المغيرة بن شعبة، وعمرو: هو عمرو بن العاص وكانا من الدهاة. . . وقيل لبعضهم: ما الشرف؟ فقال: الانخداع عن المال، ولا تجد أحدا يتغافل عن ماله إلا وجدت له في قلبه فضيلة لا تقدر على دفعها، وقد أدبنا نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله: (رحم الله سهل البيع سهل الشراء)، وهذا خلاف قول الناس: **المغبون** غير محمود ولا مأجور، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: التغابن للضعيف). . . ومما يروى في هذا الباب ما أورده ابن خلكان في ترجمة الوزير الخطير أبي الحسن علي بن الفرات وزير المقتدر بالله ابن المعتضد بالله العباسي –

وكانت وفاته سنة ٣٢٧هـ وهو: أن رجلا اتصلت عطلته، وانقطعت مادته، فزور كتابا من أبي الحسن بن الفرات إلى أبي زنبور الماردانى عامل مصر، يتضمن الوصاة به والتأكيد في الإقبال عليه والإحسان إليه، وخرج إلى مصر، فلقيه به، فارتاب أبو زنبور في أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العادة، وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله بصلة قليلة، واحتبسه عنده على وعد وعده به وكتب إلى أبي الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه، وأنفذه بعينه إليه، واستثبته فيه، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزور، فوجد فيه ذكر الرجل وأنه من ذوي الحرمات والحقوق الواجبة عليه، وعرضه على كتابه وعرفهم الصورة فيه وعجب إليهم منها ومما أقدم عليه الرجل، وقال لهم: ما الرأي في أمر هذا الرجل عندكم؟! فقال بعضهم: تأديبه أو حبسه، وقال آخر: قطع إبهامه لئلا يعاود مثل هذا، ولئلا يقتدي به غيره فيما هو." (١)

" إلى الله فار من الله وكم تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله والسلام

عباية بن كليب قال سمعت ابن السماك يقول سبعك بين لحييك تأكل به كل من مر عليك قد آذيت أهل الدور في الدور حتى تعاطيت أهل القبور فما ترثى لهم وقد جرى البلى عليهم وأنت هاهنا تنبشهم إنما نرى أن نبشهم أخذ الخرق عنهم إذا ذكرت مساويهم فقد نبشتهم إنه ينبغى لك أن يدلك على ترك القول في أخيك ثلاث خلال أما واحدة فلعلك أن تذكره بأمر هو فيك فما ظنك بربك إذا ذكرت أخاك بأمر هو فيك ولعلك تذكره بأمر فيك أعظم منه فذلك أشد استحكاما لمقته إياك ولعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه فهذا جزاؤه إذ عافاك أما سمعت ارحم أخاك واحمد الذي عافاك

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١/١١٦

الحسين بن عبدالرحمن قال كان ابن السماك يقول من أذاقته لذانيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها

أبو الحسين على بن الحسين الفقيه قال سمعت عبدالله بن محمد بن السماك يقول سمعت أبي يقول إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبه وأعطي حاجته فهو متأهب مبادر فافعل فإن **المغبون** من لم يقدم من ماله شيئا ومن نفسه لنفسه ." (١)

"٣٠٣ (لم يشبهوا الإنسان إلا انهم * متكونون من الحما المسنون) (نجس العيون فان رأتهم مقاتي * طهرتها ونزحت ماء جفوني) (أنا أن هم حسبوا الذخائر دونهم * وهم إذا عدوا الفضائل دوني) (لا يشمت الحساد أن مطامعي * عادت إلى بصفقة **المغبون**) (لا يستدير البدر إلا بعدما * أبصرته في الضيم كالعرجون) (فإذا عميد الملك حلى ربعه * ظفرا بفأل الطائر الميمون) وهي طويلة طنانة آخرها (شهدت علاه أن عنصر ذاته * مسك وعنصر غيره من طين) ولما قام بالمملكة ألب أرسلان أفره على حاله وزاد في إكرامه ورتبته ثم أنه سيره إلى خوارزم شاه ليخطب له ابنته فارجف اعداؤه انه خطبها لنفسه وشاع ذلك بن الناس فبلغ عميد الملك العبر تغير قلب مخدومه عليه فعمد إلى لحيته فحلقها والى مذاكيره فجبها فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان وقيل أن السلطان خصاه ثم أن الب ارسلان عزله ونقله إلى مرو الروذ وحبسه في دار وكان في حجرة تلك عياله وكانت له بنت واحدة لا غير فلما احس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة وأغتسل وصلى ركعتين وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته في ماء زمزم وقال لجلاده قل للوزير نظام الملك بئس ما فعلت علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ورضى بقضاء الله المحتوم وقتل يوم الأربعاء سادس عشرى ذي الحجة وعمره يومئذ نيف وأرعون سنة ومن العجائب انه دفنت مذاكيره بخوارزم وأريق دمه بمرو الروذ ودفن جسده بقرية كندر وجمجمته ودماغه بنيسابور وحشيت جثته بالتبن ونقلت إلى كرمان وفي ذلك عبرة لمن اعتبروا كندر قرية من قرى." (٢)

" نهيه عن الضرب بالبرابط وإذنه بالدفاف في العرس

---

(١) صفة الصفوة، ١٧٦/٣

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٠٢/٣

وقال يزيد بن أبي حبيب كتبت إلى عمر بن عبد العزيز في اللعب بالدفاف والبرابط في العرس فكتب إلي عمر بن عبد العزيز امنع الذين يضربون البرابط ودع الذين يضربون بالدفاف فإن ذلك يفرق بين النكاح والسفاح إكتفاؤه في رد المظالم باليسيرمن البينات وإنفاد بيت مال العراق في ذلك

وقال أبو الزناد كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة وكان يكتفي باليسير إذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس ولقد أنفد بيت مال العراق في رد المظالم حتى حمل إليها من الشام كتاب عمر إلى بعض إخوانه وكان قد بلغه موته وهو حي

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن أخا من إخوانه مات ثم بلغه خلاف ذلك فكتب إليه عمر أما بعد فقد بلغنا خبر ريع له إخوانك ثم أتانا تكذيب ما بلغنا من الرضح الأول فأنعم بذلك أن يسرنا وإن كان السرور بذلك وشيك الإنقطاع يتبعه عن قليل تصديق الخبر الأول فهل أنت يا عبد الله إلا كرجل ذاق الموت ثم سأل الرجعة فأسعف بطلبته فهو متأهب مبادر مصر في جهازه بأقل ما يسره من ماله إلى دار قراره لا يرى أن له من ماله شيئا إلا ما قدم أمامه فإن المغبون في الدنيا والآخرة من اجتمع له مال قليل أو كثير ثم

". (١)

"

(لم يشبهوا الإنسان إلا انهم ** متكونون من الحما المسنون)

(نجس العيون فان رأتهم مقلتي ** طهرتها ونزحت ماء جفوني)

(أنا أن هم حسبوا الذخائر دونهم ** وهم إذا عدوا الفضائل دوني)

(لا يشمت الحساد أن مطامعي ** عادت إلى بصفقة المغبون)

(لا يستدير البدر إلا بعدما ** أبصرته في الضيم كالعرجون)

(فإذا عميد الملك حلى ربعه ** ظفرا بفأل الطائر الميمون)

وهي طويلة طنانة آخرها

(شهدت علاه أن عنصر ذاته ** مسك وعنصر غيره من طين)

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، ص/١١١

ولما قام بالمملكة ألب أرسلان أقره على حاله وزاد في إكرامه ورتبته ثم أنه سيره إلى خوارزم شاه ليخطب له ابنته فارجف اعداؤه انه خطبها لنفسه وشاع ذلك بين الناس فبلغ عميد الملك الخبر فخاف تغير قلب مخدومه عليه فعمد إلى لحيته فحلقها والى مذاكيره فجبها فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان وقيل أن السلطان خصاه ثم أن الب ارسلان عزله ونقله إلى مرو الروذ وحبسه في دار وكان في حجرة تلك الدار عياله وكانت له بنت واحدة لا غير فلما احس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة وأغتسل وصلى ركعتين وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم وقال لجلاده قل للوزير نظام الملك بئس ما فعلت علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ورضى بقضاء الله المحتوم وقتل يوم الأربعاء سادس عشرى ذي الحجة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة ومن العجائب انه دفنت مذاكيره بخوارزم وأريق دمه بمرو الروذ ودفن جسده بقرية كندر وجمجمته ودماغه بنيسابور وحشيت جثته بالتبن ونقلت إلى كرمان وفي ذلك عبرة لمن اعتبروا كندر قرية من قرى

." (١)

"٥٥ - الكندري أبو نصر محمد بن منصور بن محمد

الوزير الكبير، عميد الملك، أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الكندري، وزير السلطان طغرلبك.

كان أحد رجال الدهر سؤددا وجودا وشهامة وكتابة، وقد سماه محمد بن الصابئ في(تاريخه)وعلي بن الحسن الباخرزي في(الدمية):منصور بن محمد.

وسماه محمد بن عبد الملك الهمذاني:أبا نصر محمد بن محمد بن منصور.

وكندر من قرى نيسابور، ولد بها سنة خمس عشرة وأربع مائة.

تفقه وتأدب، وكان كاتبا لرئيس، ثم ارتقى وولي خوارزم، وعظم، ثم عصى على السلطان، وتزوج بامرأة ملك خوارزم، فتحيل السلطان حتى ظفر به، وخصاه لتزوجه بها، ثم رق له وتداوى وعوفي، ووزر له، وقدم بغداد، ولقبه القائم سيد الوزراء، وكان معتزليا، له النظم والنثر، فلما مات طغرلبك؛وزر لألب آرسلان قليلا ونكب.(١٨/١١٤)

يقال:غنته بنت الأعرابي في جوقها، فطرب، وأمر لها بألفي دينار، ووهب أشياء، ثم أصبح، وقال:كفارة

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٣٠٣/٣

المجلس أن أتصدق بمثل ما بذلت البارحة.

وقيل:إنه أنشد عند قتله:

إن كان بالناس ضيق عن منافستي*فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت **المغبون** يتبعني*كل بكأس المنايا شارب حاسي

ما أسعدني بدولة بني سلجوق!أعطاني طغرلبك الدنيا، وأعطاني ألب آرسلان الآخرة.

ووزر تسع سنين، وأخذوا أمواله، منها ثلاث مائة مملوك.

وقتل صبرا، وطيف برأسه، وما بلغنا عنه كبير إساءة، لكن ما على غضب الملك عيار.

قتل بمرو الروذ في ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربع مائة، وله اثنتان وأربعون سنة.

قيل:كان يؤذي الشافعية، ويبالغ في الانتصار لمذهب أبي حنيفة.

ووزر بعده نظام الملك.(١٨/١١٥)." (١)

"ما رأيت أفضل من وكيع قيل ولا ابن المبارك قال قد مكان لإبن المبارك فضل ولكن ما رأيت أفضل من وكيع كان يستقبل القبلة ويحفظ حديثه ويقوم الليل ويسرد الصوم ويفتي بقول أبي حنيفة وكان قد سمع منه شيئا كثيرا قال يحيى بن معين وكان يحيى بن سعيد القطان يفتي بقوله أيضا مات سنة سبع وتسعين ومائة

٦٥٥ وهب بن أحمد بن أبي العز بن العز الدمشقي المنعوت بالشهاب عرف بإبن أبي العيس كتب عنه الدمياطي وذكر أنه مات سنة إحدى وخمسين وست مائة ودفن بمقابر الصوفية رحمهم الله تعالى

٦٥٦ وهب بن منبة بن عبد الله الغزنوي ذكره السلفي فى معجم شيوخه وقال قدم علينا بغداد وأنشدنا أبياتا قال أنشدني حامد بن محمد بن محمد القمعاني الحنفي بقربه للقاضي أبي زيد الدبوسي صاحب الطريقة فى الخلاف شعر ** مضيت والحاسد **المغبون** يتبعني ** إن المنية كاس كلنا حاس ** ** لو كان للناس ضيق فى مزاحمتي ** فالموت قد وسع الدنيا على الناس ** قال أبو طاهر وهب هذا فقيه على مهذب أبي حنيفة كتبنا عنه عن أبيه

٦٥٧ الوليد بن حماد الكوفي ابن أخي الحسن بن زياد حدث عنه أحمد بن أبي عمران قال سمعت الوليد يقول قلت لعمي الحسن بن زياد الست قد رأيت زفر ابن الهذيل وأبا يوسف عند أبي حنيفة قال نعم قلت فكيف رأيتهما عنده قال كعصفورين قد انقض عليهما بازي

---

(١) سير أعلام النبلاء [مشكول +]، ٣٥/٩٨

٦٥٨ ولاد بن محمد بن حمدان بن علي بن ولاد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن قيس

." (١)

"والحرب تنكح والنفوس مهورها ... ما بين أبكار تزف وعون

والبيض تقمر والغبار كأنه ... خرق شققن من الدآدي الجون

والنبل يمطر وبله من منحنى ... نبع كمرتجز الغمام حنون

رشقا كألحاظ الحسان رمى بها ال ... عشاق قوس الحاجب المقرون

وتطير أفلاذ الجبال كأنها ... من كل ناحية تقول: خذوني

صم رواجع إن تضزن رضوى بها ... تخبرك عن كمية الكمون

وترى الدماء على الجراح طوافيا ... فكأنها رمد بنجل عيون

حتى إذا نضبت بحار عبابه ... عنه سوى حمأ بها مسنون

ركب البحار سحيرة وتحايلت ... صور النجاة لوهمه المظنون

وتدبرت عصم الوعول مكانه ... وغدا كضب بالعراء مكون

فإذا الطلائع كالدبى مبثوثة ... لفوا سهولا خلفه بحزون

يطؤون أعقاب العتاة كما هوى ... نجم لرجم المارد الملعون

كانوا التيوس ولا قرون فكللت ... سمر الرماح رؤوسهم بقرون

وأتوا بفضلون الشقي كأنهم ... نبشوا به الغبراء عن مدفون

في قد رابي الأحدبين أبانه ... عن سرج راسي الوطأتين حرون

أعطى المقاد بأرض فارس راجلا ... يفدي الدماء بماله المخزون

متدحرجا من طود نخوته إلى ... سفح من القدر الدني الدون

لولا عواطف راية رضوية ... عقدت حباه على دم محقون

وقضية من سيرة عمرية ... حكمت بفك لسانه المرهون

لتضلعت طير الفلا وسباغها ... من شلوه الملقى بدار الهون

نسبوا إلى الشيخ الأجل إباقه ... عنتا وعوني فيه ما قد عوني

---

(١) طبقات الحنفية، ٢/٢٠٩

فالذنب ذنب السامري وعجله ... والعتب من موسى على هارون

ولذاك أرسى كلكلا خشعت له ... شم الحصون فسويت بصحون

ليث تواضع في الفريسة فاجترى ... بالتيس ذي القرنين والعثنون

أهلا بأخلاق الوزير فإنها ... دمث الحزون وفرحة المحزون

قد شال عبء الملك منه بازل ... لا يستطيع صياله ابن لبون

لم يرع أكناف الهوينى ممرجا ... نعم الرفاهة في رياض هدون

ولد وحق له لدى السلطان إح ... ماد وأجر ليس بالممنون

خلع كما ارتدت الفرند صفيحة ... أهدى الصقال لها أكف قيون

واسم طوت ذكراه كل مسافة ... في الأرض نائية المزار شطون

يفشي ثناه كاتب أو راكب ... من بطن قرطاس وظهر أمون

ولعل كرمان المروعة ترتدي ... منه بأمن شامل وسكون

فقد اغتدى كالزير نضوا بمها ... وأحس أهلوها بريب منون

نكبتهم الأيام حتى إنهم ... مرنوا على النكبات أي مرون

أهون بحر وطيسها لو أنه ... نادى بها: يا نار بردا كوني

فلينتظر غده لأن نصيبه ... من يومه كعجالة العربون

وليسترح من طعن لبات العدا ... بمجاج لبه دنه المطعون

من كف أغيد ما لكفي ربه ... ، إذ يشتريه، صفقة **المغبون**

وليسمحن بصبرة من عسجد ... مكتالة لكلامي الموزون

فقد استذلني الزمان وقبل ذا ... ما كان يسمح للزمان قروني." (١)

"عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن عماد الدين العمادي الحنفي الدمشقي أحد أفراد الدهر وأعيان العلم وأعلام الفضل وهو المفتي بالشام بعد أن كان أبوه بها حينا مرجع الناس للفتوى حتى استغرق عمله واستحق مكانته وكان في عصره ممن يباهي بالتردد إليه والاكتساب من معلوماته وحوى من الصفات الحسنة والأخلاق الرائقة ما انفرد به دون منازع واختص به من غير مشارك وكان كثير الفضل جم الفائدة وله محاضرة تستفز الحلوم وفطنة تسحر العقول وألف حاشية

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/٣٩

على بعض تفسير الكشاف بقيت في مسوداته وله المنسك المشهور الذي سماه بالمستطاع من الزاد وكتاب الهدية في عبادات الفقه والروضة الريا فيمن دفن بداريا وله رسائل كثيرة في سائر الفنون ومنشآت وأشعار أكثرها لطيف المسلك حسن الموقع ونشأ في مطلع عمره يتيما فإن والده مات وله من العمر سبع سنين وكان كثيرا ما ينشد في ذلك "كنت ابن سبع حين مات أبي " واجتهد في لتحصيل أولا على الحسن البوريني وعلى ابن خالته الشيخ محمد بن محب الدين الحنفي ثم لزم جدي القاضي محب الدين وأخذ عنه معظم الفنون وأخذ عن الشمس ابن المنقار والمنى محمد بن عبد الملك البغدادي وبرع البراعة التامة وتفوق وحج في سنة أربع عشرة بعد الألف وأخذ بالمدينة عن السيد صبغة الله بن روح الله المقدم ذكره طريق النقشبندية وكان الجد القاضي المذكور في تلك السنة قاضيا بالركب وجرى للعمادي أنه لما أراد الدخول إلى البيت المشرف وقع فانصدعت رجله من شدة الزحام وعالجها فبرأت ولكن بقي أثر الانصداع فكان يعرج شيئا ما منها ومن المعجب ما كتبه الجد في شأنه هذا إلى تلميذه الأديب الذيق الألمعي أبي الطيب الغزي المقدم ذكره وكان أرسل إليه كتابا مع نجاب الشام وكتب إليه في حاشيته ما نصه وأما أخوكم العلامة ولدنا العمادي فإنه في الصحة والسلامة والنعمة والكرامة وهو يسلم عليكم ويعرض وافر شوقه إليكم فانتقد أبو الطيب من تعبيره بلفظ العلامة المستفيض إطلاقه على الزمخشري ما جنح إليه وحكم عليه بقوة حدسه وبعدما رجع إلى دمشق تخلص للإقراء والإفادة وولى تدريس المدرسة الشبلية في سنة سبع عشرة وألف ثم ولى بعدها المدرسة السليمية في سنة ثلاث وعشرين ولما ورد دمشق المولى أسعد بن سعد الدين قاصدا الحج راجت لديه فضائله وظهرت له مزيته فأقبل عليه بكليته ولما عاد إلى الروم وولى الإفتاء صيره ملازما على قاعدتهم وكان قبل ذلك بمدة أخذ عنه المولى أحمد بن زين الدين المنطقي المقدم ذكره المدرسة السليمية فصنع العمادي قصيدة في مدح المولى أسعد المذكور يتطلب فيها إعادة المدرسة إليه ويتظلم من الدهر ومطلعها

بك أسعد الروم ابن سعد الدين ... يسمو عماد العلم ثم الدين

ومن جملتها وهو محل الغرض

لك أشتكي مولاي أفظع وصمة ... كادت لشدة قهرها تصميني

يا ضيعة الأعمار في طلب العلى ... بالعلم والنسب الذي بالشين

أمن المروءة وهي أسمى رتبة ... أني أعادل بابن زين الدين

لا بل يرجح ثم يغصب منصبي ... وأعود منه بصفقة المغبون

لو كنت مع كفو قرنت لهان لي ... لكنه بئس القرين قريني

أو كان ثم تعادل لهضمته ... فانظر إلى دهري بمن يبلوني

فقرر عليه المدرسة وله فيه قصيدة بديعة يشكر صنيعه فيها ومطلعها

ألا هكذا فليسعد العبد سيد ... فلا زلت في سعد ومولاي أسعد

وهي طويلة ثم ولى بعد ذلك المدرسة السليمانية والإفتاء بالشام في سنة إحدى وثلاثين وألف وتوجه إلى الحج وهو مفت في سنة ثلاث وثلاثين وكبر صيته بعد ذلك واشتهر وسلم له علماء عصره ومما يروى أنه رفع منه لشيخ الإسلام يحيى بن زكريا فتوى وعليها جوابه فكتب ابن زكريا عليها إلى جانبه الجواب كما به أخونا العلامة أجاب وهذه غاية في المدحة وعلو الرتبة وقد مدحه أكثر شعراء عصره من الأدباء بالقصائد السائرة وخلدوا مدائحه في صفحات آثارهم وبالجملة فأخباره وفضائله ملأت كل محفل ووقفت له على تحريرات أدبية كثيرة ومن ألطفها جوابه عن سؤال رفع إليه بعض الأدباء في الأغاليط التي ذكرها صاحب القاموس عندما ذكر البيتين المشهورين وهما." (١)

" صفحة رقم ١٣

الرجال ، بل تهد شم الجبال : (يوم) أي تبعثون في يوم) يجمعكم) أي أيها الثقلان .

ولما كان الوقت المؤرخ به فعل من الأفعال إنما يذكر لأجل ما وقع فيه ، صار كأنه علة لذلك الفعل فقال تعالى : (ليوم الجمع (لأجل ما يقع في ذلك اليوم الذي يجمع فيه أهل السماوات وأهل الأرض من الحساب والجزاء الذي يكون فوزا لناس فيكونون غابنين ، ويكون خيبة لناس فيكونون مغبونين ، وكل منهم يطلب أن يكون غابنا .

ولما كان هذا المقصد أمرا عظيما مقطعا ذكره الأكباد ، قال مشيرا إلى هوله بأداة البعد مستأنفا : (ذلك) أي اليوم العظيم المكانة الجليل الأوصاف) يوم التغابن (الذي لا تغابن في الحقيقة غيره لعظمه ودوامه ، والغبن : ظهور النقصان للحظ الناشيء عن خفاء لأنه يجمع فيه الأولون والأخرون وسائر الخلق أجمعون ، ويكون فيه السمع والإبصار على غاية لا توصف بحث إن جميع ما يقع فيه يمكن أن يطلع عليه كل أحد من أهل ذلك الجمع ، فذا فضح أحد افتضح عند الكل ، وما عبد يدخل الجنة إلى أري مقعده نم النار لو أساء ليزداد شكرا ، وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة فيغبن كل كافر بتركه الإيمان وكل مؤمن بتقصيره في الإحسان ، ومادة (غبن) تدور على الخفاء من مغابن

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٥٧/٢

الجسد وهي ما يخفى عن العين ، وسمي الغبن في البيع – لخفائه عن صاحبه ، فالكافر والظالم يظن أنه غبن المؤمن بنعيم الدنيا الذي استأثر به الكافر ، وبالنقص الذي أدخله الظالم على المظلوم ، وقد غبنهما يشبه غبن ، فقد بعث ذكر هذا اليوم على هذا الوجه على التقوى اتم بعث ، وهي الحاملة على اتباع الأوامر واجتناب النواهي لئلا يحصل الغبن بفوات النعيم أو نقصانه ، ويحصل بعده للكافر العذاب الأليم .

ولما كان كل أحد يحسب أن يكون في النور ، ويكره أن يكون في الظلام ، ويحب أن يكون غابنا ، ويكره أن يكون مغبونا ، أرشدت سوابق الكلام ولواحقه إلى أن التقدير ، فمن آمن كان في النور ، وكان في ذلك اليوم برجحان ميزانه من الغابنين ، ومن كفر كان في الظلام ، وكان في ذلك اليوم بنقصان ميزانه من **المغبونين** ، فعطف عليه قوله بيانا لآثار ذلك الغبن ، وتفضيلا له بإصلاح الحامل على التقوى وهو أمور منها القوة العلمية : (ومن يؤمن) أي يوقع الإيمان ويجدده على سبيل الاستمرار) بالله) أي الملك الأعظم الذي لا كفؤ له .

ولما ذكر الرأس وهو إصلاح القوة العلمية ، أبته البدن وهو إصلاح بقولة العملية فقال : (ويعمل (تصديقا لإيمانه) صالحا) أي عملا هو مما ينبغي الاهتمام بتحصيله لأنه لا مثل له في جلب المنافع ودفع المضار .." (١)

"وقال ابن سعد ومطين وعبد الصمد بن الفضل وغيرهم: سنة خمس عشرة ومئتين.

زاد ابن سعد: ببلخ في النصف من شعبان، وقد قارب المئة، وكان ثقة، ثبتا في الحديث، رحمه الله (١).

قلت: لم يلق البخاري بخراسان أحد أكبر منه.

روى له الجماعة.

أخبرنا يوسف بن أبي نصر، وعبد الله بن قوام، وطائفة، سمعوا الحسين بن أبي بكر، قال: أخبرنا أبو الوقت، حدثنا أبو الحسن المظفري، أخبرنا ابن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ " (٢).

٢١٥ – عبيد الله بن موسى * (ع) ابن أبي المختار، باذام، الامام، الحافظ العابد، أبو محمد

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٣/٨

(١) " طبقات ابن سعد " ٧ / ٣٧٣.

(٢) البخاري ١١ / ١٩٦ في أول كتاب الرقائق.

قال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان

صحيحا، ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا، ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا، فغلب عليه الكسل عن الطاعة، فهو **المغبون**، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله، فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله، فهو **المغبون**.

* تاريخ ابن معين: ٣٨٤، طبقات ابن سعد ٦ / ٤٠٠ طبقات خليفة: ت ١٣٢١، التاريخ الكبير ٥ / ٤٠١، التاريخ الصغير ٢ / ٣٢٦، المعارف: ٥١٩، و ٥٣٢، المعرفة والتاريخ ١ / ١٩٨، الضعفاء للعقيلي: لوحة ٢٧٠، الجرح والتعديل ٥ / ٣٣٤، مشاهير علماء الامصار: ت ١٣٨٥، تهذيب الكمال: لوحة ٨٩١، تذهيب التهذيب ٣ / ٢٢ / ١، العبر ١ / ٣٦٤، ميزان الاعتدال ٣ / ١٦، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٥٣، الكاشف ٢ / ٢٣٤، دول الاسلام ١ / ١٣٠، طبقات القراء لابن الجزري ١ / ٤٩٣، تهذيب التهذيب ٧ / ٥٠، خلاصة تذهيب الكمال: ٢٥٣، شذرات الذهب ٢ / ٢٩، الرسالة المستطرفة: ٦٢.

(*)."[١]

"وقدم بغداد، ولقبه القائم سيد الوزراء، وكان معتزليا، له النظم والنثر (١)، فلما مات طغرلبك، وزر لالب آرسلان قليلا ونكب.

يقال: غنته بنت الاعرابي في جوقها (٢)، فطرب، وأمر لها بألفي دينار، ووهب أشياء، ثم أصبح، وقال: كفارة المجلس أن أتصدق بمثل ما بذلت البارحة.

وقيل: إنه أنشد عند قتله (٣): إن كان بالناس ضيق عن منافستي (٤) * فالموت قد وسع الدنيا على الناس مضيت والشامت **المغبون** يتبعني *كل بكأس (٥) المنايا شارب حاسي ما أسعدني بدولة بني سلجوق ! أعطاني طغرلبك الدنيا، وأعطاني ألب آرسلان الآخرة.

ووزر تسع سنين، وأخذوا أمواله، منها ثلاث مئة مملوك.

وقتل

صبرا، وطيف برأسه، وما بلغنا عنه كبير إساءة، لكن ما على غضب الملك عيار.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٥٥٣/٩

قتل بمرو الروذ في ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربع مئة، وله اثنتان وأربعون سنة (٦).

قيل: كان يؤذي الشافعية، ويبالغ في الانتصار لمذهب أبي حنيفة (٧).

---

(١) أورد الباخرزي في " الدمية " ٢ / ٨٠٨ وما بعدها شيئا من نظمه ونثره.

(٢) الجوق: الجماعة من الناس.

(القاموس).

(٣) البيتان في " الكامل " ١٠ / ٣٢.

(٤) في " الكامل " مناقشتي.

(٥) في " الكامل ": لكأس.

(٦) انظر " الكامل " ١٠ / ٣١، و " وفيات الاعيان " ٥ / ١٤٢، وقد أورده صاحب " النجوم الزاهرة " في وفيات سنة (٤٥٧).

(٧) ونقل ابن خلكان عن السمعاني في " الذيل " أنه صحب أبا المعالي الجويني إمام = (*)."[١]

"لما تمنع عن وصال متيم ... ظبي يصيد بني الهوى بخداع

أملت من دهري الفراق سفاهة ... كيما أقبل خده لوداع

هو من قول بعضهم

أرأيت من يرضى الفراق لألفه ... أنا قد رضيت لنا بأن نتفرقا

لأفوز منه بقبلة في خده ... عند الوداع ومثلها عند اللقا

وقد يقرب منه ما ذكره ابن خلكان في ترجمة ابن ماهان الخزاعي قال وكان قد مرض فعاده الوزير فلما انصرف عنه كتب إليه ما أعرف أحد أجزى العلة خيرا غيري فإني جزيتها الخير وشكرت نعمتها علي اذ كأنت إلى رؤيتك مودية فأنا كالأعرأبي الذي جزى يوم البين خيرا فقال

جزى الله يوم البين خيرا فإنه ... أرانا على علاتها أم ثابت

أرانا دبيبات الخدود ولم نكن ... نراهن الا يانعات البواغت

ومثله ما كتبه البحتري إلى ابن غانم وقد مرض فعاده الوزير وهو

يا أبا غانم غنمت ولا زا ... لت عهاد الوسمى تسقي بلادك

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١١٤/١٨

ليت أنا مثل اعتلالك نعتل ... ل على أن يعودنا من عادك

أبهجت زورة الوزير أودا ... ك جميعا وأرغمت حسادك

وقد رأيت بخط العلامة الأديب السيد محمد الأمين المحبي الدمشقي ما نصه مما اتفق لي أني حصل لي بعض توعك فعادني بعض أصدقائي ممن أوده فكتبت إليه

أن يوما مرضت فيه لعمري ... خير يوم فديته من يوم

قد شفاني فيه حضورك عندي ... وبه الفخر نلت من بين قومي

وللمترجم مشجرا

عذاب جسمي مقيم في هوى عمر ... وحبه عن فؤادي غير منصرف

مضى وأخلفني وعد وثقت به ... فزال صبري وزاد الدمع في الذرف

رحماك ما فيك من عدل ومعرفة ... فقال نكرتني في العشق فانصرف

وله

لو بيع بالشهباء جامع جلق ... يوما لأضحى البائع **المغبونا**

هل مثل جامعها الرحيب وماؤه ... يحكيه ماء سيما جيرونا

وله

جس نبضي الطبيب لما رآني ... ذا نحول وقال داء عضال

ألم حل في سويدا فؤادي ... ليس يرجي يا صياح منه نصال

قلت حقق مما اعتراني فنادى ... أنت أدرى مما اعتراك الهزال

قلت صرح فإنني ذو ذهول ... لست أدري فقال هذا محال

كيف ينسى ما خامر القلب واللب ... ب وفي الفكر دائبا لا يزال

وأشنى قائلا بما ذا أداوي ... داء صب أضناه حبا غزال

وله

يا نجل طه اني محب ... وجدك المصطفى المطهر

وقد روينا معنى حديث ... المرء مع من أحب يحشر

وله

يا فريد العصر يا من هو في العلياء نجم ... لا تسئ ظنك فينا ان بعض الظن اثم

ومن ذلك للشيخ منصور الدمشقي خطيب السقيفة قوله

عاذلي ظن قبيحا مذ رأى عشقي ينمو ... ظربي ما هو فيه ان بعض الظن اثم

وله أيضا

ظن بالناس ميلا واتبع الخيرات تسمو ... واجتنب ظنا قبيحا ان بعض الظن اثم

وفي ذلك للعلامة الشيخ عبد الباقي حفيد بن غانم المقدسي المصري

صادني خشف ربيب ... فاتن بالحسن يسمو

ظن عذالي سلوى ... ان بعض الظن اثم

وله

وأغيد حيي بتفاحة ... محمره اللوان ذات اصفرار

يفضح غصن ألبان أن ماس بال ... الأعطاف والبدر وشمس النهار

فقال خذ شاهد جمالي بها ... ان لم يكن للوصل عني اصطبار

فعندي اللون خدي إذا ... ضممته للثم غب النفار

ولونها الآخر يحكيك إذا ... نأى وقد شط بحبي المزار

وله

سألتها عن فؤادي حين سار بها ... وظل في طرق البيداء يرعاها

قالت لدى قلوب لست أحضرها ... فأيها يا معنى قلت أشقاها

وأصله قول ماميه الرومي نزيل دمشق

سألتها عن فؤادي أين مسكنه ... فإنه ضل عني عند مسراها

قالت لدى قلوب جمة جمعت ... فأيها أنت تعني قلت أشقاها

وللمترجم قوله." (١)

"أصبحت ترغب في الحلال تكلفا ... ورجعت منه بصفقة **المغبون**

وأقمت في شق العجوز مخيما ... والناس راجعة على ذنون

فأسلم ودم بالكسكسون منعما ... تحشى النقانق في حشا خاتون

وكان المترجم ذهب إلى الروم وأوصى صاحبا له يقال له الشيخ عبد الوهاب السؤالاتي في باب الجامع

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١٢٤/١

الأموي وقال له مهما وقع من الوظائف محلولات اكتب لي عنها حتى أتخذها لمعاشي فصار الشيخ عبد الوهاب يكتب له الحمد لله الأسعار رخيصة وسعر اللحم كذا والخبز كذا واللبن كذا والحمص والعدس وما شابهها ولا يتعرض إلى شيء مما أوصاه به فضجر منه فكتب له هذين البيتين في ضمن كتاب أرسله له وهما قوله

فأما أن تكون أخي بصدق ... فأعرف منك غثى من ثميني

وإلا فأطرحني وأتخذني ... عدوا أتقيك وتتقيني

وبالجملة فقد كان نزهة النفوس وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد النهالي

ابن يوسف المعروف بالنهالي الحنفي الرهاوي الأصل الحلبي المولد نزيل قسطنطينية الأديب الألمعي الفاضل الكامل قرأ على أفاضل بلدته وكان مكبا على تحصيل الفضائل والكمالات وأقام مدة بالمدرسة الحلاوية وصار له غاية الاكرام من الوزير محمد باشا الراغب وكان المترجم أديبا شاعرا فمن شعره قوله

يا راكب اللهو قصر ... عنان خيل التصابي

يداك لم تقو حبس ... اللجام بعد الشباب

وله

كنت في غفلة من العشق لما ... أيقظتني نواعس الأجفان

كشفت عن مجاز عيني غطاها ... فأرتها حقائق الأكوان

وله مشطرا أبيات الشهاب الخفاجي في الأبوين الكريمين

لوالدي طه مقام علا ... فوق علا الناس بلا ارتياب

بوأهما الرحمن من فضله ... في جنة الخلد ودار الثواب

فقطرة من فضلات له ... تبرئ أسقام فؤاد مصاب

ما دخلت جوفا إلا غدت ... في الجوف تشفي من أليم العقاب

فكيف أرحام به قد غدت ... تؤمل الخير وحسن المآب

حاشي لأرحام له أصبحت ... حامله تصلي بنار العذاب

وشطرهما معاصره الشيخ أحمد الوراق الحلبي بقول

لوالدي طه مقام علا ... على العلا لما غدا مستطاب

مقدس رحب منير الفضا ... في جنة الخلد ودار النواب

فقطرة من فضلات له ... دواء ذي الداء بلا ارتياب

وصح في الأخبار عن كونها ... في الجوف تشفي من أليم العقاب

فكيف أرحام به قد غدت ... بنوره مملوءة أن تخاب

أم كيف أرحام به انثنت ... حاملة تصلي بنار العذاب

وحين سافر إلى اسلامبول تلميذه الفاضل السميدع السيد مصطفى الحلبي الكوراني اجتمع بالمترجم شيخه ثم ابتدر كل منهما لتضمين البيت المشهور وهو

إن الملوك إذا أبوابها غلقت ... لا تيأسن فباب الله مفتوح

فقال المترجم

قلب بسهم أليم الهجر مقروح ... ومقلة دمعها بالبين مسفوح

فقال الكوراني

وخاطر في يد إلا هو أعلى خطر ... من الأماني له باليأس تلقيح

فقال المترجم

ولاعج مضرم لولا التوكف من ... دموعه ولعت فيه التباريح

فقال الكوراني

موزع البال مطوي الضلوع على ... فرط الآسى جسد ليست به روح

فقال المترجم

حليف كرب رهين الاغتراب شج ... به عقود هموم الدهر توشيح

فقال الكوراني

به أحاديث أشجان يرددها ... لها من الغم تعديل وتجريح

فقال المترجم

له عتاب على الحظ المسود إذ ... خابت مقاصده والقلب مجروح

فقال الكوراني

وكلما نابه خطب الزمان غدا ... بساحة الياس صبرا وهو مطروح

فقال المترجم

مستوثق العزم من بيت أقيم به ... للعذر متن بنصح القول مشروح

البيت القديم

إن الملوك إذا أبوابها غلقت ... لا تيأسن فباب الله مفتوح." (١)

"تروح وتغدو للسرور هواتفا ... لتروي أحاديث المسرة والعطف

جمال كمال منه لاح ضياؤه ... وفاضت به الأنوار سامية الوصف

زها حسنه الزاهي بحسن مشاهد ... هي الشمس لكن قد تحامت عن الكسف

معاهد أنوار موائد رحمة ... موارد أمداد حوت أطيب الرشف

سرينا على طرف اشتياق نؤمه ... لنسقى كؤس البشر من خمره الصرف

صعدنا إليه كي نفوز بأنسه ... فنادى منادي الأنس فأووا إلى الكهف

فروض حماه زاهر بمسرة ... وفيه ثمار الأنس يانعة القطف

سما بأناس جاء في الذكر مدحهم ... وحفتهم أيدي العناية باللطف

هم فتية قد آمنوا بالههم ... فزادهم هديا بنور سنا الكشف

نزلنا لديهم نرتجي من نوالهم ... موانح أسرار لسقم الهوى تشفي

فوافى بشير بالهناء مبشرا ... لحسن قبول قد تسامى بلا صرف

ومنح فيوض من سحاب سمائهم ... بأمداد فضل وبله دائم الوكف

فلا بدع إن وافى السرور لأسعد ... بمدح كرام سرهم للسوى ينفي

فأهديهم مني السلام تحية ... بمسك ختام عطره جل عن وصف

تغاديهم ماسح بالسفح أدمع ... وما مستجير جاء يأوى إلى الكهف

وقوله

شط النوى بأحبتي فجفوني ... فتواصلت بالمرسلات جفوني

وتصاعدت نار الجوى بجوانحي ... والنوم من شوقي جفته عيوني

لولا فراق أحبتي وبعادهم ... ما بت أروى لوعة المحزون

أبغى السرى والعيس عز مسيرها ... والطرق سدت عن فتى مسجون

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١٣٨/٢

يا جيرة طال اغترابي عنهم ... عنكم رحلت بصفقة **المغبون**

وسريت أقطع للبلاد سياحة ... بمهامه رجلا وفوق متون

فظننت صحبي يحفظون مودتي ... بعدي فحابت في الصحاب ظنوني

ودعتهم أرجو اتصال رسائل ... منهم فلم يجد الرجا ودعوني

لم يكفهم هذا التناسي والجفا ... حتى قلوني بالجفا وسلوني

كم أحتسي منهم سلاف ملامة ... في ذوقها رشف لكأس منون

خلوا الملام على البعيد ببعده ... ودعوا شؤنكم لكم وشؤني

وجدي سما شوقي نما دمعي هما ... نومي انتفى صبري اختفى بفنوني

عطفا جميلا وابعثوا برسالة ... تشفى الفؤاد وبالوصال عدوني

ودعوا التمادي في الوعود تفضلا ... فلقد قضيت من البعاد ديوني

وقوله أيضا

حبي وحبك للجمال اليوسفي ... هو خالد وبغيره لا أشتفي

بالبعد تلحاني ولم تر حسنه ... فإذا نظرت فبعد ذلك عنف

فبخده الوردي روض قد جنت ... منه نواظرنا وإن لم يقطف

وبثغره ماء الحياة لوارد ... فبورده نار الجوانح تنطفي

تحلو محاسنه لناظر وجهه ... وحديثه العذب الهني يلذ في

قد شاقني لما بدا متبسما ... برق الثنايا من عقيق المرشف

ولقد قنعت بكأس خمر حديثه ... لما منعت من الرحيق القرقف

جاذبته حسن الحديث وجدته ... من كل معنى باللطافة مكتفي

في روضة غنت صوادح ورقها ... فشقت فؤاد المستهام المدنف

فغنيت من طرب بطيب غنائها ... عن مطرب يشجي بحسن تلطف

غنى لنا يا ورق ثم ترنمي ... واجلي على سمعي غناك وشنفي

وقوله

قمر تناهى في مطالع سعده ... وزها بأوج الحسن طالع مجده

متوشحا أثواب تيه معجبا ... يختال تيها في محاسن برده

حاوي بديع الحسن إلا أنه ... متلاعب بأخي الهوى في عهده

أفديه ظبيا نافرا متانسا ... يبدي الدلال بوصله وبصده." (١)

"وكأنما نقلت مآزرهم إلى ال ... جدد الحمى الأنقاء من يبرين

ووراء ذياك المقبل مورد ... حصباؤه من لؤلؤ مكنون

إما بيوت النحل بين شفاههم ... منضودة أو حانة الزرجون

ترمي بعينك الفجاج مقلبا ... ذات الشمال بها وذات يمين

لو كنت زرقاء اليمامة ما رأت ... من بارق حيا على جيرون

شكوك من ليل التمام وإنما ... أرقى بليل ذوائب وقرون

ومعنف في الوجد قلت له أنئد ... فالدمع دمعي والحنين حنيني

ما نافعي إن كان ليس بنافعي ... جاه الصبا وشفاعة العشرين

لا تطرقن خجلا للومة لأئم ... ما أنت أول حازم مفتون

أ أسومهم وهم الأجانب طاعة ... وهواي بين جوانحي يعصيني

ديني على ظبياتهم ما ينقضي ... فبأي حكم يقبضون رهوني

وخشيت من قلبي الفرار إليهم ... حتى لقد طالبته بضمين

كل النكال أطيق إلا ذلة ... إن العزيز عذابه بالهون

يا عين مثل قذاك رؤية معشر ... عار على دنياهم والدين

لم يشبهوا الإنسان إلا أنهم ... متكونون من الحما المسنون

نجس العيون فإن رأتهم مقلتي ... طهرتها فنزحت ماء جفوني

أنا إن هم حسبوا الذخائر دونهم ... وهم إذا عدوا الفضائل دوني

لا يشمت الحساد أن مطامعي ... عادت إلي بصفقة المغبون

ما يستدير البدر إلا بعدما ... أبصرته في الضمر كالعرجون

هذا الطريق اللحب زاجر ناقتي ... واليم قاذف فلكي المشحون

فإذا عميد الملك حل بربعه ... ظفرا بفأل الطائر الميمون

قوله:)أأسومهم وهم الأجانب طاعة(، هو من قول البحتري:

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١٦١/٢

ولست أعجب من عصيان قلبك لي ... عمدا إذا كان قلبي فيك يعصيني

وبعده:

ملك إذا ما العزم حث جياده ... مرحت بأزهر شامخ العرنين

ومثله قول الشريف الرضي:

أروم إنصافي من رجال أباعد ... ونفسي أعدى لي من الناس أجمعا

إذا لم تكن نفس الفتى من صديقه ... فلا يحدثن من خلة الغير مطمعا

وأصله من قول بكر بن حارثه:

قلبي إلى ما ضرني داعي ... يكثر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي إذا ... كان عدوي بين أضلاعي

وقوله:)يا عين مثل قذاك رؤية معشر(إلخ، هو معنى بديع، وقد سبق إليه، قال الثعالبي: أتفق لي في زمن الصبا معنى بديع، لم أسبق إليه، وهو:

قلبي وجدا مشتعل ... وبالهموم مشتغل

وقد كستني في الهوى ... ملابس الصب الغزل

إنسانة فتانة ... بدر الدجى منها خجل

إذا زنت عيني بها ... فبالدموع تغتسل

وقد سبقه ابن هندو، في قوله:

يقولون لي ما بال عينك مذ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها هطل

فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل

قال أبو علي الفارسي: لست أعجب من توارده، وإنما أعجب من قوله لم أسبق إليه وقد قال أبو الطيب في الحمى:

إذا ما فارقتني غسلتني ... كأنا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا، وما في قبح لفظه من الخنا، فمعناه أصح؛ لأنه ذكر في هذا الشعر من نفسه وزائرته ذكرا وأنثى، جرى بينهما ما يقتضي الغسل.

وإن قيل: إن قوله)عاكفان على حرام(من لغو الكلام، وهما ذكرا، زنا بين اثنين، ولو قال زني ناظري، أو لحظي، كان أحسن.

قلت: هذا كله كلام ناء عن حسن الأدب، وهو سخف، ولكن أي الرجال المهذب، ومع ذلك فقد وقع هذا في كلام من تقدمهم، ومعناه أصح وديباجته ألطف وأوضح، كقول يزيد بن معاوية:." (١)

"وزيادة على ذلك فقد دمرت هذه الحضارة قابلية التوازن الداخلي للانسان المعاصر، بعد أن أشاعت في البيئات والمجتمعات عقيدة الإلحاد التي أوشكت أن تجر البشرية إلى الطريق المسدود، إذ أفقرتها، وسفهت أحلامها، وتردت بها في واقع مدني موبوء، وصورت لها الحياة مسرحا للعبث واللامعقول .." ففضلا عن هذه العلل الثلاثة التي ولدتها المدنية وهي: الحاجة الماسة، والميل إلى السفاهة، وكثرة الأمراض المذكرة بالموت، فإنه بتفشي الإلحاد وتوغله فيها، استيقظت البشرية من غفوتها، وإذا بالمدنية تهددها باستمرار، باظهار الموت تجاهها، اعداما أبديا، فجرعتها نوعا من عذاب جهنم في الدنيا.." (١)

وإزاء كل هذه ترديات والتشوهات التي أصابت فطرة الإنسان وتدنت به، يضع النورسي المنهج الرباني القرآني دواء لعلل ومعضلات الحضارة .

الفرق بين الاسلام والنصرانية

لا كهنوتية في الاسلام.. والاسلام ملاذ الجماهير المغبونة

يؤكد النورسي أن الإسلام، بخصوصياته الفطرية الجلية، وبسماحته، وجوهرية مبادئه، واجتماعيته، قد تجاوز مبدأ الترتيب الكهنوتي والوسيطية التشفعية، وهو ما أعطاه طابعا شعبيا أو جماهيريا، فلا مجال لمقامية الامتياز الروحي في الإسلام إلا ما كان من منزلة النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحبه، باعتبارهم كانوا الألصق بالنزول وبالدعوة ..

من هنا كان التفاضل المعنوي الذي حازته تلك الأجيال من السلف لا يشهر عن نفسه إلا لمقاصد الأسوة والاقتداء، ذلك لأن مناط العبرة فيه هو تثبيت الإيمان وكفالة المزيد من الإخلاص للدين والمداومة على أداء العمل الصالح..

على عكس الحال في النصرانية، إذ الترتيبية الكهنوتية، والسيادة الإعتبارية مرعية في نظامها القداسي، بحيث لا يتحقق الفعل الديني، أو الشعائري إلا في حضرة الكاهن، ووفق طقوسية بروتوكولية محورها القس ولوازم القداس.. فبدعواته وتبريكاته تستمد الجماعة الشفاعة والمغفرة من الرب..

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، ص/٧

(١) م.ن. ص." (١)

"هو ما تسمع؛ قال سليمان للزهري: هل تعرفه قال: يا أمير المؤمنين إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته، قال أبو حازم: أجل والله لو أحببت الله لعرفتني ولكن لم تحب الله فنسيتني، فقال الزهري: يا أبا حازم تشتمني! قال: لا، ولكنك شتمت نفسك، أما علمت أن للجار حقا كالقرابة حقا كالقرابة

جاء سليمان يوما إلى طاوس فلم ينظر إليه، فقيل له في ذلك، فقال: أردت أن يعلم أن الله رجالا يزهدون

(١) رسائل عن النورسية، ٤٢٧/١١

(٢) رسائل عن النورسية، ٤٥٧/١١

فيما لديه.

وشاور سليمان عمر بن عبد العزيز في أمر، فقال سليمان: هل علينا عين فقال عمر نعم عين بصيرة لا تحتاج إلى تحديق، وسمع نافذ لا يحتاج إلى إصغاء.

حضر أعرابي إلى مائدة سليمان فجعل يمد يده فقال له الحاجب: كل ما بين يديك، فقال الأعرابي: من أجدب انتجع، فشق ذلك على سليمان وقال له: لا تعد إلينا؛ ودخل آخر فمد يده فقال له الحاجب: كل مما يليك، فقال: من أخصب تخير، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه.

وحكى عتبي بن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كنت نديما لسليمان بن عبد الملك، وإني لعنده ذات يوم إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب أعرابيا وله دين، فلو أذنت له فسمعت كلامه، قال: نعم، يا غلام، إيذن للأعرابي، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه ما يحب إن قلته، فقال له: يا أعرابي إنا لنجود بالاحتمال على من لا نأمن غيبه ولا نرجو نصحه وأنت المأمون غيبا والناصح جيبا فهات، فقال الأعرابي: أما إذا أمنت بادرة غضبك فإني مطلق لساني بما خرست به الألسن بإذنه، لحق الله عز وجل وحق أمانتك يا أمير المؤمنين، إنه تكنفك قوم أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بآخرتهم ورضاك بسخط الله، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فإنهم لم يألوا الأمانة والأمة خسفا وعسفا وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت، فلا تفسد آخرتك بدنيا غيرك، فإن **المغبون** كل **المغبون** من أفسد آخرته بدنيا غيره، فقال له سليمانك أما أنت فقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك، قال: نعم يا أمير المؤمنين وهو لك لا لغيرك، فقيل." (١)

"ديني على ظبياته ما يقتضى ... فبأي حكم يقتضون رهوني

وخشيت من قلبي الفرار إليهم ... حتى لقد طالبته بضمين

كل النكال أطيق إلا ذلة ... إن العزيز عذابه بالهون

يا عين مثل قذاك رؤية معشر ... عار على دنياهم والدين

لم يشبهوا الإنسان إلا أنهم ... متكونون من الحما المسنون

نجس العيون فإن رأيتهم مقلتي ... طهرتها فنزحت ماء جفوني

أنا إن هم حسبوا الذخائر دونهم ... وهم إذا عدوا الفضائل دوني

---

(١) وفيات الأعيان، ٢/٤٢٤

لا يشمت الحساد أن مطامعي ... عادت إلي بصفقة **المغبون**

ما يستدير البدر إلا بعدما ... أبصرته في الضمر كالعرجون

هذا الطريق اللحب زاجر ناقتي ... واليم قاذف فلكي المشحون

فإذا عميد الملك حلى ربعه ... ظفرا بفأل الطائر الميمون

ملك إذا ما العزم حث جياده ... مرحت بأزهر شامخ العرنين

بأغر ما أبصرت نور جبينه ... إلا اقتضاني بالسجود جبيني

تجلو النواظر في نواحي دسته ... والسرج بدر دجى وليث عرين

عمت فضائله البرية فالتقى ... شكر الغني ودعوة المسكين

قالوا وقد شنوا عليه غارة ... أصلات جود أم قضاء ديون

لو كان في الزمن القديم تظلمت ... منه الكنوز إلى يدي قارون

أما خزائن ماله فمباحة ... فاستوهبوا من علمه المخزون (١)

ما الرزق محتاجا بعرصته إلى ... طلب وليس الأجر بالمنون

أقسمت أن ألقى المكارم عالما ... أني برؤيته أبر يميني

ساس الأمور فليس يخلي رغبة ... من رهبة، وبسالة من لين

كالسيف رونق أثره في متنه ... ومضاؤه في حده المسنون

شهدت علاه أن عنصر ذاته ... مسك وعنصر غيره من طين

---

(١) سقط البيت من ن ر ق.." [1]

"المصطفين الأخبار (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) البقرة: فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد، وتحكم في تلك الأبشار أولو الزيغ والعناد (١) ، فأصبحت تلك القصور، كالممحو من السطور، وأمست (٢) تلك الأوطان مأوى الأصداء والغربان، تتجاوب في نواحيها البوم، وتتناوح في أراجيها (٣) الريح السموم، ويستوحش فيها الأنيس، ويرثي لمصابها إبليس:

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى ... وأقيال ملك في بسالتهم أسد

---

(١) وفيات الأعيان، ٥/١٤٠

فمن حاتم في وجوده وابن مامة ... ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا ... لنا عبرة تدم الحشا ولمن بعد فإنا لله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر، وتهدم العمر، وتفت في العضد، وتوهي الجلد، وتضاعف الكمد، وتشيب الوليد، وتنخب لب الجليد، وتسود القلب، وتذهل اللب، فحينئذ تقهقر المملوك على عقبه (٤) ، ن١ كسا، ومن الأوبة إلى حيث تستقر في النفس بالأمن آيسا، بقلب واجب، ودمع ساكب، ولب عازب، وحلم غائب، وتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار، وابتلاء واصطبار، وتمحيص الأوزار، وإشراف غير مرة على البوار والتبار، لأنه مر بين سيوف مسلولة، وعساكر مفلولة، ونظام عقود محلولة، ودماء مسكوبة مطلولة، وكان شعاره كلما علا قتبا، أو قطع سبسبا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) الكهف: فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد، وأولانا نعما تفوت الحصر والعد، وجملة الأمر أنه لولا فسحة في الأجل، لعز أن يقال سلم البائس أو وصل، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة **المغبون**، وألحق بألف ألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار

---

(١) ن: والأفك والعناد.

(٢) ق ع ن بر من: وآضت.

(٣) ع بر من: أرجائها.

(٤) ن ق: عقبيه.." (١)

"قال أبو البقاء : وقيل : " إنما نملي لهم " تكرير لهم " تكرير للأول ، و " ليزدادوا " هو المفعول الثاني لـ " تحسبن " على قراءة التاء ، والتقدير : ولا تحسبن يا محمد إملاء الذين كفروا ليزدادوا إيمانا ، بل ليزدادوا إثما.

ويروى عن بعض الصحابة أنه قرأها كذلك.

قال شهاب الدين : وفي هذا نظر ، من حيث إنه جعل " ليزدادوا " هو المفعول الثاني ، وقد تقدم أن لام "كي " لا تقع خبرا للمبتدأ ولا لنواسخه ، ولأن هذا إنما يتم له على تقدير فتح الثانية ، وقد تقدم أن أحدا لم ينقلها عن يحيى إلا الزمخشري والذي يقرأ " تحسبن " – بتاء الخطاب – لا يفتحها ألبتة.

واللام في " ليزدادوا " فيها وجهان : أحدهما : أنها لام "كي ".

---

(١) وفيات الأعيان، ٦/١٣٦

والثاني : أنها لام الصيرورة.
قوله : " ولهم عذاب مهين " في هذه الواو قولان : أحدهما : أنها للعطف ؟ والثاني : أنها للحال ، وظاهر قول الزمخشري أنها للحال في قراءة يحيى بن وثاب فقط ؛ فإنه قال : فإن قلت : ما معنى القراءة – يعني : قراءة يحيى التي نقلها هو عنه ؟ قلت : معناه : ولا تحسبوا أن إملاءه لزيادة الإثم والتعذيب ، والواو للحال ، كأنه قيل : ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين.
قال أبو حيان : بعد ما ذكر من إنكاره عليه نقل فتح الثانية عن يحيى كما تقدم – : " ولما قرر في هذه القراءة أن المعنى على نهي الكافر أن يحسب أنما يملي الله لزيادة الإثم ، وأنه إنما يملي [لزيادة] الخير ، كان قوله : ﴿ولهم عذاب مهين﴾ يدفع هذا التفسير ، فخرج ذلك على أن الواو للحال ، حتى يزول هذا التدافع الذي بين هذه القراءة ، وبين ظاهر آخر الآية.
فصل أصل " ليزدادوا " : ليزتادوا – بالتاء – لأنه افتعال من الزيادة ، ولكن تاء الافتعال تقلب دالا بعد ثلاثة أحرف الزاي ، والذال ، والدال – نحو ادكروا والفعل هنا – متعد لواحد ، وكان – في الأصل – متعديا لاثنين ، – كقوله تعالى : ﴿فزادهم الله مرضا﴾ [البقرة : ١٠] ولكنه بالافتعال ينقص أبدا مفعولا ، فإن كان الفعل – قبل بنائه على " افتعل " للمطاوعة – متعديا لواحد ، صار قاصرا بعد المطاوعة ، نحو مددت الحبل فامتد ، وإن كان متعديا لاثنين صار – بعد الافتعال – متعديا لواحد ، كهذه الآية.
٧٥
وختمت كل وحدة من هذه الآيات الثلاث بصفة للعذاب غير ما ختمت به الأخرى ؛ لمعنى مناسب ، وهو أن الأولى تضمنت الإخبار عنهم بالمسارعة في الكفر ، والمسارعة في الشيء والمبادرة في تحصيله تقتضي جلالته وعظمته ، فجعل جزاؤه ﴿عذاب عظيم﴾ مقابلا لهم ، ويدل ذلك على خساسة ما سارعوا فيه.
وأما الثانية فتضمنت اشتراءهم الكفر بالإيمان ، والعادة سرور المشتري واغتباطه بما اشتراه ، فإذا خسر تألم ، فختمت هذه الآية بألم العذاب ، كما يجد المشتري **المغبون** ألم خسارته.
وأما الثالثة فتضمنت الإملاء – وهو الإمتاع بالمال وزينة الدنيا – وذلك يقتضي التعزز والتكبر والجبروت فختمت هذه الآية بما يقتضي إهانتهم وذلتهم بعد عزهم وتكبرهم.
فصل قال ابن الخطيب : احتج أصحابنا – بهذه الآية – في إثبات القضاء والقدر ؛ لأن الإملاء عبارة عن تأخيره مدة – والتأخير من فعل الله تعالى – والآية دلت على أن هذا الإملاء ليس بخير لهم ، فهو

سبحانه خالق الخير والشر.

ودلت على أن المقصود من هذا الإملاء هو أن يزدادوا إثما ، فدل على أن المعاصي والكفر بإرادته وأكد بقوله : ﴿ولهم عذاب مهين﴾.

وأيضا أخبر عنهم بأنهم لا خير لهم في هذا الإملاء ؛ لأنهم لا يحصلون إلا زيادة البغي والطغيان ، والإتيان بخلاف خبر لله – مع بقاء ذلك الخبر – جمع بين النقيضين ، وهو محال.

وإذا لم يكونوا قادرين – مع ذلك الإملاء – على الخير والطاعة – مع أنهم مكلفون بذلك – لزم في نفسه بطلان مذهب المعتزلة.

وأجب المعتزلة عن الأول بأن المراد : ليس خيرا لهم بأن يموتوا كما مات الشهداء يوم أحد ؛ لأن هذه الآيات في شأن أحد ، ولا يلزم من كونه ليس خيرا من القتل يوم أحد إلا أن يكون في نفسه خيرا.

وعن الثاني بأنه ليس المراد ليقدموا على الكفر والعصيان ؛ لقوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات : ٥٦] فيحتمل أن تكون اللام للعاقبة – كقوله : ﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ [القصص : ٨] – أو يكون فيه تقديم وتأخير ، تقديره : لا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثما ، إنما نملي لهم خير لأنفسهم.

أو لأنهم لما ازدادوا طغيانا – بإمهاله – أشبه حال من فعل أهل السنة فلأنهم يحيلون تعليل أفعاله تعالى بالأغراض ، وأما على قولنا فلأنا إنما نعلل بغرض الإحسان ، لا بالتعب فسقط ما ذكروه.

٧٦

." (١)

"يلزمه أداء الحق من غير المبيع ، وأما بيع المكره ظلما أو قهرا ، فذلك لا يجوز عليه ، وهو أولى بمتاعه يأخذه بلا ثمن ، ويتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم فإن فات المتاع ، رجع بثمنه أو بقيمته بالأكثر من ذلك على الظالم إذا كان المشتري غير عالم لظلمه ، وأما يمين المكره فغير لازمة عند مالك والشافعي – رضي الله عنهما – وأكثر العلماء ، قال ابن العربي : " واختلفوا في الإكراه على الحنث هل يقع أم لا ؟ ".

قال ابن العربي رحمه الله : " وأي فرق بين الإكراه على اليمين في أنها لا تلزم ، وبين الحنث في أنه لا يقع ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٢٠

فصل إذا أكره الرجل على أن يحلف وإلا أخذ ماله ، فقال مالك : لا تقية في المال ، فإنما يدرأ المرء بيمينه عن بدنه.

وقال ابن الماجشون : " لا يحنث وإن درأ عن ماله أيضا ".

قال القرطبي : وأجمع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختار القتل ، أنه يكون أعظم أجرا عند الله ممن اختار الرخصة ".

فصل قال الشافعي وأحمد – رضي الله عنهما – : لا يقع طلاق المكره ، وقال أبو حنيفة – رضي الله عنه – : يقع.

واستدل الشافعي – رضي الله عنه – بقوله – تعالى – : ﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته ؛ لأن ذاته موجودة ؛ فوجب حمله على نفي آثاره ، أي : لا أثر له ولا عبرة به ، وقال – صلوات الله وسلامه عليه – : " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ".

وقال – عليه الصلاة والسلام – : " لا طلاق في إغلاق " ، أي : إكراه.

فإن قالوا طلقها ، فيدخل تحت قوله – تعالى – : ﴿فإن طلقها فلا تحل له﴾ [البقرة : ٢٣٠].

فالجواب : لما تعارضت الدلائل ، وجب أن يبقى ما كان على ما كان هو لنا.

فصل قال القرطبي – رحمه الله – : " وأما نكاح المكره : فقال سحنون : أجمع أصحابنا على إبطال نكاح المكره والمكرهة وقالوا : لا يجوز المقام عليه ؛ لأنه لم ينعقد ، فإن وطئها المكره على النكاح ، لزمه المسمى من الصداق ولا حد عليه ".

١٦٧

قوله : ﴿فعليهم غضب من الله﴾ أي : إنه – تعالى – حكم عليهم بالعذاب ، ثم وصف ذلك العذاب فقال – تعالى – : ﴿ولهم عذاب عظيم﴾.

قوله : ﴿ذالك بأنهم﴾ مبتدأ وخبره ؛ كما تقدم ، والإشارة بـ " ذلك " إلى ما ذكر من الغضب والعذاب ؛ ولذلك وحد ، كقوله : " بين ذلك " و : [الرجز] ٣٣٦٢ – كأنه في الجلد

....

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ١٥٥

قوله : ﴿استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ أي : ذلك الارتداد وذلك الإقدام على الكفر ؛ لأجل أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة ، ﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ أي : ذلك الارتداد إنما حصل لأجل أنه

- تءالى - ما هداهم إلى الإيمان ، وما عصمهم عن الكفر.

قال القاضي : المراد أن الله تعالى لا يهديهم إلى الجنة ، وهذا ضعيف ؛ لأن قوله - تعالى - : ﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ معطوف على قوله : ﴿ذالك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ فوجب أن يكون قوله : ﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ علة وسببا موجبا لإقدامهم على ذلك الارتداد ، وعدم الهداية يوم القيامة إلى الجنة ليس سببا لذلك الارتداد ولا علة ، بل كسبا عنه ولا معلولا له ، فبطل هذا التأويل.

ثم أكد أنه - تعالى - صرفهم عن الإيمان ؛ فقال - عز وجل - : ﴿أولـائك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ قال القاضي : الطبع ليس يمنع من الإيمان لوجوه : الأول : أنه - تعالى - أشرك ذكر ذلك في معرض الذــم ، ولو كانوا عاجزين عن الإيمان به لما استحقوا الذم بتركه.

الثاني : أنه - تعالى - أشرك بين السمع ، والبصر ، والقلب في هذا الطبع ، ومعلوم أن مع فقد السمع والبصر قد يصح أن يكون مؤمنا ، فضلا عن طبع يلحقهما في القلب.

الثالث : وصفهم بالغفلة ، ومن منع من الشيء لا يوصف بأنه غافل عنه ، فثبت أن المراد بهذا الطبع السمة والعلامة التي يخلقها في القلب ، وتقدم الجواب في أول سورة البقرة.

ثم قال - تعالى - : ﴿وأولـائك هم الغافلون﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : أي : عما يراد بهم في الآخرة.

ثم قال : ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ ، أي : **المغبونون** ، والموجب لهذا الخسران أنه - تعالى - وصفهم بصفات ستة :

١٦٨

". (١)

"الحوفي ، لما فيه من معنى الوعيد ، كأنه قال : والله يعاقبكم يوم يجمعكم.

وب " اذكر " مضمرا عند الزمخشري ، فيكون مفعولا به.

أو بما دل عليه الكلام ، أي يتفاوتون يوم يجمعكم.

قاله أبو البقاء.

وقرأ العامة : " يجمعكم " بفتح الياء وضم العين.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٢٦٠

وروي سكونها وإشمامها عن أبي عمرو ، وهذا منقول عنه في الراء نحو " ينصركم " وبابه كما تقدم في البقرة.

وقرأ يعقوب وسلام وزيد بن علي والشعبي ونصر وابن أبي إسحاق والجحدري : " نجمعكم " بنون العظمة ، اعتبارا بقوله : ﴿والنور الذى أنزلنا﴾.

والمراد بـ " يوم الجمع " أي : يوم القيامة ، يوم يجمع الله الأولين والآخرين والإنس والجن وأهل السماء وأهل الأرض.

وقيل : يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله.

وقيل : يجمع فيه بين الظالم والمظلوم.

وقيل : يجمع فيه بين كل نبي وأمته.

وقيل : يجمع فيه ثواب أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصي.

قوله : ﴿ذلك يوم التغابن﴾.

تغابن " تفاعل من الغبن في البيع والشراء على الاستعارة ، وهو أخذ الشيء بدون قيمته.

وقيل : الغبن : الإخفاء ، ومنه غبن البيع لاستخفائه ، والتفاعل هنا من واحد لا من اثنين.

ويقال : بنت الثوب وخبنته ، أي : أخذت ما طال منه من مقدارك : فهو نقص وإخفاء.

وفي التفسير : هو أن يكتسب الرجل مالا من غير وجهه فيرثه غيره ، فيعمل فيه بطاعة الله ، فيدخل الأول النار ، والثاني الجنة بذلك المال ، فذلك هو الغبن البين والمغابن : ما انثنى من البدن نحو الإبطين والفخذين.

١٣٠

والمغبون : من غبن في أهله ومنازله في الجنة ، ويظهر يؤمئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان ، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وتضييعه الأيام.

قال الزجاج : ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة إلى من هو أعلى منزلة منه.

فإن قيل : فأي معاملة وقعت بينهما حى يقع الغبن فيها ؟ فالجواب : هو تمثل للغبن في الشراء والبيع كقوله : ﴿أولائك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾ [البقرة : ١٦] ، فلما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ، ذكر أيضا أنهم غبنوا ، وذلك أن أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا ، واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة ، وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا ، وقد فرق

الله الخلق فريقين : فريقا للجنة وفريقا في السعير.

وقال الحسن وقتادة : بلغنا أن التغابن على ثلاثة أصناف.

رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي به ، ورجل علم علما وعمل به فنجا به ، ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ، ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه ، فعمل ذلك الوارث في بطاعة ربه ، ورجل كان له عبد ، فعمل العبد بطاعة ربه فسعد ، وعمل السيد بمعصية ربه فشقي.

وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه ، فيقول الله تعالى لهما : قولا ما أنتما بقائلين ، فيقول الرجل : يا رب أوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حلال أو من حرام ، وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ، ولم يبق لي ما أوفي فتقول المرأة : يا رب ، وما عسى أن أقول ، اكتسبه حراما وأكلته حلالا ، وعصاك في مرضاتي ولم أرض له بذلك ، فبعدا له ومحقا ، فيقول الله تعالى : قد صدقت فيؤمر به إلى النار ، ويؤمر بها إلى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة ، فتقول له : غبناك غبناك ، سعدنا بما شقيت أنت ؛ فذلك يوم التغابن "

١٣١

" (١).

"" صفحة رقم ٤٦٤ "

(٨٣٢) إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقود اليهود ، فلما أن نظر إليها ألقاها وقال : كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم ، فنزلت . والوجه ما ذكرناه) كفى بالله بيني وبينكم شهيدا (أني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم ، وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب) يعلم ما في السماوات والا رض (فهو مطلع على أمري وأمركم ، وعالم بحقي وباطلكم) والذين ءامنوا بالباطل (منكم وهو ما تعبدون من دون الله) وكفروا بالله (وآياته) أولائك هم الخاسرون (المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ، إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف ، كقوله :) وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ((سبأ : ٢٤) وكقول حسان : فشركما لخيركما الفداء ؛

وروي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا : يا محمد ، من يشهد لك بأنك رسول الله ، فنزلت .

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٩٤٢

) ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجآءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (

العنكبوت : (٥٣) ويستعجلونك بالعذاب ولولا . . . . .

كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا ، والنضر بن الحرث هو الذي قال : اللهم أمطر علينا حجارة من السماء ، كما قال أصحاب الأيكة : فأسقط علينا كسفا من السماء) ولولا أجل (قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم ، وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى) لجاءهم العذاب (عاجلا . والمراد بالأجل : الآخرة ، لما روي

(٨٣٣) أن الله تعالى وعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم ، وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة . وقيل : يوم بدر . وقيل : وقت فنائهم بآجالهم) لمحيطة (."(١)

"﴿ ١٣٠ - ١٣٤ ﴾ ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ .

أي: ما يرغب ﴿ عن ملة إبراهيم ﴾ بعد ما عرف من فضله ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ أي: جهلها وامتهنها، ورضي لها بالدون، وباعها بصفقة **المغبون**، كما أنه لا أرشد وأكمل، ممن رغب في ملة إبراهيم، ثم أخبر عن حالته في الدنيا والآخرة فقال: ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا ﴾ أي: اخترناه ووفقناه للأعمال، التي صار بها من [ص ٦٧] المصطفين الأخيار.

﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ الذين لهم أعلى الدرجات.

﴿ إذ قال له ربه أسلم قال ﴾ امتثالا لربه ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ إخلاصا وتوحيدا، ومحبة، وإنابة فكان التوحيد لله نعته.

ثم ورثه في ذريته، ووصاهم به، وجعلها كلمة باقية في عقبه، وتوارثت فيهم، حتى وصلت ليعقوب فوصى بها بنيه.

---

(١) تفسير الكشاف ، ٣/٤٦٤

فأنتم – يا بني يعقوب – قد وصاكم أبوكم بالخصوص، فيجب عليكم كمال الانقياد، واتباع خاتم الأنبياء قال: ﴿ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ أي: اختاره وتخيره لكم، رحمة بكم، وإحسانا إليكم، فقوموا به، واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على ذلك فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم عليه، لأن من عاش على شيء، مات عليه، ومن مات على شيء، بعث عليه.

ولما كان اليهود يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، ومن بعده يعقوب، قال تعالى منكرا عليهم: ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ أي: حضورا ﴿ إذ حضر يعقوب الموت ﴾ أي: مقدماته وأسبابه، فقال لبنيه على وجه الاختبار، ولتقر عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به: ﴿ ما تعبدون من بعدي ﴾ ؟ فأجابوه بما قرت به عينه فقالوا: ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ﴾ فلا نشرك به شيئا، ولا نعدل به أحدا، ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ فجمعوا بين التوحيد والعمل.

ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب، لأنهم لم يوجدوا بعد، فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه وصى بنيه بالحنيفية، لا باليهودية.

ثم قال تعالى: ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾ أي: مضت ﴿ لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾ أي: كل له عمله، وكل سيجازى بما فعله، لا يؤخذ (١) أحد بذنب أحد ولا ينفع أحدا إلا إيمانه وتقواه فاشتغالكم بهم وادعاؤكم، أنكم على ملتهم، والرضا بمجرد القول، أمر فارغ لا حقيقة له، بل الواجب عليكم، أن تنظروا حالتكم التي أنتم عليها، هل تصلح للنجاة أم لا؟

---

(١) في ب: لا يؤاخذ.." (١)

"﴿ ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون * وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين * إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين * قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون ﴾ .

﴿ ولكل ﴾ منهم ﴿ درجات مما عملوا ﴾ بحسب أعمالهم، لا يجعل قليل الشر منهم ككثيره، ولا التابع كالمتبوع، ولا المرءوس كالرئيس، كما أن أهل الثواب والجنة وإن اشتركوا في الربح والفلاح ودخول الجنة، فإن بينهم من الفرق ما لا يعلمه إلا الله، مع أنهم كلهم، قد رضوا بما آتاهم مولاهم، وقنعوا بما حباهم.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٦

فنسأله تعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى، التي أعدها الله للمقربين من عباده، والمصطفين من خلقه، وأهل الصفوة من أهل وداده.

﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ فيجازي كلا بحسب علمه، وبما يعلمه من مقصده، وإنما أمر الله العباد بالأعمال الصالحة، ونهاهم عن الأعمال السيئة، رحمة بهم، وقصدا لمصالحهم. وإلا فهو الغني بذاته، عن جميع مخلوقاته، فلا تنفعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين.

﴿ إن يشأ يذهبكم ﴾ بالإهلاك ﴿ ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ فإذا عرفتم بأنكم لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار، كما انتقل غيركم، وترحلون منها وتخلونها لمن بعدكم، كما رحل عنها من قبلكم وخلوها لكم، فلم اتخذتموها قرارا؟ وتوطنتم بها ونسيتم، أنها دار ممر لا دار مقر. وأن أمامكم دارا، هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة ونقص؟

وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرتحل نحوها السابقون واللاحقون، التي إذا وصلوها، فثم الخلود الدائم، والإقامة اللازمة، والغاية التي لا غاية وراءها، والمطلوب الذي ينتهي إليه كل مطلوب، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب، هنالك والله، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ويتنافس فيه المتنافسون، من لذة الأرواح، وكثرة الأفراح، ونعيم الأبدان والقلوب، والقرب من علام الغيوب، فلله همة تعلقت بتلك الكرامات، وإرادة سمت إلى أعلى الدرجات" وما أبخس حظ من رضي بالدون، وأدنى همة من اختار صفقة **المغبون**" ولا يستبعد المعرض الغافل، سرعة الوصول إلى هذه الدار.ف ﴿ إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾ لله، فارين من عقابه، فإن نواصيكم تحت قبضته، وأنتم تحت تدبيره وتصرفه.." (١)

"وترتيب هذه الصلات في غاية من الحسن ، لأنه قد بدأ أولا بنقض العهد ، وهو أخص هذه الثلاث ، ثم ثنى بقطع ما أمر الله بوصله ، وهو أعم من نقض العهد وغيره ، ثم أتى ثالثا بالإفساد الذي هو أعم من القطع ، وكلها ثمرات الفسق ، وأتى باسم الفاعل صلة للألف واللام ليدل على ثبوتهم في هذه الصفة ، فيكون وصف الفسق لهم ثابتا ، وتكون النتائج عنه متجددة متكررة ، فيكون الذم لهم أبلغ لجمعهم بين ثبوت الأصل وتجدد فروعه ونتائجه ، ولما ذكر أوصاف الفاسقين أشار إليهم بقوله : ﴿أوالئاك﴾ ، أي : أولئك الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة من النقض والقطع والإفساد.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١١٨

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٧٤

﴿هم الخاسرون﴾ : وفسر الخاسرون بالناقصين حظوظهم وشرفهم ، وبالهالكين ، وسبب خسرانهم استبدالهم النقض بالوفاء ، والقطع بالوصل ، والإفساد بالإصلاح ، وعقابها بالثواب ، وقيل : الخاسرون **المغبونون** بفوت المثوبة ولزوم العقوبة وقيل : خسروا نعيم الآخرة ، وقيل : خسروا حسناتهم التي عملوها ، أحبطوها بكفرهم. والآية في اليهود ، ولهم أعمال في شريعتهم وفي المنافقين ، وهم يعملون في الظاهر عمل المخلصين. قال القفال : الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملا يجزى عليه. ﴿كيف﴾ : قد تقدم أنه اسم استفهام عن حال ، وصحبه معنى التقرير والتوبيخ ، فخرج عن حقيقة الاستفهام. وقيل : صحبه الإنكار والتعجب ، أي إن من كان بهذه المثابة من القدرة الباهرة والتصرف التام والمرجع إليه آخرا فيثيب ويعاقب ، لا يليق أن يكفر به. والإنكار بالهمزة إنكار لذات الفعل ، وبكيف إنكار لحاله وإنكار حاله إنكار لذاته ، لأن ذاته لا تخلو من حال يقع فيها ، فاستلزم إنكار الحال إنكار الذات ضرورة ، وهو أبلغ ، إذ يصير ذلك من باب الكناية حيث قصد إنكار الحال ، والمقصود إنكار وقوع ذات الكفر. قال الزمخشري : وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها ، وقد علم أن كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ، ومحال أن يوجد تغير صفة من الصفات ، كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني ، انتهى كلامه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١١٨

وهذا الخطاب فيه التفات ، لأن الكلام قبل كان بصورة الغيبة ، ألا ترى إلى قوله : ﴿وأما الذين كفروا ﴾ إلى آخره ؟ وفائدة هذا الالتفات أن الإنكار إذا توجه إلى المخاطب كان أبلغ من توجهه إلى الغائب لجواز أن لا يصله الإنكار ، بخلاف من كان مخاطبا ، فإن الإنكار عليه أردع له عن أن يقع فيما أنكر عليه. والناصب لـ﴿كيف تكفرون﴾ . وأتى بصيغة تكفرون مضارعا ولم يأت به ماضيا وإن كان الكفر قد وقع منهم ، لأن الذي أنكر أو تعجب منه الدوام على ذلك ، والمضارع هو المشعر به ولئلا يكون ذلك توبيخا لمن وقع منه الكفر ثم آمن ، إذ لو جاء كيف كفرتم ﴿بالله﴾ لاندرج في ذلك من

١٢٩

كفرتم آمن كأكثر الصحابة رضي الله عنهم. والواو في قوله : ﴿وكنتم أمواتا فأحياكم﴾ : واو الحال ، نحو قوله تعالى : ﴿وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة﴾ ، ﴿ونادى نوح ابنه وكان فى معزل﴾ . قال الزمخشري : فإن قلت فكيف صح أن يكون حالا ، وهو ماض ؟ ولا يقال : جئت وقام الأمير ، ولكن : وقد قام ، إلا أن يضمر قد. قلت : لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ، ولكن على جملة قوله : كنتم أمواتا إلي

ترجعون ، كأنه قيل : كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ؟ ﴿ثم يميتكم﴾ بعد هذه الحياة ؟ ﴿ثم يحييكم﴾ بعد الموت ثم يحاسبكم ؟ انتهى كلامه. ونحن نقول : إنه على إضمار قد ، كما ذهب إليه أكثر الناس ، أي وقد كنتم أمواتا فأحياكم. والجملة الحالية عندنا فعلية. وأما أن نتكلف ونجعل تلك الجملة اسمية حتى نفر من إضمار قد ، فلا نذهب إلى ذلك ، وإنما حمل الزمخشري على ذلك اعتقاده أن جميع الجمل مندرجة في الحال ، ولذلك قال : فإن قلت ، بعض القصة ماض وبعضها مستقبل ، والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه ، فما الحاضر الذي وقع حالا ؟ قلت : هو العلم بالقصة ، كأنه قيل : كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة ، وبأولها وبآخرها ؟ انتهى كلامه.
". (١)

"من ولوعه بنصرة مذهبه يروم رد كل شيء إليه. ولما قرر في هذه القراءة أن المعنى على نهي الكافر أن يحسب إنما يملي الله لزيادة الإثم ، وأنه إنما يملي لأجل الخير كان قوله : ولهم عذاب مهين يدفع هذا التفسير ، فخرج ذلك على أن الواو للحال حتى يزول هذا التدافع الذي بين هذه القراءة وبين ظاهر آخر الآية. ووصف تعالى عذابه في مقاطع هذه الآيات الثلاث : بعظيم ، وأليم ، ومهين. ولكل من هذه الصفات مناسبة تقتضي ختم الآية بها. أما الأولى فإن المسارعة في الشيء والمبادرة في تحصيله والتحلي به يقتضي جلالة ما سورع فيه ، وأنه من النفاسة والعظم بحيث يتسابق فيه ، فختمت الآية بعظم الثواب وهو جزاؤهم على المسارعة في الكفر إشعارا بخساسة ما سابقوا فيه. وأما الثانية فإنه ذكر فيها اشتراء الكفر بالإيمان ، ومن عادة المشتري الاغتباط بما اشتراه والسرور به والفرح ، فختمت الآية لأن صفقته خسرت بألم العذاب ، كما يجده المشتري **المغبون** في تجارته. وأما الثالثة فإنه ذكر الإملاء وهو الإمتاع بالمال والبنين والصحة وكان هذا الإمتاع سببا للتعزز والتمتع والاستطاعة فختمت الآية بإهانة العذاب لهم. وأن ذلك الإملاء المنتج عنه في الدنيا التعزز والاستطالة مآله في الآخرة إلى إهانتهم بالعذاب الذي يهين الجبابرة. ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على مآ أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ الخطاب في أنتم للمؤمنين ، والمعنى : على ما أنتم عليه أيها المؤمنون من اختلاطكم بالمنافقين. وإشكال أمرهم وإجراء المنافق مجرى المؤمن ، ولكنه ميز بعضا من بعض بما ظهر من هؤلاء وهؤلاء من الأقوال والأفعال قاله : مجاهد ، وابن جريج ، وابن إسحاق. وقيل : الخطاب للكفار ، والمعنى : على ما أنتم عليه أيها الكفار

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٠٦/١

من اختلاطكم بالمؤمنين قاله : قتادة ، والسدي. قال السدي وغيره : قال الكفار في بعض جدلهم : أنت يا محمد تزعم في الرجل منا أنه من أهل النار ، وأنه إذا اتبعك من أهل الجنة ، فكيف يصح هذا ؟ ولكن أخبرنا بمن يؤمن منا ، وبمن يبقى على كفره ، فنزلت. فقيل لهم : لا بد من التمييز. وقال ابن عباس : وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين. وقيل : الخطاب للمؤمنين والكافرين ، وهو قريب مما قاله الزمخشري : غاية ما فيه أنه بدل الكافرين بالمنافقين فقال : (فإن قلت) : لمن الخطاب في أنتم ؟ (قلت) : للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق ، كأنه قيل : ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض ، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم ، لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه بأخباره بأحوالكم. قال الزمخشري : ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب ، بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد ، وإنفاق الأموال في سبيل الله ، فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم ، وشاهدا بضمائركم ، حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال ، لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها ، فإن ذلك مما استأثر الله به انتهى. ومعنى هذا القول لابن كيسان. قال ابن كيسان : المعنى ما يذركم على الإقرار حتى يختبركم بالشرائع والتكاليف ، فأخذه الزمخشري والقول الذي قبله ونمقهما ببلاغته وحسن خطابته.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١١٥

وقيل : المعنى ما كان الله ليذر أولادكم الذين حكم عليهم بالإيمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يفرق بينكم وبينهم. وقيل : كانوا يستهزؤن بالمؤمنين سرا فقال : لا يدعكم على ما أنتم عليه من الطعن فيهم والاستهزاء ، ولكن يمتحنكم لتفتضحوا ويظهر نفاقكم عندهم ، لا في دار واحدة ، ولكن يجعل لهم دارا أخرى يميز فيها الخبيث من الطيب ، فيجعل الخبيث في النار ، والطيب في يالجنة. والخبيث الكافر ، والطيب المؤمن ، وتمييزه بالهجرة والجهاد. وقال مجاهد : الطيب المؤمن ، والخبيث المنافق ،

١٢٥

ميز بينهما يوم أحد. وقيل : الخببث الكافر ، والطيب المؤمن ، وتمييزه بإخراج أحدهما من صلب الآخر. وقيل : تمييز الخبيث هو إخراج الذنوب من أحياء المؤمنين بالبلايا والرزايا. وقيل : الخبيث العاصي ، والطيب المطيع ، والألف واللام في الخبيث والطيب للجنس أو للعهد ، إذ كان المعهود في ذلك الوقت

أن الخبيث هو الكافر والطيب هو المؤمن كما قال : ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ الآية.
(١) ".

"ويجوز أن يكون به بمنزلة فيه ، فتتعلق الباء بالمستقر. واختلاف هذين الوجهين إنما هو لفظي ، والمعنى في الآية واحدة. وذكر الطبري عن ابن زيد تأويلا في قوله : إني أعظك أن تكون من الجاهلين لا يناسب النبوة تركناه ، ويوقف عليه في تفسير ابن عطية. وقيل : سأل نوح ربه حين صار عنه ابنه بمعزل ، وقيل : قبل أن عرف هلاكه ، وقيل : بعد أن عرف هلاكه سأل الله له المغفرة أن أسألك من أن أطلب في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأديبا بأدبك ، واتعاظا بموعظتك ، وهذه إنابة من نوح عليه السلام وتسليم لأمر الله. قال ابن عطية : والسؤال الذي وقع النهي عنه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة ، وطلبه ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه. وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا ، وظاهر قوله : فلا تسألن ما ليس لك به علم ، يعم النحوين من السؤال ، ولذلك نبهت عى أن المراد أحدهما دون الآخر ، والخاسرون هم **المغبونون** حظوظهم من الخير انتهى ، ونسب نوح النقص والذنب إلى نفسه تأدبا مع ربه فقال : وألا تغفر لي ، أي ما فرط من سؤالي وترحمني بفضلك ، وهذا كما قال آدم عليه السلام.
﴿قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معكا وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم * تلك من أنابآء الغيب نوحيهآ إليكا ما كنت تعلمهآ أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبرا إن العاقبة للمتقين﴾
: بني الفعل للمفعول ، فقيل : القائل هو الله تعالى ، وقيل : الملائكة
٢٣٠

تبليغا عن الله تعالى. والظاهر الأول لقوله : منا. وسنمتعهم أمر عند نزوله بالهبوط من السفينة ومن الجبل مع أصحابه للانتشار في الأرض ، والباء للحال أي : مصحوبا بسلامة وأمن وبركات ، وهي الخيرات النامية في كل الجهات. ويجوز أن تكون اللام بمعنى التسليم أي : اهبط مسلما عليك مكرما. وقرىء اهبط بضم الباء ، وحكى عبد العزيز بن يحيى وبركة على التوحيد عن الكسائي وبشر بالسلامة إيذانا له بمغفرة ربه له ورحمته إياه ، وبإقامته في الأرض آمنا من الآفات الدنيوية ، إذ كانت الأرض قد خلت مما ينتفع به من النبات والحيوان ، فكان ذلك تبشيرا له بعود الأرض إلى أحسن حالها ، ولذلك قال : وبركات عليك أي دائمة باقية عليك. والظاهر أن من لابتداء الغاية أي : ناشئة من الذين معك ، وهم الأمم المؤمنون إلى آخر

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٠٠/٣

الدهر. قال الزمخشري : ويحتمل أن تكون من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات. وقيل لهم : أمم ، لأن الأمم تشعبت منهم انتهى. وهذا فيه بعد تكلف ، إذ يصير التقدير : وعلى أمم هم من معك ، ولو أريد هذا المعنى لا غنى عنه ، وعلى أمم معك أو على من معك ، فكان يكون أخضر وأقرب إلى الفهم ، وأبعد عن اللبس. وارتفع أمم على الابتداء. قال الزمخشري : وسنمتعهم صفة ، والخبر مح‍ذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم ، وإنما حذف لأن قوله : ممن معك ، والمعنى : أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشئون ممن معك ، وأمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار انتهى. ويجوز أن يكون أمم مبتدأ ، ومحذوف الصفة وهي المسوغة لجواز الابتداء بالنكرة ، والتقدير : وأمم منهم أي ممن معك ، أي ناشئة ممن معك ، وسنمتعهم هو الخبر كما قالوا : السمن منوان بدرهم ، أي منوان منه ، فحذف منه وهو صفة لمنوان ، ولذلك جاز الابتداء بمنوان وهو نكرة. ويجوز أن يقدر مبتدأ ولا يقدر صفة الخبر سنمتعهم ، ومسوغ الابتداء كون المكان مكان تفصيل ، فكان مثل قول الشاعر
:

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٢٣

إذا ما بكى من خلفها انحرفت لهبشق وشق عندنا لم يحول

." (١)

"

٦٥

زعم أن القرآن قول البشر فقد أشرك الله تعالى وصار ناقضا للعهد ويقال الميثاق الذي يعرف كل واحد ربه إذا تفكر في نفسه فكان ذلك بمنزلة أخذ الميثاق عليه وجميع ما في القرآن من ذكر الميثاق فهو على هذه الأوجه الثلاثة

وقوله تعالى " ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل " روى الضحاك وعطاء عن ابن عباس أنه قال (إنهم أمروا أن يؤمنوا بجميع الأنبياء فآمنوا ببعضهم ولم يؤمنوا ببعضهم) فهذا معنى قوله " ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل " ويقال أمروا بصلة القرابات فقطعوا الأرحام فيما بينهم ويقال كان بين اليهود والعرب قرابة من وجه لأن العرب كانت من أولاد إسماعيل واليهود من أولاد إسحاق فإذا لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قطعوا ذلك الرحم الذي كان بينهم

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٩٠/٥

وقوله تعالى " ويفسدون في الأرض " لأنهم يكفرون ويأمرون غيرهم بالكفر فذلك فسادهم في الأرض " أولئك هم الخاسرون " أي **المغبونون** بالعقوبة وقال الكلبي ليس من مؤمن ولا كافر إلا وله منزل وأهل وخدم في الجنة فإن أطاع الله تعالى أتى أهله وخدمه ومنزله في الجنة وإن عصى الله تعالى ورثه الله تعالى المؤمنين فقد غبن عن أهله وخدمه كما قال في آية أخرى " قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة " الزمر ١٥ وقال بعضهم هذا التفسير لا يصح لأنه لا يجوز أن يقال للكافر منزل في الجنة وخدم ولكن يقال له هذا على وجه المثل أن الكافر لو آمن كان له منزل وخدم في الجنة إلا أن الكلبي لم يقل ذلك من ذات نفسه وإنما رواه عن أبي صالح عن ابن عباس

سورة البقرة آية ٢٨

قوله تعالى "كيف تكفرون بالله وكنتم " قال ابن عباس هو على وجه التعجب وقال الفراء هو على وجه التوبيخ والتعجب لا على وجه الاستفهام فكأنه قال ويحكم كيف تكفرون وتجحدون بوحدانية الله تعالى فإن قيل كيف يجوز التعجب من الله تعالى والتعجب وإنما يكون ممن سمع شيئا لم يكن سمعه أو رأى شيئا لم يكن رآه فيتعجب لذلك والله تعالى قد علم الأشياء قبل كونها قيل له التعجب من الله تعالى يكون على وجه التعجيب والتعجب هو أن يدعو إلى التعجب فكأنه يقول ألا تتعجبون أنهم يكفرون بالله تعالى وهذا كما قال في آية أخرى " وإن تعجب فعجب قولهم " الرعد ٥

" (١).

٢٥٣"

ولد في الإسلام أسلم طوعا ومن أبى قوتل حتى دخل في الإسلام كرها وأما أفاء الله عليهم مما يسبون فيجاء بهم في السلاسل فيكرهون على الإسلام وقال مجاهد يسجد ظل المسلم ووجهه طائع ويسجد ظل الكافر وهو كاره وقال مقاتل " وله أسلم من في السموات " يعني الملائكة والأرض يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني أهل الأديان يقولون الله ربهم وخالقهم فذلك إسلامهم وهم مشركون ومعنى قوله " وله أسلم من في السموات والأرض " قال الزجاج وله أسلم من في السموات والأرض أي خضعوا من جهة ما فطرهم عليه ودبرهم لا يمتنع ممتنع من جبلة ما جبل عليها ولا يقدر على تغيير ما خلق عليه

ثم قال " وإليه ترجعون "كما خلقكم أي كما بدأكم فلا تقدرون على الامتناع كذلك يبعثكم كما بدأكم قرأ عاصم في رواية حفص " يرجعون " وقرأ الباقون بالتاء

---

(١) بحر العلوم.، ١/٦٤

سورة آل عمران ٨٤

ثم قال " قل آمنا بالله " خاطب النبي صلى الله عليه وسلم وأراد به أمته فقال قل للمؤمنين إن لم يؤمن أهل الكتاب فقولوا أنتم آمنا بالله " وما أنزل علينا " أي آخر الآية وقد ذكرناه في سورة البقرة

سورة آل عمران ٨٥

قوله تعالى " ومن يبتغ غير الإسلام دينا " قال الكلبي نزلت في شأن وطعمه بن أبيرق ومقيس بن ضبابة والحارث بن سويد ومرثد وكانوا عشرة وقال الكلبي كانوا اثني عشر وقال الضحاك يعني لا يقبل الله من جميع الخلق من أهل الأديان دينا غير الإسلام ومن تدين بدين غير دين الإسلام " فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " أي من المغبونين لأنه ترك منزله في الجنة واختار منزله في النار

سورة آل عمران ٨٦ - ٩٠

ثم قال تعالى "كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق " يعني." [1]

٣٩٦"

الزجاج تأويله أحل لكم أن تطعموهم لأن الحلال والفرائض إنما تعقد على أهل الشريعة

ثم قال " والمحصنات من المؤمنات " يعني أحل لكم تزوج العفائف من المؤمنات " والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب " يعني العفائف من أهل الكتاب " من قبلكم " يعني أعطوا الكتاب من قبل كتابكم وهو التوراة والإنجيل واختلفوا في نكاح الصابئة وقد ذكرناه في سورة البقرة

ثم قال " إذا آتيتموهن أجورهن " يعني أعطيتموهن مهورهن " محصنين غير مسافحين " يقول كونوا متعففين عن الزنى غير معلنين بالزنا " ولا متخذي أخدان " يقول لا تتخذوا خدنا فتزنوا بها سرا وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يعيرون من يزني في العلانية ولا يعيرون من يزني سرا فحرم الله زنى السر والعلانية فلما نزلت هذه الآية قلن نساء أهل الكتاب لولا أن الله تعالى قد رضي بديننا لم يبح للمسلمين نكاحنا فنزل " ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله " أي بطل ثواب عمله ويقال لما نزل قوله " حرمت عليكم الميتة " ثم رخص من حال الأضطرار فقال بعضهم لا نأخذ الرخصة في الاضطرار فنزل " ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله " ويقال هذا ابتداء خطاب وهو لجميع المسلمين فقال " ومن يكفر بالإيمان " قال ابن عباس يعني من يكفر بالتوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله فقد حبط عمله وقال مجاهد معناه ومن يكفر بالإيمان بالله " فقد حبط عمله " يعني بطل ثواب عمله " وهو في الآخرة من الخاسرين " يعني من المغبونين في العقوبة ولهذا

---

(١) بحر العلوم. ، ٢٥٣/١

قال أصحابنا رحمهم الله إن الرجل إذا صلى ثم ارتد ثم أسلم في وقت تلك الصلاة وجب عليه إعادة تلك الصلاة ولو كان حج حجة الإسلام فعليه أن يعيد الحج لأنه قد بطل حجه وما فعل قد بطل قبل ارتداده

سورة المائدة ٦ - ٧

قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة " يعني إذا أردتم أن تقوموا إلى الصلاة وأنتم محدثون ويقال إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة وأنتم محدثون " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق " يعني مع المرافق " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين " يعني مع الكعبين قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم وفي رواية أبي بكر." (١)

"٤٠٨

تعالى لم يأمرك بهذا ولكنك تميل إلى هابيل فأمرهما بأن يقربا قربانا فأيكما تقبل قربانه كان أحق بها فعمد قابيل وكان صاحب زرع إلى شر زرعه ووضعه عند الجبل وعمد هابيل وكان صاحب المواشي إلى خير غنمه فوضعها عند الجبل وكان قابيل يضمر في قلبه أنه إن تقبل منه أو لم يتقبل أن لا يسلم إليه أخته فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وكان ذلك علامة القبول وتركت قربان قابيل فذلك قوله " إذ قربا قربانا " يعني وضعا قربانا " فتقبل من أحدهما " يعني هابيل " ولم يتقبل من الآخر " يعني قابيل ف " قال " قابيل لهابيل " لأقتلنك قال " ولم قال لأن الله تعالى قد قبل قربانك ورد علي قرباني فقال له هابيل " إنما يتقبل الله من المتقين " ولم يكن الذنب مني وإنما لم يتقبل منك لخيانتك وسوء نيتك وقال بعض الحكماء العاقل من يخاف على حسناته لأن الله تعالى قال " إنما يتقبل الله من المتقين " والخاسر من يأمن من عذاب الله لأن الله تعالى قال " فلا يأمن مكر الله القوم الخاسرون " الأعراف ٩٩

قوله تعالى " لئن بسطت إلي يدك " يعني إن هابيل قال لقابيل لئن مددت إلي يدك " لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين " ثم قال " إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك " يعني أني أريد أن ترجع " بإثمي " يعني بقتلك إياي وبإثمك الذي عملته قبل قتلي وهي الخيانة في القربان وغيره ويقال إني أريد أن ترجع بإثمي يعني أن لا أبسط يدي إليك لترجع أنت بإثمي وإثمك ولا يكون علي من الإثم شيء ويقال معناه إني أريد أن تؤخذ بإثمي وإثمك " فتكون من أصحاب النار " يعني لكي لا تكون من أصحاب النار " وذلك جزاء الظالمين "

قال الله تعالى " فطوعت له نفسه قتل أخيه " يعني تابعت له نفسه هواها على قتل أخيه ويقال انقادت له

---

(١) بحر العلوم. ، ٣٩٦/١

طاعة نفسه وقال قتادة زينت له نفسه تقتل أ " فقتله " قال بعضهم إنه كان لا يدري كيف يقتله حتى جاء إبليس فتمثل عنده برجلين فأخذ أحدهما حجرا ولم يزل بضرب الآخر حتى قتله فتعلم ذلك منه وقال بعضهم بل كان يعرف ذلك بطبعه لأن الإنسان وإن لم ير القتل فإنه يعلم بطبعه أن النفس فانية ويمكن إتلافها فأخذ حجرا وقتله بأرض الهند فلما رجع إلى آدم عليه السلام قال له ما فعلت بهابيل فقال له قابيل أجعلتني رقيبا على هابيل فذهب حيث شاء فبات آدم تلك الليلة محزونا فلما أصبح قابيل رجع إلى الموضع الذي فيه هابيل فرأى غرابا وقال بعضهم كان يحمله على عاتقه أياما لا يدري ما يصنع به حتى رأى غرابا ميتا فجاء غراب آخر فبحث التراب برجله ودفن الغراب الميت في التراب فذلك قوله تعالى " فقتله فأصبح من الخاسرين " يعني فصار من المغبونين في العقوبة

قوله تعالى " فبعث

الله غرابا يبحث في الأرض " وقابيل ينظر إليه وقال القتبي هذا من." (١)

"

٥٤٨

شعيب " قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم " يقول قد اختلقنا على الله كذبا إن دخلنا في دينكم " بعد إذ نجانا الله منها " ويقال معناه كنا كاذبين مثلكم لو دخلنا في دينكم بعد إذ نجانا الله منها ويقول أكرمنا الله تعالى بالإسلام ولم يجعلنا من أهل الكفر وأنقذنا من ملتكم ويقال " بعد إذ " أكرمنا الله بالإسلام ولم يجعلنا من أهل الكفر " وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا " يعني ما ينبغي لنا وما يجوز لنا أن ندخل في ملتكم إلا أن يشاء الله يعني لا يشاء الله الكفر مثل قولك لا أكلمك حتى يبيض القار وحتى يشيب الغراب وهذا طريق المعتزلة

ثم قال " وسع ربنا كل شيء علما " يعني علم ما يكون منا من الخلق " على الله توكلنا " يعني فوضنا أمرنا إلى الله لقولهم " لنخرجنك يا شعيب " " ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق " يقول اقض بيننا وبين قومنا بالعدل وروى قتادة عن ابن عباس قال ما كنت أدري ما معنى قوله " ربنا افتح بيننا " حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لعلي بن أبي طالب تعالى أفاتحك يعني أحاكمك وقيل أخاصمك وقال القتبي الفتح أن تفتح شيئا مغلقا كقوله " حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها " الزمر ٧٣ وسمي القضاء فتحا لأن القضاء فصل الأمور وفتح لما أشكل منها " وأنت خير الفاتحين " يعني خير الفاصلين

---

(١) بحر العلوم.، ١/٤٠٨

قوله تعالى " وقال الملأ الذين كفروا من قومه لأن اتبعتم شعيبا " يعني لئن أطعتم شعيبا في دينه " إنكم إذا لخاسرون " يعني جاهلين فلما وعظهم شعيب ولم يتعظوا أخبرهم أن العذاب نازل بهم فلم يصدقوه فخرج شعيب ومن آمن معه من بين أظهرهم فأصابهم يعني أهل القرية حر شديد فخرجوا من القرية ودخلوا غيضة كانت عند قريتهم وهي الأيكة كما قال في آية أخرى " كذب أصحاب لئيكة المرسلين " الشعراء ١٧٦ فأرسل الله تعالى نارا فأحرقت الأشجار ومن فيها من الناس ويقال أصابتهم الزلزلة فأتتهم نار فأحرقتهم فذلك قوله " فأخذتهم الرجفة " يعني الزلزلة والحر الشديد فهلكوا واحترقوا " فأصبحوا في دارهم جاثمين " يعني صاروا ميتين

قوله تعالى " الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها " يقال معناه من كان رآهم بعد إهلاكنا إياهم ظن أنه لم يكن هناك أحد يعني لم يعيشوا فيها قط وقال قتادة " كأن لم يغنوا " يعني كأن لم يتنعموا " فيها " ويقال كأن لم يعمروا ثم قال " الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين " يعني **المغبونين** في العقوبة يعني إنهم كانوا يقولون لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فصار الذين كذبوا هم الخاسرون لا الذين آمنوا به ". (١)

"

٥٥٠.

عقوبة له إذا لم يكن شاكرا لأنه قال في آية أخرى " لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة " الزخرف ٣٣ يعني الغنى يكون وبالا لمن لم يشكر الله وعقوبة له

ثم قال تعالى " أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا " يعني أن ينزل عليهم عذابنا ليلا " وهم نائمون أو أمن أهل القرى " فتحت الواو لأنها واو العطف أدخلت عليها ألف الاستفهام وكذلك " أفأمن " لأنها فاء العطف أدخل عليها ألف الاستفهام قرأ نافع وابن كثير " أو أمن " بجزم الواو لأن أصله أو وأمن وأو حرف من حروف الشك فأدغم في حرف النسق " أن يأتيهم بأسنا ضحى " يعني يأتيهم عذابنا نهارا " وهم يلعبون " يعني لاهون عنه

ثم قال تعالى " أفأمنوا مكر الله " يعني عذاب الله " فلا يأمن مكر الله " يعني عذاب الله " إلا القوم الخاسرون " يعني **المغبونين** بالعقوبة

سورة الأعراف ١٠٠ - ١٠٢

---

(١) بحر العلوم ، ١/٥٤٨

قوله تعالى " أو لم يهد للذين يرثون الأرض " يعني أو لم يبين قال القتبي أصل الهدى الإرشاد كقوله " عسى ربي أن يهديني " يعني يرشدني ثم يصير الإرشاد على معان منها إرشاد تبيان مثل قوله " أو لم يهد للذين " يعني أو لم يبين لهم ومنها إرشاد بمعنى بالدعاء كقوله " ولكل قوم هاد " الرعد ٧ يعني نبيا يدعوهم وقوله " وجعلنهم أئمة يهدون بأمرنا " الأنبياء ٧٣ يعني يدعون الخلق وقرأ بعضهم " أو لم نهد بالنون " يعني أو لم نبين لهم الطريق ومن قرأ بالياء معناه أو لم يبين الله " أو لم نهد بالنون " يعني أو لم نبين لهم الطريق ومن قرأ بالياء معناه أو لم يبين الله " للذين يرثون الأرض من بعد أهلها " يعني ينزلون الأرض من بعد هلاك أهلها ويقال أولم نبين لأهل مكة هلاك الأمم الخالية كيف أهلكناهم ولم يقدر مبعودهم على نصرتهم " أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم " يعني أهلكناهم بذنوبهم كما أهلكنا من كان قبلهم عند التكذيب ثم قال " ونطبع على قلوبهم " يعني نختم على قلوبهم بأعمالهم الخبيثة عقوبة لهم " فهم لا يسمعون " الحق ولا يقبلون الموعظة

قال عز وجل " تلك القرى نقص عليك من أنبائها " يعني تلك القرى التي أهلكنا أهلها نخبرك في القرآن من حديثها " ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات " يعني بالعلامات الواضحة والبراهين القاطعة التي لو اعتبروا بها لاهتدوا " فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل " يعني أهل مكة لم يصدقوا بما كذب به الأمم الخالية وقال مجاهد فما كانوا ليؤمنوا

." (١)

"

٥٦٥

١٤٨ - ١٤٩

قوله تعالى " واتخذ قوم موسى من بعده " يعني من بعد انطلاقه إلى الجبل " من حليهم عجلا جسدا له خوار " وذلك أن موسى عليه السلام لما وعد لقومه ثلاثين يوما فتأخر عن ذلك قال السامري لقوم موسى إنكم أخذتم الحلي من آل فرعون فعاقبكم الله تعالى بتلك الخيانة ومنع الله تعالى عنا موسى فاجمعوا الحلي الذي أخذتم من آل فرعون حتى نحرقها فلعل الله تعالى يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامري صائغا فجعل الحلي في النار واتخذ منه عجلا وقد كان رأي جبريل على فرس الحياة فكلما وضع الفرس حافره ظهر النبات في موضع حافره فأخذ كفا من أثر حافره من التراب وألقى ذلك التراب في العجل فصار

---

(١) بحر العلوم . ، ١/٥٥٠

عجلا جسدا فذلك قوله " من حليهم عجلا جسدا " قال الزجاج الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز إنما معنى الجسد يعني الجثة فقط وروي عن ابن عباس صار عجلا له لحم ودم وله خوار يعني صوت ولم يسمع منه إلا صوت واحد وقال بعضهم جعله مشتبكا يدخل فيه الريح فيسمع منه صوت مثل صوت العجل فقال لقومه هذا إلهكم وإله موسى فاغتر به الجهال من بني إسرائيل وعبدوه

قال الله تعالى " ألم يروا أنه لا يكلمهم " يعني لا يقدر على أن يكلمهم " ولا يهديهم سبيلا " يعني لا يرشدهم طريقا " اتخذوه وكانوا ظالمين " يعني كافرين بعبادتهم إياه وقرأ حمزة والكسائي " من حليهم " بكسر الحاء وقرأ الباقون " من حليهم " بضم الحاء فمن قرأ بالكسر فهو اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة ومن قرأ بالضم فهو جمع الحلي ويقال كلاهما جمع الحلي وأصله الضم إلا أن من كسره فلاتباع الكسرة بالكسرة

قوله " ولما سقط في أيديهم " يعني ندموا على ما صنعوا يقال سقط في يده إذا ندم وأصله أن الإنسان إذا ندم جعل يده على رأسه

" ورأوا أنهم قد ضلوا " يعني علموا أنهم ضلوا عن الهدى " قالوا لئن لم يرحمنا ربنا " قرأ حمزة والكسائي " لئن لم ترحمنا " بالتاء على معنى المخاطبة " ربنا " بالنصب يعني يا ربنا وقرأ الباقون " لئن لم يرحمنا ربنا " بالياء معنى الخبر " ربنا " بالضم " ويغفر لنا " بعد التوبة " لنكونن من الخاسرين " يعني من المغبونين

سورة الأعراف

". (١)

٢١"

و " الطيب " من العمل " ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا " يعني يجمعه وهذا قول الكلبي وقال مقاتل ليميز الله الكافرين من المؤمنين ويجعل في الآخرة الخبيثة أنفسهم ونفقاتهم وأنفسهم فيركم بعضه على بعض جميعا " فيجعله في جهنم " ويقال " ليميز الله الخبيث من الطيب " بين ونفقة المؤمنين ونفقة المشركين فيقبل نفقة المؤمنين ويثيبهم على ذلك ويجعل نفقة الكفار وبالا عليهم ويجعل ذلك سببا لعقوبتهم فتكون بها جباههم وقال القتبي " فيركمه " أي يجعله ركاما بعضه على بعض

ثم قال " أولئك هم الخاسرون " يعني المغبونين في العقوبة قرأ حمزة والكسائي " ليميز الله " بضم الياء مع التشديد والباقون " ليميز " بالنصب مع التخفيف ومعناهما واحد ماز يميز وميز يميز

---

(١) بحر العلوم ، ١/٥٦٦

قوله تعالى " قل للذين كفروا إن ينتهوا " يعني أبا سفيان وأصحابه وما كان في مثل حالهم إلى يوم القيامة " إن ينتهوا " أي عن الشرك وعن قتال محمد وعن المؤمنين " يغفر لهم ما قد سلف " يعني يتجاوز عنهم ما سلف من ذنوبهم وشركهم " وإن يعودوا " إلى قتال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه " فقد مضت سنة الأولين " بنصرة أوليائه وقهر أعدائه ويقال يعني القتل يحذرهم بالعقوبة لكيلا يعودوا فيصيبهم مثل ما أصابهم وقال الكلبي " فقد مضت سنة الأولين " أن ينصر الله أنبيائه ومن آمن معهم كقوله " إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا " [غافر : ٥١]

سورة الأنفال ٣٩ - ٤٠

ثم حث المؤمنين على قتال الكفار فقال تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة " يعني لا يكون الشرك بمكة ويقال حتى لا يتخذوا شركاء ويوحدوا ربهم " ويكون الدين كله لله " يعني يظهر دين الإسلام ولا يكون دين غير دين الإسلام " فإن إنتهوا " عن الشرك وعن عبادة الأوثان وقتال المسلمين " فإن الله بما يعملون بصير " فيثيبكم بأعمالكم " وإن تولوا " يعني أبوا وأعرضوا عن الإيمان يا معشر المؤمنين " فاعلموا أن الله مولاكم " يعني حافظكم وناصركم

ثم قال " نعم المولى ونعم النصير " " نعم المولى " يعني الحفيظ و " نعم النصير " يعني المانع

سورة الأنفال ٤١." (١)

١٣٢"

ولكن أراد أن يقول ما أشك كما قال لعيسى " أأنت قلت للناس " علم أنه لم يقل ولكن أراد أن يقول ما قلت لهم وذلك أن كفار قريش قالوا إن هذا الوحي يلقيه إليه الشيطان فأنزل الله تعالى " فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك " من القرآن " فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك " يعني مؤمني أهل الكتاب فسيخبرونك أنه مكتوب عندهم في التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أسأل أحدا ولا أشك فيه بل أشهد أنه الحق وقال القتبي فيه تأويلان أحدهما أن تكون المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد فيه غيره من الشكاك لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب وهم يخاطبون الرجل بشيء ويريدون به غيره كما قالوا إياك أعني واسمعي يا جارية وكقوله " يا أيها النبي إتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين " [الأحزاب : ١] أراد به الأمة يدلك عليه قوله تعالى في آخره " إن الله كان بما تعملون خبيرا " [النساء : ٩٤] وكقوله " وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن إلهة يعبدون " [الزخرف : ٤٥] ووجه آخر أن

---

(١) بحر العلوم.، ٢١/٢

الناس كانوا على ثلاث مراتب منهم من كان مؤمنا ومنهم من كان كافرا ومنهم من كان شاكا وإنما خاطب بهذا الشاك

ثم قال تعالى " لقد جاءك الحق من ربك " يعني القرآن " فلا تكونن من الممترين " يعني من الشاكين " ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله " يعني بالكتاب وبالرسل " فتكون من الخاسرين " يعني من **المغبونين**

قوله تعالى " إن الذين حقت عليهم كلمة ربك " يعني وجبت عليهم كلمة ربك بالسخط وقدر عليهم الكفر " لا يؤمنون " يعني لا يصدقون بالقرآن أنه من الله تعالى " ولو جاءتهم كل آية " يعني علامة " حتى يروا العذاب الأليم " يعني الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة قرأ نافع وإبن عامر "كلمات ربك " وقرأ الباقون "كلمة ربك "

سورة يونس ٩٨

قوله تعالى " فلولا كانت قرية آمنت " يقول لم يكن أهل قرية كافرة آمنت عند نزول العذاب " فنفعها إيمانها " وقبل منها الإيمان ودفع عنهم العذاب " إلا قوم يونس " عليه السلام قال مقاتل " فلولا " على ثلاثة أوجه الأول " لولا " يعني فلم مثل قوله تعالى " فلولا كانت قرية آمنت " " فلولا كان من القرون " الثاني " فلولا " يعني فهلا كقوله " فلولا إذ جاءهم بأسنا " [الأنعام : ٤٣] " فلولا إن كنتم غير مدينين " [الواقعة : ٨٦] والثالث." (١)

"١٥٤

وقرأ أبو عمرو " فلا تسألني " بإثبات الياء بغير تشديد وهو الأصل في اللغة وقرأ إبن كثير " فلا تسألن " بنصب النون والتشديد بغير ياء ويكون معناه التأكيد في النهي وقرأ إبن عامر ونافع في رواية قالون " فلا تسألن " بالكسر بغير ياء مع التشديد وقرأ نافع في رواية ورش " فلا تسألني " بالياء مع التشديد

ثم قال " إني أعظك " أي أنهاك " أن تكون من الجاهلين " يعني ممن يترك أمري ويقال من المكذبين بقدرة الله تعالى وقضائه " قال " نوح عليه السلام " رب إني أعوذ بك " يعني أعتصم وأمتنع بك " أن أسألك ما ليس لي به علم " يعني إحفظني بعد اليوم لكيلا أسألك ما ليس به علم " وإلا تغفر لي وترحمني " يعني إن لم تغفر لي ولم ترحمني " أكن من الخاسرين " أي أكن من **المغبونين**

سورة هود ٤٨

قوله تعالى " قيل يا نوح إهبط بسلام منا " يعني إنزل من السفينة مسلما من عذابنا وغرقنا ويقال بسلامي

---

(١) بحر العلوم . ، ١٣٢/٢

عليك كما قال " سلام على نوح في العالمين " [الصافات : ٧٩] " وبركات " يعني وسعادات " عليك وعلى أمم ممن معك " يعني الذين كانوا معه في السفينة " وأمم سنمتعهم " يعني من كان من أهل الشقاء سنمتعهم في الدنيا " ثم يمسهم " يعني يصيبهم " منا عذاب أليم " في الآخرة وقال مقاتل إهبط من السفينة بسلام منا فسلمه الله ومن معه من الغرق " وبركات عليك وعلى أمم ممن معك " يعني بالبركة أنهم توالدوا وكثروا " وأمم سنمتعهم " وهم قوم هود وشعيب ولوط

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله " إهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمعتهم ثم يمسهم منا عذاب أليم " قال دخل في السلام والبركة كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ودخل في المتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة ويقال إنهم لما خرجوا من السفينة بنوا مدينة وسموها مدينة الثمانين ويقال ماتوا كلهم ولم يكن منهم نسل إلا من أولاد نوح عليه السلام وكان له ثلاثة بنين سام وحام ويافث سوى الذي غرق كما قال في موضع آخر " وجعلنا ذريته هم الباقين " [الصافات : ٧٧]

سورة هود ٤٩

قوله تعالى " تلك من أنباء الغيب " يعني ما سبق من ذكر نوح وقومه يعني من أخبار الغيب يعني أحاديث ما غاب عنك فكان في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن قصته دلالة نبوته لأنه لا." (١)

"٦٣٨

بالصنم ويقال بالشيطان ويقال بالطاغوت وهو كعب بن الأشرف " وكفروا بالله " يعني جحدوا وحدانية الله عز وجل " أولئك هم الخاسرون " يعني المغبونين في العقوبة ويقال خسروا حيث إستوجبوا لأنفسهم العقوبة

سورة العنكبوت ٥٣ - ٥٦

ثم قال عز وجل " ويستعجلونك بالعذاب " وذلك أنهم قالوا إئتنا بعذاب الله يقول الله عز وجل " ولولا أجل مسمى " يقول لولا الوقت الذي وقت لهم " لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة " يعني فجأة " وهم لا يشعرون " بنزول العذاب " يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين " يعني جعلت لهم النار تحيط بهم

قوله عز وجل " يوم يغشاهم العذاب " يعني يعلوهم العذاب " من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون " قرأ إبن كثير وإبن عامر وأبو عمرو " ونقول ذوقوا " بالنون يعني نقول لهم نحن ذوقوا وهي حكاية عن الله سبحانه وتعالى بلفظ الجماعة وهو لفظ الملوك وقرأ الباقون ب الياء يعني يقول الله عز

---

(١) بحر العلوم ، ٢/١٥٤

وجل ويقال وتقول لهم الخزنة " ذوقوا ما كنتم تعملون " يعني جربوا عقوبة ما كنتم تعملون في الدنيا ثم قال عز وجل " يا عبادي الذين آمنوا " قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو بسكون الياء وقرأ الباقون بنصب الياء " يا عبادي " وقرأ إبن عامر وحده " إن أرضي واسعة " بنصب الياء وقرأ الباقون بسكونها في مثل هذه المواضع لغتان يجوز كلاهما ومعناه إن أرضي واسعة إذا أمرتم بالمعصية والبدعة فاهربوا ولا تطيعوا في المعصية نزلت في ضعفاء المسلمين " إن كنتم " يعني إذا كنتم في ضيق من إظهار الإسلام بمكة " فإن أرضي واسعة " يعني المدينة واسعة بإظهار الإسلام وروي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض إستوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام وإنما خص إبراهيم لأنه قال " إني مهاجر إلى ربي " [العنكبوت : ٢٦] ففر بدينه إلى الأرض المقدسة وإنما خص محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه هاجر من مكة إلى المدينة ويقال إن القوم كانوا في ضيق من العيش فقال إن كنتم تخافون شدة العيش فإن أرضي واسعة " فإياي فاعبدون " يعني فوحدون بالمدينة علانية

سورة العنكبوت ٥٧ - ٥٩." (١)

"٢١٣

صار نصبا لإضمار فيه يعني واذكر يوم يحشر أعداء الله إلى النار " فهم يوزعون " يعني يحبس أولهم ليلحق بهم آخرهم وأصله من وزعته أي كففته

" حتى إذا ما جاؤوها " يعني إذا جاؤوها " ما " صلة في الكلام

يعني جاؤوا النار وعاينوها

قيل لهم " أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون " [الأنعام ٢٢] فقالوا عند ذلك والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتستنطق جوارحهم فتنطق بما كتمت الألسن فذلك قوله " شهد عليهم سمعهم " يعني آذانهم بما سمعت " وأبصارهم " يعني أعينهم بما نظرت ورأت " وجلودهم " يعني فروجهم " بما كانوا يعملون " يعني بجميع أعمالهم

قوله تعالى " وقالوا لجلودهم " يعني لجوارحهم

وقال القتبي الجلود كناية عن الفروج " لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء " يعني أنطق الدواب وغيرهم " وهم خلقكم أول مرة " يعني أنطقكم في الدنيا " وإليه ترجعون " في الآخرة

---

(١) بحر العلوم. ، ٦٣٨/٢

يقول الله تعالى " وما كنتم تستترون " يعني ما كنتم تمتنعون ويقال ما كنتم تحسبون وتستيقنون إلا " أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون " من الخير والشر " وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم " يعني ذلك الظن الذي أهلككم ويقال " أرداكم " يعني أغواكم

ويقال أهلككم سوء الظن وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني) وقال الحسن إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل

وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل

" فأصبحتم من الخاسرين " يعني صرتم من المغبونين

" فإن يصبروا " يعني على النار " فالنار مثوى لهم " أي مأوى لهم ويقال هذا جواب لقولهم " اصبروا على آلهتكم "

سورة فصلت ٢٤ – ٢٥

يقول الله تعالى " فإن يصبروا " يعني على النار " النار مثوى لهم " " وإن يستعتبوا " يعني يسترجعوا من الآخرة إلى الدنيا " فما هم من المعتبين " أي من المرجوعين إلى الدنيا

ويقال " وإن يستعتبوا " يعني وإن يطلبوا العذر " فما هم من المعتبين " يعني لا يسمع ولا يقبل منهم عذرهم

قوله عز وجل " وقيضنا لهم قرناء " من الشياطين

وقال أهل اللغة قيض يعني سلط ويقال قيض بمعنى قدر

" فزينوا لهم " يعني زينوا لهم التكذيب بالحساب وقال الحسن." (١)

"٤٣١

سورة المنافقون ٩ – ١١

قوله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم " يعني لا تشغلكم أموالكم " ولا أولادكم عن ذكر الله " يعني عن طاعة الله تعالى

" ومن يفعل ذلك " يعني من لم يعمل بطاعته ولم يؤمن بوحدانيته " فأولئك هم الخاسرون " يعني المغبونين بذهاب الدنيا وحرمان الآخرة

---

(١) بحر العلوم ، ٣/٢١٣

ثم قال عز وجل " وأنفقوا مما رزقناكم " يعني مما رزقكم الله من الأموال

" من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب " يعني يقول يا سيدي ردني إلى الدنيا " فأصدق " يعني فأتصدق ويقال أصدق بالله

(وأكن من الصالحين) يعني أفعل كما فعل المؤمنون

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه أو مال يبلغه بيت الله تعالى فلم يحج يسأل عند الموت الرجعة قال فقال رجل اتق الله يا ابن عباس إنما سألت الكفار الرجعة

قال ابن عباس إني أقرأ عليك بهذا القرآن ثم قرأ " يا أيها الذين آمنوا " إلى قوله " وأكن من الصالحين "

فقال رجل وما يوجب الزكاة يا ابن عباس قال مائتا درهم فصاعدا

قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة

قرأ أبو عمرو " فأصدق وأكون " بالواو وفتح النون والباقون " وأكن " بحذف الواو بالجزم

فمن قرأ " وأكون " لأن قوله " فأصدق " جواب للأول بالفاء فأكون معطوفا عليه

ومن قرأ " وأكن " فإنه عطفه على موضع " فأصدق " لأنه على معنى إن أخرتني أصدق وأكن ولم يعطفه على اللفظ

قال أبو عبيدة قرأت في مصحف عثمان هكذا بغير واو

ثم قال " ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها " يعني إذ جاء وقتها

" والله خبير بما تعملون " من الخير والشر فيجازيكم

قرأ عاصم في رواية أبي بكر " يعلمون " بالياء على معنى الخبر عنهم والباقون بالتاء للمخاطبة والله أعلم." (١)

"٤٣٤

فسمى القرآن نورا لأنه يهتدى به في ظلمة الجهالة والضلالة ويعرف به الحلال والحرام

ثم قال " والله بما تعملون خبير " يعني عالم بأعمالكم فيجازيكم بها

ثم قال " يوم يجمعكم " يعني لتبعثن في يوم يجمعكم " ليوم الجمع " يعني يوم تجمع فيه أهل السماء وأهل الأرض ويجمع فيه الأولون والآخرون

قرأ يعقوب الحضرمي " يوم نجمعكم " بالنون وقراءة العامة بالياء ومعناهما واحد

---

(١) بحر العلوم.، ٤٣١/٣

ثم قال " ذلك يوم التغابن " يعني يغبن فيه الكافر نفسه وأهله ومنازله في الجنة يعني يكون له النار مكان الجنة وذلك هو الغبن والخسران

ثم قال " ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا " يعني يقر بوحدانية الله تعالى ويؤدي الفرائض

" يكفر عنه سيئاته " يعني يغفر ذنوبه " ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم " يعني النجاة الوافرة

قرأ نافع وابن عامر " نكفر " و " ندخله " كلاهما بالنون والباقون كلاهما بالياء ومعناهما واحد

سورة التغابن ١٠ - ١٣

ثم وصف حال الكافرين فقال عز وجل " والذين كفروا بآياتنا " يعني بالكتاب والرسول

" أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير " يعني بئس المرجع الذي صار إليه **المغبونون**

ثم قال عز وجل " ما أصاب من مصيبة " يعني ما أصاب بني آدم من شدة ومرض وموت الأهلين " إلا بإذن الله " يعني إلا بإرادة الله تعالى وبعلمه

" ومن يؤمن بالله " يعني يصدق بالله على المصيبة ويعلم أنها من الله تعالى " يهد قلبه " يعني إذا ابتلي صبر وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظلم غفر

وروي عن علقمة بن قيس أن رجلا قرأ عنده هذه الآية فقال أتدرون ما تفسيرها وهو أن الرجل المسلم يصاب بالمصيبة في ماله ونفسه يعلم أنها من عند الله تعالى فيسلم ويرضى

ويقال " من يؤمن بالله يهد قلبه " للاسترجاع يعني يوفقه الله تعالى لذلك

" والله بكل شيء عليم " أي عالم بثواب من صبر على المصيبة

ثم قال عز وجل " وأطيعوا الله " في الفرائض " وأطيعوا الرسول " في السنن

ويقال " أطيعوا الله " في الرضا بما يقضي عليكم من المصيبة " وأطيعوا الرسول " فيما يأمركم به من." (١)

"هذه الآية فيها إنابة نوح وتسليمه لأمر الله تعالى واستغفاره بالسؤال الذي وقع النهي عليه والإستعاذة والإستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطلبة ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا .

وظاهر قوله " فلا تسألن ما ليس لك به علم " يعم

النحويين من السؤال فلذلك نبهت على أن المراد أحدهما دون الآخر والخاسرون هم **المغبونون** حظوظهم

---

(١) بحر العلوم ، ٣/٤٣٤

من الخير وقوله تعالى " قيل

١٧٩

كان هذا عند نزوله من السفينة مع أصحابه للانتشار في الأرض والسلام عنا السلامة والأمن ونحوه والبركات الخير والنمو في كل الجهات وهذه العدة تعم جميع المؤمنين إلى يوم القيامة قال محمد بن كعب القرظي وقوله " ممن معك " أي من ذرية من معك ومن مسلهم ف " من " على هذا هي لابتداء الغاية أي من هؤلاء تكون هذه الأمم و " من " موصولة وصلتها " معك " وما بتقدر معها نحو ةولك ممن استقر معك ونحوه ثم قطع قوله " وأمم " على وجه الابتداء إذ كان أمرهم مقطوعا من الأمر الأول وهؤلاء هم الكفار إلى يوم القيامة .

وقوله تعالى " تلك من أنباء الغيب " الآية إشارة إلى القصة أي هذه من الغيوب التي تقادم عهدها ولم يبق علمها إلا عند الله تعالى ولم يكن علمها أو علم أشباهه عندك ولا عند قومك ونحن نوحيها إليك لتكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الأنبياء وتكون لقومك مثالا وتحذيرا لئلا يصيبهم إذا كذبوك مثل ما أصاب هؤلاء وغيرهم من الأمور المعذبة .

قال القاضي أبو محمد وعلى هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله " فاصبر إن العاقبة للمتقين " أي فاجتهد في التبليغ وجد في الرسالة واصبر على الشدائد واعلم أن العاقبة لك كما كانت لنوح في هذه القصة .

وفي مصحف ابن مسعود من قبل هذا القرآن .

قوله عز وجل

هود ٥٠ - ٥٢

" وإلى عاد " عطف على قوله " إلى قومه " في قصة نوح و " عاد " ةبيلة وكانت عربا فيما ذكر وهود عليه السلام منهم وجعله " أخاهم " بحسب النسب والقرابة فإن فرضناه ليس منهم فالأخوة بحسب المنشأ واللسان والجيرة .

وأما قول من قال هي أخوة بحسب النسب الآدمي فضعيف .

وقرأ جمهور الناس يا قوم بكسر الميم وقرأ ابن محيصن يا قوم برفع الميم وهي لغة حكاها سيبويه وقرأ جمهور الناس غيره بالرفع على النعت أو البدل من موضع قوله " من إله " .

وقرأ الكسائي وحده بكسر الراء حملا على لفظ " إله " وذلك أيضا على النعت أو البدل ويجوز غيره نصبا

على الإستثناء .

". (١)

"وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن مسعود قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة (وسبح اسم ربك الأعلى) (سورة الأعلى ١) وفي صلاة الصبح يوم الجمعة (ألم تنزيل) (سورة السجدة) و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.

وأخرج الديلمي بسند واه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأجد في كتاب الله سورة هي ثلاثون آية من قرأها عند نومه كتب له منها ثلاثون حسنة ومحي عنه ثلاثون سيئة ورفع له ثلاثون درجة وبعث الله إليه ملكا من الملائكة ليبسط عليه جناحه ويحفظه من كل شيء حتى يستيقظ وهي المجادلة تجادل عن صاحبها في القبر وهي ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.

وأخرج الديلمي بسند واه عن أنس رضي الله عنه رفعه لقد رأيت عجبا رأيت رجلا مات كان كثير الذنوب مسرفا على نفسه فكلما توجه إليه العذاب في قبره من قبل رجليه أو من قبل رأسه أقبلت السورة التي فيها الطير تجادل عنه العذاب أنه كان يحافظ علي وقد وعدني ربي أنه من واظب علي أن لا يعذبه فانصرف عنه العذاب بها وكان المهاجرون والأنصار يتعلمونها ويقولون : **المغبون** من لم يتعلمها وهي سورة الملك.

وأخرج ابن الضريس عن مرة الهمذاني قال : أتى رجل من جوانب قبره فجعلت سورة من القرآن ثلاثون آية تجادل عنه حتى منعته من عذاب القبر." (٢)

"اعتراض بين جملة ﴿ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ [التغابن: ٧] بمتعلقها وبين جملة ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته﴾ اعتراضا يفيد تهويل هذا اليوم تعريضا بوعيد المشركين بالخسارة في ذلك اليوم: أي بسوء المنقلب.

والإتيان باسم الإشارة في مقام الضمير لقصد الاهتمام بتمييزه أكمل تمييز مع ما يفيد اسم إشارة البعيد من علو المرتبة على نحو ما تقدم في قوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ في سورة البقرة[٢].

و﴿التغابن﴾: مصدر غابنة من باب المفاعلة الدالة على حصول الفعل من جانبين أو أكثر.

وحقيقة صيغة المفاعلة أن تدل على حصول الفعل الواحد من فاعلين فاكثر على وجه المشاركة في ذلك الفعل.

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٩٤/٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٠٣/١٤

والغبن أن يعطى البائع ثمنا دون حق قيمته التي يعوض بها مثله.

فالغبن يؤول إلى خسارة البائع في بيعه، فلذلك يطلق الغبن على مطلق الخسران مجازا مرسلا كما في قول الأعشى:

لا يقبل الرشوة في حكمه

ولا يبالي غبن الخاسر

فليست مادة التغابن في قوله: ﴿يوم التغابن﴾ مستعملة في حقيقتها إذ لا تعارض حتى يكون فيه غبن بل هو مستعمل في معنى الخسران على وجه المجاز المرسل.

وأما صيغة التفاعل فحملها جمهور المفسرين على حقيقتها من حصول الفعل من جانبين ففسروها أهل الجنة غبنوا أهل النار إذ أهل الجنة أخذوا الجنة وأهل جهنم أخذوا جهنم قاله مجاهد وقتادة والحسن. فحمل القرطبي وغيره كلام هؤلاء الأيمة على أن التغابن تمثيل لحال الفريقين بحال متبايعين أخذ أحدهما الثمن الوافي، وأخذ الآخر الثمن **المغبون**، يعني وقول عقبه ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته﴾ ، إلى قوله: ﴿وبئس المصير﴾ قرينة على المراد من الجانبين وعلى كلا المعنيين يكون قوله: ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ إلى قوله: ﴿وبئس المصير﴾ تفصيلا للفريقين، فيكون في الآية مجازا وتشبيه ونمثيل، فالمجاز في مادة الغبن، والتمثيل في صيغة التغابن، وهو تشبيه مركب بمنزلة التشبيه البليغ إذ التقدير: ذلك يوم مثل التغابن.

وحمل قليل من المفسرين وهو ما فسر كلام الراغب في مفرداته وصرح ابن." (١)

"كتب ابن السماك إلى أخ له: أما بعد، أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك ورقيبك في علانيتك، فاجعله من بالك على حالك، وخفه بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك، واعلم أن الذنب من العاقل أعظم من الأحمق ومن العالم أعظم من الجاهل وقد أصبحنا أدلاء بزعمنا والدليل لا ينام في البحر، وقد كان عيسى يقول: حتى متى تصفون الطريق للدالجين وأنتم مقيمون في محلة المتحيرين؟ تصفون البعوض من شرابكم وتسترطون الجمال بأجمالها. أي أخي كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من داع إلى الله فار من الله. وكم تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله. والسلام.

قال ابن السماك سبعك بين لحييك تأكل به كل من مر عليك، قد آذيت أهل الدور في الدور حتى تعاطيت

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٤٧/٢٨

أهل القبور، فما ترثي لهم وقد جرى البلى عليهم، وأنت ها هنا تنبشهم، إنما نرى أن نبشهم أخذ الخرق عنهم، إذا ذكرت مساويهم فقد نبشتهم، إنه ينبغي لك أن يدلك على ترك القول في أخيك ثلاث خلال: أما واحدة: فلعلك أن تذكره بأمر هو فيك فما ظنك بربك إذا ذكرت أخاك بأمر هو فيك؟ ولعلك تذكره بأمر، فيك أعظم منه، فذلك أشد استحكاما لمقته إياك، ولعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه فهذا جزاؤه إذ عافاك. أما سمعت: ارحم أخاك واحمد الذي عافاك؟ الحسين بن عبد الرحمن قال: كان ابن السماك يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها.

قال ا بن السماك: إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبه وأعطي حاجته فهو متأهب مبادر، فافعل فإن **المغبون** من لم يقدم من ماله شيئا ومن نفسه لنفسه.

لما حضرت ابن السماك الوفاة قال: اللهم إني وإن كنت أعصيك لقد كنت أحب فيك من يطيعك.

من الطبقة الثامنة من أهل ا لكوفة أبو داود الحفري عمر بن سعد." (١)

"وله أيضا:

سألت الغصن لم تعرى شتاء ... وتبدو في الربيع وأنت كاسي

فقال لي الربيع على قدوم ... خلعت على البشير به لباسي وقال:

قد دبق القلب بدبوقه ... وجن منها فهو مفتون

واعجبا للحب من فعله ... بشعرة قيد مجنون وقال:

جاء من لحظه بسحر مبين ... بفتور من جفنه وفنون

وثنى قده الصبا في تثني ... ه فوا خجلة القنا والغصون

قمر بعت في هواه رشادي ... بضلال ولست **بالمغبون**

لا عجيب أني ضللت بليل الش ... عر لكن تيهي بصبح الجبين

فيه ما تشتهي النفوس من الحس ... ن وتلتذه لحاظ العيون

سال دمعي إذ سال في خد من أه ... وى عذار كالمسك للتزيين

فعجبنا من سائلين غني ... بنضار وسائل مسكين

ويك يا سعد ذر قديم حديث ... عن أناس وخذ حديث شجون

كل حسن النام دون الذي أه ... وى وكل العشاق في الحب دوني

---

(١) مختصر صفة الصفوة، ١/٢٥٢

قسما بالقدود مالت من التي ... هـ وما في أغصانها من لين

وسهام الألحاظ ترمي بها الأص ... داغ عن قوس حاجب كالنون

ودلال الحبيب والوصل والتي ... هـ وحكم الهوى بها من يمين

لا تناسيت بالملام عهودا ... أحكمت عقدها علي يميني

لو تناسيتها لضاق مجالي ... في اعتذاري إلى وفاء ودين." (١)

"أتاني كتاب من حبيب فشاقني ... إليه وزاد القلب وجدا على وجد

وكدت لما أضمرت من لاعج الهوى ... ووجدا على مافات أقضى من الوجد

وقف على الكتاب الكريم الصادر عن المجلس السامي القضائي العزي - لا زالت سيادته تتجدد، وسعادته تتأكد، وفواضله تتردد، وفضائله عن مجلسه تصدر، وفي المجالس تورد - وعلمت إشارته في التذكرة المسيلمية والنية في حملها إلى الخزانة الأشرفية، ولقد زفت إلى أجل خاطب، ورقيت بعد انحطاطها إلى أسمى المراتب، فإنها وإن كانت بكر فكر أكابر، فما هي إلا بنت عدة آباء، ولدت على فراش عواهر، كان عليه البغاء في العالمين علامة، أعني ابن مسيلمة ذا الداء، وأسأل الله السلامة، فجاءت ذات غرام لا يشفي قطمها إلا السودان، وأردت أن أكون ناكحها الثاني لاتفاق الألوان، وأبى الله لها إلا أن تهدى إلى المقر الأرفع، وأن يقع الابتناء بالبغي من الهمام الأروع، ولست يائسا على عدمها، ولا راجيا شفاء كلمي بكلمها:

تحمل أهلها عني فبانوا ... على آثار من ذهب العفاء

وكأني بساميه عرض هذا الكتاب على من لا أسميه، فقرن حاجبيه، ولوى شفتيه، ولمس عثنونه تعجبا، وأمال عطفيه تظرفا وقال: أذكرني سجع الكهان، وأسمعني قعقعة صعصعة بن صوحان، والله المستعان على ما يصفون، وإنما هي نفثة مصدور، صدر نافثها بصفقة **المغبون**، وأما سؤاله عما حصل من الكتب في غيبته،

فما هي إلا البحر جاد بدره ... ومكنني من لجه وسواحله

حصل من نفائسها أعلاق نفيسة، وأضحت على بغض المزاحم عليها موقوفة حبيسة، لو امتدت يد إليها لشلت، ولوسعت إليها قدم لما أقلت جثتها ولا استقلت، لا ابن العديم يعدمها، ولا القيلوي يقللها، ولا الصفي يصطفيها، ولا المجد يختزلها.

---

(١) فوات الوفيات، ٢/١٢٦

خلا لك الجو فبيضي واصفري

وتعداد المجدد منها يقصر عنه الكتاب، ويقصر دونه الخطاب، والله الموفق.

أبو علي المنطقي

لم أظفر باسمه وهو مجيد. قال الخالع: هو من أهل البصرة وتنقل عنها في البلاد، ومدح عضد الدولة وابن عباد، وانقطع مدة من الزمان إلى نصر بن هارون، ثم إلى أبي القاسم العلاء بن الحسن الوزير، وكان جيد الطبقة في الشعر والأدب عالما بالمنطق قوي الرتبة فيه، وجمع ديوانه وكان نحو ألفي بيت، ومولده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات بشيراز بعد سنة تسعين وثلاثمائة، وكان ضعيف الحال ضيق الرزق عارفا – وجدت على حاشية الأصل ما هذا صورته: إنا لله وإنا إليه راجعون – . ما يحتاج مستدل على أن الأرزاق ليست بالاستحقاق بأقوى من هذا الرجل، فإنه لو وفي حقه لكان أعظم قدرا من المتنبي، لأنه ليس بدونه في الشعر جودة وصحة معنى ومتانة لفظ وحلاوة استعارة وسلاسة كلام، وكان مع ذلك مزاحا طيب العشرة حاد النادرة، وأصيب بعينه في آخر عمره، وله في ذلك أشعار كثيرة. وهذا القدر حكاه الخالع من خبره ولم يعرف غير ذلك. ومن شعره:

يا ريم وجدي فيك ليس يريم ... بين الضلوع وإن رحلت مقيم

لا تحسبي قلبي كربعك خاليا ... فيه وإن عفت الرسوم رسوم

تبلى المنزل والهوى متجدد ... وتبيد خيمات ويبقى الخيم

ومن شعره لما أصيب ببصره:

ما للهموم إذا ما هيمها وردت ... علي لم تفض من ورد إلى صدر

كأنما وافق الأعشاب رائدها ... لدى حماي فقد ألقى عصا السفر

إن يجرح الدهر مني غير جارحة ... ففي البصائر ما يغني عن البصر

وله في الخمر:

قهوة مثل رقراق السراب غدا ... حبب المزاج عليها جيب مزرور

تختال إن بث فيها الماء لؤلؤه ... ما بين عقدين منظوم ومنثور

للتها مثل سل الفجر صارمه ... وأحجم الليل في أثواب موتور

كأنها إذ بدت والكأس تحجبها ... روح من النار في جسم من النور

إذا تعاطيت محزونا أبارقها ... لم يعدني كل مفروح ومسرور

أمسي غنيا وقد أصبحت مفتقرا ... كأنني الملك بين الناي والزير

وله في نصر بن هارون:

ينال علاه ما السها عنه عاجز ... ويسقي نداه من تجاوزه القطر." [١]

"

وأما القيادة وهي إمارة الركب فقام بها بعد عبد مناف ولده عبد شمس ثم كانت بعد عبد شمس لابنه أمية ثم لابنه حرب ثم لابنه أبي سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم أحد ويوم الأحزاب ومن ثم لما قال الوليد بن عبدالملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست في العير ولا في النفير قال له ويحك العير والنفير عيبتي أي وعائي لأن العيبة ما يجعل فيه الثياب جدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير

ودار الندوة كانت قريش تجتمع فيها للمشاورة في أمورها ولا يدخلها إلا من بلغ الأربعين وكانت الجارية إذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبدالدار درعها ثم يدرعها إياه وانقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصي فكان لا ينكح رجل إمرأة من قريش إلا في دار قصي التي هي دار الندوة ولا يعقد لواء حرب إلا فيها ولا تدرع جارية من قريش إلا في تلك الدار فيشق عنها درعها ويدرعها بيده فكانت قريش بعد موت قصي يتبعون ما كان عليه في حياته كالدين المتبع ولا زالت هذه الدار في يد بني عبدالدار إلى أن صارت إلى حكيم بن حزام فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم فلامه عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما وقال أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم رضي الله عنه ذهبت المكارم إلا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله تعالى فأينا المغبون

قيل وقصى هو جماع قريش فلا يقال لأحد من أولاد من فوقه قرشي ونسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل لأنه توصل به إلى أن لا يكون سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما من قريش فلا حق لهما في الإمامة العظمى التي هي الخلافة لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش ولقوله صلى الله عليه وسلم لقريش أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق إلا أن تعدلوا عنه لأنهما لم يلتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا فيما بعد قصي لأن أبا بكر رضي الله تعالى عنه يجتمع معه في مرة كما سيأتي لأن تيم بن مرة بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه خمسة آباء وعمر رضي الله عنه يجتمع معه في

---

(١) معجم الأدباء، ١٨٩/٢

كعب كما سيأتي وبين عمر رضي الله عنه وكعب سبعة آباء وقصي بن كلاب أي وإسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لأنه كان يحب

". (١)

"ابن بنت أبي عبد الله:

محمد بن يوسف بن المنيرة كان من أهل شيزر، روى أبياتا لجده أبي عبد الله بن المنيرة، رواها عنه عثمان بن عيسى البلطي.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطي، إجازة، ح.

وأنبأنا حمزة بن علي بن عثمان المخزومي قال: أنشدنا البلطي قال: أنشدني رجل من أهل شيزر يزعم أنه ابن بنت الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن منيرة لجده المذكور:

ومهند تقفو المنون سبيله ... أبدا فكيف يقال ريب منون

شرك المنايا في النفوس فرحن عن ... غبن وراح وليس بالمغبون

لو أن سيفا ناطقا لتحدثت ... شفراته بسرائر وشجون

فكأنما القدر المتاح مجسما ... في حده أو عرض عز الدين

والد مشرس:

حدث عن أبي شيبة الخدري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنه ابنه مشرس، وغزا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية واجتاز بحلب، أو ببعض عملها.

ابن أخي شهر بن حوشب:

غزا م ع عمه شهر أنطاكية، ومات عند قفوله من الغزاة، وقد ذكرنا حكاية موته في ترجمة شهر بن حوشب.

مولى عمر بن عبد العزيز:

كان بدابق.

أنبأنا عبد اللطيف بن يوسف قال: أخبرنا ابن البطي قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم قال: حدثنا أبو بكر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا ابن عيينة عن عمر بن ذر قال: قال مولى لعمر بن عبد العزيز لعمر حين رجع من جنازة سليمان: مالي أراك

---

(١) السيرة الحلبية، ٢٤/١

مغتما؟ قال: لمثل ما أنا فيه يغتم له، ليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد في شرق الأرض وغربها إلا وأنا أريد أؤدي إليه حقه غير كاتب إلي فيه، ولا طالبه مني.

مولى آخر لعمر:

إن لم يكن الأول، حدث عنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز.

وبالإسناد قال أبو نعيم قال: حدثنا أبو محمد بن حيان قال: حدثنا أحمد بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا سهل بن محمود قال: حدثنا عمر بن حفص المعيطي قال حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: قلت: كم ترك لكم عمر من المال؟ فتبسم وقال: حدثني مولى لنا كان يلي نفقته قال: قال لي عمر حين احتضر: كم عندك من المال؟ قال قلت أربعة عشر دينارا قال: فقال: تحتملون بها من منزل إلى منزل؟ فقلت: كم ترك من الغلة؟ قال ترك لنا غلة ستمائة دينار كل سنة، ثلاثمائة دينار ورثناها عنه، وثلاثمائة دينار ورثناها عن أخينا عبد الملك، وتركنا اثني عشر ذكرا وست نسوة اقتسمنا ماله على خمس عشرة.

ابن أخي أبي قلابة:

دخل أنطاكية غازيا ورآه أبو قلابة في المنام أنه من أهل الجنة.

أخبرنا أبو محمد المعافى بن إسماعيل بن الحسين بن أبي السنان فيما أجازه لي قال: أخبرنا أبو منصور بن مكارم المؤدب قال: أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد قال: أخبرنا أبو الفضائل الحسن بن هبة الله وأبو البركات سعد بن محمد بن إدريس قالا: أخبرنا محمد بن إدريس قال: أخبرنا أبو منصور بن الطوسي قال: أخبرنا أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي قال: حدثني العلاء بن أيوب عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: حدثني زيد بن يزيد الموصلي عن الأوزاعي عن القاسم بن مخيمرة قال: كان لأبي قلابة ابن أخ مسرف على نفسه: فتوفي.

قال أبو قلابة: فكنت شبه النائم فإذا طائران أبيضان عظيمان قد صارا في كوة البيت فقال أحدهما لصاحبه: إنزل فتشه، فنزل يدور حوله، ثم رجع إلى صاحبه فقال: لم أجد شيئا، فنزل إليه الآخر فجعل يدور حوله ويفتشه، ثم غمز منقاره في جوفه، ثم أخرجه وهو يقول: لا إله إلا الله، وجدت في جوفه تكبيرتين كبرهما على سور أنطاكية في سبيل الله، ثم قال لأبي قلابة: يا أبا قلابة قم إلى ابن أخيك فإنه من أهل الجنة.

وقد روى نحو من هذه الحكاية عن ابن أخي شهر بن حوشب رواها شهر، وقد ذكرناها في ترجمة شهر إلا أنه لم يذكرها مناما.

ابن عم للأشعث بن قيس:

ش.ه.د صفين مع علي رضي الله عنه، وقال شعرا يوم منعهم أهل الشام الماء بصفين.

فرأت في كتاب صفين، مما روى عن عمر بن سعد قال: ثم مضى يعني عليا نحو رايات كندة فإذا مناد ينادي إلى جنب مضرب الأشعث بن قيس رافع صوته، وهو أحد بني عمه وهو يقول:." (١)

"محمد بن يوسف بن حماد أبو بكر الاستراباذي، كان عنده كتب أبي بكر ابن أبي شيبة عنه، توفي سنة ثماني عشرة وثلاث مائة.

الفربري راوي البخاري

محمد بن يوسف بن مطر بن صالح أبو عبد الله الفربري بفتح الفاء وكسرها وباء موحدة بين رائين، سمع الصحيح من البخاري بفرير، كان ثقة ورعا، حدث عنه بالصحيح أبو علي سعيد بن السكن الحافظ بمصر سنة ثلاث وأربعين وهو أول من حدث عن الفربري، توفي الفربري سنة عشرين وثلاث مائة.

القاضي أبو عمر البغداذي

محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي مولاهم أبو عمر البغداذي القاضي، توفي سنة عشرين وثلاث مائة، ولد القاضي أبو عمر الأزدي سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وسمع الشيوخ ولقي العلماء، لم يكن له نظير في الحكام عقلا وحلما وذكاء وتمكنا وإيجازا للمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، وصفه الخطيب بأوصاف جميلة من الجود والفضل والحياء والكرم والإحسان إلى القاضي والداني، و ا س ت خلف لأبيه يوسف على القضاء بالجانب الشرقي من بغداذ وكان يحكم بين أهل مدينة المنصور رياسة وبين أهل الجانب الشرقي نيابة وصرف هو ووالده، ثم تولى زمن المقتدر قضاء الجانب الشرقي من بغداذ وعدة نواح من السواد والشام والحرمين واليمن وغير ذلك، ثم قلد قضاء القضاة سنة سبع عشرة وثلاث مائة، وحمل الناس عنه علما كثيرا من الحديث والفقه وصنف مسندا كبيرا، ولم ير الناس ببغداذ أحسن من مجلسه، كان يجلس للحديث وعن يمينه أبو القاسم ابن منيع وهو قريب من أبيه في السن والسند وعن يساره ابن صاعد وأبو بكر النيسابوري بين يديه وسائر الحفاظ حول سريره وما عثروا عليه بخطإ قط لا في رواية الحديث ولا في أحكامه، حضر عنده يوما ثوب يمان قيمته خمسون دينارا وعنده جماعة من أصحابه وشهوده الذين يأنس بهم فاستحسنوه فقال: علي بالقلانسي! ففصله قلانس على عددهم، وقال: لو استحسنه واحد منكم وهبته له فلما اشترك ت م في استحسانه وجب قسمته بينكم وهو لا يقوم بملابسكم فجعلته قلانس لكم، ورؤي

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤١٦/٤

في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أدركتني دعوة العبد الصالح إبراهيم الحربي، وكانا قد اجتمعا في مكان فقال القاضي لغلامه: ارفع نعلي إبراهيم في منديلك، ففعل فلما قام الحربي قال القاضي لغلامه: قدم نعلي إبراهيم، فأخرجهما من المنديل فقال إبراهيم للقاضي: رفع الله قدرك في الدنيا والآخرة، أسند القاضي عن محمد بن الوليد ومحمد بن إسحاق الصاغاني وعثمان بن هشام بن دلهم وغيرهم، وروى عنه الدارقطني ويوسف ابن عمر القواس وأبو القاسم ابن حبابة وآخرون.

ابن مرداس الشافعي

محمد بن يوسف بن بشر بن النضر بن مرداس الفقيه الشافعي أحد الرحالين، توفي في شهر رمضان سنة ثلاثين وثلاث مائة أو ما دونها.

أبو عمر الكندي

محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن نصير أبو عمر الكندي مصنف تاريخ مصر، توفي في شوال سنة خمسين وثلاث مائة تقريبا.

الحافظ أبو زرعة الكشي

محمد بن يوسف بن محمد بن جنيد الحافظ أبو زرعة الجرجاني الكشي توفي سنة تسعين وثلاث مائة.

الكفرطابي

محمد بن يوسف بن عمر أبو عبد الله ابن منيرة الكفرطابي نزيل شيراز، توفي سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة، من شعره:

يا قوم خاب مطلبي ... لا واخذ الله أبي

لأنه درسني ... أصناف علم الخطب

وعنده أني بها ... أحوي جزيل النشب

فما أفادتني سوى ... حرفة أهل الأدب

وليته علمني ... صنعته وهو صبي

. . . الحاكة لا ... مسائل المقتضب

تبا لدهر أصبحت ... صروفه تلعب بي

كأنه وليدة ... لاهية باللعب

وله كتاب في نقد الشعر وكتاب غريب القرآن وكتاب بحر النحو فيه نقض مسائل كثيرة على أصول النحويين،

ومن شعر الكفرطابي بيتان في كل كلمة منهما زاي:

تجاوزت أجواز المفاوز جازيا ... بأزرق غزته نزوع النواهز

وزجيت بزلا كالجوازي مجهزا ... وأزجيت عزم الهبرزي المناجز

ومن شعره في السيف:

ومهند تقفو المنون سبيله ... أبدا فكيف يقال ريب منون

ترك المنايا في النفوس فرحن عن ... غبن وراح وليس **بالمغبون**." (١)

"لك الله خوفت العدى وأمنتهم ... فذقت الردى من خيفة وأمان

إذا أنت خوفت الرجال فخفتهم ... فإنك لا تجزى هوى بهوان

رياح وهبها عارضتك عواصفا ... فكيف انثنى أو كاد ركن أبان

بلى، رب مشهور العلى متشيع ... قليل بمنهوب الفؤاد هدان

أتيحت لبسطام حديدة عاصم ... فخر كما خرت سحوق ليان

بنفسي وأهلي أي بدر دجنة ... لست خلت من شهره وثمان

وأي أتي لا تقوم له الربى ... ثنى عزمه دون القرارة ثان

وأي فتى لو جاءكم في سلاحه ... متى صلحت كف بغير بنان

وما غركم لولا القضاء بباسل ... أصاخ فقعقعتم له بشنان

يقولون لا يبعد ولله دره ... وقد حيل بين العير والنزوان

ويأبون إلا ليته ولعله ... ومن أين للمقصوص بالطيران

رويد الأماني إن رزء محمد ... عدا الفلك الأعلى عن الدوران

وحسب المنايا أن تفوز بمثله ... كفاك ولو أخطأته لكفاني

أثاكلتيه والثواكل جمة ... لو أنكما بالناس تأتسيان

أذيلا وصونا واجزعا وتجلدا ... ولا تأخذا إلا بما تدعان

ومن موشحات أحمد الأعيمى:

ما حال القلوب وفي غمض الجفون ... عيون ظباها أمضى سهام المنون

قسي الحواجب ... سهامها عيناه

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٧٩/٢

كنوين كاتب ... قد خطهن الله

وخضرة شارب ... مع ما حوت شفتاه

من در وطيب لو بعت روحي وديني ... في رشف لماها ما كنت **بالمغبون**

يا من يتعزر ... اخضع لعبد العزيز

إن كنت تميز ... جماله تمييزي

والخد المطرز ... بأبدع التطريز

والخال العجيب قد جال في النسرين ... كزنجي تاها في روض الياسمين

لا أصغي للاحي ... يلح في تعذالي

ووجه الصلاح ... حبي لهذا الغزال

من هو في الملاح ... من الطراز العالي

قد كالقضيب في الانثنا واللين ... وخصر إن ضاهى به لرقة ديني

كشفت القناعا ... مستوهبا منه قبله

فاستحيا امتناعا ... أظنها منه خجله

فقلت انخضاعا ... ما قال قيس لعبله

أما أنا حبيبي نطيش من غرشوني ... شيم غين رشاها ألا تغرش منوني

ابن عميرة المخزومي

أحمد بن عبد اله بن عميرة المخزومي القاضي أبو المطرف من أهل الجزيرة سقر وسكن بلنسية. قال ابن الأبار في " تحفة القادم " : فائدة هذه المائة، والواحد يفئ بالفئة، الذي اعترف باتحاده الجميع، واتصف بالإبداع فماذا يوصف به البديع، ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم، لما له من حق التعليم، كيف وسبقه الأشهر، ونطقه للياقوت والجوهر، تحلت به الصحائف والمهارق، وما تخلت عنه المغارب والمشارق، فحسبي أن أجهد في أوصافه، ثم أشهد بعدم إنصافه، هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره، وتناوب المنثور والمنظوم على شكره.

ومما أورد له ابن الأبار:

وأجلت فكري في وشاحك فانثنى ... شوقا إليك يجول في جوال

أنصفت غصن البان إذ لم تدعه ... لتأود مع عطفك الميال

ورحمت در العقد حين وضعته ... متواريا عن ثغرك المتلالي

كيف اللقاء وفعل وعدك سينه ... أبدا تخلصه للاستقبال." (١)

"ولقد حللت من الشآم ببقعة ... إعزز بساكن ربعها المغبون

وبئت وجاورها العدو فأهلها ... شهداء بين الطعن والطاعون

البوازيجي الصوفي الشافعي

سالم بن عبد السلام بن علوان بن عبدون بن الربع أبو المرجى الصوفي الدقوقي المعروف بالبوازيجي. قدم بغداد وتفقه للشافعي وبرع في الفقه وسمع الكثير. وصحب أبا النجيب السهروردي وانتفع به وتقدم عنده وانقطع إلى الخلوة ومداومة الذكر والاشتغال بالله تعالى ومكابدة الأعمال. وجاور بمكة ونفع الله به خلقا كثيرا. وكان قوالا بالحق. وتوفي سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة.

أحد الفقهاء السبعة

مسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الله، ويقال أبو عبيد الله، ويقال أبو عمر، القرشي العدوي المدني الفقيه. روى عن أبيه وأبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة وعائشة والقاسم وعبد الرحمن ابني محمد بن أبي بكر. وروى عنه الزهري ونافع وحميد الطويل وغيرهم، وقدم دمشق على عبد الملك بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث عاليا من الرجال ورعا، وقال أبو أحمد محمد بن محمد الحاكم: هو أخو عبيد الله وحمزة وزيد وواقد وبلال وعمر، وأمه أم سالم وهي أم ولد. وكان عبد الله بن عمر يشبه أباه عمر وكان سالم يشبه أباه عبد الله بن عمر. وقال مالك: ولم يكن في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقضاء والعيش منه، وكان يلبس الثوب بدرهمين. وقال نافع: كان ابن عمر يلقى ابنه سالما فيقبله ويقول: شيخ يقبل شيخا! وقال خالد بن أبي بكر: بلغني أن عبد الله بن عمر كان يلام في حب سالم فيقول من الطويل:

يلومنني في سالم وألومهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

ورواه بعضهم: يديرونني عن سالم وأديرهم.

قلت: واشتهر هذا البيت كثيرا وروسل به: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج وقد أكثروا فيه القول: أما بعد: فأنت سالم وإسلام! فلم يدر الحجاج ما أراد حتى فسره له بعض من يعرفه. فقال له: أراد به قول عبد الله ابن عمر، فسر بذلك. وصحف الجوهري بل حرف في صحاحه. فقال: ويقال للجلدة التي بين

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٢٤/٢

العين والأنف سالم، وأورد البيت! وأنا شديد التعجب من صحب الصحاح كونه ما فهم المعني من البيت، وأن سالما عند أبيه بمنزلة هذه الجلدة في المكان المذكور، وقال التبريزي الخطيب: تبع الجوهري خاله إبراهيم الفارابي صاحب ديوان الأدب في غلط هذا الموضع – انتهى.." (١)

"ألمم بقبر فتى غنين قائلا ... ما كنت في فن الهجاء خبيرا

قد أفلح الحموي يوم فراره ... عن سنقر حتى انثنى مكسورا

قلت: يريد قوله قل لي متى أفلح صاحب حماة في أبياته المشهورة.

وتوجه ابن مهنا معه ولازمه ونزل به وبمن معه في برية الرحبة. فتوجهت إليه العساكر وضايقته، وتوجه نجدة لهم الأمير عز الدين الأفرم، ففارق الكامل ابن مهنا وتوجه إلى الحصون التي بيد نوابه، وهي صهيون وبلاطنس وبرزية وعكار وجبلة واللاذقية وشيزر والشغر وبكاس. وكان قد انهزم يوم الوقعة الحاج ازدمر الأمير إلى جبل الجرد، وأقام عندهم واحتمى بهم، ثم إنه مضى إلى خدمة الكامل في طائفة من الحلبيين، فأنزله بشيزر يحفظها، وطلع الكامل إلى صهيون، وكان قد سير أهله إليها وخزائنه، وتحرك في البلاد التتار وانجفل الناس أمامهم، ونازل عسكر مصر شيزر وضايقوها بلا محاصرة، وترددت الرسل بينهم وبين الكامل، ولما دهم التتار البلاد خرج العسكر من دمشق وعليهم الركن أباجو وقدم من مصر بكتاش النجمي في ألفن فسير هؤلاء إلى الكامل يقولون إن العدو قد دهمنا، وما سببه إلا هذا الخلف الذي بيننا، وما ينبغي هلاك الرعية في الوسط، والمصلحة اجتماعنا على رد العدو، فنزل عسكر الكامل من صهيون والحاج ازدمر من شيزر ونزل المنصور إلى الشام، وهادن أهل عكا وقبض على جماعة أمراء منهم كوندك بحمراء بيسان وهرب الهاروني والسعدي ونحو ثلاث مائة فارس وخرجوا على حمية إلى الكامل ولحقوا به. وجهزت المناجيق لحصار شيزر، فتسلموها، ثم إن الرسل تردت بين المنصور والكامل فوقع الصلح بينهما ونودي في دمشق لاجتماع الكلمة ودقت البشائر، وعوضه المنصور عن شيزر بكفر طاب وفامية وأنطاكية والسويدية ودركوش بضياعها على أن يقيم ست مائة فارس على جميع ما تحت يده من البلاد، وكوتب بالمقر العالي المولوي السيدي ولم يصرح له بالملك ولا بالأمير. ثم في جمادى الآخرة من السنة جاءت أخبار التتار فكانت واقعة حمص، وحضر الكامل ومن عنده من الأمراء للغزاة، وبالغ المنصور في احترام الكامل، وأبلى الكامل والأمراء في ذلك اليوم بلاء حسنا، وانتصر المسلمون في آخر الأمر، وعاد المنصور إلى دمشق وفي خدمته الأمراء الذين كانوا قد قفزوا إلى الكامل، وودع الكامل المنصور من حمص وتوجه إلى صهيون، ولما كان في المحرم

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٢/٥

سنة ست وثمانين وست مائة حضر طرنطائي من مصر في تجمل زائد وتوجه بالعساكر إلى حصار الكامل، وأخذ صهيون منه، وتوجه حسام الدين لاجين إلى برزية وفتحها عاجلا، وكان بها خيل للكامل، فلما أخذت ضعف الكامل وأذعن لتسليم صهيون بعد حصار شهر بشروط اشترطها والتزم بها طرنطائي وذب عنه ذبا عظيما ووفى له بما اشترطه على نقل ثقله بجمال، وظهر وحضر بعياله ورخته صحبة طرنطائي، فأعطاه المنصور إمرة مائة، وبقي وافر الحرمة إلى آخر الدولة المنصورية. ولما كان في آخر سنة إحدى وتسعين وست مائة أمسكه الملك الأشرف صلاح الدين وخنق معتقلا رحمه الله تعالى. وكان رنكه جاخ أسود بين أبيضين، ثم فوقه وتحته أحمران. وفيه يقول كمال الدين ابن العطار وقد تسلطن بدمشق من الطويل:

أتى الأشقر الملك الذي بشرت به ... ملاحم من قيل الأعاريب والفرس

سيبلغ أقصى الشرق والمغرب ملكه ... ألم تر أن الشرق والغرب للشمس

ولما جرت المجانيق إلى حصاره بصهيون قال الوداعي، ومن خطه نقلت من الخفيف:

جلب المسلمون غلة غل ... مشتريها **المغبون** والمخذول

عرضوا عينها بعرضة صهيو ... ن وكان الكيال عزرائيل

فاستعاضوا عنها الشهادة نقدا ... والنسيات في الجنان المقيل

سنقر الأمير." (١)

"ضوء الصباح بنت المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر الأنصاري، المدعوة خاصة العلماء البغدادية؛ أسمعها والدها من أبي القاسم ابن الحصين وأبي غالب ابن البناء وأخيه يحيي ومحمد بن الحسين المرزمي وابن كادش وغيرهم، وكانت فاضلة صادقة صالحة حافظة لكتاب الله عز وجل، كثيرة التلاوة، تعقد مجلس وعظ في رباطها؛ وتزوجها الشيخ أبو النجيب السهروردي، وروى عنها أبو سعد السمعاني، وتوفي قبلها بثلاث وعشرين سنة، وتوفيت هي سنة خمس وثمانين وخمسمائة.

الألقاب

ضوء الصباح أخرى: اسمها عجيبة؛ يأتي ذكرها في حرف العين مكانه.

ضياء

وجيه الدين المناوي

ضياء بن عبد الكريم، وجيه الدين المناوي؛ اخبرني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان قال: كان

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٦٥/٥

عنده علم بالطب والأدب، وكان أصم، رأيته بالقاهرة وجالسته بالمشهد، وأنشدني من شعره مقطعات، من ذلك قوله:

بروحي معبود الجمال فما له ... شبيه ولا في حبه لي لائم

تثنى فمات الغصن من حسد له ... ألم تره ناحت عليه الحمائم

ومن شعره:

من كان يشكو في الفؤاد حرارة ... فعليه بالعطار غير مقصر

في ثغره ماء اللسان مروق ... عطر وفي وجناته الورد الطري

وقوله:

لا غرو أن صاد قلبي ... هذا الغزال الربيب

أشراك جفنه هدب ... بها تصاد القلوب

وفيه أوصاف حسن ... يروق فيها النسيب

وطرفه المتنبي ... بالسحر وهو حبيب

وقوله:

قربت كاس الراح من خده ... أزف معطارا لمعطار

قال لي الندمان هذا الذي ... يسعى إلى الجنة بالنار

وقوله:

سألت الغصن: لم تعرى شتاء ... وتبدو في الربيع وأنت كاسي

فقال لي: الربيع على قدوم ... خلعت على البشير به لباسي

وقوله:

قد دبق القلب بدبوقة ... وجن منها فهو مفتون

واعجبا للحب في فعله ... بشعرة قيد مجنون

وأنشدني قال: أنشدني إبراهيم بن أحمد بن علي بن محمد بن نيروز بن زمور بن علي القرشي، قال: أنشدني الوجيه المناوي لنفسه:

جاء من لحظه بسحر مبين ... بفتور في جفنه وفتون

وثنى قده الصبا في تثني ... ه فواخجلة القنا والغصون

قمر بعت في هواه رشادي ... بضلالي ولست **بالمغبون**

لا عجيب أني ضللت بليل الش ... عر لكن تيهي بصبح الجبين

فيه ما تشتهي النفوس من الحس ... ن وتلتذه لحاظ العيون

سال دمعي إذ سال في خد من أه ... وى عذار كالمسك للتزيين

فعجبنا من سائلين: غني ... بنضار وسائل مسكين

ويك يا سعد ذر قديم حديث ... عن أناس وخد حديث شجون

كل حسن الأنام دون الذي أه ... وى وكل العشاق في الحب دوني

قسما بالقدود نالت من التي ... ه وما في أغصانها من لين

وسهام الألحاظ ترمي بها الأص ... داغ عن قوس حاجب كالنون

ودلال الحبيب والوصل والتي ... ه وحكم الهوى بها من يمين

لا تناسيت بالملام عهودا ... أحكمت عقدها علي يميني

لو تناسيتها لضاق مجالي ... في اعتذاري إلى وفاء ودين

ضيغم

أبو بكر الراسبي العابد

ضيغم بن مالك الزاهد العابد، أبو بكر الراسبي البصري؛ اخذ عن التابعين، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة للهجرة، وروى عنه ابنه أبو غسان مالك وسيار بن حاتم وأبو أيوب مولى ضيغم بن مالك؛ قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأت عيناي مثل ضيغم.

حرف الطاء

طابطا

طابطا الأمير." (١)

"قال ابن رشيق في الأنموذج: هو شاعر مفلق قوي أساس الشعر، كأنه أعرابي بدوي، يتكلف بعض التكلف، وفي قصائده طول. عريان الظاهر من حلية الأدب لغفلة في طبعه وثقل في سمعه، ضمني وإياه مجلس مذاكرة ومعه غلام من ولد عبد الله بن غنجة الكاتب وكان مفتونا به، فجفا علي بعض كلام الغلام ورابه ذلك مني، فقال الزواق بعد ذلك ما تراه يصنع، فقال له:

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٦٢/٥

إن يكن خيرا فأنت له ... أو يكن شرا فدعه لنا

نتقي عنك السهام ولا ... بد منها أن تلم بنا

وبلغني ذلك فكتبت إليه من فوري، وكانت له عندي مقدمات سوء:

أيهذا المدعي لسنا ... كف من غربي أنا وأنا

أرأيت الضغن كيف بدا ... ورأيت الشر كيف رنا

بعتني وكسا بلا ثمن ... كيف لو أعطيت بي ثمنا؟!

لا ترد شتمي ومنقصتي ... إنما **المغبون** من غبنا

ومما أورده للزواق في وصف ديك:

وهب لأطيار ذو خبرة ... عنه بما يعرب عن خبرها

فنص جيدا ورقا منبرا ... دار الذي عود من خدرها

واستفتح الصوت بتصفيقه ... استفتاح ذات الطارفي شعرها

فبلبل البلبل في غصنه ... وأرق الورقاء في وكرها

كأنما توج ياقوتة ... فاتخذ الشنفين من شطرها

كأنما يخطر في حلة ... من عدني الوشي لم يشرها

وقوله في وصف فرس:

مخلولق الصهوة مثل المدوك ... يعدو معديه بلا تحرك

كأنه فوق مهاد متك ... يضحك للعين ولما يضحك

ذو مقلة في محلولك ... كأنها فلذة قلب المشرك

وقوله في وصف حمام:

يجتاب أودية السحاب بخافق ... كالبرق أومض في السحاب فأبرقا

لو سابق الريح الجنوب لغاية ... يوما لجاءك مثلها أو أسبقا

يستقرب الأرض البسيطة مذهبا ... والأفق ذا السقف الرفيعة مرتقى

ويظل مسترق السماع مخافة ... في الجو يحسبه الشهاب المحرقا

قسه بأعتق كل ريشة ... مما يطير تجده منه أعتقا

يبدو فيعجب من يراه لحسنه ... وتكاد آية عتقه أن تنطقا

مترقرقا من حيث درت كأنما ... لبس الزجاجة أو تجلبب زئبقا
وقوله في القاضي جعفر بن عبد الله الكوفي:
حر المروة والأبوة سيد ... ينمى لأشرف سادة أخيار
القاطعين نياط كل مبالغ ... في المدح تحت دقائق الأفكار
كانوا إذا بخل السحاب بمائه ... وهبوا سحائب فضة ونضار
يا صيرفي في بني الزمان أما ترى ... عز الفلوس وذلة الدينار
وقوله يعاتب:
قد كنت أحسب في عليين منزلتي ... في ودكم وإذا بي أسفل الدرك
يا حسن ودي لو أني نعمت به ... فيكم وفزت بحظ غير مشترك
يا روضة شانها في عين زائرها ... وقد تنزه ما فيها من الحسك
أبو الرضا المعري
عبد الواحد بن الفرج بن نوت. أبو الرضا المعري.
توفي في حدود ثمانين وأربعماية.
ذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال: كان مغفلا صاحب بديهة. وأورد له عدة مقاطيع. فمن ذلك أنه مر على قرية يقال لها سياث من أعمال المعرة، وفيها دار قديمة تنقض، فقال:
عبرت بربع من سياث فراعني ... به زجل الأحجار تحت المعاول
تناولها عبل الذراع كأنما ... رمى الدهر فيما بينها حرب وائل
فقلت له شلت يمينك خلها ... لمعتبر أو زاهد أو مسائل
منازل قوم حدثنا حديثهم ... ولم أر أحلى من حديث المنازل
وقال:
نسري فيغدو من بغال جيادنا ... قبس يضيء الليل وهو بهيم
وكأن مبيض النعال أهلة ... وكأن محمر الشرار نجوم
قال: جلس معز الدولة الكلابي صاحب حلب على قويق زمان المد، وخيم وذكر ابن التوت فأحضر على البريد فلما رآه على شاطئ النهر قال بديها:." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٧٩/٦

"علي بن علي بن نصر بن سعد بن محمد البصري أبو الحسن بن أبي تراب الكاتب. قدم بغداد صبيا. وكان يكتب لنقيب الطالبيين علي بن المعمر العلوي. وكان أديبا فاضلا، سمع من محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل، والمبارك بن عبد الجبار الصيرفي، وعلي بن محمد بن علي بن العلاف وغيرهم. وروى عنه أبو يعلى حمزة بن علي بن القبيطي الحراني. توفي سنة أربع وخمسين وخمس مائة، ومن شعره: من الخفيف

قلت للنفس: ليس في كل حين ... تودعيني صبابة فدعيني

كنت عونا على النهى توردني ... كل عذب من الصلاح معين

فمتى ما انثنيت عن منهج النصح فبيني عن نهج ودي وبيني

إبن نما الحلي الشاعر علي بن علي بن نما بن حمدون أبو الحسن بن أبي القاسم الكاتب من أهل الحلة السيفية، وهو أخو الحسين وكان الأكبر. تصرف في الأعمال الديوانية، وكان فاضلا أديبا، مدح الأكابر وسافر الشام. وكان غاليا في التشيع، مبالغا في الرفض، خبيث العقـيدة، مجاهرا بتكفير الصحابة رضي الله عنهم. توفي سنة تسع وسبعين وخمس مائة، من شعره: من الخفيف

يا غزالا غازلت فيه غرامي ... فأبى أن يدين لي أو يديني

لا وما رق من مدامة خدي ... ك وماء أريقه من جفوني

وعذاب يحملن ظلمك حملي ... لعذاب ظلما به تبتليني

منها في مدح علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أصف السيد الذي يعجز الوا ... صف عن عد فضله في السنين

خاصف النعل خائض الدم في بد ... ر وأحد والفتح خوض السفين

ذا القضايا التي بها حصل التميي ... ز بين المفروض والمسنون

منها في هجو الصحابة رضي الله عنهم وأخزاه:

سل براة عمن تولت وأفكر ... أن طلبت النجاة فكر ضنين

أيولى على البرية من لي ... س على حمل سورة بأمين

إن في مرحب وخيبر والبا ... ب بلاغا لكل عقل رصين

ورجوع التيمي أخيب بالرا ... ية كفا من صفقة المغبون

ألشك من شوكة الحرب حادوا ... يوم أحد أم خيفة للمنون؟!

وأرى الحالتين توجب للإب ... طال إبطال ما ادعى من فتون

وكفى فتح مكة لمن استي ... قظ أو نال رشده بعد حين

حين ولى النبي رايته سع ... د المفدى من قومه بالعيون

فشجاه الأعسى عليهم وللأو ... سي شعب من قلبه غير دون

فرأى أن عزله بعلي ... هو أحمى لمجده من أفون

عجب البيت إذ رقت قدماه ... كتفا جل عن يدي جبرين

رتبة لو سما سواه إليها ... قابلته الأصنام من غير هون

ثم قالت: أتكسروني يا قو ... م وبالأمس كنتم تعبدوني؟

وإذا ما عددت سبق ذوي الهج ... رة يوما هجانهم والهجين

شركت ليلة الفراش بفضل ... الكل شت النوى بحي قطين

واشرحوا القلب في أسامة إذا أبطل تسريح جيشه وسمولى

حيث لا يمكن الوثوب أخو العذ ... ل ولا عادل أخو التمكين

إن غصب الزهراء إرث أبيها ... وادكار ارتجاعها بعد حين

لفظيع لم يحفظوا فيه إلا ... للنبي الهادي ولا إل ديني

يا لها من فريسة أنقذتها ... بعد بطء فراسة الميمون

منها:

سيف صدق لم يأل في الله جهدا ... بجهاد مستحقب للضغون

فاقتضاه يوم السقيفة ما استسلف في بدر سيفه من ديون

إحن أعجزتهم أن يلوها ... وهي من طي كفرهم في كمين

قال محب الدين ابن النجار: ينشدها الرافضة في المواسم في مشاهد أهل البيت. ومن شعره: من الكامل

ومهفهف جمع النحول بأسره ... لشقاوتي في مقلتيه وخصره

قمر يبيح ثغور صبري ما حمى ... واشيه عمدا من سلافة ثغره

قاضي القضاه ابن البخاري." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات، ٦/٤٦٥

"خليل الحرستاني. ومن حلب إبراهيم بن أحمد بن يونس الضعيف والمحب بن الشحنة وأبو ذر محدثها. ومن غزة عالمها الشمس أبو الوفا بن الحمصي. ثم لما تحقق منه أبوه الارتقاء في الفضائل ومزاحمة الأعيان بما اشتمل عليه من الوسائل وعلم طمأنينة الأنفس الزكية به وفهم منه الخبرة بإيضاح كل مشتبه استنابه في قضاء مكة الفائقة في البركة وكذا في قضاء جدة ليزول به عن الضعفاء ما لعله يحل بهم من الكرب والشدة وينتفع بسياسته من قصده وأمه مع طلب ذلك له منه من بعض الأئمة فحسنت سيرته ومداراته وظهرت في كله كمالاته مع عدم تهالكه على ذلك وتصديه لهذه المسالك بل هو مقبل على التكميل لنفسه والتحصيل الصارف له عن التكلم بحدسه حتى عرف بوفور الذكاء وقوة الحافظة والقدرة على التعبير بالألفاظ التي هي بالقانون العربي محافظة وجودة قراءته وطلاقته واستحضاره لنفائس من فنون الأدب والشعر والنكت والتاريخ ومزيد أدبه وتواضعه وصفائه واستجلابه لكل أحد ومزيد خدمته لأبيه وتمشية حال كثير ممن يعاديه عنده فمال إليه كل من استقام من الخاص والعام وكذا باشر مشيخة المدرسة الجمالية اليوسفية وغيرها بمكة وكان قارئ الحديث بين يدي أبيه فكان مع كونه مشتغلا بالقراءة مصغيا للمباحث بحيث يتكلم باليسير الواضح التصوير الغني عن طول التقرير. ولما كنت بمكة في سنة إحدى وسبعين رام والده حضوره عندي فما تيسر ثم حضه على ملازمتي ومساومتي في سنة ست وثمانين حتى حتى قرأ علي شرحي لألفية الحديث قراءة متقنة وأخذ عني غيرها وامتلأت عيني منه وتصورت تفرده بحمل العلوم عنه وكتبت له إجازة هائلة تزايد سرور أبيه بها أثبتها في موضع آخر، وتصدى قبل ذلك وبعده للإقراء في الفقه والعربية والأصلين والمعاني والبيان والحديث بالمسجد الحرام وغيره وحضر عنده الأكابر ووردت علي مطالعات غير واحد منهم تخبر بما أعلم أزيد منه وكذا تكررت علي مشرفاته الدالة على مزيد التودد والتأدب المشتملة على العبارة الفائقة والإشارة الرائقة مع الخط النير المنسوب واللفظ الذي يملك به القلوب وهو بحمد الله في ترق من المحاسن إلى أن استقر عقب موت والده في القضاء استقلالا وفي مشيخة مدرسة السلطان وسائر ما كان معه فباشر ذلك أحسن مباشرة سيما في إقراءه الكشاف والروضة المتواترة وتحديثه بكتب الحديث مطولها ومختصرها سيما صحيح البخاري بأماكن من المسجد الشريف المتشرف به السامع والقاري حتى أطبق عليه الموافق والمخالف واتفق في الثناء على محاسنه القادم والعاكف، وجاورت غير مرة بعد أبيه فما تحول عن آدابه وأياديه وإن كان في تعب كثير ونصب لما الوقت به جدير وله في تفرقة ما لعله يصل لمكة من المبرات والتوثقة المتوصل بها لجلب المسرات التصرف السديد والتلطف الذي يسترق به الأحرار فكيف بالعبيد حتى صار رئيس الرؤساء وجليس البرامكة والخلفاء زاده الله من أفضاله وأعاذه

من كل سوء وبلغه نهاية آماله. ورأيته كتب في صفر سنة خمس وثمانين صدر إجازة لعلي بن الفخر أبي بكر المرشدي بما نصه: الحمد لله الذي نوع الفخر فجعل جلاله وكماله في فخر الدين وأعلى قدر من شاء من عباده وزينه بالعلم المبين ورفق من أراد به الخير وأرشده إلى الصراط المتين الغني الذي لا يبخل على عبده مع تطاول السنين والأمر وراء هذا فخطبه تصدع القلوب وأدبه يرتدع به الحاسد **المغبون** وشكله من المفرحات وعدله مع المداراة من المحاسن الواضحات كتوقفه في تنفيذ الحكم الثابت في مصر بأرشدية عبد القادر بن عبد الغني القباني وكذا بإقرار أبي بكر بن عبد الغني بما في جهته لأم ولديه الأول والثاني ونحوه الحكم بالبراءة بين ابن قاوان ووصيه العالي المكان وترك الوصف بالشرف المجحود حين مباشرته بعض العقود ممن اجتمع له بديع الفهم وقوة الحافظة وانتفع الأجلاء ببديهته فضلا عن رؤيته التي على التحقيق محافظة ولشعراء بلده والقادمين عليه فيه غرر المدائح ودور المنائح وقد تكررت زيارته لطيبة وبشارته من الصالحين بدفع كل كرب وريبة فلله دره من بحر علم لا تكدره الدلاء ونحر لحاسده بسهم لا ينفك مدى الدهر عنه به الابتلاء إن تكلم في الفقه فالجواهر قاصرة عن بحر علمه والمطلب بل الكفاية من وافر سهمه فتقريره فيه واضح جلي وتعبيره عن دقائق مشكله راجح على أوفى أصوله فالفخر أو الولي أو في العربية فبلسان شاهد." (١)

"ب- قال الأستاذ نعمان عبدالوهاب ناظر مدرسة لملوم بمغاغة بمصر وذلك بمناسبة أول ذكرى للشهيد قام بها الليبيون أثناء الحرب العالمية الثانية:

ذكرى بها ألم النفوس دفين

وأسى له صلد الصخور يلي

ن

وسقام شعب في رفاة ضحية

ونداء قطر بالفلاة سجين

ودموع ثكلى من دم أذراعها

(سفاح برقة) والرحاب أمين

صاحت على بطل يساق مكبلا

إذ قال: عرضي، والحمى، والدين

---

(١) الضوء اللامع، ٣٠٨/٣

فارتاع شعب أعزل لكما

في كل ركن في البلاد عرين

من واحت الجغبوب قامت أسرة

بالله يربطها هدى ويقين

بيت الأمارة والمهابة والتقى

والعزم ماجدت هناك شئون

فاصطفت الأبطال تحت لوائها

وتجرد الهندي والمسنون

والسيد المهدي يذكى نارها

بالحزم والاقدام ضل يبين

يستنهض الفرسان في ساحتها

والشعب منقاد له ورهين

يستعذبون الموت في إرضائها

في حب برقة يضحك المطعون

عشرون عاما في الجهاد بهمة

لم تكتحل فيها المنام جفون

صبر الألى فتحوا ممالك قيصر

وتسوروا الأيوان وهو حصين

لو كان للإسلام سالف عهده

والجار للجار الضعيف معين

مابات أبطال الجهاد على الطوى

يستنجدون الشرق وهو ضنين

يالهف نفسي كيف سار بغله

من كان للسرج الرهيب يزين

عمر بن مختار الشهيد ومن له

في كل قلب لوعة وحنين

فختامه يحكي نهاية (جعفر)

حتى حلى لي فيهما التأبين

عيناه قد رأت الحصان مجندلا

والجو أطبق والرصاص هتون

والسيف في اليمنى وإن قطعت فما

يلقيه حتى أن يحين الحين

من كان لله القدير جهاده

والحق يعلم أنه **المغبون**

لاينثني عن عزمه والموت في

حبل المشانق جاثم مرهون

مارد إلا حيث قال قضاتهم

نعم، وفي الصوت الجهور رنين

فاضت على حبل المظالم روحه

والله قدر ما عليه تكون

دار السنوسي لقنت أشبالها

موت المعزة بالكماة قمين

فالصبر ياشعب الجهاد فضيلة

يامرسل الشكوى وأنت حزين

لازال رب الدار ليثا رابضا

ان غاب عنها ليس عنك يبين

لازال ادريس الوفي بعهدكم

والحر للعهد النزيه يصون

لازال يسعى للخلاص بفتية

منكم، وقد سهرت عليه عيون(١٦٨)." [١]

"ديار بها يجني السرور جناته ... وترتشف اللذات في كل منهل

فكائن بباب الكرخ من ذات وقفة ... قتول بعطفيها وحوراء عيطل

ومن مقلة عبرى لفقد أنيسها ... ومن كبد حرى وقلب معذل

فلو أن باكي دمنة الدار باللوى ... وجارتها أم الرباب بمأسل

رأى عرصات الكرخ أو حل أرضها لأمسك عن ذكر الدخول فحومل

قال أبو عبد الله: توفي أبو عبد الله الوضاحي بنيسابور في سنة شهر رمضان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

٢٢٣ - محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم

ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن العلوي نقيب الطالبيين ببغداد، كان يلقب الرضي ذا الحسبين، وهو أخو أبي القاسم المعروف بالمرتضى، وكان من أهل الفضل والأدب والعلم. قال الخطيب أحمد بن علي في تاريخه وسمعناه منه: ذكر لي أحمد بن عمر بن روح عنه - يعني الرضي - أنه تلقن القرآن بعد أن دخل في السن، فجمع حفظه في مدة يسيرة. قال: وصنف كتابا في " معاني القرآن " يتعذر وجود مثله؛ وكان شاعرا محسنا. وبالإسناد قال الخطيب: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ قال: وكان أحد الرؤساء يقول: سمعت جماعة من أهل العلم والأدب يقولون: إن الرضي أشعر قريش؛ فقال ابن محفوظ: هذا صحيح، وقد كان في قريش من يجيد القول إلا أن شعره قليل، فأما مجيد مكثر فقليل إلأ الرضي. أنبأني زيد عن أبي منصور محمد بن عبد الرحمن عن أحمد بن علي قال: أنشدني القاضي أبو العلاء محمد بن علي قال: أنشدنا الشريف أبو الحسن الرضي لنفسه: رمل مجزوء:

إشتر العز بما شئ ... ت فما العز بغال

بقصار الصفر إن شئ ... ت أو السمر الطوال

ليس **بالمغبون** عقلا ... من شرى عزا بمال

إنما يدخر الما ... ل لحاجات الرجال

والفتى من جع ل الأموا ... ل أثمان المعالي

---

(١) الشيخ الجليل عمر المختار، ص/١٢١

وبالإسناد قال أحمد بن علي: قال لي علي بن علي: ولد الرضي ببغداد في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكانت وفاته في يوم الأحد السادس من المحرم سنة ست، وأربعمائة، ودفن في داره بمسجد الأنباريين.

٢٢٤ – محمد بن الحسين بن أحمد بن الطبيب الأديب،

أبو علي من أهل المحمدية، قرية بالعراق؛ كان أديبا فاضلا شاعرا مبرزا. كتب عنه هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، أنبأني الشذباني فيما كتبه إلي قال: أخبرنا محمد بن عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي من كتابه قال: قرأت بخط هبة الله بن عبد الوارث الحافظ في معجم شيوخه، أنشدنا محمد بن الحسين الأديب لنفسه بالمحمدية من العراق: طويل:

إذا اغترب الحر الكريم، بدت له ... ثلاث خصال كلهن صعاب

تفرق أحباب، ونذل يهينه ... وإن مات لم تشقق عليه ثياب

٢٢٥ – محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله

ابن إبراهيم الوزير أبو شجاع." (١)

"فدخل جوف الشجرة. م إن القاضي لما سمع ذلك من الخب أكبره، وانطلق هو وأصحابه والخصب والمغفل معه؛ حتى وافى الشجرة؛ فسألها عن الخبر. فقال الشيخ من جوفها: نعم المغفل أخذها. فلما سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه. فدعا بحطب وأمر أن تحرق الشجرة. فأضرمت حولها النيران فاستغاث أبو الخب عند ذلك. فأخرج وقد أشرف على الهلاك. فسأله القاضي عن القصة فأخبره بالخبر؛ فأوقع بالخب ضربا، وبأبيه صفعا، وأركبه مشهورا، وغرم الخب الدنانير فأخذها وأعطاها المغفل.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعمل أن الحب والخديعة ربما كان صاحبها هو **المغبون**. وإنك يا دمنة جامع للخب والخديعة والفجور. وإني أخشى عليك ثمرة عملك، مع أنك لست بناج من العقوبة: لأنك ذو لونين ولسانين. وإنما عذوبة ماء الأنهار ما لم تبلغ إلى البحار. وصلاح أهل البيت ما لم يكن فيهم." (٢)

"نهيه عن الضرب بالبرابط وإذنه بالدفاف في العرس

وقال يزيد بن أبي حبيب كتبت إلى عمر بن عبد العزيز في اللعب بالدفاف والبرابط في العرس فكتب إلي عمر بن عبد العزيز امنع الذين يضربون البرابط ودع الذين يضربون بالدفاف فإن ذلك يفرق بين النكاح

---

(١) المحمدون من الشعراء، ص/٧٥

(٢) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/١٤٩

والسفاح

إكتفاؤه في رد المظالم باليسيرمن البينات وإنفاد بيت مال العراق في ذلك

وقال أبو الزناد كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة وكان يكتفي باليسير إذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس ولقد أنفد بيت مال العراق في رد المظالم حتى حمل إليها من الشام

كتاب عمر إلى بعض إخوانه وكان قد بلغه موته وهو حي

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن أخا من إخوانه مات ثم بلغه خلاف ذلك فكتب إليه عمر أما بعد فقد بلغنا خبر ريع له إخوانك ثم أتانا تكذيب ما بلغنا من الرضح الأول فأنعم بذلك أن يسرنا وإن كان السرور بذلك وشيك الإنقطاع يتبعه عن قليل تصديق الخبر الأول فهل أنت يا عبد الله إلا كرجل ذاق الموت ثم سأل الرجعة فأسعف بطلبته فهو متأهب مبادر مصر في جهازه بأقل ما يسره من ماله إلى دار قراره لا يرى أن له من ماله شيئا إلا ما قدم أمامه فإن **المغبون** في الدنيا والآخرة من اجتمع له مال قليل أو كثير ثم." (١)

"فقال: دعوا الرجل يقعد حيث انتهى به المجلس فأخذ كيسا، فوضعه بين بطنه وحجزة سراويله، وقام. فلم يجسر أحد أن يدنو منه. فقال الخادم: أصلح الله أمير المؤمنين! إنه قد نقص من المال كيس دنانير. فقال: أنا صاحبه، وهو محسوب لك.

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سيرهم وكتبهم. وإنما يتفقد مثل هذا من هو دون الملك. فأما الملك، فيجل عن كل شيء، ويصغر عنده كل شيء.

رد على العامة

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه؛ وإنما هو شيء ألقاه الشيطان في قلوبهم، وأجراه على ألسنتهم، حتى قلوا في نحو من هذا في البائع والمشتري: **المغبون** لا محمود ولا مأجور. فحملوا الجهلة على المنازعة للباعة، والمشاتمة للسفلة والسوقة، والمقاذفة للرعاع والوضعاء، والنظر في قيمة حبة، والاطلاع في لسان الميزان، وأخذ المعايير بالأيدي.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ابن عبد الحكم، أبو محمد ص/١١١

وبالحرى أن يكون المغبون محمودا ومأجورا، اللهم إلا أن يكون قال له: اغبني. بل لو قاله، كانت أكرومة وفضيلة، وفعلة جميلة تدل على كرم عنصر القائل، وطيب مركبه.." (١)

"ولذلك قالت العرب: السرو التغافل.

وأنت لا تجد أبدا أحدا يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا غبن، وعن التقصي إذا بخس، إلا وجدت له في قلبك فضيلة وجلالة ما تقدر على دفعها. وكذا أدبنا نبينا صلى الله عليه وسلم، فقال: يرحم الله سهل الشراء، سهل البيع، سهل القضاء، سهل التقاضي.

وهذا الأدب خارج من قولهم: المغبون لامحمود ولا مأجور.

وقال معاوية في نحو من هذا: إني لأجر ذيلي على الخدائع.

وقال الحسن عليه السلام: المؤمن لا يكون مكاسا.

وفيما يحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة أبيه لمتنزهه، فبسط له في صحراء، فتغدى مع أصحابه، فلما حان انصرافه، تشاغل غلمانه بالترحال، وجاء أعرابي، فوجد منهم غفلة، فأخذ دواج سليمان، فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر." (٢)

"الحزامي، عن سفيان بن حمزة عن كثير بن الصلت ان حكيم بن حزام باع داره من معاوية بستين ألف درهم، فقيل له: غبنك والله معاوية! فقال:

والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق من خمر، اشهدكم أنها في سبيل الله، فانظروا أينا المغبون؟! قال سفيان الثوري: ليس من ضلالة إلا عليها زينة، فلا تعرضن دينك لمن يبغضه إليك.

وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل.

وأتى مسلما نصراني يعزيه، فقال له: مثلي لا يعزي مثلك، ولكن انظر إلى ما زهد فيه الجاهل فارغب فيه.

وكان الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي يلقب ذا الدمعة، فإذا عوتب في كثرة البكاء قال: وهل تركت النار والسهمان لي مضحكا! يريد قتل زيد بن علي، ويحيى بن زيد.

وقيل لشيخ من الأعراب: قمت مقاما خفنا عليك منه! قال: آلموت أخاف، شيخ كبير ورب غفور، ولا دين ولا بنات.

وقال أبو العتاهية:

---

(١) التاج في أخلاق الملوك الجاحظ ص/١٠٠

(٢) التاج في أخلاق الملوك الجاحظ ص/١٠١

وكما تبلى وجوه في الثرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

وقال بشار:

كيف يبكي لمحبس في طلول ... من سيفضي لحبس يوم طويل

إن في البعث والحساب لشغلا ... عن وقوف برسم دار محيل

وقال محمود الوراق:

أليس عجيبا بأن الفتى ... يصاب ببعض الذي في يديه

فمن بين باك له موجع ... وبين معز مغذ إليه «١»

ويسلبه الشيب شرخ الشباب ... فليس يعزيه خلق عليه." (١)

"الكثير «١» ، ونعم الحظ القناعة، وشر ما صحب المرء الحسد، وما كل عورة تصاب «٢» . وربما أبصر العمي رشده، وأخطأ البصير قصده. واليأس خير من الطلب إلى الناس. والعفة مع الحرفة خير من الغنى مع الفجور. أرفق في الطلب وأجمل في المكسب، فإنه رب طلب قد جر إلى حرب. ليس كل طالب بمنجح، ولا كل ملح بمحتاج، **والمغبون** من غبن نصيبه من الله. عاتب من رجوت عتباه، وفاكه من أمنت بلواه. لا تكن مضحاكا من غير عجب، ولا مشاء إلى غير أرب. ومن نأى عن الحق ضاق مذهبه، ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله. لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك، فإنه إنما سعى في مضرته ونفعك. وعود نفسك السماح، وتخير لها من كل خلق أحسنه، فإن الخير عادة، والشر لجاجة، والصدود آية المقت، والتعلل آية البخل. ومن الفقه كتمان السر، ولقاح المعرفة ودراسة العلم، وطول التجارب زيادة في العقل، والقناعة راحة الأبدان. والشرف التقوي. والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه.

بالعقل تستخرج الحكمة، وبالحلم يستخرج غور العقل، ومن شمر في الأمور ركب البحور، شر القول ما نقض بعضه بعضا. من سعى بالنميمة حذره البعيد، ومقته القريب. من أطال النظر بإرادة تامة أدرك الغاية، ومن توانى في نفسه ضاع: من أسرف في الأمور انتشرت عليه، ومن اقتصد اجتمعت له، واللجاجة تورث الضياع للأمور. غب الأدب أحمد من إبتدائه. مبادرة الفهم تورث النسيان. سوء الإستماع يعقب العي. لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك، ولا تنصت لمن لا ينمي بحديثه إليك. البلادة في الرجل هجنة «٣» ، قل مالك إلا استأثر، وقل عاجز إلا تأخر. الإحجام عن الأمور يورث العجز، والإقدام عليها يورث إجتلاب

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٣٤/٣

الحظ. سوء الطعمة يفسد العرض «٤» ، ويخلق الوجه، ويمحق الدين. الهيبة قرين الحرمان، والجسارة قرين الظفر، ومنك من أنصفك، وأخوك من عاتبك، وشريكك من وفى لك، وصفيك من اترك.." (١)

"٤٩٣-[نتن فرخ الغراب والهدهد]

وزعم الأصمعي عن خلف الأحمر، أنه قال: رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أقبح ولا أسمج ولا أبغض ولا أقذر ولا أنتن منه. وزعم أن فراخ الغربان أنتن من الهدهد- على أن الهدهد مثل في النتن- فذكر عظم رأس وصغر بدن، وطول منقار وقصر جناح، وأنه أمرط أسود، وساقط النفس، ومنتن الريح.

وصاحب المنطق يزعم أن رؤية فرخ العقاب أمر صعب، وشيء عسى. ولست أحسن أن أقضى بينهما.

والغربان عندنا بالبصرة أوابد غير قواطع، وهي تفرخ عندنا في رؤوس النخل الشامخة، والأشجار العالية.

٤٩٤-[خداع الغراب للديك]

فالغراب عند العرب مع هذا كله، قد خدع الديك وتلعب به «١» ، ورهنه عند الخمار، وتخلص من الغرم، وأغلقه عند الخمار، فصار له الغنم وعلى الديك الغرم، ثم تركه تركا ضرب به المثل.

فإن كان معنى الخبر على ظاهر لفظه. فالديك هو المغبون والمخدوع والمسخور به، ثم كان المتلعب به أنذل الطير و ألأمه.

وإن كان هذا القول مهم يجري مجرى الأمثال المضروبة، فلولا أن عليا الديك في قلوبهم دون محل الغراب- على لؤم الغراب ونذالته وموقه وقلة معرفته- لما وضعوه في هذا الموضع.

٤٩٥-[دهاء أمية بن أبي الصلت]

فإن أردتم معرفة ذلك فانظروا في أشعارهم المعروفة، وأخباره الصحيحة ثم ابدؤوا بقول أمية بن أبي الصلت، فقد كان داهية من دواهي ثقيف، وثقيف من دهاة العرب، وقد بلغ من اقتداره في نفسه أنه قد كان هم بادعاء النبوة، وهو يعلم كيف الخصال التي يكون الرجل بها نبيا أو متنبيا إذا اجتمعت له، نعم وحتى ترشح «٢» لذلك بطلب الروايات، ودرس الكتب، وقد بان عند العرب علامة، ومعروفا بالجولان في البلاد، راوية.." (٢)

"هذا مرة. فإن وجد قيم «١» ذلك البستان رمى إليه بدرهم، ثم قال:

اشتر لي بهذا، أو أعطني بهذا، رطبا، (إن كان في زمان الرطب) ، أو عنبا (إن كان في زمان العنب) ويقول

---

(١) البيان والتبيين الـجاحظ ٣٠٧/٣

(٢) الحيوان الجاحظ ٤٢٠/٢

له: إياك إياك أن تحابيني «٢» ، ولكن تجود لي، فإنك إن فعلت لم آكله، ولم أعد إليك. واحذر الغبن فان المغبون لا محمود ولا مأجور» فإن أتاه به أكل كل شيء معه، وكل شيء أتي به، ثم تخلل، وغسل يديه، ثم تمشى مقدار مائة خطوة. ثم يضع جنبه، فينام الى وقت الجمعة. ثم ينتبه فيغتسل، ويمصي الى المسجد.

هذا كان دأبه كل جمعة!! قال إبراهيم: فبينا هو يوما من أيامه يأكل في بعض المواضع، إذ مر به رجل فسلم عليه، فرد السلام؛ ثم قال: «هلم عافاك الله» . فلما نظر الى الرجل وقد انثنى راجعا، يريد أن يطفر الجدول أو يعبر النهر، قال له: «مكانك، فإن العجلة من عمل الشيطان» . فوقف الرجل، فأقبل عليه الخراساني وقال: «تريد ماذا» ؟ قال: «أريد أن أتغدى» .

قال: «ولم ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي» ؟ قال الرجل: «أوليس قد دعوتني» ؟ قال: «ويلك، لو ظننت أنك هكذا أحمق، ما رددت عليك السلام. ايحسن فيما نحن فيه أن تكون، إذا كنت أنا الجالس وأنت المار، أن تبدأ أنت فتسلم، فأقول أنا حينئذ، مجيبا لك: «وعليكم السلام» . فإن كنت لا آكلا شيئا، سكت أنا، وسكت أنت، ومضيت أنت، وقعدت أنا على حالي. وإن كنت آكل فههنا وجه آخر، وهو إن أبدأ أنا، فأقول: «هلم» ، وتجيب أنت فتقول:

«هنيئا» . فيكون كلام بكلام، فأما كلام بفعال، وقول بأكل، فهذا ليس من الإنصاف، وهذا يخرج علينا فضلا كبيرا. قال: فورد على الرجل شيء لم يكن في حسابه.." (١)

"نعمتك وما دسوا لها من الدواهي. واعمل على أن سحرهم يسترق الذهن ويختطف البصر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان سحرا» ، وسمع عمر بن عبد العزيز يتكلم في حاجة فقال: «هذا والله السحر الحلال» ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خلابة «١» » . واحذر احتمال مديحهم، فإن محتمل المديح في وجهه، كمادح نفسه.

إن مالك لا يسع مريديه ولا يبلغ رضى طالبيه. ولو أرضيتهم باسخاط مثلهم، لكان ذلك خسرانا مبينا. فكيف ومن يسخط أضعاف من يرضى، وهجاء الساخط أضر من فقد مديح الراضي؟ وعلى أنهم إذا اعتوروك بمشاقصهم وتداولوك بسهامهم «٢» ، لم تر ممن أرضيته في أسخاطهم أحدا يناضل عنك ولا يهاجي شاعرا دونك، بل يخليك غرضا لسهامهم ودريئة لنبالهم، ثم يقول: وما كان عليه لو أرضاهم؟ فكيف يرضيهم، ورضى الجميع شيء لا ينال؟ وقد قال الأول: وكيف يتفق لك رضى المختلفين؟ وقالوا: منع

---

(١) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/٤٧

الجميع أرضى للجميع.

إني أحذرك مصارع المخدوعين، وأرفعك عن مضاجع المغبونين. إنك لست كمن لم يزل يقاسي تعذر الأمور، ويتجرع «٣» مرار العيش، ويتحمل ثقل الكد، ويشرب بكأس الذل، حتى كاد يمرن على ذلك جلده ويسكن عليه قلبه. وفقر مثلك مضاعف الألم، وجزع من لم يعرف الألم أشد. ومن لم يزل فقيرا فهو لا يعرف الشامتين، ولا يدخله المكروه من سرور الحاسدين، ولا يلام على فقره، ولا يصير موعظة لغيره، وحديثا يبقى ذكره، ويعلنه بعد الممات ولده.

دعني من حكايات المستأكلين ورقى الخادعين، فما زال الناس يحفظون." (١)

"وقالوا: «يا عاقد اذكر حلا «١» » ، وقالوا: «الرشيف أنقع للظمآن «٢» » .

وقالوا: «القليل الدائم أكثر من الكثير المنقطع» . وقال أبو الدرداء: «إني لأستجم نفسي ببعض الباطل كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يملها» . وقال الشاعر:

وإني لحلو تعتريني مرارة ... وإني لصعب الرأس غير جموح «٣»

وقالوا في عذل المصلح، ولائمة المقتصد: «الشحيح أعذر من الظالم» .

وقالوا: «ليس من العدل سرعة العذل» ، وقالوا: «لعل له عذرا وأنت تلوم» ، وقالوا: «رب لائم مليم» ، وقال الأحنف: «رب ملوم لا ذنب له» .

وقال: «إعطاء السائل تضرية «٤» ، وإعطاء الملحف مشاركة «٥» » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصلح المسألة إلا في ثلاث: فقر مدقع «٦» ، وغرم مفظع «٧» ، ودم موجع» . وقال الشاعر:

الحر يلحى، والعصا للعبد ... وليس للملحف غير الرد «٨»

وقالوا: «إذا جد السؤال جد المنع» ، وقالوا: «إحذر إعطاء المخدوعين، وبذل المغبونين، فإن المغبون لا محمود ولا مأجور» . ولذلك قالوا: «لا تكن أدنى العيرين الى السهم «٩» » يقول: إذا أعطيت السائلين مالك صارت مقاتلك." (٢)

"٦٨١- قيس بن محمد.

روى عنه أحمد بن الأزهر.

حدثنا أحمد بن الأزهر، قال: حدثنا قيس بن محمد، من ولد الأشعث بن قيس، حدثنا طلحة بن كامل

---

(١) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/٢٢٩

(٢) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/٢٤٤

الجحدري، عن محمد بن هشام، عن عبد الله بن الحسن بن علي، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **المغبون** لا محمود، ولا مأجور.." (١)

"المذحجي يعد في الشاميين سمع سلمان وأبا سعيد وأبا عبد الله الصنابحي روى عنه عراك وعبد الله بن عامر وأبو عبيد مولى سليمان وهو الحمصي.

٦٧٧ - قيس بن رافع أبو رافع القيسي المصري ويقال أبو عامر (١) روى عنه إبراهيم بن نشيط وعبد الكريم بن الحارث

٦٧٨ - قيس بن زيد روى عنه أبو عمران الجوني.

٦٧٩ - قيس بن محمد الكندى عن عدى بن حاتم وكثير ابن شهاب روى عنه ابنه عثمان.

٦٨٠ - قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس (٢) .

٦٨١ - قيس بن محمد روى عنه أحمد بن الأزهر، نا أحمد ابن الأزهر قال نا قيس بن محمد من ولد الاشعث بن قيس نا طلحة ابن كامل (٣) الجحدري عن محمد بن هشام عن عبد الله بن الحسن بن علي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **المغبون** لا محمود ولا

---

(١) كذا بالاصل والذى في كتاب ابن ابى حاتم والتهذيب والثقات (أبو عمرو) وذكره الدولابى فيمن كنيته (أبو عمر) ثم اعاده فيمن كنيته (أبو عمرو) قال (ويقال أبو عمر، ولم يذكره فيمن كنيته أبو رافع - ح.

(٢) هو الذى قبله والد عثمان كما في كتاب ابن ابى حاتم والثقات - ح (٣) هكذا في الاصل والتهذيب وكتاب ابن ابى حاتم ولفظه (قيس بن محمد الكندى روى عن طلحة بن كامل سمع منه ابى) وقد فتشت عن طلحة بن كامل فلم اظفر له باثر وانما المشهور كامل بن طلحة الححدرى ولم يذكروا اسم جده فالله اعلم - ح (*)."(٢)

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل البخاري ١٥٢/٧

(٢) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ١٥٢/٧

"حدثت عن شيبان بن فروخ عن أبي الأشهب عن الحسن قال: كان رجل يتجر في البحر ويحمل الخمر يأتي بها قوما، فعمد إليها فمزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصرف واشترى قردا فحمله معه في السفينة، فلما لجج في البحر لم يشعر إلا وقد أخذ القرد الكيس وعلا على الصاري وجعل يلقي دينارا في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمه قسمين. قال رجل من الحاج: أتانا رجل من الأعراب بالرمل في طريق مكة بغرارة «١» فيها كمأة، فقلنا له: بكم الغرارة؟ فقال: بدرهمين، فقلنا: لك ذلك، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن، فلما نهض قال له رجل منا: في است **المغبون** عود، فقال: بل عودان وضرب الأرض برجله فإذا نحن على الكمأة قيام. قيل لأعرابي: ألا تشتري لابنك بطيخة. فقال: لا، أو يبلغ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يدي البقال وأخذه وعدا رماه بأخرى ولم يعد خلفه. اشترى أعرابي غلاما فقال للبائع: هل فيه من عيب، فقال: لا، غير أنه يبول في الفراش. فقال: ليس هذا بعيب، إن وجد فراشا فليبل فيه.

الدين

قال ثابت قطنة: الدين عقلة الشريف. وقال دليم «٢» : [طويل]

الله لقى من عرابة بيعة ... على حين كاد النقد يعسر عاجله «٣»

ولوى بنان الكف يحسب ربحه ... ولم يحسب المطل الذي أنا ماطله

سيرضى من الربح الذي كان يرتجي ... برأس الذي أعطى وهل هو قابله؟ «٤»." (١)

"هو السناء الذي سمعت به ... لا سبد محتدي ولا لبد «١»

ويحك لولا الخمور لم أحفل ال ... عيش ولا أن يضمني لحد

هي الحيا والحياة واللهو لا ... أنت ولا ثروة ولا ولد

وقال أبو الهندي «٢» : [متقارب]

تركت الخمور لأربابها ... وأصبحت أشرب ماء قراحا

وقد كنت حينا بها معجبا ... كحب الغلام الفتاة الرداحا

وما كان تركي لها أنني ... يخاف نديمي علي افتضاحا

ولكن قولي له مرحبا ... وأهلا مع السهل وانعم صباحا

وقال آخر: [خفيف]

---

(١) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٣٦٢/١

اسقني بالكبير إني كبير ... إنما يشرب الصغير الصغير

لا يغرنك يا عبيد خشوعي ... تحت هذا الخشوع فسق كثير

كان ابن عائشة ينشد: [رجز]

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ... ولم أر **المغبون** غير العاقل

رحلت عنسا من كروم بابل ... فبت من عقلي على مراحل

وقال آخر: [طويل]

شربنا من الداذي «٣» حتى كأننا ... ملوك لهم بر العراقين والبحر

فلما انجلت شمس النهار رأيتنا ... تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر." (١)

"قال: بدرهمين، فاشتريناها منه ودفعنا الثمن إليه، فلما نهض قال له بعضنا:

«في است **المغبون** عود» «١» ؛ قال: بل عودان، وضرب الأرض برجله، فإذا نحن على الكمأة.

قال بعض الشعراء: [رجز]

جنيتها تملأ كف الجاني ... سوداء مما قد سقى السواني «٢»

كأنها مدهونة بالبان «٣»

وهذه صفة أجود الكمأة وأقلها أذى.

البصل والثوم

دخل داخل على نصر بن سيار وحوله بنون له صغار، فقال: هل تدرون ما ولدي هؤلاء؟ هؤلاء بنو البصل؛ وكان يأكله نيئا ومشويا ومطبوخا.

والأطباء تقول في البصل: إنه يشهي إلى الطعام إن أكل مشويا أو نيئا، ويشهي إلى الجماع. وإن دق وشم عطس وشهى الطعام. وإن اكتحل بمائه مع العسل جلا البصر. وإن وضع مع الملح والسذاب «٤» على عضة الكلب الذي ليس بكلب نفع. والإكثار منه يفسد العقل. والمسلوق منه يدر البول والدمعة. العصافير إن أكلت بالزنجبيل والبصل هيجت شهوة الجماع وأكثرت المني.." (٢)

"أتبكي على ليلى ونفسك باعدت ... مزارك من ليلى وشعباكما معا

وما حسنا أن تأتي الصرم طائعا ... وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

---

(١) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ١/٣٧٠

(٢) عيون ال أ خبار الدينوري، ابن قتيبة ٣/٣٠٥

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ... وقل لنجد عندنا أن يودعا

وأذكر أيام الحمى ثم ألتوي ... على كبدي من خشية أن تصدعا

وليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعا

وقال أبو تمام:

أصغى إلى البين مغترا فلا جرما ... إن النوى أسأرت في عقله لمما

أصمني سرهم أيام فرقتهم ... هل كنت تعرف شيئا يورث الصمما

نأى فظلت لوشك البين مقلته ... تبدي نجيعا ويبدي جسمه سقما

أظله البين حتى أنه رجل ... لو مات من شغله بالبين ما علما

وقال علي بن الجهم:

يا رحمتا للغريب في البلد النا ... زح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فنا انتفعوا ... بالعيش من بعده ولا انتفعا

وقال المجنون:

فإن ترجع الأيام بيني وبينها ... بذي الأثل صيفا مثل صيفي ومربعي

أشد بأعناق النوى بعد هذه ... مرائر إن جاذبتها لم تقطع

وقال زياد بن أبي زياد:

أطعت بها قول الوشاة فلا أرى ال ... وشاة انتهوا عنا ولا الدهر اعتبا

فلا تك كالناسي الخليل إذا دنت ... به الدار والباكي إذا ما تغيبا

وقال هدبة بن خشرم:

ألا يا لقومي للنوائب والدهر ... وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري

ألا ليت شعري هل إلى أم معمر ... على ما لقينا من ثناء ومن هجر

تباريح يلقاها الفؤاد صبابة ... إليها وذكراها على حين لا ذكر

فيا قلب لم يألف كإلفك آلف ... ويا حبها لم يغر شيء كما تغري

وما عندها للمستهام فؤاده ... بها إن ألمت من جزاء ومن شكر

وقال آخر:

بكرت عليك فهيجت وجدا ... بسرى الرياح وأذكرت نجدا

أتحن من شوق إذا ذكرت ... نجد وأنت تركتها عمدا

وقال آخر:

ألا هل إلى ليلى قبيل منيتي ... سبيل وهل للناجعين رجوع

إلى الله أشكو نية شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي أمس جميع

لعمرك إني يوم جرعاء مالك ... لعاص لأمر العاذلين مضيع

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

ندمت على ما كان مني ندامة ... كما ندم **المغبون** حين يبيع

فقدتك من قلب شجاع فإنني ... نهيتك عن هذا وأنت جميع

وقربت لي غير القريب وأشرفت ... هناك ثنايا ما لهن طلوع

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

قل للرياح إذا جريت فبلغي ... كبدي نسيما من جناب نسيم

أخدعت عنك وأنت بدر خادع ... لليل عن ظلم به وغيوم

وظلمت نفسي جاهدا في ظلمها ... فاسمع مقالة ظالم مظلوم

كرم الزمان ولمت فيك ولا أرى ... عجبا سوى كرم الزمان ولومي

لا كان حبي أين كان وأنت لي ... ملك وعهدي منك غير ذميم

الآن أطمع في الوصال ودوننا ... عين الرقيب وباب إبراهيم

وقال الأحوص:

فوا ندمي إذ لم أعج إذ تقول لي ... تقدم فشيعنا إلى ضحوة الغد

فأصبحت مما كان بيني وبينها ... سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

وقال الحسين بن مطير الأسدي:

لقد كنت جلدا قبل أن توقد النوى ... على كبدي نارا بطيئا خمودها

وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي ... إذا قدمت أيامها وعهودها

فقد جعلت في حبة القلب والحشا ... عهود الهوى تولى بشوق يعيدها

وقال آخر:

هممت بفرقة والموت فيها ... كأنك حتف نفسك تستثير

فلا تجسر على أمر قوي ... عليك فربما هلك الجسور." (١)

"وأما قوله: ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ [التوبة: ١٧] فإن معناه: هؤلاء الذين قالوا إنما كنا نخوض ونلعب، وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم. ﴿حبطت أعمالهم﴾ [البقرة: ٢١٧] يقول: ذهبت أعمالهم باطلا، فلا ثواب لها إلا النار؛ لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه. ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ [التوبة: ٦٩] يقول: وأولئك هم **المغبونون** صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد." (٢)

"الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بآياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم شاهدا لي وعلي، لأنه يعلم المحق منا من المبطل، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله، المحق على ثباته على الحق، والمبطل على باطله، بما هو أهله ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ [العنكبوت: ٥٢] يقول: صدقوا بالشرك، فأقروا به ﴿وكفروا بالله﴾ [العنكبوت: ٥٢] يقول: وجحدوا الله ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة: ٢٧] يقول: هم **المغبونون** في صفقتهم. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ [العنكبوت: ٥٢] قال أهل التأويل.." (٣)

"وقوله: ﴿والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ [الزمر: ٦٣] يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها، أولئك هم **المغبونون** -[٢٤٣]- حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها، لأنهم حرموا ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله عز وجل." (٤)

"وقوله: ﴿وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم -[٥٣٤]- يوم القيامة﴾ [الشورى: ٤٥] يقول تعالى ذكره: وقال الذين آمنوا بالله ورسوله: إن **المغبونين** الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة." (٥)

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٧٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٥٣/١١

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٣٠/١٨

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٤٢/٢٠

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٣/٢٠

"وقوله: ﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ [فصلت: ٢٥] يقول تعالى ذكره: إنهم كانوا **المغبونين** ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة: ١٩] يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ [المجادلة: ١٩] غلب عليهم الشيطان -[٤٩٢]- فأنساهم ذكر الله ﴿أولئك حزب الشيطان﴾ [المجادلة: ١٩] يعني جنده وأتباعه. ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة: ١٩] يقول: ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون **المغبونون** في صفقتهم.." (٢)

"وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ [البقرة: ٢٣١] يقول: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة: ١٢١] يقول: هم **المغبونون** حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.." (٣)

"رفع العلم وقولهم فيه

قال عبد الله بن مسعود: تعلموا العلم قبل أن يرفع.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبضه بقبض العلماء» .

وقال عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما، لما ووري زيد بن ثابت في قبره: من سره أن يرى كيف يقبض العلم فهكذا يقبض.

تحامل الجاهل على العالم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل لعالم أمر من جاهله» .

وقالوا: إذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا.

وقالوا: لا تناظر جاهلا ولا لجوجا: فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارحموا عزيزا ذل، ارحموا غنيا افتقر، ارحموا عالما ضاع بين جهال» .

وجاء كيسان إلى الخليل بن أحمد يسأله عن شيء؛ ففكر فيه الخليل ليجيبه، فلما استفتح الكلام قال له: لا أدري ما تقول. فأنشأ الخليل يقول:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٤٦/٢١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٩١/٢٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٧١/٢٢

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

قال حبيب:

وعاذل عذلته في عذله ... فظن أني جاهل من جهله

ما غبن **المغبون** مثل عقله ... من لك يوما بأخيك كله «١»." (١)

"فكن دافنا للجهل بالحلم تسترح ... من الجهل إن الحلم للجهل دافن

ولغيره:

ألا إن حلم المرء أكبر نسبة ... يسامي بها عند الفخار كريم

فيا رب هب لي منك حلما فإنني ... أرى الحلم لم يندم عليه حليم

وقال بعض الحكماء: ما حلا عندي أفضل من غيظ أتجرعه.

وقال بعضهم:

وفي الحلم روع للسفيه عن الأذى ... وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا «١»

فتندم إذ لا تنفعنك ندامة ... كما ندم **المغبون** لما تفرقا

وقال علي عليه السلام: أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل.

سئل كسرى أنو شروان: ما قدر الحلم؟ فقال: وكيف تعرف قدر ما لم ير كماله أحد.

وقال معاوية لخالد بن المعمر: كيف حبك لعلي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال:

أحبه لثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى وفائه إذا وعد.

وكان يقال: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم والباطل، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطيء لها حتى تتخطاك.

وقال الحسن: إنما يعرف الحلم عند الغضب. فإذا لم تغضب لم تكن حليما. وقال الشاعر:." (٢)

"ومنه: أغيرة وجبنا. قالته امرأة من العرب لزوجها تعيره حين تخلف عن عدوه في منزله، ورآها تنظر إلى القتال فضربها. فقالت: أغيرة وجبنا؟

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٩٠

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/١٤٠

وقولهم: أكسفا وإمساكا. أصله الرجل يلقاك بعبوس وكلوح مع بخل ومنع.

وقولهم: يا عبرى «١» مقبلة وسهرى «٢» مدبرة. يضرب للأمر الذي يكره من وجهين.

ومنه قول العامة:

كالمستغيث من الرمضاء بالنار

وقولهم: للموت يفزع وللموت بدر.

وقولهم: كالأشقر «٣» : إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر.

وقولهم: كالأرقم «٤» إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم. يقول: إن قتلته كان له من ينتقم له منك، وإن تركته قتلك.

ومنه: هو بين حاذف وقاذف. الحاذف: الضارب بالعصا، والقاذف: الرامي بالحجر.

من يزاد غما على غمه

منه قولهم: ضغث على إبالة. الضغث: الحزمة الصغيرة من الحطب، والإبالة: الكبيرة.

ومنه قولهم: كفت إلى وئية. الكفت القدر الصغيرة، والوئية: القدر الكبيرة.

يضرب للرجل يحمل البلية الكبيرة ثم يزيد إليها أخرى صغيرة.

ومنه قولهم: وقعوا في أم جندب، إذا ظلموا.

المغبون في تجارته

منه قولهم: صفقة لم يشهدها حاطب. وأصله أن بعض أهل حاطب باع بيعة غبن بها.." (١)

"**والمغبون** فيها من باع حظه من دار آخرته بها؛ فالله عباد الله والتوبة مقبولة، والرحمة مبسوطة؛ وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكظم «١» ، وتندموا فلا تقالون بالندم، في يوم حسرة وتأسف وكآبة وتلهف؛ يوم ليس كالأيام، وموقف ضنك المقام، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله؛ يقول الله تبارك وتعالى: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون «٢» .

أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم! بسم الله الرحمن الرحيم ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون. كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين. ثم لتسئلن

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦٩/٣

يومئذ عن النعيم

» .

أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، وأرضى لكم طاعة الله، وأستغفر الله لي ولكم.

خطبة هارون الرشيد

الحمد لله؛ نحمده على نعمه، ونستعينه على طاعته، ونستنصره على أعدائه، ونؤمن به حقا، ونتوكل عليه مفوضين إليه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. بعثه الله على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وإدبار من الدنيا، وإقبال من الآخرة؛ بشيرا بالنعيم المقيم؛ ونذيرا بين يدي عذاب أليم، فبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله، فأدى عن الله وعده ووعيده حتى أتاه اليقين؛ فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله؛ فإن في التقوى تكفير السيئات، وتضعيف الحسنات، وفوزا بالجنة، ونجاة من النار؛ وأحذركم يوما تشخص فيه الأبصار، وتبلى فيه الأسرار، يوم البعث ويوم التغابن، ويوم التلاقي ويوم التنادي، يوم لا يستعتب من سيئة ولا يزداد من حسنة؛ يوم الآزفة، إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما." (١)

"ثم قال: ألا ترى النصف الأول كيف استأذن على القلب فلم يأذن له، والنصف الثاني استأذن على القلب فأذن له؟ قلت: وماذا؟ قال: مثل قول الشاعر:

ندمت على ما كان منذ فقدتني ... كما ندم **المغبون** حين يبيع

قال: ألا تستطيب قوله «فقدتني» بالله يا ابن إدريس؟ قلت: بلى. فضرب بيده على فخذي وقال: قم يثبت الله لك قرنك! وابن إدريس يومئذ ابن ثمانين سنة.

وحكي عنه ابن إدريس قال: مررت به في مربعة كندة، وهو جالس على رماد وبيده قطعة من جص وهو يخبط بها في الرماد؛ فقلت له: ما تصنع ههنا يا ابن أبي مالك؟ قال: ما كان يصنع صاحبنا. قلت: ومن صاحبك؟ قال: مجنون بني عامر.

قلت: وما كان يصنع؟ قال: أما سمعته يقول:

عشية مالي حيلة غير أنني ... بلقط الحصى والجص في الدار مولع

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/١٩٠

قلت: ما سمعته! فرفع رأسه إلي متضاحكا، فقال: ما يقول الله عز وجل: ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا

«١» فأنت سمعته أو رأيته هذا كلام من كلام العرب ولا علم لك به.

قلت: يا بن أبي مالك، متى تقوم القيامة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، غير أنه من مات قامت قيامته.

قلت: فالمصلوب يعذب عذاب القبر؟ قال: إن حقت عليه كلمة العذاب يعذب، وما يدريك لعل جسده في عذاب من عذاب الله لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا، فإن لله لطفا لا يدرك.

قلت: ما تقول في النبيذ حلال أم حرام؟ قال: حلال. قلت: أتشربه؟ قال إن شربته فقد شربه وكيع، وهو قدوة. قلت: أتقتدي بوكيع في تحليله ولا تقتدي بي." (١)

"وربما بلغت جناية الكأس إلى عقب الرجل ونجله؛ قال المأمون: يا نطف الخمار. وترائع الظئور، وأشباه الخئولة.

وقال الشاعر:

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ... ولم أر المغبون غير العاقل

رحلت عيسا من كروم بابل ... فبت من عقلي على مراحل! «١»

وقال آخر يصف السكر:

أقبلت من عند زياد كالخرف ... أجر رجلي بخط مختلف

كأنما يكتبان لام الف

وقال آخر يصف السكر:

شربنا شربة من ذات عرق ... بأطراف الزجاج من العصير

وأخرى بالمروح، ثم رحنا ... نرى العصفور أعظم من بعير

كأن الديك ديك بني تميم ... أمير المؤمنين على السرير

كأن دجاجهم في الدار رقطا ... بنات الروم في قمص الحرير

فبت أرى الكواكب دانيات ... ينلن أنامل الرجل القصير

أدافعهن بالكفين عني ... وألثم لبة القمر المنير «٢»

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٧/١٦٤

وقال الشاعر:

دع النبيذ تكن عدلا، وإن كثرت ... فيك العيوب، وقل ما شئت يحتمل

هو المشيد بأخبار الرجال؛ فما ... يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا

كم زلة من كريم ظل يشهرها ... من دونها تستر الابواب والكلل

أضحت كنار على علياء موقدة ... ما يستسن لها سهل ولا جبل

والعقل عقل مصون لو يباع لقد ... ألفيت بياعه أضعاف ما سألوا." (١)

"وشاور النوكى ولا تعصهم ... تلاق ما تهوى بعين الصواب

وجالس الأنذال تسعد بهم ... فان هذا الدهر دهر الكلاب

الواسطي:

سبحان من أنزل الأيام منزلها ... وصير الناس مرفوضا ومرموقا

فعاقل فطن أعيت مذاهبه ... وجاهل كان في الأقوامخ مرزوقا

هذا الذي جعل الألباب حائرة ... وصير العاقل النحرير زنديقا

آخر:

خاب امرؤ راح يرجو أن ينال غنى ... بالعقل ما عاش في دهر المجانين

يا رب فاجعل لنا عقلا نعيش به ... يا مستجيب دعاء المرء ذي النون

آخر:

ثنتان من سيرة الزمان تحيرت ... بهما عقول ذوي التفلسف والنهى

مثر من الأموال منقوص الحجى ... وموفر الآداب منقوص الغنى

آخر:

لما رأيت الدهر دهر الجاهل ... ولم أر **المغبون** غير العاقل

شربت خمرا من خمور بابل ... فصرت من عقلي على مراحل

آخر:

قد يعدم الحازم المحمود نيته ... نيل الثراء ويثري العاجز الحمق

فلا تخافي علينا الدهر وانتظري ... فضل الذي بالغنى من عنده نثق

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦٠/٨

إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ... من حيث شاء ولسنا نحن نرتزق

وكان يقال: الاجتهاد في الطلب من دليل القضاء والقدر.

وقال بزرجمهر: كيأ يذبذن توشأي وتر. يقول: إذا لم يساعد القدر كانت الآفات من جهة الاجتهاد والطلب.

وكان يقال: إذا كان القدر حقا فالحرص باطل.

قال الشاعر:

هي المقادير فلمني أو فذر ... إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

ومن قول الواسطة بين من يقول بالحتم في هذه المعاني وبين من يقول بالإهمال ومحض الاستطاعة قول بعض الحكماء: إن اليقين بالقدر لا يمنع العاقل من التوقي. ولكن التوقي فرض والطلب واجب والقدر غالب. وما أقرب ما قال من قول النبي صلى الله عليه وسلم: إعلموا فكل ميسر لما خلق له. ومن قول من يقول بمحض الاستطاعة والاعتزال وأبرأ إلى الله من ذلك، غير أني أحببت ذكره للناظر في كتابي ليتبين له فساد الأصل. قال بعضهم:

فسدد وقارب في أمورك واجتهد ... فهل لك في ترك المحجة عاذر

ولا تلزم المقدار ذنبك كله ... فأنت ولي الذنب ليس المقادر

فلو كان للمقدار في الذنب شركة ... لكان له حظ من الإثم وافر

آخر:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته ... حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

آخر:

إذا أعطاك قتر حين يعطي ... وإن لم يعط قال: أبى القضاء

فبخل ربه سفها وظلما ... ليعذر نفسه فيما يشاء

آخر:

اصفع المجبر الذي بقضاء السوء قد رضي ... فاذا قال: لم فعلت؟ فقل هكذا قضي

باب مدح اليأس واستدعائه

وما يعرض للطالب من الذلة والحيرة

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد: موطنان لا أعتذر للعيي فيهما: عند طلب الحاجة وعند مخاطبة الجاهل. وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: طالب الحاجة أبله، فأرشدوا أخاكم وسددوه.

وعن ابن عباس: عند كل دخيل دهشة فأرشدوا أخاكم وابدأوا ذوي الحواتج بالجح قبل المطالب. ويقال: ذل الطالب بقدر حاجته.

وكلم أعرابي خالد بن عبد الله في حاجة فلجلج في كلامه. فلما عرف ذلك من نفسه قال: لا تلمني على الاختلاط فان معي ذل الحاجة ومعك عز الغنى عني.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. احتج إلى من شئت فأنت أسيره، واستغن عمن شئت فأنت نظيره، وافضل على من شئت فأنت أميره.

وقال رجل لخالد بن عبد الله: أكلمك بهيبة الأمل أم بجرأة اليأس؟ قال: بل انبسط فتكلم فلك ما أملت. قال النبي صلى الله عليه: المسئلة من وجه غني كدوح أو خموش في وجه صاحبها. قال: أتى رجل محمد بن مطرف بن عبد الله بن الشيخير فقال له: يا ابن أخي اكتب حاجتك في كتاب فاني أضن بوجهك عن ذل المسألة. وكان خالد بن عبد الله يقول: ارفعوا إلي حوائجكم في رقاع فاني أكره أن أرى ذل السؤال في وجوهكم. وكان يتمثل بهذه الأبيات:

لا تحسبن الموت موت البلى ... فانما الموت سؤال الرجال." (١)

"فإن انهمال العين بالدمع كلما ... ذكرتك وحدى خاليا لسريع

فلو لم يهجني الظانون لهاجنى ... حمائم ورق في الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى ... نوائح ما تجرى لهن دموع

لعمرك إني يوم جرعاء مالك ... لعاص لأمر المرشدين مضيع

ندمت على ما كان منى فقدتنى ... كما يندم المغبون حين يبيع

إذا ما لحانى العاذلات بحبها ... أبت كبد مما أجن صديع

وكيف أطيع العاذلات وحبها ... يؤرقنى والعاذلات هجوع

عدمتك من نفس شعاع فإننى ... نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقربت لى غير القريب وأشرقت ... هناك ثنايا مالهن طلوع

فضعفنى حبيك حتى كأننى ... من الأهل والمال التلاد خليع

وحتى دعانى الناس أحمق مائقا ... وقالوا مطيع للضلال تبوع

قال: وأنشدني أبو بكر بن الأنباري، قال: أنشدنا عبد الله بن خلف لقيس المجنون:

---

(١) الآمل والمأمول ابن المرزبان الباحث ص/٤

راحوا يصيدون الظباء وإنني ... لأرى تصيدها على حراما

أشبهن منك سوالفا ومدامعا ... فأرى على له١ بذاك ذماما

أعزز على بأن أروع شبيهها ... أو أن يذقن على يدى حماما

قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيي، قال: ذكرنا أعرابى رجلا فقال: ماله لمج أمه، فرفعوا إلى السلطان، فقال: إنما قلت: ملج أمه قال أبو بكر: قال أبو العباس: لمجها: نكحها، وملجها: رضعها.

وقرأت على أبى عمرو، عن أبى العباس، عن ابن الأعرابى، قال: اختصم شيخان غنوى وباهلى، فقال أحدهما لصاحبه: الكاذب محج أمه، قال الآخر: انظروا ما قال لى: الكاذب محج أمه، أى جامع أمه، فقال الغنوى: كذب ما قلت له هكذا، إنما قلت له: الكاذب ملج أمه يقال: ملج يملج، وملج يملج، ولمج يلمج إذا رضع.." (١)

"آخر [من الطويل] :

-١٦٨٧

صديق عدو القوم مثل عدوهم

النابغة الجعدي [من الطويل] :

-[١٦٨٨]-

ومن عادة المحزون أن يتذكرا

أبو تمام [من الرجز] :

-[١٦٨٩]-

من لك يوما بأخيك كله

بشار [من الرجز] :

-[١٦٩٠]-

من طلب الغاية صار آية

أحيحة [من الوافر] :

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١٣٧/١

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل

[١٦٨٨]- من قصيدة له في جمهرة أشعار العرب: ١٤٥، والشعر والشعراء ١: ٢٠٩ من بيتين، والأغاني ٥: ٦ وروايته: ومن حاجة ... ، أما صدره فهو في الجمهرة:

تذكرت والذكرى تهيج لذي الهوى

وفي الشعر: ... على الفتى، وفي الأغاني:

تذكرت شيئا قد مضى لسبيله

[١٦٨٩]- هو في ديوانه: ٤٦٥ من أرجوزة، وصلته:

ما غبن **المغبون** مثل عقله

[١٦٩٠]- لم أجده في ديوانه، وينظر: ٢٧٩.." (١)

"لما رأيت العيش عيش الجاهل ولم أر **المغبون** غير العاقل قدمت عيسا من خمور بابل فبت من عقلي على مراحل وقال البحتري هرب العقلاء من هموم العقل قولا وهو:

أرى العقل بؤسي في المعيشة للفتى ... ولا عيش إلا ما حباك به الجهل

ومن طريف معانيه قوله بعد هذا:

وقد مت أمس بها موتة ... وما يشتهي الموت من ذاقه

كلام لا يصح معناه لأنه لا شهوة لمن مات وما رأينا من يخبر بمذاق الموت هل اشتهاه أو كرهه فليته أعتمد على قوله:

فالموت تعرف بالصفات طباعه ... لم تلق خلقا ذاق موتا آيبا

وبالجملة فما أراد بالموت إلا تشبيه السكر به ومن يذوق السكر فهو يشتهيه وليس السكر موتا بل غيبة تمييز وظل الغيبة هي المستلذة المطلوبة من الشراب ولولاها ما شرب لعلل توجب عنه الانقطاع ومنه الامتناع منها والدخول مما يروى بالمروءة والديانة وتنتهك حرمة الصيانة ومن ذلك الخمار الذي له من المضض ما هو لأعظم المرضى فلولا لذة السكر ما صبر على ذلك منه وفي ذلك أقول صيغة:." (٢)

"وكان ابن عائشة ينشد:

(لما رأيت الحظ حظ الجاهل ... ولم أر **المغبون** غير العاقل)

---

(١) الأمثال المولدة الخوارزمي، أبو بكر ص/٤٢٢

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٦٧٥

(رحلت عنا من كروم بابل ... فبت من عقلي على مراحل)

وقال غيره في نبيذ الدبس:

(علني أحمد من الدوشاب ... شربة نفضت سواد الشباب)

(لو تراني وفي يدي قدح الدو ... شاب أبصرت بازيا في غراب)

وقال بعضهم في كيزان الفقاع:

(لست بناف خمار مخمور ... إلا بصافي الشراب مقرور)

(يطير عن رأسه القناع إذا ... نفست عنه خناق مزرور)

(يميل أعلاه وهو منتصب ... كأنه صولجان بللور)

وقلت:

(أبيض في أحشاء خضر كأنها ... قصار رجال في المسول قعود)

وقال بعضهم في الطنبور:

(مخطف الخصر أجوف ... جيده نصف سائره)

(أنطقته يدا فتى ... فاتن اللحظ ساهره)

(فحكى عن ضميره ... ما جرى في خواطره)

وقال آخر في المعزفة:

(معلنة الأوتار صخابة ... لها حنين كحنين الغريب)

(مكسوة أحشاؤها حلة ... بيضاء من جلد غزال ربيب)

(كأنما تسعة أوتاره ... نصبن أشراكا لصيد القلوب)." (١)

"(لعمري لقد حذرتني ونعيتني ... وبرتنى لو أنني كنت أبصر)

(ليالي سهامي في اليدين صحيحة ... ألا كل سهم مرة يتكسر)

(وأحسن ما يأتي امرؤ من فعاله ... تجاوزه عن مذنب حين يقدر)

قال الحجاج هيهات يابن القرية ليس ذا بحين مزاح وأنشأ يقول

(لتركك تغرير وقتك راحة ... ومالي والتغرير والقلب يعصر)

(وتالله لاستعليت في القوم سادرا ... تحرض أقواما علي وتهمر)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ١/٣٣١

ويروى (أعدائي) وهو أجود ثم وضع الحربة في نحره فأشخب أوداجه وفي معنى المثل قول الشاعر

(فإن الغمام الغر يخلف ودقه ... وإن الحسام العضب تنبو مضاربه)

وقول غيره

(والسيف ينكل وهو بادي الرونق ...)

وقريب منه قولهم (من لك بأخيك كله) ونظمه أبو تمام فقال

(ما غبن **المغبون** مثل عقله ... من لك يوما بأخيك كله)

وروي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن أبي طاهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن ابي هيثم عن أبي سعيد." (١)

"الشكوى من هوى مطاع، وعمر مضاع، فبيده الداء والدواء، والمرض والشفاء، وهو بكل شيء خبير. فكن - حرسك الله - لنفسك نصيحا، واستقبل توبة نصوحا، وآزهد في دار سمها ناقع، وطائرها واقع، وآرغب في دار طالبها منجح، وصاحبها مفلح؛ ومتى حققت الحق، وأمرت بالصدق، بان لك أنهما لا يجتمعان، وأنهما كالضرتين لا تصطلحان، فجرد همك في تحصيل الباقية، فإن الأخرى أنت فان عنها، وهي فانية عنك، وقد عرفت آثارها في أصحابها ورفقائها، وصنيعها بطلابها وعشاقها، معرفة عيان، فأي حجة تبقى لك، وأي حجة لا تثبت عليك؟ أما أنا فقد أيقنت أن بساط عمري مطوي، وأني بعين الله مرعي، وعن صغيري وكبيري مجزي، فإن " من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " الزلزلة: ٧ - ٨. جعل الله انتباهنا للوعظ طريقا إلى نيل المراد والحظ، **فالمغبون** من صدق لسانه وكذب فعله، وآمن ظاهره ونافق باطنه؛ نفعنا الله بمقول الqلب ومسموعه، واستعملنا بصالح العمل ومرفوعه، إنه جواد ماجد.

هذا كله شفقة مني عليك، واهتمام بمصلحتك، فإن أعجبك وراقك، وسرك وآنقك، وسفر نقاب الشبه عنك، ورفع حجاب الهم دونك، وأراك الحق في منظره البهي وحليته المعشوقة، والباطل في سمله الزري ولبسته المشنوءة، فالزم هدي كل هاد، وتقبل مذهب كل ناصح، غير معرج على الدنيا، ولا متتبع لفانيها،

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٣١٠/١

ولا متوقع لآتيها، ولا متمتع بحاضرها، فليس من شأنها أن تولي إن آتت، وإن آتت فليس من أخلاقها أن تصفو، وإن." (١)

"كرامة، المفتون من اغتر بدنياه، **والمغبون** من فاته مولاه، متى تعون وأنتم لا تسمعون، ومتى تسمعون لا تحضرون، ومتى تحضرون وأنتم لا تزهدون، ومتى تزهدون وأنتم لا ترغبون، ومتى ترغبون وأنتم لا تعرفون، ومتى تعروفن وأنتم لا تؤمنون، ومتى تؤمنون وأنتم لا توقنون؟ مالي لا أرى شمائلكم تنثني شوقا وارتياحا، ما لي لا أرى عيونكم تدمع مساء وصباحا، ما لي لا أرى ألوانكم مصفرة من البعادة، ما لي لا أرى قلوبكم تحن إلى الزهادة، ما لي لا أرى أعمالكم تخلص، ما لي لا أرى قلوبكم تحن إلى الزهادة، ما لي لا أرى أعمالكم تخلص، ما لي لا أرى آمالكم تنقص؟ أظنكم مطرودين من باب الله، أجدكم مخييبب مما عند الله، لقد خاب من ليس له عند الله نصيب.

جحظة: الكامل المجزوء

لما حجبت بباب دا ... رك والدهور لها تشاكل

أشرعت سير حميرتي ... وعلمت أنك كنت تاكل

قال بنان الطفيلي: عصعص عنز خير من قدرباقلي.

لبعض الكلبيين: الطويل

فقالت بحق الله إلا أتيتنا ... إذا كان لون الليل شبه الطيالس

فجئت وما في النوم نقصان قدرها ... وقد نام عنها كل وال وحارس

فبتنا بليل طيب نستلذه ... جميعا ولم أقلب بها كف لامس

قيل لأشعب: كيف ترى أهل دهرك؟ قال: يسألوننا عن أحاديث الملوك ويعطون عطاه العبيد.." (٢)

"أديب فهم شاعر يقال له عامر وكان مع أدبه محروما مجازفا، فقال لي رجل من أصحابي إن صديقك عامرا قد جن، فجعلت أطلبه حتى ظفرت به في بعض القرى والصبيان حوله يضحكون، فقلت له: يا عامر مذ كم صرت بهذه الحال؟ فأنشأ يقول:

جننت نفسي لكي أنال غنى ... فالعقل في ذا الزمان حرمان

يا عاذلي لا تلم أخا حمق ... تضحك منه فالحمق ألوان

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٣/٨

(٢) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٣/١٧٦

وعلى هذا علي بن صلوة القصرى كان ممن يجيد الشعر وكان محروما لا يؤبه له، ومن جيد شعره:

لسان الهوى في مقلتي لك ناطق ... يخبر عني أنني لك وامق

ولي شاهد من ضر جسمي معدل ... وقلب عليل في ودادك خافق

وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى ... ولكن قضاء الله في الخلق سابق

ثم تحامق وأخذ في الهزل فحسنت حاله وراج أمره حتى أن الملوك والأشراف أولعوا به، ومن قوله:

غياث بن عبد الله يطعم ضيفه ... رؤوس الجدايا طبخها بأرياجها

وهذا مجال في الطعام لأنما ... رؤوس الجدايا حقها سكباجها

وما أشبه ذلك: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن الجنيد يقول سمعت محمد بن زكريا الغلابي يقول: مر بعض الأدباء بمجنون يتكلم، فتأمل كلامه، فإذا هو رصين يدور على الأصول، فقال له ما حملك على التحامق؟ فقال:

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ... ولم أر المغبون مثل العاقل

دخلت عيشا من كرام نائل ... فصرت من عقلي على مراحل

أنشدنا أبو نصر محمد بن أحمد التميمي بسرخس:

إن كنت تهوى أن تنال المالا ... فالبس من الحمق غدا سربالا." (١)

"ورأى رجلا متغيرا فقال: ما لهذا؟ قالوا: مجنون يا رسول الله، فقال عليه السلام: " المجنون من عصى الله، أما هذا فمصاب ". وقال عليه السلام: " لاتغضبوا الحكام فيحتروا عليكم الأحكام ". وقال: " العدة عطية ". وسئل عن أصحابه فذكرهم، ثم سئل عن علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه: وهل يسأل الرجل عن نفسه؟ ورأى عليه السلام رجلا قد ذهب بصره فقال: يا فلان؛ متى ذهبت دنياك؟ وقال: " إن قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع أن يغرسها فليغرسها ". وقال: " المغبون لا محمود ولا مأجور ". وقال: " إذا أتاكم الأكفاء فالقوهن إلقاء ". وسئل عليه السلام عن عمل يحبه الله، فقال: " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ". وقال: " إن الله عز وجل يبغض الشيخ الغربيب ". وقال: " خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي ". وقيل له عليه السلام: فلان عالم بالنسب، فقال: علم لا ينفع، وجهل لا يضر.." (٢)

---

(١) عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري النيسابوري، ابن حبيب ص/٣٥

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٨٢/١

"كان يقال لطلحة بن عبيد الله: طلحة الخير، وطلحة الجود. وروي أنه باع ضيعة له بخمسة آلاف ألف درهم، فقسمها في الأطباق، وأنه منعه أن يخرج إلى المسجد حتى لفق له بين ثوبيه. ويقال: إن شاعرا أتى أبا البختري وهب بن وهب – وكان جوادا – فمدحه فهش إليه وثنى له الوسادة ورفده وحمله وأضافه، فلما أراد الرجل الرحلة لم يخدمه أحد من غلمان أبي البحتري، ولا عقد له ولا حل، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله به، فعاتب بعضهم، فقال له الغلام: إنا إنما نعين النازل على الإقامة، ولا نعين الراحل على الفراق، فبلغ هذا الكلام جليلا من القرشيين فقال: والله لفعل هؤلاء العبيد على هذا المقصد أحسن من رفد سيدهم. قال أبو يعقوب الخطابي: قدمت على السري بن عبد الله فتحرك، فرأيت عليه إزارا قومته خمسة دراهم فأبدرته بصري فقال: هذا إزاري، وقد فرقت في قومك العام أربعين ألف دينار؟ ! . قال معن بن زائدة: قاتلنا ابن هبيرة بواسط فظفرنا وغنمنا، وأصابني عشرة آلاف درهم فرقتها في زواري وأضيافي، وأحرز أصحابي ما كان لهم، فلما كان الغد ظفر بنا وأخذ ما كان مع أصحابي، وبقي ما كان لي مننا في أعناق الرجال. باع حكيم بن حزام من معاوية داره بستين ألف دينار، فقيل له: غبنك معاوية. فقال: والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق خمر، وأشهدكم أنها في سبيل الله فانظروا أينا **المغبون؟** . قال بعض العرب: " حدث عن البحر ولا حرج، وحدث عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدث عن معن ولا حرج ". ذكر عند سفيان بن عيينة سخاء عبد الله بن جعفر وتعجب منه، فقال: كيف يتعجب من سخائه وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر أن يخلفه الله في ولده – بأفضل ما خلف به أحدا من عباده الصالحين – السخاء؟ .." (١)

"فقال: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام، وما تكسب الأنفس غدا وبأي أرض تموت، قالت نعم. فقام فجلس إلى جانبها، وأدخل يده في جلبابها وقرصها وغنت له، ثم قالت: برح الخفاء، أنا أعلم أنك تشتهي تقبيلي شق التين،اغنيك هزجا.

أنا أبصرت بالليل ... غلاما حسن الدل

كغصن البان قد أصبح مسقيا من الطل

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني نبية مرسلة، فقبلها وغنته ثم قالت له: إيه: أبا إسحق، أرأيت قط أنذل من هؤلاء، يدعونك ويخرجونني إليك ولا يشترون لنا بدرهم ريحانا، يا أبا اسحق، هات درهما نشتري به ريحانا، فوثب وصاح، واحرباه أي زانية، أخطأت استك الحفرة، انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي إليك،

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٧/٩٥

وتركها وجلس ناحية، وعطعط بها القوم وقالوا لم تنفذ حيلتك عليه وجددوا مجلسهم، ولم يعد إليها بعد ذلك.

كانت سلامة الزرقاء جارية ابن رامين، مولى بشر بن مروان، أحسن الناس وجها وغناءا، من ساكني الكوفة، وكان ابن رامين مولاها يقين عليها، وينفق الناس في منزله الرغائب، وكان ممن يغشاها من الأشراف، روح بن حاتم المهلبي ومعن بن زائدة الشيباني ونظراؤهما، وكان محمد بن جميل يهواها وتهواه فقال لها: إن روح بن حاتم قد ثقل علي، قالت: وما أصنع وقد غمر مولاي ببره، فقال: احتالي له، فبات عندهم روح ليلة من الليالي فشرب، فلما سكر ونام أخذت سراويله فقالت: غسلته، فظن أنه قد أحدث فيه فاحتيج إلى غسله، فأستحيا من ذلك فانقطع عنها وخلا وجهها لبن جميل.

وحكى حماد بن اسحق عن أبيه قال: حدثني عبد الرحمن بن مقرن، قال: أتيت ابن رامين يوما فاستأذنت عليه فقال: قد سبقك روح بن حاتم، فإن كنت لا تحتشم منه فهلم، فدخلت، وخرجت إلينا الزرقاء في ثوبين موردين، والله لكأن الشمس طالعة من قرنها إلى قدمها، فغنتنا ساعة، ثم جاء الخدم الذين يستأذنون عليها، وكان الإذن إليها، لا إلى مولاها، فقالوا: يزيد بن عون العبادي الصيرفي، الملقب بالماجن، بالباب، قالت: ادخله، فأدخل فلما استقبلها سجد لها ثم أقعى بين يديها، قال فتبينت والله فيه الوجد بها، وزاد حتى ظهر لنا ولمن حضر، وكان من أحسن الناس وجها، وأشكلهم فأقبلت عليه بغنائها ومزاحها، ثم أدخل يده في كمه فأخرج درتين ما رأيت مثلهما، ثم قال: أنظري يا سيدتي إليهما جعلت فداك، وقال: والله لقد نقدت أمس فيهما أربعين ألفا؛ قالت: وما أصنع بهما وما علي من ذلك، ثم غنته صوتا كان يشتهيه عليها، وأقبلت عليه وقالت: يا ماجن هبهما لي، قال: إن شئت والله فعلت، قالت: قد والله شئت، قال: أن تأخذيهما بشفتيك من بين شفتي، قال فأراد روح البطش به، فقلت له: ألك في منزل القوم حق أو لك في رق الجارية ملك، لو كان هذا ينكر عندهم لأنكره مولاها، وها هو حاضر، وإنما يتكسبون بما ترى، فإن كان لك في عشرتهم حاجة، فأمسك، قال: فعلم أني قد صدقته فأمسك، قال: وسمع ابن رامين قولهما فقام كأنه يبول، فقالت له الزرقاء، هاتهما، فزحف إليها وجثا بين يديها وهما بين شفتيه، فلما ذهبت إليه تناولتهما بشفتيها، وهو يصد عنها يمينا وشمالا ليستكثر منها، ثم أخذتهما بشفتيها من فيه، وقبلها وقام فرجع وقد لاحمر وجهها ورشح جبينها عرقا، حياء منا، ثم تجلدت علينا وقالت: (المغبون في أسته عود) قال: أما أنا فوالله لا أبالي بهذا، ولا يزال طيب هذه الرائحة، والنسيم من فيك في في أبدا ما بقيت.

واشترى الزرقاء هذه جعفر بن سليمان أمير البصرة فسألها ذات يوم: هل ظفر أحد قط ممن كان يهواك

منك بخلوة أو بقبلة، فخشيت أن يكون بلغه ما فعلت مع الماجن، لأنه كان بحضرة جماعة، فقالت: لا والله، إلا يزيد بن عون العبادي، فأنه قبلني قبلة وأخرج من فيه درتين بأربعين ألف درهم فجعلهما من فيه إلى في فلم يزل جعفر يحتال له ويطلبه حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات.

وقال أبو الفرج الأصبهاني، حدثني جحظة قال: حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: سمعت أبي يقول: كان، قبل أن يعلم الرشيد أني أغني ويسمعني، سمع حسنة وظلة، جاريتي المهدي عند أخته العباسة بنت المهدي وقد دعته إليها فغنتاه هذا الصوت وهما متراسلتان فيه:

ولقد طرقت البيت يخشى أهله ... بعد الهدو وبعد ما سقط الندى." (١)

"تمتع من الدنيا إذا هي ساعدت ... فإنك في أيدي الحوادث عان

ولا تنتظر باللهو يوماإلى غد ... فمن لك منها في غد بأمان

فإني رأيت الدهر يسرع بالفتى ... وينقله؛ حالان مختلفان

فأما الذي يمضي فأحلام نائم ... وأما الذي يبقى له فأماني

أبو العتاهية:

كلنا يأمل مدا في الأجل ... والمنايا ماثلات بالأمل

ما صفا عيشك فاستمتع به ... وارض بالرزق وإن رزقك قل

إنما الدنيا كظل زائل ... حل فيه راكب، ثم رحل

المهلبي:

بكر على غيم أتاك مجدد ... طلعت عليك نجومه بالأسعد

وبعقب ليل ثرة أخلافه ... رقد المحب [و] عينه لم ترقد

يوم يرد على الفتى أطرابه ... ويكف عادية الزمان المعتدي

لبس السحائب جوه وكأنه ... يختال بين ممسك ومورد

إن السرور قصيرة أيامه ... إن لم تبادر وقته، لو يوجد

وأنشد النوبختي:

قد ظهر اليوم من عجائبه ... ما يسعد الصب في مآربه

وأصبح الجو في ممسكة ... ينسجها الغيم من سحائبه

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٢٣

والغيم منهلة مدامعه بواكف القطر أو بساكبه

يبكي على لئوم من يضيعه ... مخافة اللوم من معائبه

فبادر العيش إنه خلس ... مقبله سرعة كذاهبه

ابن المعتز بالله:

تعالوا فشقوا أنفسا قبل موتها ... فتمضي إلى الداعي وهن رواء

نبادر أيام السرور فإنها ... سراع وأيام الهموم بطاء

وخل عنان الحادثات لوجهها ... فإن عنان الحادثات عناء

وأنشد يعقوب بن الربيع: أظللك شهر الصومفاطلب مساعدا على الراح فيه وانتهاك المحارم

فإنك لا تدري أتدرك فطره ... وأنت سليم فيه أو غير سالم

فاتصل هذا الشعر بأخيه الفضل، فكتب إليه يعاتبه على ذلك ويقول: أخشى أن يتصل هذا بأمير المؤمنين مع تثاقلك عن خدمته فيعاقبك، فكتب إليه:

إإذ كان عندي قوت يوم وليلة ... من الراح تنفي الهم عني إذا اكتنع

فلست تراني إنس سائلا عن خليفة ... ولا عن وزير للخليفة ما صنع

وأنشد لعلي بن بسام:

واصل خليلك إنما الدنيا مواصلة الخليل

وانعم ولا تتعجل المكروه من قبل النزول

بادر بما تهوى فما تدري متى وقت الرحيل

وارفض ملامة لائم ... إن الملام من الفضول

أبو العتاهية:

اقنع النفس بالكفاف وإلا ... طلبت منك فوق ما يكفيها

ليس فيما مضى ولا في الذي لم يأت من لذة لمستحليها

إنما أنت، طول عمرك، ما عمرت، في الساعة التي أنت فيها

ومثله قول عمران بن حطان:

يأسف المرء على ما فاته ... من لبانات إذا لم يقضها

وتراه فرحا مستبشرا ... بالتي أمضى كأن لم يمضها

إنها عندي كأحلام الكرى ... لقريب، بعضها من بعضها

وأنشد أحمد بن أبي طاهر:

مضى أمس بما فيه ... ويومي أنا راجيه

ولي في غد الجائي ... خطب سألاقيه

فإما هو يمضيني ... وإما أنا أمضيه

ومحمد بن يحيى الصولي:

عاقر عقارك واصطبح ... واقدح سرورك بالقدح

واخلع عذارك في الهوى ... وأرح عذولك واسترح

وافرح بيومك إنما عمر الفتى يوم الفرح

وأنشد العلاء بن برد:

إن كنت تعلم حين تصبح سالما ... أن المنية ما أقمت تقيم

فاركب هواك بما اشتهيت فإنه ... لامثل يومك في النعيم نعيم

يزيد المهلبي:

احمدوا الله وحثوا كأسكم ... إنما **المغبون** من لا يحمده

أعجز الناس مضيع يومه ... وهو لا يعلم ما يجني غده

أعرابي:

بادر إلى اللذات يوما ما أمكنت ... بركوبهن بوادر الآفات." (١)

"جموح في عنان الماء تنزو ... إذا ما راضها نزو المهاري

فضضت ختامها عن روح راح ... لها جسدان من خزف وقار

تنقاها لكسرى رب كرم ... يعد من الفلاسفة الكبار

وسقفها العريش فحملته ... عناقيدا كأثداء الجواري

نواعم لا تذل بوطء رجل ... وتعصر نفسها قبل اعتصار

فأودعها الدنان مصففات ... وأسلمها إلى شمس النهار

وألبسها فلانس معلمات ... وصاحبها بصبر وانتظار

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٧٠

فلما جاوز عشرين عاما ... مخدرة وقرت في قرار

أتيح لها من الفتيان سمح ... جواد لا يشح على العقار

فأبرزها تحدث عن زمان ... كمثل الآل في البلد القفار

وقال: وكرخية الأنساب أو بابلية ثوت حقبا في ظلمة القار لا تسري

أرقت صفاء الماء فوق صفائها ... فخلتهما سلا من الشمس والبدر

وكم ليلة باللهو قصرت طولها ... بساقية العينين والكف للخمر

وإني وإن كان التصابي يحثني ... لأبلغ حاجاتي وأجري على قدر

ظللت بملهى خير يوم وليلة ... تدور علينا الكأس في فتية زهر

بكف غزال ذي دلال وطرة ... وصدغين كالقافين في طرفي سطر

لدى نرجس غصن وسرو كأنه ... قدود جوار ملن في أزر خضر

انتهى السفر الأول من كتاب قطب السرور في أوصاف الخمور والحمد لله رب العالمين على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتابنا هذا له رونق ... كرونق الحبات في عقدها

كادت تواليف الورى عنده ... تموت بالخجلة في جلدها

هذا كتاب نفيس ... لكشف همي ادخرته

إلا برهن وثيق ... لصاحب قد عرفته

فمن أراد كتابي ... فالشرط ما قد ذكرته

السفر الثاني من كتاب قطب السرور في وصف الخمور تصنيف العلامة الأديب أبي إسحق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم رحمه الله تعالى آمين

هذا كتاب لو يباع بوزنه ... ذهبا لكان البائع المغبونا

أو ما من الخسران أنك آخذ ... ذهبا، وتارك جوهرا مكنونا

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن المعتز أيضا:

يا رب يوم سرور ... بالماردين قصير

لو بعته بسنين ... واعصر ودهور

وكلها في نعيم ... ما كنت بالمغدور

بكر علي بكأس ... فالخير في التبكير

أما ترى النجم ولى ... وهم بالتغوير

[اليوم قصف وبسط ... فسقني بالكبير]

من كف ظبي مليح ... ساجي الجفون غرير

يزهى بوردة خد ... قد خدشت بعبير

وشعره من ظلام ... ووجهه من نور

وقال أيضا:

ذرى شجر للطير فيه تشاجر ... كأن سقيط الطل فيه جواهر

كأن القماري والبلابل فوقه ... قيان وأوراق الغصون ستائر

شربنا على ذاك الترنم قهوة ... كأن على حافاتها الدر دائر

كأن نسيم الروض في جنباتها ... لخالخ، فيما بيننا، وذرائر

وقال:

سقني الراح في شباب النهار ... وانف همي بالخندريس العقار

قد تولت زهر النجوم وقد بشر بالصبح طائر الأشجار

ما ترى نعمة السماء على الأرض وشكر الرياض للأمطار

وغناء الأطيار في فلق الصبح وحلي الأشجار بالنوار

وكأن الربيع يجلو عروسا ... وكأنا من قطره في نثار

وقال:

أقول لساقي القوم لا تعقرنها ... بماء وأحزاني بصرفك فاعقر

ولا تسقنيها بنت عام فإنها ... كما هي في عنقودها لم تغير

قريبة عهد بالغصون وبالثرى ... وبالشرب من ماء الرفات المفجر." (١)

"وأما الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا: أي بهذا المثل. فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع والتمام، كقوله: وله الدين واصبا «١» .

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/١٣٧

فأجابهم الله تعالى فقال: أراد الله بهذا المثل يضل به كثيرا من الكافرين ذلك أنهم ينكرونه ويكذبونه ويهدي به كثيرا من المؤمنين يعرفونه ويصدقون.

وما يضل به إلا الفاسقين الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، قال الله تعالى: ففسق عن أمر ربه «٢» أي خرج. تقول العرب: فسقت الرطبة عن القشر، أي خرجت.

ثم وصفهم فقال: الذين ينقضون أي يتركون ويخالفون، وأصل النقض: الكسر.

عهد الله أمره الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله تعالى: ألست بربكم قالوا بلى «٣» وما عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم [وضمنه] نعته وصفته.

من بعد ميثاقه توكيده وتشديده، وهو مفعال من الوثيقة.

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني الأرحام، وقيل: هو الإيمان بجميع الرسل والكتب، وهو نوع من الصلة لأنهم قالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض «٤» فقطعوا، وقال المؤمنون: لا نفرق بين أحد من رسله «٥» فوصلوا.

ويفسدون في الأرض بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن.

أولئك هم الخاسرون: أي **المغبونون** بالعقوبة وفوت المثوبة، ثم قال: لمشركي مكة على التعجب:

كيف تكفرون بالله وكنتم واو الحال أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فأحياكم في الأرحام في الدنيا ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم. ثم يحييكم للبعث. ثم إليه ترجعون تأتون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

وقرأ يعقوب: ترجعون، وبيانه بفتح الأول وكسر الجيم جعل الفعل لهم.

هو الذي خلق لكم لأجلكم. ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء أي قصد وعمد الى خلق السماء.

---

(١) سورة النحل: ٥٢.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٤) سورة النساء: ١٥٠.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٥.." [1]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٧٣/١

"يرى صاحبه إلا مسرورا أبدا نشطا قبل الشرب وبعده.

ومن قلائد المتنبي قوله:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم «١»

قال أبو الفتح بن جني هذا كقولهم: ما سر عاقل قط. ولما عزل عمر بن الخطاب زيادا عن عمل كان يتولاه له، قال له زياد: يا أمير المؤمنين أمن عجز أو خيانة؟ فقال: لا من أحدهما، ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك. وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: لو كان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا. وقال آخر: لولا الحمقى لبطل العالم. وقال بعضهم: لو كان الناس كلهم عقلاء ما أكلنا رطبا ولا شربنا عذبا، يعني أن العقلاء لا يقدمون على صعود النخيل لاجتناء الرطب، ولا حفر الآبار لاستنباط الماء البارد العذب وينشد:

لما رأيت الدهر دهر الجاهل ... ولم أر **المغبون** غير العاقل

شربت خمرا من خمور بابل ... فصرت من عقلي على مراحل." [١]

"وقوله

(أمنون بدت لنا أم جفون ... حركات للسقم فيها سكون)

(بعتها ما حييت طول هجوعي ... بدموعي فأينا **المغبون**) // من الخفيف //

وقوله

(تعلقته سكران من خمرة الصبابة ... غفلة عن لوعتي ولهيبي)

(وشاركني في حبه كل أغيد ... يشاركني في مهجتي بنصيب)

(فلا تلزموني غيرة ما عرفتها ... فإن حبيبي من أحب حبيبي) // من الطويل //

وقوله

(قلت وقد أوردني حبه ... مواردا ليس لها مصدر)

(أفسدت دنياي ولا دين لي ... تفسده فاصدع بما تؤمر) // من السريع //

وقوله

(أتابعت أهل البيعة اليوم في دمي ... غلبت فخذ أخطارهم وتقدم)

(ولا تورثن عينيك سقمي فإنه ... حرام على الذمي ميراث مسلم) // من الطويل //

---

(١) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو من‌صور ص/٤٤

وقوله

(رأيت ما لم يره رائي ... ماء غدا يسبح في ماء)

(أومأت باللحظ إلى جسمه ... فكاد أن يدميه إيمائي) // من السريع //

وقوله

(ظبي أقام قيامتي ... من قبل أن تأتي القيامه)." (١)

"الأعمال إليه

(انظر إلى الأيام كيف تعود ... وإلى المعالي الغر كيف تزيد)

(وإلى الزمان نبا وعاود عطفه ... فارتاح ظمآن وأورق عود)

(قد عاود الأيام ماء شبابها ... فالعيش غض والليالي عيد)

(إقبال عز كالأسنة مقبل ... يمضي وجد في العلاء جديد)

(وعلا لأبلج من ذؤابة هاشم ... يثني عليه السؤدد المعقود)

(قد فات مطلوبا وأدرك طالبا ... ومقارعوه على الأمور قعود)

(ما السؤدد المطلوب إلا دون ما ... يرمي إليه السؤدد المولود)

(فإذا هما اتفقا تكسرت القنا ... إن غالبا وتضعضع الجلمود) // الكامل //

وله من قصيدة في أبيه ويذكر حجه بالناس

(دعيني أطلب الدنيا فإني ... أرى المسعود من رزق الطلابا)

(ومن أبقى لآجله حديثا ... ومن عانى لعاجله اكتسابا)

(وما **المغبون** إلا من دهته ... فلا مجدا ولا جدة أصابا)

(ونصل السيف تسلم شفرتاه ... وتخلق كل أيام قرابا)

(وأيام تجوز عليك بيض ... وقد فتحت من الإقبال بابا)

(وكم يوم كيومك قدت فيه ... على الغرر المقانب والركابا)

(إلى البلد الأمين مقومات ... تماطلها التعجل والإيابا)." (٢)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٦٦/١

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١٥٦/٣

"(وإن أذل الأذلين ... من يروم ببضع النساء الدول) // المتقارب //

وقال

(يا ليلة كرم الزمان ... بها لو أن الليل باقي)

(كان اتفاقا بيننا ... جار على غير اتفاق)

(فاستروح المشتاق من ... زفرات هم واشتياق)

(واقتص للحقب المواضي ... بل تسلف للبواقي)

(حتى إذا نسمت رياح ... الصبح تؤذن بالفراق)

(برد السوار لها فأحميت القلادة بالعناق ...) // مجزوء الكامل //

وله في وزير بذل مالا كثيرا حتى يقلد الوزارة فاستصوب رأيه في ذلك

(اشتر العز بما بيع فما العز بغال ...)

(بالقصار الصفر ... إن شئت وبالسمر الطوال)

(ليس **بالمغبون** حظا ... مشتر عزا بمال)

(إنما يدخر المال ... لحاجات الرجال)

(والفتى من جعل ... الأموال أثمان المعالي) // مجزوء الرمل //

وقال

(يا عذبة المبسم بلي الجوى ... بنهلة من ريقك البارد)

(أرى غديرا شبما ماؤه ... باد فهل للماء من وارد)

(من لي بذاك العسل الذائب الجاري ... خلال البرد الجامد) // السريع //." (١)

"ستكسب ما ترجو وإن كنت تاركا ... لكسبك ما تخشى وأنت مجانبه

وقال آخر:

والنصل يعمل إخلاصا بجوهره ... ولا يزال على شحذ من القين

وقال آخر:

ولست أحب اللبيب الشريف ... يكون غلاما لغلمانه

وقال آخر:

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١٧٦/٣

إن العيون لتبدي في تقلبها ... ما في الضمائر من ود ومن حنق

وقال آخر:

ما غبن المغبون مثل عقله ... من لك يوما بأخيك كله

ما أضيع الغمد بغير نصله ... والعرف ما لم يك عند أهله

وقال آخر:

تفاوتنا وهل تخفى القدامى ... على لحظ العيون من الخوافي

وفضل الهام من نقص الذنابي ... وعز التاج من ذل الخصاف

وقال آخر:

لا يغرس الشر غارس أبدا ... إلا اجتنى من غصونه ندما

وقال آخر:

أنفق من الصبر الجميل فإنه ... لم يخش فقرا منفق من صبره

والمرء ليس ببالغ في أمره ... كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال آخر:." (١)

"قد طال المطال أطال الله بقاك سيدي كأني اعوج. منه على عوج. أو أرى به ظل الرمح. وأشاهد عمر النسر. أو أعاني ليلة الهجر. أو أعاين يوم الحشر. ولست أشبه نوالك بياجوج في قصره. وقلته وصغره. فهو اقصر من انملة نمله. واقل من ذرة واحدة واصغر من عنفقة. ولقد جربتك لو نفعت التجارب. وكشفت لي منك العواقب. عن مواعيد فيها من الريح شبه. وانها من البرق الخلب سبب. وبينها وبين العارض الجهام نسب. فحتى متى اصلحك الله تجرني على شوك المطل. وتحرمني ثمرة الوعد وتعللني بغد وما بعد غد. ولا أرى لك يدا فوق يد. اما حان ان تنص على اليوم المعتمد. وتدعني من كثرة ذكر الغد فانه بعيد الأمد. متصل بالأبد " اخرى في حل قول الشاعر "

سألتك حاجة فأجبت فيها ... بأحسن ما يكون من الجواب

فلما رمتها رمت الثريا ... فصارت حاجتي فوق السحاب

" وقول ابي نواس

وعدتني وعدك حتى إذا ... اطمعتني في كنز قارون

---

(١) المنتحل الثعالبي، أبو منصور ص/١٠١

جئت من الليل بغسالة ... تغسل ما قلت بصابون

" وقول ابي العيناء "

اني لا اعجب بل فعالك اعجب ... من طول ترداذي إليك وتكذب

وتقول لي قولا أظنك صادقا ... فاجئ من طمع إليك واذهب

فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس ... قالوا مسيلمة وهذا اشعب

سألتك اصلحك الله حاجة خفيفة المؤنة عليك. ثقيلة المنة لك. فجمعت لي فيها بين احسن الجواب. واتم الإيجاب. فلما رمتها كانت والثريا في سمك. ومع العيوق في سمت. وصرت أتصورها مرة بمنقطع التراب. وتارة فوق السحاب. وطال ما اطمعتني في كنوز قارون بمواعيدك المعسولة. ثم أتبعتها بمعاذيرك المغسولة ولست ادري أي حالتينا اعجب. كما لست ادري أيهما اكذب اطمعي فيك الذي يجدد عليك اعتمادي. ويكرر إليك ترداذي. أم لسانك الذي يدين بالكذب مذهبا. ويستلين من الخلف مركبا فلو جمعني وإياك محفل غاص. أو ضمنا مجلس خاص. لا قبل بعض أهلهما على بعض يعيبونك ويلعنونك. ويقولون هذا مسيلمة ويعنونك. وهذا اشعب ويعنوني. والى الطمع الكاذب ينسبونني. وكان مسيلمة اكذب من أظلته الخضراء. واشعب اطمع من اقلته الغبراء. وأخبار ذلك في الكذب قد سارت في البلاد ووردت المياه. وأخبار هذا في الطمع قد طارت في الآفاق وركبت الأفواه. تاب الله علينا من الكذب والبهت ومن الخلف البحت ومن الطمع الذي يهدي إلى الطبع. بمنه ورافته. وسعة رحمته " اخرى في حل قول ابي تمام

ومحجب حاولته فوجدته ... نجما عن الركب العفاة شسوعا

لما عدمت نواله اعدمته ... شكري فرحنا معدمين جميعا

ان طال أيدك الله عجابك. واشتد احتجابك. وتجهم بوابك فكم من محجوب حاولت جنا به. وقصدت بابه. فوجدته نجما يبعد عن العفاه. وحية لا تسمع للرقاه. وحين اعدمني الثرا. اعدمته الثنا. ولما منعني المنح. منعته المدح. فحصلنا جميعا على العدم اما هو فمن الكرم. واما أنا فمن النعم. وهو من الشكر وأنا من الوفر. ولقد احسن بي ما شاء. إذ أساء. أليس قد اعتق عاتقي من رق الصنيعة. ولم يلزمني حفظ الوديعة والسلام " اخرى في حل قول دعبل "

وعدت النعل ثم صدفت عنها ... كأنك تشتهي شتما وقذفا

فان لم تهد لي نعلا فكنها ... إذا اعجمت بعد النون حرفا

وعدتني أيدك الله النعل وما أسعفت. بل صددت عن ذكرها وصدفت. فاستهدفت لسهام الذم واستقذف. فان أهديتها الآن وإلا لبست ثوب **المغبون**. وكنتها إذا اعجمت الحرف بعد النون. والحازم من بقى العرض بالعرض الأدنى. ولا يعرضه للبلوى والسلام " اخرى في حل قول الشاعر "

صحبتكم عامين في حال غربتي ... ارجى نداكم والجنون فنون

فما نلت منكم نائلا غير انني ... تعلمت ذل الفقر كيف يكون." (١)

"ليس **بالمغبون** عقلا ... مشتري عز بمال

إنما يدخر الما ... ل لحاجات الرجال

والفتى من جعل الأموال أثمان المعالي

أبو طالب المأموني:

لي في ضمير الدهر سر كامن ... لا بد أن تستله الأقدار

وما شرف الإنسان الا بنفسه ... أكان ذووة سادة أم مواليا

إذا الغيث وفى الروض واجب حقه ... وزاد فإن الغيث للروض ظالم

أبو الفضل بن العميد:

لن يصرف الدهر عن سجيته ... أرب أريب وحوال ذي حيل

أي معين صفا على كدر الد ... هر وأي النعيم لم يزل

من يشف من داء بآخر مثله ... أثرت جوانحه من الأدواء

داوى جوى بجوى وليس بحازم ... من يستكف النار بالحلفاء

أنت قوتي وما بقا ... ء امرىء بان قوته." (٢)

"الأموال في الأهوال. لا يبصر الدنيا غير الناقد. تفرق بين المسلمين الدراهم. النقد صابون القلوب. النقود تحل عقود الحقود. وربما غلا الشيء الرخيص. من اشترى مالا يحتاج إليه باع ما لا بد منه. لا رسول كالدرهم. من جمع ماله من الدوانيق، فما عسى أن يعطي غير القراريط. من اشترى الدون بالدون، رجع إلى بيته وهو مغبون. لا تبع نقدا بدين. **المغبون** لا محمود ولا مأجور. المستقرض من كيسه يأكل. الكفالة ندامة. عصفور في الكف خير من كركي في الهواء. التقدير في المعيشة نصف الكسب. من السرف أن

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/١٣

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/١٢١

تشتري كل ما تشتهي. حبال وليف جهاز ضعيف. من لم يتغد بدانق تعشى بأربعة دوانيق. أغلق باب دارك، ولا تسرق جارك.." (١)

"وقال بعض المكابدين فى خلع العذار لمن سابة يا قذاة الكوز يا صوم تموز يا برد العجوز يا درهما لا يجوز

وحكى الجاحظ عن جعفر بن سعد أنه قال الخلاف فى كل شيء حتى فى قذاة الكوز إن أردت أن تشرب جاءت إلى فيك وإن أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت

١٠٢٦ - (داعى اللبن) من أمثال العرب دع داعى اللبن أى أبق فى الضرع بقية من اللبن ولا تستوعب كل ما فيه فإن الذى تبقيه يستدعى ماوراءة من اللبن

١٠٢٧ - (خمر بابل) العرب تتمثل بخمر بابل وتراه أفضل الخمور وبابل سر العراق ويقال إن بغداد من أرضها فممن ذكر خمر بابل بعض المحدثين حيث قال

(لما رأيت الدهر دهر الجاهل ... ولم أر المغبون غير العاقل)

(شربت خمرا من خمور بابل ... فصرت من عقلى على مراحل)

ويروى أنه قال

(رحلت عيسا من خمور بابل ...)

ليكون أقوى فى طريق الاستعارة وقال ابن الرومى

(ألا ذكرا نفسى حديث البلابل ... بمشمولة صفراء من خمر بابل) وفى كتابى المبهج ليس للبلابل كخمر بابل على غناء البلابل." (٢)

"فصل في أمثال تختص بهم

العز تحت ظل السيوف. الحرب سجال وعثراتها لا تقال. حصون العز بالخيل والسيف. السلاح ثم الكفاح. والمحاجزة قبل المناجزة. الهرب في وقته ظفر. الهارب لا يعرج على صاحب.

فصل التجارة والدهاقين

حدثني أبو القاسم الطهماني الفقيه، قال: لما رجع أبو الفضل المحمي من الحج اتخذ دعوة، دعا إليها أعيان نيسابور ووجوهها، وفيهم أبو زكريا الحربي وأبو الحسين بن لسياه الفارسي - راس التجار وأديبها

---

(١) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/١٩٨

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٦١٨

وفقيهها، فأفضت بهم الأحاديث إلى أن أفاض ابن لسياه في مدح التجارة، وفضل التجار وأطنب في مدحهم، ثم قال: من جلالتهم أن لهم أمثالا مستعملة بين السادة والكبراء، كقولهم: الصرف لا يحتمل الظرف، ورأس المال أحد الربحين، الأرباح توفيقات، التدبير نصف التجارة، الغلط يرجع النسيئة، نسيان النقد صابون القلب، كل شيء وثمنه، من اشترى الدون بالدون رجع إلى بيته وهو مغبون، التجارة أمارة، اشتر لنفسك وللسوق، **المغبون** لا محمود ولا مأجور، أطيب مال الرجال من كسبهم والكسب في كتاب الله التجارة. وقال له أبو زكريا: أين أنت عن أمثال الدهاقين؟ قال: مثل ماذا؟ قال: خذ إليك! قال: ابتغوا الرزق في خبايا الأرض، غرسوا وأكلنا ونغرس ويأكلون، مطرة في نيسان خير من ألف سنان، إذا كانت السنة مخصبة ظهر خصبها في النيروز، السعر تحت المنجل، فلاح المعيشة في الفلاحة، نقصان الغلة زيادة الغلة، زيادة السعر في نقصان الغلة، فما نقص مما يكال في الجواليق." (١)

"حدثنا محمد بن جعفر المؤدب، ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري، ثنا روح بن عصام، ثنا هشيم بن بشير، عن العوام بن حوشب، قال: «الباعة قوم أنذال، فماكس عند درهمك، فإن **المغبون** لا محمود ولا مأجور»." (٢)

"والمعنى: له مفاتيح خزائن السماوات والأرض، يمسك ما يشاء ويفتح ما يشاء، وقال السدي: " المقاليد: الخزائن "، واحدها مقليد، وقيل: مقلد، وقال أبو عبيدة: (واحد المقاليد مقليد)، وواحد الأقاليد إقليد.

ثم قال تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾، أي: هم **المغبونون** حظوظهم من خيرات خزائن الله التي بيده مفاتيحها.

ثم قال (تعالى: ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾.

" غير " نصب " بأعبد ".

قال الأخفش: " تأمروني " ملغى، كقولك: ذلك زيد بلغني.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أعبد غير الله فما تأمروني أيها الجاهلون؟!

ثم قال تعالى ذكره: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾،." (٣)

---

(١) خاص الخاص الثعالبي، أبو منصور ص/٨١

(٢) تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان أبو نعيم الأصبهاني ٣٧٠/١

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٣٧١/١٠

"(أي: ولقد أوحي إليك يا محمد وإلى الرسل من قبلك لئن اشركت بالله ليحبطن عملك)، أي: يبطل عملك ويفسد.

يقال: حبط بطنه من داء إذا فسد منه.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير. والتقدير /: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، وأوحي إلي الرسل من قبلك مثل ذلك.

ومعنى ﴿من الخاسرين﴾: من **المغبونين** حظوظهم الهالكين.

ثم قال تعالى: ﴿بل الله فاعبد﴾، الفاء زائدة واسم الله نصب بأعبد.

وقال الفراء: هو نصب بإضمار فعل.." (١)

"القيامة﴾، أي: وقال المؤمنون يوم القيامة: إن **المغبونين**، الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

قال السدي: غبنوا ذلك في الجنة.

وقال ابن عباس: هم الذين خلقوا للنار وخلقت النار لهم، خلفوا أهليهم وأموالهم في الدنيا، وصاروا إلى النار فحرموا الجنة والدنيا.

وقال قتادة: خسروا أهليهم الذين أعدوا لهم في الجنة لو أطاعوا.

وقيل: لما كان المؤمنون يجتمعون مع أهليهم في الجنة وكان الكفار لا يجتمعون معهم كانوا قد خسروهم.

ثم قال: ﴿ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾، أي: دائم ثابت لا يزول أبدا.

قوله تعالى: ﴿وما كان لهم من أوليآء ينصرونهم من دون الله﴾ - إلى آخر السورة).

أي ولم يكن لهؤلاء المشركين أولياء ينصرونهم / من عذاب الله.

ثم قال: ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ ومن يخذله الله فلا يوفقه إلى الحق فما له من طريق إلى الحق، لأن الهداية والضلال بيده.

ثم قال تعالى: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾، أي أجيبوا." (٢)

"على قلوبهم فنسوا ذكر الله.

﴿أولئك حزب الشيطان﴾ أي: جنده وأتباعه.

﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [أي: جنده وأتباعه هم] الهالكون **المغبونون** في الآخرة.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٣٧٢/١٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٦١٣/١٠

ثم قال: ﴿إن الذين يحآدون الله ورسوله﴾ أي: يخالفونه في حدوده، فيصيرون في حد آخر غير الذي حد لهم. وقال المفسرون يحادون: يعادون. وقيل يشاقون، والمعنى واحد.

ثم قال: ﴿أولئك في الأذلين﴾ أي: في أهل الذلة، لأن الغلبة لله ورسوله.

قال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ أي: قضى ذلك في أم الكتاب.

قال قتادة: كتب كتابا فأمضاه. وقال غيره: كتبه في اللوح المحفوظ.

وقال الفراء "كتب " هنا بمعنى: " قال ".

ثم قال: ﴿إن الله قوي عزيز﴾ أي: ذو قوة على كل من حاده ورسوله أن يهلكه، عزيز في انتقامه من أعدائه.

ثم قال: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حآد الله ورسوله﴾ أي: ليس." (١)

"وقيل: هو عام، ووقع النهي وفي الظاهر على الأموال والأولاد. وهو في المعنى واقع على المخاطبين، دل على ذلك قوله: ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ وهو كثير في القرآن.

- ثم قال: ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾.

أي/ ومن يغشله (ماله وولده عما فرض الله عليه من الصلوات وعن ذكر الله فأولئك هم ([المغبونون] حظوظهم من كرامة) الله ورحمته.

- ثم قال: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾.

أي: وتصدقوا أيها المؤمنون (مما رزقناكم)، وأنفقوا في سبيل الله [مما] خولكم الله من أموالكم من قبل أن تموتوا، فيقول أحدكم: يا رب، هلا أخرتني." (٢)

"﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾.

يعني الذين قالوا: ﴿إنما كنا نخوض ونلعب﴾، ركبوا فعل من سبقهم من الأمم الهالكين.

ومعنى: ﴿حبطت﴾: بطلت ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾.

أي: المغبونون صفقتهم، لبيعهم نعيم الأبد بعرض الدنيا اليسير منه.

﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود﴾، الآية.

والمعنى: ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر من كان قبلهم، من قولم نوح، وعاد، وثمود وشبههم، الذين خالفوا

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٧٣٧/١١

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٤٩٢/١٢

أمر الله D، وعصوه، جلت عظمته، فأهلكم ودمرهم، فيتعظون بذلك، وينتهون ويتفكرون ما في خبر قوم نوح، إذا غرقوا بالطوفان، وعاد وهم قوم هود، إذ هلكوا بريح صرصر عاتية، وخبر ثمود، وهو قوم صالح، إذ هلكوا بالرجفة، وخبر قوم إبراهيم، إذ سلبوا النعمة وأهلك نمرود ملكهم، وخبر أصحاب مدين، وهم قوم شعيب، إذ أهلكوا بعذاب يوم الظلة.

ويروى: أن شعيبا اسمه مدين، على اسم المدينة، فكان قوله: ﴿وأصحاب مدين﴾، معناه: وأصحاب شعيب.

وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ [الأعراف: ٨٥].." (١)

"ثم قال تعالى ذكره: ﴿أولم يكفهم أنآ أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ أي: أو لم يكف هؤلاء القائلين لولا أنزل عليه من ربه من الآيات والحجج أنا أنزلنا عليك الكتاب يقرأ عليهم.

﴿إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ أي: إن في هذا الكتاب لرحمة للمؤمنين وذكرى يتذكرون به ويتعظون.

ويروى أن هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين استحسنوا أشياء من بعض كتاب أهل الكتاب.

ثم قال تعالى ذكره: ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض﴾ أي: قل يا محمد لهم: كفى الله بيننا شهيدا لأنه يعلم المحق من المبطل، ويعلم ما في السماوات والأر ولا يخفى عليه فيهما شيء.

ثم قال تعالى: ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ أي: بالشرك.

﴿وكفروا بالله﴾ أي: جحدوا توحيد الله فعبدوا معه غيره.

﴿أولئك هم الخاسرون﴾ أي: **المغبونون** في صفقتهم.

ثم قال تعالى ذكره: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ أي: يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بالعذاب، وهو قولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ إلى قوله " ﴿أليم﴾ [الأنفال: ٣٢].." (٢)

"لحى الله امرءا أعطاك سرا ... فبحت به وفض الله فاه

فإنك بالذي استودعت منه ... أنم من الزجاج بما وعاه

وهذا كقول السري الموصلي:

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٠٦٤/٤

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٦٤١/٩

وإنك كلما استودعت سرا ... أنم من النسيم على الرياض

ولابن وكيع [في هذا المعنى] :

صديق قد ندمت على اختياري ... له لما تأمله اختباري

ينم بسر مسترعيه سرا ... كما نم الظلام بسر نار

أنم من النصول على مشيب ... ومن صافي الزجاج على عقار

أبو الحسن الموسوي النقيب:

ما السؤدد المكسوب إلا دون ما ... يومي إليه السؤدد المولود

فإذا هما اتفقا تكسرت القنا ... إن غولبا وتضعضع الجلمود

وقال:

أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه ... لقد تقارب بني العز والهوان

ومنظر كان بالسراء يضحكني ... يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني

وقال:

أنت الكرى مؤنسا طرفي وبعضهم ... مثل القذى مانعا عيني من الوسن

لقد تمازج قلبانا كأنهما ... تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن

وقال:

اشتر العز بما بي؟ ... ع فما العز بغال

بالقصار الصفر إن شئ؟ ... ت أو السمر الطوال

ليس بالمغبون حظا ... مشتر عزا بمال

إنما يدخر الما ... ل لحاجات الرجال

والفتى من جعل المعرو ... ف أثمان المعالي

أبو الفضل بن العميد:

لن يصرف الدهر عن سجيته ... إرب أريب وحول ذي حيل
أي معين صفا على كدر الد ... دهر وأي النعيم لم يزل
وقال:

آخ الرجال من الأبا ... عد والأقارب لا تقارب
إن الأقارب كالعقا ... رب أو أشد من العقارب

وقال الكندي: الأب رب، والأخ فخ، والعم غم، والخال وبال، والولد كمد، والأقارب عقارب. وإنما المرء بصديقه.

[وقال] الصاحب أبو القاسم بن عباد:

حفظ اللسان راحة الإنسان ... فاحفظه حفظ الشكر للإحسان
فآفة الإنسان في اللسان
وقال:

مرادي من الدنيا صديق مساعد ... وليس يريد الدهر لي ما أريده
ومن يكن القاضي خصيما له فقد ... أضر به إقراره وجحوده
فمهما ادعى حقا له عاد باطلا ... ولو أن كل العالمين شهوده
وعز على الإنسان إثبات حجة ... إذا كان حكاما عليه عميده

[وقال] علي بن عبد العزيز القاضي:

يقولون لي: فيك انقباض، وإنما ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
إذا قيل: هذا مورد قلت: قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت إلا لأخدما
أأغرسه عزا فأجنيه ذلة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالإعراض حتى تجهما
[وقال] أبو بكر الخوارزمي:

علق غدا بياعه ... مبتاعه لهوانه
كالفرج لم يخطب فصا ... ر أخوه من أختانه
[وقال] إسماعيل الشاشي:

وجود المنى ألا تكاثر في المنى ... ونيل الغنى ألا تفكر في الغنى
ومن كان للدنيا أشد تضورا ... تجده عن الدنيا أشد تصونا
عبرة:

لا يؤيسنك من عثمان حدته ... وإن تطاير من أثوابه الشرر
فإن حدته والله يكلؤه ... كالبرق والرعد يأتي بعده المطر
[وقال] أبو الفتح البستي:

إذا أحسست في لفظي فتورا ... وخطي والبلاغة والبيان
فلا تعجب لذاك فإن رقصي ... على مقدار إيقاع الزمان
وقال أيضا:

بقية العمر عندي ما لها ثمن ... وإن غدا خير محبوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما أفات ويح؟ ... يي ما أمات ويمحو السوء بالحسن
ونثر هذا النظم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه [وقال] الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي:

كم والد يحرم أولاده ... وخيره يحظى به الأبعد
كالعين لا تبصر ما حولها ... ولحظها يدرك ما يبعد
وقال:

أطالب أيامي بإنجاز موعدي ... وها هي تلوي بالوفاء وتجمح

أقول عساها أن تلين لمطلبي ... قليلا فبعض الشوط بالتمر يسمح

أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي:." (١)

"لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف. ثم التفت رضي الله عنه إلى أصحابه، فقال: أما إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى.

[علي ع يصف الدنيا]

وذم رجل الدنيا بحضرة على رضي الله عنه، فقال: دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، مهبط وحى الله، ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها، وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، وذكرت بسرورها السرور، وببلائها البلاء، ترغيبا وترهيبا، فيأيها الذام لها، المعلل نفسه بغرورها، متى خدعتك الدنيا؟ أم بماذا استذمت إليك «١» ، أبمصرع آبائك في البلى؟ أم بمضجع أمهاتك في الثرى، كم مرضت بكفيك، وكم عللت بيديك، تطلب له الشفاء، وتستوصف الأطباء، غداة لا ينفعه بكاؤك، ولا يغنى دواؤك.

[من قصار كلام علي ع]

فقر من كلامه رضي الله عنه: [البشاشة فخ المودة. والصبر قبر **المغبون**.

والغالب بالظلم مغلوب. والحجر المغصوب بالدار رهن بخرابها. وما ظفر من ظفرت به الأيام. فسالم تسلم] . رأى الشيخ خير من مشهد الغلام «٢» . الناس أعداء ما جهلوا. بقية عمر المؤمن لا ثمن لها، يدرك بها ما أفات [ويحيى ما أمات] .

نقل هذا الكلام بعض أهل العصر، وهو أبو الفتح على بن محمد البستى «٣» .." (٢)

"أخبرني أبو محمد بن عصفور، أنبأنا أحمد، ويحيى: ابنا موهوب، وأبو بكر بن الحكيم قراءة عليهم قالوا: أنبأنا أبو علي محمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي، أنبأنا عبيد الله بن أحمد بن محمد بن لؤلؤ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن جعفر الكاتب، حدثنا أحمد بن محمد بن صيد، أنبأنا أبو صالح المروزي، حدثنا علي بن الحسن، حدثنا أبو حمزة، عن عاصم، عن رزين [١] عن عمرو بن أم مكتوم قال: جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! إني رجل كبير ضرير شاسع الدار ولي قائد

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحصري القيرواني ص/٢٤

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٨٠/١

لا يلائمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «تسمع النداء؟» قال:

قلت: نعم، قال: «فما أجد لك رخصة» [٢] .

توفي أبو محمد بن عصفور في سحرة يوم السبت التاسع عشر من صفر سنة ثلاثين وستمائة، ودفن بباب حرب، وقد نيف على السبعين.

٨٣٩- علي بن محمد بن الفرج، أبو الحسن الواعظ، المعروف بالغربلاني:

سمع أبا حفص عمر بن أحمد بن شاهين، وحدث باليسير، روى عنه أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء، ومحمد بن محمد بن عبد العزيز بن المهدي في مشيختهما.

قرئ على أبي طاهر المبارك بن المبارك بن هبة الله العطار، عن الشريف أبي علي ابن المهدي، وأنا أسمع، أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن الفرج الواعظ صاحب ابن شاهين قراءة عليه في جامع الحربية، أنبأنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، وأنبأنا يحيى بن محاسن الفقيه بقراءتي عليه، أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، أنبأنا أحمد بن محمد بن النقور، أنبأنا عيسى بن علي الوزير قالا: حدثنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا أبو هشام القواد البصري قال: كنت أحمل المتاع من البصرة إلى الحسين بن علي عليهما السلام وكان يماكسني فيه فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب [٣] عامته، فقلت: [يا ابن] [٤] رسول الله أجيئك بالمتاع من [٥] البصرة تماكسني فيه فلعلي لا أقوم حتى تهب عامته؟ فقال: إن أبي حدثني يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المغبون لا محمود ولا مأجور» .

---

[١] في الأصل: «عن رز» .

[٢] انظر الحديث في: مسند أحمد ٣/٤٢٣.

[٣] في الأصل بدون نقط.

[٤] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٥] في الأصل: «بالمتاع إلى» .." (١)

"٧١٤- محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم بن مهران بن ماله، أبو بكر الحربي:

سمع أبا جعفر بن بريه الهاشمي، ودعلج بن أحمد، وأبا بحر بن كوثر البربهاري، وعلي بن العباس البرداني،

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣٦/١٩

حدثني عنه الزهري، وعبد العزيز بن علي الأزجي، ومحمد بن علي بن الفتح الحربي.

وقال لي الأزهري: كان شيخا صالحا.

٧١٥- محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن العلوي نقيب الطالبيين ببغداد، كان يلقب بالرضي ذا الحسبين [١] :

وهو أخو أبي القاسم المعروف بالمرتضى، وكان من أهل الفضل والأدب والعلم.

ذكر لي أحمد بن عمر بن روح عنه أن تلقن القرآن بعد أن دخل في السن، فجمع حفظه في مدة يسيرة.

قال: وصنف كتابا في معاني القرآن يتعذر وجود مثله، وكان شاعرا محسنا.

سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسن بن محفوظ وكان أحد الرؤساء يقول: سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون: الرضي أشعر قريش. فقال ابن محفوظ: هذا صحيح. وقد كان في قريش من يجيد القول إلا أن شعره قليل، فأما مجيد مكثر فليس إلا الرضي.

أنشدني القاضي أبو العلاء محمد بن علي. قال أنشدنا الشريف أبو الحسن الرضي لنفسه:

اشتر العز بما شئ ... ت فما العز بغالي

بقصار الصفر إن شئت ... أو السمر الطوال

ليس **بالمغبون** عقلا ... من شرى عزا بمال

إنما يدخر الما ... ل لأثمان المعالي

قال لي علي بن أبي علي: ولد الرضي ببغداد في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكانت وفاته يوم الأحد السادس من المحرم سنة ست وأربعمائة، ودفن في داره بمسجد الأنباريين.

---

[١] ٧١٥- انظر: ميزان الاعتدال ٥٢٣/٣.." (١)

"المضمضة والاستنشاق سنة، والأذنان من الرأس ٤٨٦/٣

مطل الغنى ظلم ٢٩١/٦

مطل الغني ظلم، فإذا أحيل أحدكم على ملي فليتبعه ٣٩٣/٦

مطل الغني ظلم، فإذا أحلت على مليء فاتبعه، ولا تبع بيعتين في بيعة ٤٨/١٢

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢٤٣/٢

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣٠٣/٢٣

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجذومين فقال ما كان هؤلاء يسألون الله العافية نجار ١٩٦/٤

مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن صبيان نلعب نجار ١٩/٤

مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصلح خصما لنا نجار ١٢٠/١

المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل نجار ١٣٤/٣

مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسس مسجد قباء وليس معه إلا هؤلاء النفر الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان نجار ١٩٦/٢

المريض إذا برئ وصح من مرضه كمثل البردة تقع في الماء في صفائها ولونها نجار ١٣٣/٢

المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يشتمه نجار ١٢٣/٢

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده نجار ٨٨/٤

مع كل ألف سبعين ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى عز وجل نجار ٣٨/٥

معاشر الناس! أشهد الله كل امرئ سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل بي في غدير خم إلا قام فشهد نجار ١٠/٣

المغبون لا محمود ولا مأجور نجار ٣٦/٤

المغفرة عند القدرة والسخاء مع القلة والعطية بغير منة والنصيحة للعامة نجار ١٣٢/٥

من آذى المسلمين في طرقاتهم وجبت عليه لعنتهم نجار ١٢٣/٥

من أتاه الموت وهو يطلب العلم كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة درجة النبوة نجار ٩٥/٣

من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ قبل الطعام وبعده نجار ٣٢/٣

من أخاف أهل المدينة أخافه الله نجار ١١/١

من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعي نجار ٢٥/٥

من أسبغ الوضوء في البرد الشديد كان له من الأجر كفلان نجار ١٩٩/٣

من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل نجار ٩٨/٣

من أشفق من سيئته ورجا حسنته فهو مؤمن نجار ١٨١/٢

من أصابته مصيبة فقال إذا ذكرها إنا لله وإنا إليه راجعون

نجار ١٦/٤." (١)

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٥٠/٢٤

"٢١٧٩- أحمد بن سليمان بن داود بن سليمان، أبو علي التمار الفارض [١] :

كان ينزل بنهر طابق، وحدث عن أبي القاسم البغوي، ومحمد بن مخلد الدوري. روى عنه أبو بكر بن البقال. وحدثني عنه أبو طالب عمر بن إبراهيم الفقيه.

أخبرني أبو طالب الفقيه أخبرنا أبو علي أحمد بن سليمان بن داود التمار حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أبو القاسم البغوي- حدثنا كامل بن طلحة حدثنا أبو هشام القناد البصري. قال: كنت أحمل المتاع من البصرة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، فكان ربما يماكسني فيه، فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته، قلت يا ابن رسول الله، أجيئك بالمتاع من البصرة تماكسني فيه- فلعلي لا أقوم حتى تهب عامته؟ فقال: إن أبي حدثني يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**المغبون** لا محمود ولا مأجور» [٢]

. قال أبو القاسم: هكذا حدثنا كامل بهذا الحديث عن أبي هشام القناد: قال غيره عن هذا الشيخ قال: كنت أحمل المتاع إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، ويقال إنه وهم من كامل. ورواه غيره عن هذا الشيخ قال: كنت أحمل المتاع إلى علي بن الحسين. والله أعلم.

سألت أبا طالب الفقيه عن حال أحمد بن سليمان التمار فقال: ما علمت إلا خيرا.

أخبرنا البرقاني حدثني أحمد بن عمر البقال. قال: أحمد بن سليمان بن داود بن سليمان الفارض ثقة.

٢١٨٠- أحمد بن سليمان بن علي بن عمران، أبو بكر المقرئ الواسطي [٣] :

قدم بغداد في حداثته، فسمع من علي بن عمر السكري، وأبي الحسن الدارقطني، وأبي طاهر المخلص، والمعافى بن زكريا، وأبي القاسم بن حبابة، وأبي الحسين بن حمة الخلال وأحمد بن محمد بن عمران بن الجندي، وأبى القاسم بن الصيدلاني، ومن كان في هذه الطبقة. وقرأ القرآن على شيوخ ذلك الوقت، وسكن بغداد وحدث بها.

---

[١] ٢١٧٩- هذه الترجمة برقم ١٨٦٣ في المطبوعة.

انظر: الأنساب، للسمعاني ٩/٢١٧.

[٢] انظر الحديث في: المعجم الكبير للطبراني ٣/٨٤. ومجمع الزوائد ٤/٧٥، ٧٦. والأسرار المرفوعة

١٧٥، ١٧٦. وتذكرة الموضوعات ١٣٥. والأحاديث الضعيفة ١٣٥. والمطالب العالية ١٢٧١.

[٣] ٢١٨٠- هذه الترجمة برقم ١٨٦٤ في المطبوعة.." (١)

"عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. [فقال] [١] حدثني أبي عن جدي عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**المغبون** لا محمود ولا مأجور» [٢]

. قال أبو بكر سمعت الآبندوني- وقد سئل عن حال شيخه هذا- فقال: لو قيل حدثكم أبو بكر الصديق؟ لقال نعم: أو نحو هذا الكلام، وضعفه.

٢٢١٨- أحمد بن طلحة بن أحمد بن هارون، أبو بكر الواعظ يعرف بابن المنقى [٣] :

سمع أحمد بن سلمان النجاد، وأبا جعفر بن بويه الهاشمي، وأبا بكر الشافعي، وعبد الصمد بن علي الطستي، وبادونة [٤] القزويني، وغيرهم. وكان شيخا فقيرا، ثقة مستورا، سمعنا منه بانتخاب محمد بن أبي الفوارس في جامع المدينة، وكان يسكن شارع العتابيين.

أخبرنا أحمد بن طلحة حدثنا أحمد بن سلمان النجاد حدثنا الحسن بن مكرم حدثنا حجاج بن محمد قال أخبرنا ابن جريج. قال قال سليمان بن موسى قال نافع ابن عمر يقول. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفشوا السلام وأطعموا الطعام وكونوا عبادا كما وصفكم الله عز وجل» [٥]

. توفي هذا الشيخ ودفن يوم الجمعة الثالث من ذي الحجة سنة عشرين وأربعمائة، وكان دفنه في [مقبرة] [٦] باب حرب.

---

[١] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٢] انظر الحديث في: المعجم الكبير ٣/٨٤. ومجمع الزوائد ٤/٧٥، ٧٦. والمطالب العالية ١٢٧١. والأسرار المرفوعة ١٧٥، ١٧٦. والأحاديث الضعيفة ٦٧٤.

[٣] ٢٢١٨- هذه الترجمة برقم ١٩٠٢ في المطبوعة.

[٤] هو: علي بن أحمد بن محمد البادوني، أبو الحسن.

[٥] انظر الحديث في: سنن الترمذي ١٨٥٤. وسنن ابن ماجة ١٣٣٤، ٣٢٥١، ٣٢٥٢.

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٤/٤٠٢

ومسند أحمد ١/٤٥١. وامالي الشجري ١/٢١٠، ٢/١٢٤.

[٦] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (١)

"[نكبتهم الأيام حتى إنهم ... مرنوا [١] على النكبات أي مرون] [٢]

أهون بحر وطيسها لو أنه ... نادى بها: يا نار بردا كوني

فلينتظر غده [٣] لأن نصيبه ... من يومه كعجالة العربون

وليسترح من طعن لبات العدا ... بمجاج «١» لبة دنه المطعون

من كف أغيد ما لكفي ربه ... ، إذ يشتريه، صفقة المغبون

وليسمحن بصبرة «٢» [٤] من عسجد ... مكتالة [٥] لكلامي [٦] الموزون

فقد [٧] استذلني [٨] الزمان وقبل ذا ... ما كان يسمح للزمان قروني «٣»

---

[١]- في ل ٢: مرقوا.

[٢]- البيت اضافة في ح وبا وف كلها وب ٢ ول ١.

[٣]- في ف ١: عدة.

[٤]- في ف ١: بصرة.

[٥]- في ل ٢: مكياله.

[٦]- في ف ١: بكلامي. وفي ل ٢: لكلامه.

[٧]- في ح وبا وف ٢ وف ٣: لقد.

[٨]- في ب ٢ وب ١: استلذني.." (٢)

"الله لا يهديهم ولا يريد هدايتهم، ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

١٠٨ - فقال: ﴿أولئك الذين طبع الله﴾ الآية. والكلام في هذا مضى (١).

وقوله تعالى: ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ قال ابن عباس: عما يراد بهم (٢)، ثم حكم لهم بالخسار وأكد ذلك،

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٤/٤٣٤

(٢) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١/٢٧٠

١٠٩ - فقال: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة﴾ قال ابن عباس: يريد حقا إنهم في الآخرة هم **المغبونون** (٣)، قال أبو إسحاق: (أن) يصلح أن تكون في موضع رفع، على أن (لا) رد لكلام، والمعنى: وجب أنهم، قال: ويجوز أن تكون في موضع نصب على أن المعنى: جرم فعلهم هذا، ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ أي كسب (٤).

١١٠ - قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ قال المفسرون: نزلت في المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا بمكة، عمار وصهيب وبلال، ودونهم الذين عذبوا في الله وارتدوا على الكفر

= إسلامه، كما أن الآية التالية قد حكمت عليهم بالطبع على قلوبهم، ولا يليق هذا الوصف بمن أسلم ومن الله عليه بالهداية، ويؤيده أن الرواية وردت عن طريق الكلبي، وحسبك بهذا؛ فروايات الكلبي محكوم عليها بالضعف بل بالوضع.

(١) النساء [آية: ١٥٥].

(٢) انظر: "تفسير الفخر الرازي" ٢٠/ ١٢٤، وأبي حيان ٥/ ٥٤٠، و"تفسير الألوسي" ١٤/ ٢٣٩، والخازن ٣/ ١٣٧، بلا نسبة.

(٣) انظر: "تنوير المقباس" ص ٢٩٣، و"تفسير البغوي" ٥/ ٤٧، بلا نسبة.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٢٠، بنصه تقريبا.." [١]

"وقال المقاتلان: هو يوم يغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، وأهل الهدى أهل الضلالة، وأهل الإيمان أهل الكفر، فلا غبن أبين منه، هؤلاء يدخلون الجنة، وهؤلاء يدخلون النار (١)، وهذا معنى قول جماعة المفسرين (٢).

قال: ويرى الكافر مقعده وأزواجه من الجنة لو آمن ليزداد حسرة، وإذا لم يؤمن ويرثه المؤمنون، **فالمغبون** من غبن أهله ومنازله في الجنة (٣). وحقيقة المعنى أنا قد ذكرنا أن أهل الغبن والتغابن في البيع والشراء، وقد ذكر الله تعالى أن الكافرين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة (٤)، واشتروا الضلالة بالهدى، ثم ذكر أنهم ما ربحوا في هذه التجارة، فقال ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ (٥) ودل المؤمنين على تجارة رابحة بقوله: ﴿هل أدلكم على تجارة﴾

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢١٠/١٣

(١) "تفسير مقاتل" ١٥٧ ب، و"التفسير الكبير" ٣٠/ ٢٤، و"تفسير ابن كثير" ٤/ ٣٧٥.

(٢) وروى نحوه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

انظر: "تفسير مجاهد" ٢/ ٦٧٩، و"جامع البيان" ٢٨/ ٧٩، و "زاد المسير" ٨/ ٢٨٢.

(٣) ويشهد لهذا المعنى الحديث الصحيح عن أبي هريرة، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكرا، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن لبكون عليه حسرة" "صحيح البخاري"، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٦.

قال ابن حجر: ووقع عند ابن ماجه أيضا، وأحمد بسند صحيح عن أبي هريرة بلفظ "ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار. فإذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله" وذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ "فتح الباري" ١١/ ٤٤٢.

(٤) وذلك في قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ سورة البقرة، آية: ٨٦.

(٥) قال تعالى ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦].." [١]

"﴿لا جرم﴾ أي: حقا ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ **المغبونون**." [٢]

"﴿الفاسقين:﴾ الخارجين من الطاعة (١)، قال الكلبي (٢): عنى به اليهود. وأصل الفسق يقال: فسقت الرطبة من قشرها (٣).

٢٧ - ثم نعت الفاسقين (٤) فقال: ﴿الذين ينقضون عهد الله:﴾ ينكثون وصية الله وأمره، وهو ما أخذه الله على النبيين ومن اتبعهم أن لا يكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويبينوا نعته وصفته، دليله قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ الآية [آل عمران:٨١] (٥).

والميثاق (٦) اسم لعقد من عقود الأحكام بالثقة والإحكام.

﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل:﴾ يعني الأرحام (٧).

﴿الخاسرون:﴾ **المغبونون** (٨) في الآخرة.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٨٥/٢١

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٦٢١

٢٨ - ﴿كيف:﴾ استفهام بمعنى الإنكار، وفيه تبيين أنه موضع لتعجب (٩) المتعجب حيث يكفرون بمن تولى إنشاءهم وحفظهم وإفناءهم وإعادتهم من النشأة الآخرة، ويخالفون قضية اللب، ويكابرون العقل.

﴿وكنتم:﴾ الواو [فيه] (١٠) للحال، و (قد) فيه مضمرة (١١).

﴿أمواتا:﴾ ترابا غير منتفع به عن الضحاك عن ابن عباس (١٢)، وقيل: أجسادا لا روح (١٣) فيها، يعني في الأرحام.

﴿فأحياكم:﴾ بنفخ الروح (١٤).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٢٦٢، والمحرر الوجيز ١/ ١١٢، وزاد المسير ١/ ٤٣.

(٢) ينظر: زاد المسير ١/ ٤٣.

(٣) في ب: قسورها. وينظر: تفسير غريب القرآن ٢٩، وتفسير الطبري ١/ ٢٦٢، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٣٠٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٠٦، والمجيد (ط ليبيا) ١٧٧، والدر المصون ١/ ٢٣٤.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٠٥ - ١٠٦، وتفسير البغوي ١/ ٥٩، والقرطبي ١/ ٢٤٦.

(٦) في قوله: من بعد ميثاقه.

(٧) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٢٦٦، والنكت والعيون ١/ ٨٢، والكشاف ١/ ١٢٠.

(٨) في ك وب: **المغبون**. وينظر: تفسير القرآن الكريم ١/ ٣٠٥، والبحر المحيط ١/ ٢٧٤.

(٩) النسخ الثلاث: لتعجيل، وبعدها في ك: التعجب، بدل (المتعجب). وينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٠٧، والوجيز ١/ ٩٨، والكشاف ١/ ١٢١.

(١٠) من ع.

(١١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٣ - ٢٤، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ١٠٧، والبحر المحيط ١/ ٢٧٥.

(١٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٠.

(١٣) في ب: رواح. وينظر: المحرر الوجيز ١/ ١١٤، وروح المعاني ١/ ٢١٤.

(١٤) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٢٧١ و ٢٧٢، وروح المعاني ١/ ٢١٤.." [1]

"﴿فأصبح:﴾ صار وكان ﴿من الخاسرين:﴾ **المغبونين** (١) بذهاب الدنيا والآخرة.

روي أن آدم عليه السلام دعا عليه وقال (٢): كن خائفا لا يلقاك أحد إلا خفته، فصار يفر ويتوحش وكل من رآه رماه بحجر حتى قتله بعض ولد ولده (٣).

وعن علي بن الحسن بن علي قال: أول دم وقع على الأرض دم حواء من حيضها.

وقتل يومئذ سدس الناس (٤)، يعني هابيل؛ لأنه كان أحد الستة من أبويه وأخيه وأختيه، وكأنه لم يكن لآدم عليه السلام يومئذ ولد غيرهم. قال: ووكل بقابيل ملكان يطلعان به مع الشمس ويغربان به مع الشمس وينضحانه (٥) بالماء الحار إلى يوم القيامة.

٣١ - ﴿فبعث الله غرابا:﴾ قال: إن الله تعالى بعث غرابين وقيض أحدهما ليقتل الآخر، فقتله ثم واراه في التراب (٦).

و (البحث): رفع ظاهر الأرض لكشف باطنها (٧).

﴿ليريه كيف يواري سوأة أخيه:﴾ ليدله وينبهه على قبر أخيه فإنه لم يقبر أحد قبل هابيل (٨)، عن ابن عباس أنه بقي معه سنة (٩)، وعن مجاهد أنه بقي معه مئة سنة (١٠)، وقيل: مئة يوم لا يدري ما يصنع به وكيف يخفيه. وإن أجرينا على قول الحسن والضحاك فمعناه: ليذكر قتل (١١) أخيه، فإنه تحير ودهش ونسي القبر، والأول أصح.

و (السوأة): العورة، سميت سوأة (١٢)؛ لأنها تسوء الرائي وتوحشه، وأراد ههنا الجسد كله (١٣).

﴿يا ويلتى:﴾ نداء للويلة (١٤). والويل والويلة بمعنى (١٥). والألف في ﴿(ويلتى)﴾ إما للندبة،

---

(١) ساقطة من ك. وينظر: تفسير القرآن الكريم ٣/ ٦٥.

(٢) بعدها في ع: له، وهي مقحمة.

(٣) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ٣١، والقرطبي ٦/ ١٤٢.

(٤) في ع: الدنيا.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/١٢٧

(٥) في الأصل وك وب: وينضجانه.

(٦) ينظر: تفسير القرآن ١/ ١٨٧، وتفسير الطبري ٦/ ٢٦٨، والقرطبي ٦/ ١٤١.

(٧) ينظر: مجمع البيان ٣/ ٣١٨، وتفسير القرطبي ٦/ ١٤٢ - ١٤٣، ولسان العرب ٢/ ١١٤ (بحث).

(٨) ينظر: الكشاف ١/ ٦٢٦، ومجمع البيان ٣/ ٣١٨، وتفسير القرطبي ٦/ ١٤٢.

(٩) ينظر: تفسير الطبري ٦/ ٢٦٨، والبغوي ٢/ ٣٠، والقرطبي ٦/ ١٤١ - ١٤٢.

(١٠) ينظر: تفسير الطبري ٦/ ٢٦٩، وزاد المسير ٢/ ٢٦٧، وتفسير القرطبي ٦/ ١٤١.

(١١) في ع وب: مثل، وهو تحريف.

(١٢) (سميت سوأة) ساقطة من ك.

(١٣) ينظر: تفسير الطبري ٦/ ٢٧١، والتبيان في تفسير القرآن ٣/ ٥٠٠، وتفسير البغوي ٢/ ٣٠.

(١٤) ينظر: التفسير الكبير ١١/ ٢١٠، والمجيد ٥٤٦ (تحقيق: د. عطية أحمد).

(١٥) ينظر: لسان العرب ١١/ ٧٣٧ (ويل).." (١)

"وأول الأبيات:

خليلي أمسى حب سمراء ممرضي ... ففي القلب مني وقدة وصدوع

ولو جاورتنا العام سمراء لم نبل ... على جدبنا أن لا يصوب ربيع

لقد علمت سمراء أن حديثها ... نجيع كما ماء السماء نجيع

ثم البيتان بعده. وقوله هفت كبد: أي خفت فطاشت كما تهفو الريح بالشيء. وقد أنشد أبو علي هذه الأبيات في آخر كتابه للضحاك بن عمارة وقد روى أيضا بعضها لقيس بن ذريح. قال أحمد بن يحيى قال قيس بن ذريح:

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى لبنى الغداة شفيع

ندمت على ما كان مني ندامة ... كما يندم **المغبون** حين يبيع

فقدتك من نفس شعاع ألم أكن ... نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقربت لي غير القريب وأشرفت ... هناك ثنايا ما لهن طلوع

فيا حجرات الحي حيث تحملوا ... بذي سلم لا جادكن ربيع

فلو لم يهجني الظاعنون لهاجني ... حمائم ورق في الديار وقوع

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٦١/١

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى ... نوائح ما تجري لهن دموع

إذا أمرتني العاذلات بهجرها ... أبت كبد من قولهن صديع." (١)

"من لا تجب عليه زكاة لإنفاقه ماله

قال بكر بن النطاح:

وما وجبت علي زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على الفقير

وقال رجل من بني عذرة:

والله ما بلغت للجود ماشيتي ... حد الزكاة ولا إبلي ولا مالي

من ماله ماله معد للبذل

قال البحتري:

فتى لا يريد الوفر إلا ذخيرة ... لمأثرة تزداد أو مغرم يعرو «١»

وقال علي بن الجهم:

ولا يجمع الأموال إلا لبذلها ... كما لا يساق الهدي إلا إلى النحر «٢»

من لا يبخل بروحه ولا ماله لو سئل

مدح رجل آخر، فقال: كيسه محلول وماله مبذول، يطعمك نفسه إن أوكلتها ويسقيك روحه إن شربتها، ومنه أخذ بعض بني غطفان:

ولو لم أجد لنزيلي قرى ... قطعت له بعض أطرافيه

وقال بكر بن النطاح:

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

وقال الكميت:

وتبتذل النفس المصونة نفسه ... إذا ما رأى حقا عليه ابتذالها

وقال أبو هفان في معناه، وإن كان في وصف الضيافة:

ولو نزل ،لأضياف ليلة لا قرى ... لأطعمتهم لحمي وأسقيتهم دمي

وقال ابن نباتة:

وحكمني حتى لو أني سألته ... شبابي وقد ولى به الشيب رده

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١٣٣/١

المنخدع المتباله في ابتذال ماله

قيل: الكريم هو المنخدع عن ماله حتى يحكم فيه الطمع ويستعمل في ماله الخدع.

وقيل لبعضهم: ما الشرف؟ فقال: الإنخداع عن المال. ولا تجد أحدا يتغافل عن ماله إلا وجدت له في قلبه فضيلة لا تقدر على دفعها، وقد أدبنا نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله: رحم الله سهل البيع سهل الشراء وهذا خلاف قول الناس: **المغبون** غير محمود ولا مأجور.." (١)

"فذاك يقول منك السير عنه ... وتلك تقول منك الاعتزام «١»

التحذير من مفارقة الحبيب

أترحل طوع النفس عمن تحبه ... وتبكي كما يبكي المفارق عن قهر

أقم لا تسر والحزن عنك بمعزل ... ودمعك باق في مآقيك لا يجري

الندم على مفارقته

قال المهلبي:

من ذا ألوم أنا جنيت فراق من أبكي عليه

وقال قيس بن ذريح «٢» :

ندمت على ما فات مني فقدتني ... كما ندم **المغبون** حين يبيع

فقدتك من قلب شعاع فإنني ... نهيتك عن هذا وأنت جميع «٣»

قال المجنون:

فإن ترجع الأيام بيني وبينها ... بذي الأثل صيفا مثل صيفي ومربعي «٤»

أشد بأعناق النوى بعد هذه ... مرائر إن جاذبتها لم تقطع «٥»

من ارتحل عنه فأسرع العود شوقا إليه

قيل لجميل: أما سمعت قول ابن عمك زهير بن حباب:

إذا ما شئت أن تسلو خليلا ... فأكثر دونه عدد الليالي

فما سلى حبيبا مثل نأي ... ولا أبلى جديدا كابتذال «٦»

قيل: فلو نأيت عنها لسلوت فخرج عنها ليلة ثم رجع وهو يقول:

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة ... رويد الهوى حتى تغب لياليا «٧»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٧٩/١

لحا الله أقواما ما يقولون إننا ... وجدنا طوال النأي للحب شافيا

خرج المهدي يريد منزل حسنة، فلما بلغ دارها وترفعت أستارها اشتاق إلى." (١)

"الحث على حفظ النفس من النار

نظر أبو هريرة إلى رجل وضيء فقال: إني أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة. وقال رجل لحكيم أوصني، فقال: إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل، فقال: وهل يسيء المرء إلى من يحب، قال: نعم. نفسك إن عصيت الله.

وقيل: **المغبون** من رأى الدنيا بحذافيرها لبدنه ثمنا. وقيل: كل قتيل يودي إلا قتيل نفسه.

النهي عن التهافت في العبادة

قال صلى الله عليه وسلم: إن الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: استبق نفسك ولا تكرهها فإنك إن أكرهت القلب على شيء عمي. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يعثني بالرهبانية، فمن رغب عن سنتي فليس مني. وقال المرعشي: من شغله الفرض عن الفضل فهو معذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور.

التوبة

قيل: التوبة النصوح ترك ما تنكره السنة في الظاهر والباطن. وقال أمير المؤمنين:

التوبة على أربعة دعائم، استغفار باللسان ونية بالقلب وترك بالجوارح وإضمار أن لا يعود وسئل السوسني عنها، فقال: الرجوع عن كل ما ذمه العلم إلى ما مدحه. وقيل: هي الإعتراف والندم والإقلاع. وقال عليه الصلاة والسلام: من تاب قبل موته بفواق ناقة حرم الله وجه على النار.

الحث على المبادرة إليها

قيل في قوله تعالى: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة، هو من مات على المعصية من غير توبة، وقال مجاهد: التوقف حسن إلا في التوبة. وقيل لرجل: أوص فقال: أحذركم سوف. قال شاعر:

والمرء مرتهن بسوف وليتني ... وهلاكه في سوفه والليت

وقال صلى الله عليه وسلم: إياكم ولو، فإن لو من أقوال المنافقين. وقيل: من وجد في قلبه التخويف فلا يطلبن لنفسه التسويف. وقيل في قوله تعالى: ليفجر أمامه

«١» أي يقول غدا أتوب وقال أبو حازم: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ولا نتوب حتى نموت. قال

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٥/٢

شاعر:

أسوف توبتي خمسين عاما ... وظني أن مثلي لا يتوب

وقال:

متى يفلح من قدعا ... ش خمسين وما أفلح." (١)

"ولم أخسره وشر الورى ... من يومه أخسر من أمسه

وكل من يطلب عندي جنى ... فما له إلا جنى غرسه

لا أبتغي الغبن ولا أنثني ... بصفقة **المغبون** في حسه

ولست بالموجب حقا لمن ... لا يوجب الحق على نفسه

ورب مذاق الهوى خالني ... أصدقه الود على لبسه

وما درى من جهله أنني ... أقضي غريمي الدين من جنسه

فاهجر من استغباك هجر القلى ... وهبه كالملحود في رمسه

والبس لمن في وصله لبسة ... لباس من يرغب عن أنسه

ولا ترج الود ممن يرى ... أنك محتاج الى فلسه

قال الحارث بن همام: فلما وعيت ما دار بينهما. تقت الى أن أعرف عينهما. فلما لاح ابن ذكاء. وألحف الجو الضياء. غدوت قبل استقلال الركاب. ولا اغتداء الغراب. وجعلت." (٢)

"والبعوض صغار البق سميت بعوضة كأنها بعض البق ﴿فما فوقها﴾ يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل ﴿فأما الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فيعلمون أنه﴾ يعني: المثل هو ﴿الحق﴾ الصدق ﴿من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أي بهذا المثل فلما حذف الألف واللام نصبه على الحال والقطع ثم أجابهم فقال ﴿يضل به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيرا﴾ الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالا ﴿ويهدي به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيرا﴾ المؤمنين فيصدقونه، والإضلال: هو الصرف عن الحق إلى الباطل. وقيل: هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا هلك ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الكافرين وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها قال الله تعالى: "ففسق عن أمر ربه" (٥٠-الكهف) أي خرج ثم وصفهم فقال:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/ ٤١٨

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/٤٤

﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧) كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (٢٩) ﴾

فقال ﴿الذين ينقضون﴾ يخالفون ويتركون وأصل النقض الكسر ﴿عهد الله﴾ أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: "ألست بربكم قالوا بلى" (١٧٣-الأعراف) وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله: "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين" (٨١-آل عمران) الآية وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته ﴿من بعد ميثاقه﴾ توكيده. والميثاق: العهد المؤكد ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل عليهم السلام لأنهم قالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون "لا نفرق بين أحد من رسله" (٢٨٥-البقرة) وقيل: أراد به الأرحام ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ **المغبونون**، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب

﴿كيف تكفرون بالله﴾ بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين ثم ذكر الدلائل فقال ﴿وكنتم أمواتا﴾ نطفا في أصلاب آبائكم ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام والدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.." (١)

"﴿خذوا﴾ أي قلنا لهم خذوا ﴿ما آتيناكم﴾ أعطيناكم ﴿بقوة﴾ بجد واجتهاد ومواظبة ﴿واذكروا﴾ وادرسوا ﴿ما فيه﴾ وقيل: احفظوه واعملوا به ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، فإن قبلتم وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب لهم عنها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصار سنة لليهود، ولا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم، ويقولون: بهذا السجود رفع العذاب عنا.

﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما قبلتم التوراة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم ﴿لكنتم﴾ لصرتم ﴿من الخاسرين﴾ من **المغبونين** بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة وقيل: من المعذبين في الحال لأنه رحمهم بالإمهال.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١/٧٧

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥) فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (٦٦) وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (٦٧) ﴾

قوله تعالى ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ أي جاوزوا الحد، وأصل السبت: القطع، قيل: سمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال، والقصة فيه: أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لأمنها، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فإذا مضى السبت تغرقن ولزمن مقل (١) البحر، فلا يرى شيء منها فذلك قوله تعالى "إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم" (١٦٣-الأعراف) .

ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار، فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض، فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا يسوقون الحيتان إلى (الحياض) (٢) يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل: كانوا ينصبون

---

(١) مقر البحر وأسفله.

(٢) زيادة من (ب) .." (١)

"﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين (١٠٧) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون (١٠٨) لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون (١٠٩) ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٠) ﴾

﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ لا يرشدهم. ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ عما يراد بهم. ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ أي **المغبونون**. ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ عذبوا ومنعوا من الإسلام، فتنهم المشركون، ﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ على الإيمان والهجرة والجهاد، ﴿إن ربك من بعدها﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠٤/١

من بعد تلك الفتنة والغفلة ﴿لغفور رحيم﴾

نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاعة، وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسيد الثقفي، فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا (١) .

وقال الحسن وعكرمة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة، فاستجاره له عثمان، وكان أخاه لأمه من الرضاعة، فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه، فأنزل الله هذه الآية (٢) .

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ٤ / ٩٧. وهناك أقوال أخرى تجمع على عياش بن ربيعة بين من نزلت الآية فيهم، وذكر بعضهم عمارا رضي الله عنه، ورده ابن عطية. وانظر: الطبري: ١٤ / ١٨٤، الدر المنثور: ٥ / ١٧٢-١٧٣، المحرر الوجيز: ٨ / ٥٢٤-٥٢٥، زاد المسير: ٤ / ٤٩٧-٤٩٨، أسباب النزول ص (٢٣٧) ، روح المعاني للآلوسي: ١٤ / ٢٤٠، البحر المحيط: ٥ / ٥٤٠.

(٢) أخرجه الطبري عنهما: ١٤ / ١٨٤-١٨٥، وأخرج ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس مثله. الدر المنثور: ٥ / ١٧٢. وانظر: البحر المحيط: ٥ / ٥٤١، زاد المسير: ٤ / ٤٩٨.." [١]

"﴿خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير (٣) يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور (٤) ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم (٥) ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد (٦) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (٧) فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير (٨) يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (٩) ﴾

﴿يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾

﴿ألم يأتكم﴾ يخاطب كفار مكة ﴿نبأ الذين كفروا من قبل﴾ يعني: الأمم الخالية ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٤٧/٥

يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيا ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة. ﴿ذلك﴾ العذاب ﴿بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا﴾ ولم يقل: يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحدا فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه وواحده إنسان، ومعناها: ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا! ﴿فكفروا وتولوا واستغنى الله﴾ عن إيمانهم ﴿والله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ في أفعاله. ثم أخبر عن إنكارهم البعث فقال جل ذكره: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل﴾ ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل﴾ يا محمد ﴿بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ وهو القرآن ﴿والله بما تعملون خبير﴾ ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السماوات والأرض ﴿ذلك يوم التغابن﴾ وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنة، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ قرأ أهل المدينة." (١)

"١٣٦١- أخسر من مغبون.

مثل مولد، ويقولون في مثل آخر: في است المغبون عود.." (٢)

"٢٧٨١- في است المغبون عود

يضرب فيمن غبن، يعنون أنه مثل من أبن." (٣)

"٣٠- أبو الدرداء «١» رضي الله عنه:

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء فائدتي ورزقي ... وتقوى الله أكبر ما استفادا

٣١- أشتري لابن عمر متاع فرضيه ودفع الثمن إلى من اشتراه له، فجاء وقد استوضع دينارين، فقال ابن عمر: قد رضينا المتاع، فبأي شيء تأخذ الدينارين؟ ردهما على الرجل.

٣٢- النبي صلى الله عليه وسلم: الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخلق نصف الدين.

٣٣- باع مزبد خمارا، فأقبلوا يقلبونه، فقال: والله لو قلبتم عين الشمس هذا التقليب لأخرجتم فيها صدأ.

٣٤- علي رضي الله عنه: ماكسى عن درهميك فإن المغبون لا محمود ولا مأجور.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٤١/٨

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٥٦/١

(٣) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٧٩/٢

٣٥- النبي صلى الله عليه وسلم: أشقى الأشقياء من جمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة.

٣٦- قيل لابن عيينة «٢» : من أفقر الناس؟ قال: ليس أحد دون أحد، قال الله تعالى: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله.

٣٧- رأى بزرجمهر فقيرا جاهلا، فقال: بئس ما أجتمع على هذا! فقر ينغص دنياه، وجهل يفسد آخرته.

٣٨- في الحديث المرفوع: مثل الفقر للمؤمن كمثل فرس مربوط." [١]

"بحكمته إلى أخيه، كلما رأى شيئا مما يهودى ردته حكمته.

٣٩- قال رجال لفيلسوف: ما أشد فقرك! فقال: لو علمت ما الفقر لشغلك الغم لنفسك عن الغم لي.

٤٠- أعرابي: المال لا يصلح إلا بالوالي يلي المال ربه وإن كان أحمق.

٤١- قالوا: الغبن في شيئين، في الغلاء والرداءة، فإذا استجدت فقد أحرزت أفضلهما.

٤٢- شاعر:

خلق المال واليسار لقوم ... وأراني خلقت للإملاق

أنا فيما أرى بقية قوم ... خلقوا بعد قسمة الأرزاق

٤٣- قرىء على درهم في أحد جانبيه:

قرنت بالنجح وبي كلما ... يراد من ممتنع يوجد

وفي الجانب الآخر:

وكل من كنت له آلفا ... فالجن والأنس له أعبد

٤٤- الجاحظ: إنما هو شيء ألقاه الشيطان في قلوب العامة، وأجراه على ألسنتهم حتى قالوا: المغبون لا محمود ولا مأجور، فحملوا الجهلة على النظر في قيمة حبة، والإطلاع في لسان الميزان، وأخذ المعايين بالأيدي. وبالحري أن يكون المغبون محمودا ومأجورا.. وقالت الحكماء: السؤدد التغافل. وأدبنا رسول الله حيث قال: رحم الله رجلا سهل البيع سهل الشرى. وقال معاوية: إني لأجر ذيلي على الخدائع. وعن الحسن البصري: لا يكون المؤمن مماكسا «١» .." [٢]

"فهو مطلع على أمرى وأمركم، وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته أولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان، إلا

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٧٩

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٨٠

أن الكلام ورد مورد الإنصاف، كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وكقول حسان:
فشر كما لخير كما الفداء «١»
وروى أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا: يا محمد، من يشهد لك بأنك رسول الله، فنزلت.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٥٣ الى ٥٥]

ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤) يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (٥٥)

كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا، والنضر بن الحرث هو الذي قال: اللهم أمطر علينا حجارة من السماء، كما قال أصحاب الأيكة: فأسقط علينا كسفا من السماء ولولا أجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم، وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا. والمراد بالأجل: الآخرة، لما روى أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم، وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة «٢» .

وقيل: يوم بدر. وقيل: وقت فنائهم بآجالهم لمحيطة أى ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب أو هي محيطة بهم في الدنيا: لأن المعاصي التي توجبها محيطة بهم. أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم. ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر، أى: يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت. من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، ويقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون أى جزاءه.

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٥٦]

يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون (٥٦)

معنى الآية: أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب

---

(١) . تقدم شرح هذا الشاهد ضمن أبيات بالجزء الثاني صفحة ٥٦٣ فراجعه إن شئت اه مصححه.

(٢) . لم أجده.." (١)

"شيم إذا دعت المديح أجابها سلس العنان وانه لحرون

ونقيبة تسرو النقاب عن الهوى وترد ركن الكفر وهو ركون

نشر النجاح بها الجناح ونفر الطير الأشائم طائر ميمون

وقف الرجاء بذي الرجاء عليكم وبدا لكم سر العلا المكنون

فعلام أهزل والكثيب مروض وعلام أظما والقليب معين

تلوى لباناتي وتحرم حرمتي وهوى بدر هواكم ملبون

ويعز أمر عصابة منسية عرفت بفضلة جاهنا ونهون

يا مالكا حسدت عليه زمانه أمم خلت من قبله وقرون

ماريت صرف الدهر وهو ألندد ومريت خلف الحرب وهي زبون

مالي أرى الآمال بيضا وضحا ووجوده آمال حوالك جون

والعدل خيم منك إلا أنه جدي العثور وحظي **المغبون**

أنا آمن فرق وراج يائس ورو صد ومسرح مسجون

ومراقب وعدا وجدت جداه أن أغذى بما يغذى به الكمون

لا تعدني أنواء يمنك لا عداك النصر والتأييد والتمكين

وله [من أخرى أيضا] :

أبى، فأقصر عنان اللوم أو أطل ياما ألحك من ذي منطق خطل

ألقى عذاب الہوى عذبا فآلفه فما أصيخ إلى عذل ولا عذل

كلمني لشوقي أصلى حر لوعته وإن بليت بما ألقى فلا تبل." (٢)

"هل نسق وافيتما ووفيتما فكنت حيا سكبا وكان حيا نبعا

صباح الأماني أنت أطلعته ضحى واصل المعالي أنت أنبته فرعا

أيا ضيف لم تنزل فناءك وحده بلى قد نزلت العين والقلب والسمعا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٦٠/٣

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٣٢٧/٥

إليك ودادي ان تشهيته قرى ودونك صدري ان رضيت به ربعا

ودونك خدي فانتعله ومهجتي فشد على نعليك ناظرها شسعا

وهبني شفاء النفس منك فطالما بكيت نجيع القلب بعدك لا الدمعا

ذكرتك والآمال نحوك عطش وقد منعوها الخمس بعدك والربعا

وكم ذر لي من أفق بشرك شارق ولليل قطع ما أؤبه قطعا

صغرت مكانا إذ كبرت دراية كأني مبني على خلقة الأفعى

كتبت أهز المجد في حال حيرة كمائم إذهزت وقد جازت الجذعا [١٩١ب]

ودونكها رقت وراقت محاسنا فما الروضة الحسناء تشبهها طبعا

وله:

وعلقته في الحب علق مضنة أرخصت فيه العمر وهو ثمين

بعت الحياة بنظرة من حسنة وبدا إلي بأنه المغبون

ولقد يلوح كما تكشف معصم فترى الوشاة كما استدار برين

وكتب إلى أبي الفضل بن شرف مشيرا عليه بمدح ابن مهلهل من وادي آش:

يا روضة أضحى النسيم لسانها يصف الذي تخفيه من أراجها

ومن اغتدى وقد اهتدى لطريقة ما ضل من يسعى على منهاجها

طافت بكعبتك المعالي إذ رأت أن النجوم الزهر من حجاجها." (١)

"لنفحات الرحمة والتذكير، وعلى هذا القدر وقع عتابه، ولذلك جاء بتلطف وترفيع في قوله: إني أعظك أن تكون من الجاهلين، وقد قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: فلا تكونن [البقرة: ١٤٧، الأنعام: ٣٤- ١١٤، يونس: ٩٤] ، وذلك هنا بحسب الأمر الذي عوتب فيه وعظمته، فإنه لضيق صدره بتكاليف النبوة، وإلا فمتقرر أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل البشر وأولاهم بلين المخاطبة ولكن هذا بحسب الأمرين لا بحسب النبيين. وقال قوم: إنما وقر نوح لسنه. وقال قوم: إنما حمل اللفظ على محمد صلى الله عليه وسلم كما يحمل الإنسان على المختص به الحبيب إليه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، ويحتمل قوله: فلا تسئلن ما ليس لك به علم، أي لا تطلب مني أمرا لا تعلم المصلحة فيه علم يقين، ونحا إلى هذا أبو علي الفارسي، وقال: إن به يجوز أن يتعلق

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٦/٦٩٧

بلفظة علم كما قال الشاعر: [الرجز] كان جزائي بالعصا أن أجلدا ويجوز أن يكون به بمنزلة فيه، فتتعلق الباء بالمستقر.

قال القاضي أبو محمد: واختلاف هذين الوجهين إنما هو لفظي، والمعنى في الآية واحد، وروي أن هذا الابن إنما كان ربيبه وهذا ضعيف وحكى الطبري عن ابن زيد أن معنى قوله: إني أعظك أن تكون من الجاهلين في أن تعتقد أني لا أفي لك بوعد وعدتك به.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل بشع، وليس في الألفاظ ما يقتضي أن نوحا اعتقد هذا وعياذا بالله، وغاية ما وقع لنوح عليه السلام أن رأى ترك ابنه معارضا للوعد فذكر به، ودعا بحسب الشفقة ليكشف له الوجه الذي استوجب به ابنه الترك في الغرقى.

قوله عز وجل:

[سورة هود (١١) : الآيات ٤٧ الى ٤٩]

قال رب إني أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧) قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم (٤٨) تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك م اكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين (٤٩)

هذه الآية فيها إنابة نوح وتسليمه لأمر الله تعالى واستغفاره بالسؤال الذي وقع النهي عليه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطلبة ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا.

وظاهر قوله: فلا تسئلن ما ليس لك به علم [هود: ٤٦] يعم النحويين من السؤال، فلذلك نبهت على أن المراد أحدهما دون الآخر، و «الخاسرون» هم **المغبونون** حظوظهم من الخير، وقوله تعالى: قيل." (١)

"«١٩٦» - وقال أسماء بن خارجة: لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا، فإنما هو كريم أسد خلته، أو لئيم أشتري عرضي منه. (ولما جعل فعله وقاية لعرضه لم يكن جودا بل دل على طلب الرياسة ببذل ماله) .

«١٩٧» - ومثل هذا المعنى لبعض الأعراب: [من الطويل]

سأمنح مالي كل من جاء طالبا ... وأجعله وقفا على النفل والفرض

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٧٨/٣

فإما كريم صنت بالمال عرضه ... وإما لئيم صنت عن لؤمه عرضي

«١٩٨» - باع حكيم بن حزام داره من معاوية بستين ألف دينار فقيل له: غبنك معاوية، فقال: والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق خمر، أشهدكم أنها في سبيل الله، فانظروا أينا **المغبون**.

«١٩٩» - وقال حسان بن ثابت: [من البسيط]

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال إن أودى فأكسبه ... ولست للعرض إن أودى بمحتال

٢٠٠- اشترى عبيد الله بن معمر وعبد الله بن عامر بن كريز من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقيقا من سبي ففضل عليهما ثمانون ألف درهم، فأمر." (١)

"لعمرك إني يوم جرعاء مالك ... لعاص لأمر المرشدين مطيع

ندمت على ما كان مني ومنكم ... كما ندم **المغبون** حين يبيع

٣٠٠- وقال آخر: [من الطويل]

وكل مصيبات الزمان عرفتها ... سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وقلت لقلبي حين لج به الهوى ... وكلفني «١» ما لا أطيق من الحب

ألا أيها القلب الذي قاده الهوى ... أفق لا أقر الله عينك من قلب

[٣٠١]- وقال أبو العباس النامي، وأحسن في قوله: [من الخفيف]

سألت بالفراق صبا ومابن ... بئها بالفراق مثل خبير

هو بين الحشا صدوع وفي الأع ... ين ماء وجمرة في الصدور

[٣٠٢]- وقال علي بن الجهم: [من الكامل المرفل]

فارقتكم وأعيش بعدكم ... ما هكذا كان الذي يجب

إني لألقى الناس معتذرا ... من أن أعيش وأنتم غيب

[٣٠٣]- وقال ابن المعتز: [من الكامل]

ومتيم جرح الفراق فؤاده ... فالدمع من أجفانه يترقرق

هزته فرقة ساعة فكأنما ... في كل عضو منه قلب يخفق

[٣٠٤]- وقال أيضا: [من الطويل]

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩٨/٢

[٣٠١] اليتيمة ١: ٢٤٥ ومجموعة المعاني: ٢٠٨.

[٣٠٢] مصارع العشاق ٢: ٢٦٠.

[٣٠٣] التشبيهات: ٣٠٣ وديوان ابن المعتز ١: ٣١٢.

[٣٠٤] التشبيهات: ٢٧٦ وديوان ابن المعتز ١: ٢١٧.." (١)

"فلا يحسب الكوفي أن عقولنا ... هفت عن حساب مثبت في الدفاتر

ولكنني أغرقت في الربح وانثنى ... وليس له علم بصفقة خاسر

فلا يرجون يحيى اختبارا وقد رمى ... بسلعته **المغبون** في قعر زاخر

«٦٦١» - وقال عويف القوافي: [من البسيط]

أف لكم ولعقل بين أضلعكم ... ماذا وثقتم به مني ومن ديني

من أفلس الناس من دين ومن حسب ... وأظلم الناس طرا للمساكين

«٦٦٢» - وقال وبر بن معاوية الأسدي: [من البسيط]

إني وجدك ما أقضي الغريم إذا ... حان القضاء ولا تأوي له كبدي

إلا عصا أرزن طالت برايتها ... تنوء ضربتها بالكف والعضد؟؟

«٦٦٣» - كان بالمدينة تاجر يقال له سيار بن الحكم يداين الأعراب؛ فأخذ منه أبو النباش مالا وأرغبه في الربح وانصرف؛ فغاب عنه مدة ثم دخل المدينة مستخفيا، واتصل خبره بالتاجر، فطلبه بماله عنده، واستغوى جماعة من التجار عليه؛ فلما رأى ما دفع إليه ولم يقدر على الجحود للصك الذي عليه ولجماعة الذين اجتمعوا، قال لهم: صيروا معي إلى شارع بني فلان فإن لي جلبا أقدر على موافاته ودفع المال إلى صاحبكم منه، ففعلوا. فلما تمكن من الهرب سبقهم حضرا على رجليه، وطلبوه فأعجزهم، وانصرفوا يتذامرون ويرجعون باللوم على صاحبهم، فقال أبو النباش عند ذلك أبياتا شرح الحال فيها وقال في آخرها: [من البسيط]

لما رأوني وقد فت النجاء بهم ... سعيا يقصر عنه كل طيار." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٠٢/٦

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٣٥/٩

"لهم أنتم قرناء الشياطين ورؤوس الضلال تكذبون بالكتاب وتحرمون زينة الله والطيبات من الرزق التي أخرج لعباده يا أسامة بن زيد تأولوا الكتاب على غير تأويله وتركوا الدين فهم على غير دين واستبدلوا بما تأولوا أولياء الله يا أسامة بن زيد إن أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال حزمه وظمأه وسهره وفكرته أولئك هم الأخيار الأبرار ألا أنبئك بصفتهم قال بلى يا رسول الله قال هم الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا وإن أولم الناس لم يدعوا وإن مرضوا لم يعادوا وإن ماتوا لم يحضروا إذا نظر الناس إليهم قالوا مجانين أو موسوسين وما بالقوم جنون ولا وسواس ولكنهم شغلوا أنفسهم بحب الله عز وجل وطلب مرضاته " يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (١) " " يبيتون لربهم سجدا وقياما (٢) " يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (٣) " فيقتلون على ذلك يا أسامة بن زيد أكل الناس من كل نوع أكلوا من حشيش الأرض وثمارها وتوسد الناس الوسائد والنمارق وتوسدوا اللبن والحجارة نعم الناس بشهواتهم ولذاتهم ونعموا بجوعهم والعطش افترش الناس لين الفرش افترشوا الجنوب والركب ضحك الناس من الفرح بكوا هم من الأحزان تطيب الناس بالطيب تطيبوا بالماء والتراب بنوا الناس المنازل والقصور اتخذوا الخراب والفلوات وظلال الشجر منازل ومساجد ومقيلا اتخذ الناس الأندية والمجالس متحدثا تلذذا وتلهيا وبطرا واتخذوا المحاريب وحلق الذكر والخلوة تخشعا وخوفا وتفكيرا وتذكيرا وتشريفا أنس الناس بالحديث والاجتماع أنسوا بذكر الله ومناجاته والوحدة والفرار بدينهم من الناس وهب الناس أنفسهم للدنيا وهبوا هم أنفسا هو وهبها لهم فباعوا قليلا زائلا واشتروا كثيرا دائما يا أسامة بن زيد لا يجمع الله عليهم الشدة في الدنيا والآخرة بل لهم الجنة أولئك أحباء الله يا ليت أني قد رأيتهم الأرض بهم رحيمة والجبار عنهم راض ضيع الناس أفعال النبيين وأخلاقهم حفظوها هم وتمسكوا بها يا أسامة بن زيد الراغب من رغب إلى مثل رغبتهم والمغتر **المغبون** من لم يلق الله عز وجل بمثل رغبتهم وآدابهم والخاسر من خسر تقواهم وضيع أفعالهم إ يا أسامة بن زيد هم لكل أرض أمان تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الجبار على بلد

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٦٣

(٢) سورة الفرقان الآية: ٦٤

(٣) سورة التوبة الآية: ٧١." [1]

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٧٩/٨

"ما فيه فقال معاوية للحسن يا أبا محمد ما يمنعك من القول فما أنت بكليل اللسان قال يا أمير المؤمنين ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة إلا ولي محضها ولبابها ثم قال: * فيم الكلام وقد سبقت مبرزا * سبق الجياد من المدى المتنفس * اخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو محمد الصريفيني أنا أبو حفص عمر بن ابراهيم بن احمد الكتاني (١) أنا أبو سعيد الحسن بن علي العدوي نا كامل بن طلحة أنا أبو هشام القناد قال كنت احمل المتاع من البصره إلى الحسن بن علي وكان يماكسني فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته ويقول أن أبي حدثني أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال **المغبون** لا محمود ولا مأجور اخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك أنا احمد بن محمود أنا أبو بكر الاصبهاني نا عبدان (٢) بن احمد بن موسى الجواليقي نا أبو موسى محمد بن المثنى نا عبد الأعلى عن هشام عن ابن سيرين أن الحسن بن علي كان يجيز الرجل الواحد بمائة ألف اخبرنا أبو غالب احمد بن الحسن أنا الحسن بن علي أنا أبو الحسن الدارقطني نا الطيبي عبد الله بن الهيثم نا الحكم بن عمرو الانماطي واخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسين بن النقور وأبو القاسم بن البسري قالا أنا أبو طاهر المخلصي (٣) نا احمد بن نصر بن بحير نا علي بن عثمان بن نفيل قالا نا أبو مسهر نا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علي بن أبي طالب سمع إلى جنبه رجلا يسأل أن يرزقه الله عشرة آلاف درهم (٤) فانصرف فبعث بها إليه واللفظ لابن البنا اخبرنا أبو بكر الأنصاري أنا الحسن بن علي أنا أبو عمر بن حيوية أنا احمد بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد أنا عبيد الله بن موسى نا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة عن علي انه خطب الناس ثم قال إن ابن اخيكم

---

(١) في المطبوعة: الكناني بنونين انظر ترجمته في سير الاعلام ١٦ / ٤٨٢

(٢) في المطبوعة ص ١٤٧ عبد الله

(٣) كذا

(٤) سقطت من الاصل واستدركت عن المطبوعة." (١)

"قالا (١) وأنا أبو يعلى نا كامل زاد ابن حمدان بن طلحة نا أبو هشام القناد عن الحسين بن علي يرفعه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قال **المغبون** لا محمود ولا مأجور رواه البغوي عن كامل فزاد في إسناده علي بن أبي طالب أخبرناه أبو القاسم بن السمرقندي وأبو المحاسن بن الطبري قالا أنا أبو الحسين

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٤٥/١٣

بن النقور أنا عيسى بن علي أنا عبد الله بن محمد نا كامل بن طلحة نا أبو هشام القناد البصري قال كنت أحمل المتاع من البصرة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب فكان يماكسني فيه فلعلي لا أقوم من عنده (٢) حتى يهب عامته فقلت يا بن رسول الله أجيئك بالمتاع من البصرة تماكسني فيه فلعلي لا أقوم من عندك حتى تهب عامته (٣) فقال إن أبي حدثني يرفع الحديث إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال **المغبون** لا محمود ولا مأجور قال أبو القاسم البغوي هكذا حدثنا بهذا الحديث عن أبي هشام القناد قال كنت أحمل المتاع إلى الحسين بن علي بن أبي طالب فيماكسني فيه ويقال إنه وهم من كامل روى غيره عن هذا الشيخ فقال كنت أحمل المتاع إلى علي بن الحسين والله أعلم ورواه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي عن كامل وزاد فيه علي بن أبي طالب إلا أنه جعله من رواية الحسن لا الحسين وقد تقدم في ترجمة الحسن (٤) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي أنا الحسن بن علي أنا أبو عمر بن حيوية أنا أحمد بن معروف نا الحسين بن فهم نا محمد بن سعد أنا شبابة بن سوار أخبرني إسرائيل بن يونس عن ثوير بن أبي فاخته عن أبيه قال وفدت مع الحسن والحسين إلى معاوية فأجازهما (٥) فقبلا

---

(١) قبلها في الترجمة المطبوعة للحسين المستخرجة عن ابن عساكر تحقيق الشيخ المحمودي ص ٦: قالا: وأنبأنا أبو يعلى قال أنبأنا حوثرة أنبانا هشام أبو المقدام بإسناده نحوه

(٢) سقطت من الاصل واستدركت عن الترجمة المطبوعة ومختصر ابن منظور ٧ / ١١٥

(٣) ما بين معكوفتين زيادة لازمة عن مختصر ابن منظور والعبارة مستدركة أيضا بين معكوفتين في الترجمة المطبوعة

(٤) راجع ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب Bه وليس في سند الحديث: علي بن أبي طالب

(٥) بالاصل " فأجازها "." (١)

"حكيم بن حزام أنه باع داره من معاوية بستين ألفا فقالوا عتيك والله معاوية فقال ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق الخمرة أشهدكم أنها في سبيل الله والمساكين والرقاب وأنا **المغبون** انتهى أنبأنا أبو سعد المطرز (١) وأبو علي الحداد قالا أنبأنا أبو نعيم أنبأنا سليمان بن أحمد المفرع (٢) أنبأنا أبو زيد بن أبي عمر قال أنبأنا يعقوب بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة قال باع حكيم بن حزام دارا له بمكة من معاوية بن أبي سفيان لا أعلمه قال بمائتي ألف فقال له أبعت دارك منه بمائة ألف فقال والله إن أخذتها في

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١١٢/١٤

الجاهلية إلا بزق خمر وأشهد أن ثمنها في سبيل الله عز وجل انتهى أخبرنا أبو (٣) القاسم زاهر بن طاهر أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري ببغداد أنبأنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله الشافعي أنبأنا جعفر بن محمد بن الأزهر أنبأنا المفضل (٤) بن غسان الغلابي حدثنا الزبيري قال باع حكيم بن حزام دار ندوة من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف فقال عبد الله بن الزبير يا أبا خالد بعت مأثرة قريش وكريمتها فقال هيهات يا ابن أخي ذهبت المكارم فلا مكرمة اليوم إلا الإسلام قال قل اشهدوا إنها في سبيل الله تبارك وتعالى يعني الدراهم أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا الحسن (٥) بن البنا قالا أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد أنبأنا أبو طاهر المخلص أنبأنا أحمد بن سليمان أنبأنا الزبير حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال جاء الإسلام ودار (٦) الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها بعد

---

(١) بالاصل " المطرود " والصواب ما أثبت عن م

(٢) كذا رسمها بالاصل وفي م: " بن الفرح "

ولعل اللفظة مقحمة ولم أجد في عامود نسبه ما يوحي إليها انظر ترجمته في سير الاعلام ١٦ / ١١٩

(٣) الزيادة لازمة

(٤) بالاصل " الفضل " والصواب ما أثبت

(٥) بالاصل " أنبأنا الحسين " مكان " ابنا الحسن " والصواب ما أثبت وقد مر هذا السند قريبا والزيادة التالية للايضاح وفي م كالاصل

(٦) الاصل: " بدار "." [1]

"حدث عن عبد الرحمن بن حيويل وعن رجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) روى عنه الحارث بن يزيد الحضرمي ويزيد بن أبي حبيب وكعب بن علقمة وعقبة بن مسلم وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وحبيس بن عدي وعبد الرحمن بن يحيى وعبيد الله بن زحر ووفد على سليمان بن عبد الملك أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو عمر بن حيوية نا يحيى بن محمد بن صاعد أنا الحسين بن الحسن أنا عبد الله بن المبارك أنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن سعد بن مسعود أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان في مجلس فرفع نظره إلى السماء ثم طأطأ نظره ثم رفعه فسئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك فقال إن هؤلاء القوم كانوا يذكرون الله يعني أهل مجلس أمامه

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١١٩/١٥

فنزلت عليهم السكينة تحملها الملائكة كالقبة فلما دنت منهم تكلم رجل منهم بباطل فرفعت عنهم (٤٧١٠) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي قال قرئ على أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عيسى الباقلاني وأنا حاضر قيل له حدثك أبو بكر بن مالك نا الحسن بن الطيب البلخي نا قتيبة بن سعيد نا بكر بن مضر نا عبيد الله بن زحر حدثني سعد بن مسعود عن رجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال ليت شعري كيف أمتي بعدي حين تتبختر رجالهم وتمرح نساؤهم وليت شعري حين تصيرون صنفين صنفا نا صبي نحورهم في سبيل الله وصنفا عمالا لغير الله (٤٧١١) أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو عمر بن حيوية وأبو بكر بن إسماعيل قالا نا يحيى بن محمد بن صاعد نا الحسين بن الحسن بن حرب أنا عبد الله بن المبارك أنا إبراهيم بن نشيط الوعلاني (١) أنا كعب بن علقمة قال قال سعد بن مسعود التجيبي إذا رأيت الرجل دنياه تزداد وآخرته تنقص مقيما على ذلك راضيا به فذلك **المغبون** الذي يلفت بوجهه وهو لا يشعر

---

(١) الوعلاني نسبة إلى وعلان بطن من مراد ذكره السمعاني وترجم له (الانساب: الوعلاني)." (١)

"ثم أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن تغلب بن إبراهيم الآمدي بدمشق أنا أبو القاسم بن بيان قالا أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الله الحرفي السمسار أملاء قال وجدت في كتاب سماع لأبي هـB نا أبو الفضل أحمد بن عبد الله بن سلمان الفامي نا أبي نا أبو العباس الفضل بن موسى مولى بني هاشم نا إبراهيم بن بشار الرمادي قال سمعت سفيان بن عيينة يقول كان عمر بن ذر إذا قرأ " ما لك يوم الدين " (١) قال ما لك من يوم ما أملأ ذكرك لقلوب الصادقين (٢) أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد أحمد بن مهران ومحمد بن شجاع اللفتواني قالا أنا أبو عمرو بن مندة أنا أبو محمد بن يوه أنا أبو الحسن اللنباني (٣) نا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن عثمان بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب حدثني عمارة بن عمرو البجلي قال سمعت عمر بن ذر يقول اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده فإن **المغبون** من غبن خير الليل والنهار والمحروم من حرم خيرهما إنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيوا لله أنفسكم بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٠١/٢٠

حفرته (٤) وكم من قائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدا فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني نا أبو بكر الخطيب أنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو الحسين بن صفوان نا أبو بكر بن أبي الدنيا قال قال محمد بن الحسن نا عمرو بن خالد قال حتى متى ننعي إليكم الدنيا وكثرة عيوبها ونحبب إليكم الآخرة وأنتم مكبون على

---

(١) سورة الفاتحة الآية: ٤

(٢) تهذيب الكمال ١٤ / ٦٤ وسير أعلام النبلاء ٦ / ٣٨٨

(٣) في " ز ": اللبناني تصحيف

(٤) غير واضحة بالأصل وفي " ز ": جفوته والمثبت عن م والمختصر." [١]

"الله الرازي وأبو الفتح بن مسرور البلخي وذكر أبو الفتح بن مسرور البلخي أنه سمع منه في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة قال وسألته عن مولده فقال ولدت ببغداد في ذي الحجة من سنة سبع وثمانين ومائتين قال أبو الفتح وكان ثقة

٦٣٩٠ - محمد بن سعيد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي مريم أبو العباس القرشي المعروف بابن فطيس حدث عن أبيه وأحمد بن أبي رجاء نصر بن شاكر وإبراهيم بن عتيق وجعفر بن محمد بن مسعدة الشامي روى عنه أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج بن البرامي (١) وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن صالح ومحمد بن سليمان الربعي أنبأنا أبو الحسن علي بن المسلم وأبو عبد الله محمد بن علي بن أبي العلاء وأبو محمد بن الأكفاني وأبو محمد بن صابر وأبو إسحاق الخشوعي قالوا أنبأنا أبو القاسم ابن أبي العلاء أنبأنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المري (٢) أنا محمد بن سليمان ربعي سليمان الربعي حدثنا أبو العباس محمد بن سعيد بن عبيد الله بن فطيس حدثنا جعفر بن محمد بن مسعدة حدثنا محمد بن خالد بن يزيد الباهلي حدثنا الفضل بن داود الهاشمي حدثنا طلحة بن كامل عن محمد بن هشام العباد (٣) عن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده (٤) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال **المغبون** لا محمود ولا مأجور

[١١١٧٤] قال ابن عساكر (٥) كذا قال والصواب كامل بن طلحة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٤/٤٥

٦٣٩١ - محمد بن سعيد بن عقبة المرادي الطبراني مولى بني الحارث بن كعب من كبار أمراء دمشق في ولاية الوليد بن يزيد بن عبد الملك روى عنه الليث بن سعد وعبد الله بن وهب المصريان

---

(١) رسمها في " ز ": البراسي وفوقها ضبة

(٢) في " ز ": المزي

(٣) كذا رسمها بالاصل ود واللفظة ليست في " ز "

(٤) زيد في " ز ": هـ

(٥) زيادة منا للايضاح." [(١)]

"ابن سوقة عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عزى مصابا فله مثل أجره

٧١٣٩ - محمد بن يوسف بن علي أبو عبد الله الحوراني الفقيه الحنيفي كان جده من أهل غزنة (١) وسكن بيت المقدس وسكن بسر (٢) من قرى حوران وتفقه أبوه ببيت المقدس وعمر أبوه (٣) فأما محمد فإنه تفقه عند أبي الحسن البلخي بدمشق وسمع مني قطعة من الحديث ومضى إلى حلب وأقام بها مدة ثم رجع إلى دمشق ونصب للتدريس في جامع قلعتها المحروسة مدة وكان مستورا حسن الاعتقاد مات ودفن يوم الثلاثاء النصف من صفر سنة أربع وستين وخمسمائة وهو كهل ٧١٤٠ - محمد بن يوسف بن عمر بن علي أبو عبد الله الكفرطابي (٤) نزيل شيزر (٥) ويعرف بابن المنيرة أديب فاضل سمع الحديث من أبي السمح الفقيه الحنيفي نزيل شيزر وقرأ الأدب على أبي عبد الله الطليطلي وكان له نظم ونثرو أجاز سنة أربع وخمسمئة جميع مصنفاته وم، قاله من نظم أو نثر بدمشق وكان قدمهثم رجع إلى شيزر وسمع منه أخي أبو الحسين هبة الله بن الحسن رحمه الله أنشدني أبو عبد الله محمود بن نعمة بن رسلان الشيزري أنشدني الأستاذ أبو عبد الله ابن المنيرة * ومهند يعفو المنون سبيله أبدا (٦) * فكيف يقال ريب منون ترك المنايا في النفوس فرحن * عن غبن ورواح وليس **بالمغبون** تهوى فتترك كل قد ثوى ما * تهويه يكفيك غير خؤون * * لو أنا شنفا ناطقا لتحديث شعر * أنه سرائر وشجون *

---

(١) بدون إعجام بالاصل وصورتها: " عربه " ولعل الصواب ما أثبت

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٨٩/٥٣

(٢) بسر بالضم اسم قرية من أعمال حوران من أراضي دمشق بموضع يقال لها اللحا

(٣) استدركت عن هامش الاصل

(٤) ترجمته في معجم الادباء ١٩ / ١٢٢ وبغية الرعاة ١ / ٢٨٥ والوافي بالوفيات ٥ / ٢٤٧ والكفرطابي بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية (معجم البلدان)

(٥) تحرفت في معجم الادباء وبغية الوعاة إلى: شيراز

(٦) كذا صدره بالاصل." [١]

"وسلم أقرها في أيدي أهلها على النصف، فقيل: خابروهم، أي عاملوهم بخيبر، قال: ثم تنازعوا، فنهى عن ذلك، ثم جازت بعد.

وأما المحاقلة، ففيها ثلاثة أقوال: قال بعضهم: هو بيع الزرع في سنبله بالحنطة.

وقيل: هو أكثر الأرض بالحنطة.

وقيل: هي المزارعة بالثلث والربع وأكثر من ذلك وأقل.

واشتقاقه من، الحقل وهو الزرع إذا تشعب ورقه قبل أن يغلظ سوقه.

وأما المزابنة: فهي بيع التمر في رؤوس النخل بالتمر كيلا، وبيع العنب على الكرم بالزبيب كيلا، واشتقاقه من الزبن، وهو الدفع، لأن المتبايعين إذا وقفا فيه على العين تزابنا، ي تدافعا، فأراد الغابن أن يمضي البيع، وأراد **المغبون** أن يفسخه.

وروي عن مالك أنه قال: المزابنة كل شيء من الجزاف لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده أبتيع بشيء مسمى من الكيل والوزن والعدد.

وأما المعلومة: مبيع النخل أو الشجر سنتين أو ثلاثا أو أكثر من ذلك، وهو مشتق من العام.

قال الأصمعي: يقال للنخلة إذا حملت سنة، ولم تحمل سنة: قد عاومت وسانهت.

ويقال: عاومت فلانا معاومة ومسانهة ومشاهرة.

وأما الثنيا: فيبيع الرجل شيئا جزافا لم يعرف كيله ولا وزنه ولا عدده،." [٢]

"يهوي كما يهوي العقاب إذا رأى ... صيدا وينتصب انتصاب الأجدل

تتوهم الجوزاء في أرساغه ... والنجم غرة وجهه المتهلل

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣١٩/٥٦

(٢) الحور العين الحميري، نشوان ص/٢٨٩

ما إن يعاف قذى، ولو أوردته ... يوما خلائق حمدويه الأحول

آخر:

وليل كوجه البرقعيدي ظلمه ... وبرد أغانيه وطول قرونه

سريت ونومي فيه غير مشرد ... كعقل سليمان بن وهب ودينه

على أولق فيه التفات كأنه ... أبو جابر في خبطه وجنونه

ولاح لنا نور كأن وميضه ... سنا بدران ونور جبينه

ولأبي تمام:

وسابح هطل التعداء هتان ... على الجراء أمين غير خوان

أظمى الفصوص وما تظمى عرائكه ... فخل عينيك في ظمآن ريان

فلو تراه مشيحا والحصى زيم ... تحت السنابك من مثنى ووحدان

أيقنت إن لم تحقق أن حافره ... من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وللأستاذ:

ومهند تقفو المنون سبيله ... أبدإن وكيف يكون ريب منون

شرك المنايا في النفوس، فرحن عن ... غبن، وراح وليس **بالمغبون**

ولو أن سيفا ناطقا لتحدثت ... شفرا ته بسرائر وشجون." (١)

"قد تخلى عنك من ته ... وى وقد آن التخلي

هذه إن شئت أن تس ... لو طريق للتسلي

ومنه:

ما على العذال لو نظروا ... ثم لاموا فيك أو عذروا

قمر ضل الأنام به ... ما بهذا يعرف القمر

ومنه:

ما على العذال من سقمي ... أبجسمي ذاك أم بهم

لائمي في الحب ويحك لو ... ذقت طعم الحب لم تلم

ومنه:

---

(١) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٧٨

يا مسقط العلمين من رمل الحمى ... لي عند ظبيتك النوار ديون

شرت الفؤاد رخيصة أعلاقه ... ومضى يعض بنانه االمغبون

لا العف عف حين تملك قلبه ... تلك اللحاظ ولا الأمين أمين

لو أن قومك نصلوا أرحامهم ... بعيون سربك ما أبل طعين

ومنه:

أغريت بي سهرا علي ... ك، ونمت عن ليلي الطويل

وبخلت بالكشوى إلي ... ك، وأي عذر للبخيل

ومتى أردت عيادتي ... فاسأل عن الحي القتيل

حكم الهوى في أخذها ... حكم العزيز على الذليل." (١)

"عمرك الله إن عمري ... منك فما للورى ومالي

يذيل مالا يصون عرضا ... ليس مدى الدهر بالمذال

وقوله:

مزجت لنا الدنيا منى بمنون ... وسطت فأخفت شدة في لين

فليرفع اليقظ المهذب نفسه ... عن رقدة المتغافل المغبون

وليغنم الإمكان ندب عالم ... أفضت إليه بسرها المكنون

استروح المكروب مما شفه ... من كربه بتأوه وأنين

وأبى الفتى المصدور إلا نفثة ... ما إن يعيها غير صدر الدين

يقظان يسحب في ميادين العلى ... أذيال صب بالندى مفتون

وأغر تنتسب الزكانة والحجا ... منه الى ماضي الجنان ركين

يا سيد العلماء إن عدوا ويا ... أولاهم بالحمد والتأبين

قد خص جارك جور عبدك دهره ... بعد الغنى وخصاصة بديون

بخل الغمام وجدت فاستغنى الورى ... عن جود سارية بجود يمين

فلتحمدن على جميل صنيعة ... دهرا سخا بك وهو جد ضنين

ثم فرق الدهر بيننا، وطالبت الأقدار بلقائه، فأبينه. وعاد الى الموصل، ولقيته بها في سنة ست وستين. وآخر

---

(١) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/١٣٩

عهدي به فيها سنة سبعين وخمس مئة.

المؤيد الآلوسي

بغدادي الدار. ترفع قدره، وأثرت حاله، ونفق شعره، وكان له قبول حسن، واقتنى أملاكا وعقارا، وكثر رياشه، وحسن معاشه، ثم عثر به الدهر عثرة صعب منها انتعاشه، وبقي في حبس أمير المؤمنين المقتفي بأمر الله أكثر من عشر سنين، الى أن خرج في زمان أمير المؤمنين المستنجد بالله سنة خمس وخمسين وخمس مئة عند توليته، من الحبس. ولقيته حينئذ، وقد عشي بصره من ظلمة المطمورة التي كان فيها محبوسا، وكان زيه زي الأجناد.

سافر الى الموصل، وتوفي – بعد ذلك – بثلاث سنين. وله شعر حسن غزل، وأسلوب مطرب، ونظم معجب. وقد يقع له من المعاني ما يندر، فمن ذلك ما أنشدني له شمس الدولة علي، ابن أخي الوزير عون الدين بن هبيرة في صفة القلم:

ومثقف يغني ويفني دائما ... في طوري الميعاد والإيعاد

وهبت له الآجام حين نشا بها ... كرم السيول وهيبة الآساد

وله هذه الأبيات السائرة التي يغنى بها:

لعتبة من قلبي طريف وتالد ... وعتبة لي حتى الممات حبيب

وعتبة أقصى منيتي وأعز من ... علي وأشهى من إليه أثوب

غلامية الأعطاف تهتز للصبا ... كما اهتز في ريح الشمال قضيب

تعلقتها طفلا صغيرا وناشئا ... كبيرا وها رأسي بها سيشيب

وصيرتها ديني ودنياي لا أرى ... سوى حبها إني إذن لمصيب

وقد أخلقت أيدي الحوادث جدتي ... وثوب الهوى ضافي الدروع قشيب

سقى عهدها صوب العهاد بجوده ... ملث كتيار الفرات سكوب

وليلتنا والغرب ملق جرانه ... وعود الهوى داني القطوف رطيب

ونحن كأمثال الثريا يضمنا ... وداد على ضيق الزمان رحيب

وبت أدير الكأس حتى لثغرها ... شبيهات طعم في المدام وطيب

الى أن تقضى الليل وامتد فجره ... وعاود قلبي للفراق وجيب

فيا ليت دهري كان ليلا جميعه ... وإن لم يكن لي فيه منك نصيب

أحبك حتى يبعث الله خلقه ... ولي منك في يوم الحساب حسيب

وألهج بالتذكار باسمك داعيا ... وإني إذا سميت لي لطروب

فلو كان ذنبي أن أديم لودكم ... جنوني بذكراكم فلست أتوب

إذا حضرت هاجت وساوس مهجتي ... وتزداد بي الأشواق حين تغيب

فوا أسفا لا في الدنو ولا النوى ... أرى عيشتي يا عتب منك تطيب." (١)

"فكتب إليه الأمير نصر إنه لم يحضرني سوى ما هو مودع عندك، وكان ستة آلاف دينار، فاصرفها في بعض مصالحها واعذر.

وذكر أن نصرا كان برا بوالده سديد الملك. ولوالده فيه:

جزى الله نصرا خير ما جزيت به ... رجال قضوا فرض العلاء ونفلوا

هو الولد البر العطوف فإن رمى ... به حادث فهو الحمام المعجل

يفديك يا نصر رجال محلهم ... من المجد والإحسان أن يتقولوا

سأثني بما أوليت بالموقف الذي ... تقر به الأقدام أو تتزلزل

وألقاك يوم الحشر أبيض ناصعا ... وأشكر عند الله ما كنت تفعل

الأمير عضد الدولة أبو الفوارس

مرهف بن اسامة بن منقذ ذو المجد الأثير، والفخر الأثيل، والبيت الأصيل.

أنشدني بدمشق سنة إحدى وسبعين لنفسه:

سمحت بروحي في رضاك ولم تكن ... لتعجزني لولا رضاك المذاهب

وهانت لجراك العظائم كلها ... علي، وقد جلت لدي النوائب

فكان ثوابي عن ولائي تجهم ... رمتني به منك الظنون الكواذب

فمهلا فلي في الأرض عن منزل القلا ... مسار إذا أخرجتني ومسارب

وإن كنت ترجو طاعتي بإهانتي ... وقسري فإن الرأي عنك لعازب

وأنشدني أيضا لنفسه وهو حاضر عند والده، وذكر أنه مما كتبه إلى والده:

رحلتم وقلبي بالولاء مشرق ... لديكم وجسمي للفناء مغرب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٣/١

فهذا سعيد بالدنو منعم ... وهذا شقي بالبعاد معذب

وما أدعي شوقا فسحب مدامعي ... تترجم عن شوقي إليكم وتعرب

ووالله ما اخترت التأخر عنكم ... ولكن قضاء الله ما منه مهرب

الأديب أبو عبد الله محمد بن يوسف بن منيرة

الكفرطابي

ذكر أنه كان قرأ على الطليطلي، لقيت من قرأ عليه وهو أبو الثناء محمود ابن نعمة بن أرسلان الشيزري بدمشق.

واستنشدته من شعر أستاذه، فأنشدني له بيتين لم تخل كلمة منهما من زاي وهما: قال أنشدنيهما لنفسه:

تجاوزت أجواز المفاوز جازيا ... بأزرق عزته نزوع النواهز

وزجيت بزلا كالجوازي مجهزا ... وأزجيت عزم الهبزري المناجز

وأنشدني أيضا قال أنشدني أستاذي ابن منيرة لنفسه في السيف:

ومهند تقفو المنون سبيله ... أبدا فكيف يقال ريب منون

شرك المنايا في النفوس فرحن عن ... غبن وراح وليس **بالمغبون**

لو أن سيفا ناطقا لتحدثت ... شفراته بسرائر وشجون

فكأنما القدر المتاح مجسم ... في حده أو عزم عز الدين

الأديب أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان

الشيزري

لقيته بدمشق سنة ثلاث وستين وخمسمائة، وأنشدني من أشعاره، وأجناني من ثماره، ونزهني في أزهاره، وكتب القصيدة الميمية بخطه، وأبرز لي من سفط تبريزه در سمطه، ووعدني أن يكتب لي من شعره ما أوشح به كتابي هذا وأطرزه، وأحرزه في كنز الفضائل وأكنزه، فعاقه القدر عن نجاز وعده، وطرق الكدر، بطرق ثمد صفو ورده، وتوفي بعد سنة خمس وستين وخمسمائة بدمشق.

ومن مشهور شعره بيت جمع فيه ست تشبيهات ولم يسبق إليه، فإن أكثر ما جمع خمس تشبيهات بيت القائل:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

وبيت محمود الشيزري:

تنضو السحائب عن بدر وأنجمه ... وتمسح الطل عن ورد بعناب

فشبه النقاب بالسحاب، والوجه بالبدر، والحلي والشنوف بالنجوم، والعرق بالطل، والخد بالورد، والأنامل المخضبة بالعناب.." (١)

"إياك أن تصبح الأيام تالية ... من سوء فعلك ما يبقى على الحقب

وذكره أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في رسالة له وقال: لم يقبل الأفضل على أحد من الشعراء كإقباله على رجل من أهل معرة النعمان يدعى أبا الحسن علي بن جعفر بن البوين، فإنه أفاض عليه سحائب إحسانه، وادر عليه حلوبة إنعامه، ولقبه بأمين الملك وأدناه واستخلصه، ولم يكن شعره هناك بل متكلفا، ولست أعرف أحدا من أهل تلك البلاد يروي له بيتا واحدا فما فوقه لمنافرة الطباع كلامه، ونبو الأسماع عن طريقته. فأمره الأفضل يوما أن يصف مجلسا عبيت فيه فواكه ورياحين، فقال من مزدوجة طويلة يصف الأترج المصبع:

كأنما أترجه المصبع ... أيدي جناة من زنود تقطع

فغلط ولم يفطن وأساء أدبه ولم يشعر، لأنه قصد مدح الأترج فقفز نفس الملك منه، وصرفها عنه، ولو قصد ذمه لما زاد على ما وصفه من الأيدي المقطوعة من زنودها. والبليغ الحاذق من إذا وصف شيئا أعطاه حقه، ووفاه شرطه، ووصفه بما يناسبه في حالتي مدحه وذمه، ووضع كل شيء مكانه من نثره ونظمه.

وأين هذا الشاعر في أدبه ومعرفته بالصناعة وفطنته من أبي علي حسن بن رشيق حين أمره المعز بن باديس بوصف أترجة مصبعة كانت بين يديه فقال على البديهة:

أترجة سبطة الأطراف ناعمة ... تلقى العيون بحسن غير مبخوس

كأنما بسطت كفا لخالقها ... تدعو بطول بقاء لابن باديس

ومن شعر ابن البوين قوله:

يا من تنافس فيه السمع والبصر ... كما تغاير فيه الشمس والقمر

ومن تحكم في الأرواح فاحتكمت ... أن لا يحكم فيها بعده بشر

وقوله:

من لا يجازي على الإحسان مادحه ... لم يخش هاجيه منه خجلة الندم

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٦١/٢

إن كنت قد جرت في المدح المعار فقد ... عدلت في الهجو إباء على الكرم

وابتعت كتبا من خزانة القصر بالقاهرة فوجدت مكتوبا بخط ابن البوين على بعضها ما ذكر أنه له فمن ذلك قوله:

الكاتبين بأقلام السيوف على ... هام العدى أسطرا يحمدن من سطرا

الناقطين بخرصان الذوابل من ... حروف ما زبروا ما تخجل الزبرا

وقوله:

فيم التنافس والحياة ذميمة ... والدهر في صدق المواعد مائن

عدم البقاء وعيشة مرضية ... وسلامة من سوء ما هو كائن

لا تأس إن منعتك درة ثديها ... وجفتك، **فالمغبون** فيها غابن

السابق المعري

أبو اليمن بن أبي مهزول

هو قريب العهد، داني العصر، سافر إلى العراق في زمان ابن جهير، واجتمع بابن الهبارية، وأحسن ما سمعت له قوله في الهجو، أنشدنيه غير واحد:

إلي أرسلت مقال الخنا ... ستحرق النار فم النافخ

أقدمت يا أوقح من أيل ... على ابتلاع الأرقم السالخ

يا حلقة الخاتم يا إبرة ال ... خياط يا محبرة الناسخ

وأنشدني القاضي أبو اليسر الكاتب له بيتين في مرثية عم أبيه وادع من قصيدة:

أبا مسلم لا زلت منا على ذكر ... ولا درست آيات علياك في الدهر

وكنا نعد الصبر للخطب يعتري ... إلى أن أصبنا عند يومك بالصبر

وله في غلام ينظر في مرآة:

وظبي قابل المرآة زهوا ... فأحرق بالصبابة كل نفس

وليس من العجائب أن تأتى ... حريق بين مرآة وشمس

وقوله وقد سافر إلى خراسان:

قالوا تزوج بأرض مرو ... تعيش في غبطة وخير

قلت صدقتم بأي مال ... أعيش فيها وأي أير

وقال يهجو ابن البوين الشاعر:

شعر البويني له روعة ... ليس لها في النقد محصول

مثل حبال الشمس ممدودة ... ما فاتها عرض ولا طول

أبو المعافى بن المهذب

هو سالم بن عبد الجبار بن محمد بن المهذب." (١)

"ومنها:

علي لذاك الربع نذر مقرر ... إذا ما دعاني الشوق فيه أجيبه

ويهمي به غرب الجفون صبابة ... إلى ساكنيه حين خف عريبه

هو الربع فاستسق له كل واكف ... يجود عليه قطره وعبوبه

فجادت على ذاك المحل سحائب ... ثقال توالي برقهن سكوبه

فقد كان للشمل المشتت جامعا ... يجاب مناديه ويؤوى غريبه

وله:

هجوت بوابك إذ ردني ... والرد عن مثلك نقصان

يبين البواب ما بعده ... كما علا الرفعة عنوان

فعدت **كالمغبون** في بيعه ... إذ مسه في البيع خسران

لو أنني الأكار وافى وفي ... صحبته موز ورمان

ماردني لكنني شاعر ... أغرى به في الشعر شيطان

لا أصلح الله لهذا الورى ... شنا فقد هانوا وقد شانوا." (٢)

"أكرم به من قائد ماجد ... يصلح للحرث ورعي العجول

لا بد لي إن عشت والله أن ... أخرى على لحيته أو أبول

فجعلت عند ذلك أعض أنامل **المغبون**، وأقول لله در ابن ذي النون، فلقد تخير للمعاقل، كل جواد عاقل، وأكثر ما ظهر حسن الاختيار في البيرشة والمنار، وكم سواهما من حصن حصين، فوض أمره الى غير أمين،

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٩١/٢

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق جـ ٤ المجلد الثاني ٢ العماد الأصبهاني ص/٧٤٠

فجاء من ذلك ما قد ظهر، وتولد منه ما قد عرف واشتهر، والله لقد جبت البلاد، وبلوت العباد، فلا شك عندي ولا مرية، أن أرذل الناس أهل شنت برية، الأوغاد الحثالة، معادن الخساسة والنذالة، أخلاق اللوم، وروايح الثوم، أحلام البغال، وأقفاء النعال. قوم شغلتم الوراعة والطماعة، عن التحلي بالجود والشجاعة، ناموا عن المكارم، وتجنبوا أخلاق الأكارم، شرق الشرق بدهمائهم، وفسد بآرائهم، فليس لحمد إليهم سبيل، ولا لمجد عليهم دليل، لا أستثني منهم في كل الأمور إلا أنت، والفاضل أبا مخفور فكلاكما شريف جواد، هاد الى سبيل الرشاد، إن رأى زللا غضى، أو هم بمكرمة أمضى، لا يتعرض للسباب، ولا يقف قصاده بالباب:

فأقسم بالبيت الذي طاف حوله ... رجال كرام من قريش وجرهم

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من مخيل ومبرم

فأما الوزير أبو الحجاج، فقد تقعدد في مرتبة الحجاج، لا ينقصه من الخلافة إلا التاج، يختال اختيال ذي رعين، ويتوهم أنه ولي الحرمين،." (١)

"بأن لا يعبد أحدا غير الله، وذلك لأن قوله: أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى: قل الله أعبد يفيد الحصر يعني الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه، والدليل عليه أنه لما قال بعد: قل الله أعبد قال بعده: فاعبدوا ما شئتم من دونه ولا شبهة في أن قوله: فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس أمرا بل المراد منه الزجر، كأنه يقول لما بلغ البيان في وجوب رعاية التوحيد إلى الغاية القصوى فبعد ذلك أنتم أعرف بأنفسكم، ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله: قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلاك لا يعقل هلاك أعظم منه، وخسروا أهليهم أيضا لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة، فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده ألبتة، وقال ابن عباس: إن لكل رجل/ منزلا وأهلا وخدما في الجنة، فإن أطاع أعطي ذلك، وإن كان من أهل النار حرم ذلك فخسر نفسه وأهله ومنزله وورثه غيره من المسلمين، والخاسر **المغبون**، ولما شرح الله خسرانهم وصف ذلك الخسران بغاية الفظاعة فقال: ألا ذلك هو الخسران المبين كان التكرير لأجل التأكيد الثاني: أنه تعالى ذكر في أول هذه الكلمة حرف ألا وهو للتنبيه، وذكر التنبيه في هذا الموضع يدل على التعظيم كأنه قيل إنه بلغ في العظمة إلى حيث لا تصل عقولكم إليها فتنبهوا لها الثالث: أن كلمة (هو) : في قوله: هو الخسران المبين تفيد الحصر كأنه قيل كل خسران فإنه يصير في مقابلته كلا خسران الرابع: وصفه بكونه (مبينا) : يدل على التهويل، وأقول قد بينا أن

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والأندلس ج ٢ العماد الأصبهاني ص/٣١٠

لفظ الآية يدل على كونه خسرانا مبينا فلنبين بحسب المباحث العقلية كونه خسرانا مبينا، وأقول نفتقر إلى بيان أمرين إلى أن يكون خسرانا ثم كونه مبينا أما الأول: فتقريره أنه تعالى أعطى هذه الحياة وأعطى العقل، وأعطى المكنة وكل ذلك رأس المال، أما هذه الحياة فالمقصود منها أن يكتسب فيها الحياة الطيبة في الآخرة.

وأما العقل فإنه عبارة عن العلوم البديهية وهذه العلوم هي رأس المال والنظر، والفكر لا معنى له إلا ترتيب علوم ليتوصل بذلك الترتيب إلى تحصيل علوم كسبية، فتلك العلوم البديهية المسماة بالعقل رأس المال وتركيبها على الوجوه المخصوصة يشبه تصرف التاجر في رأس المال وتركيبها على الوجوه بالبيع والشراء، وحصول العلم بالنتيجة يشبه حصول الربح، وأيضا حصول القدرة على الأعمال يشبه رأس المال، واستعمال تلك القوة في تحصيل أعمال البر والخير يشبه تصرف التاجر في رأس المال، وحصول أعمال الخير والبر يشبه الربح، إذا ثبت هذا فنقول: إن من أعطاه الله الحياة والعقل والتمكن، ثم إنه لم يستفد منها لا معرفة الحق ولا عمل الخير ألبتة كان محروما عن الربح بالكلية، وإذا مات فقد ضاع رأس المال بالكلية فكان ذلك خسرانا، فهذا بيان كونه خسرانا وأما الثاني: وهو بيان كون ذلك الخسران مبينا فهو أن من لم يربح الزيادة ولكنه مع ذلك سلم من الآفات والمضار، فهذا كما لم يحصل له مزيد نفع لم يحصل له أيضا مزيد ضرر، أما هؤلاء الكفار فقد استعملوا عقولهم التي هي رأس مالهم في استخراج وجوه الشبهات وتقوية الجهالات والضلالات، واستعملوا قواهم وقدرهم في أفعال الشر والباطل والفساد، فهم قد جمعوا بين أمور في غاية الرداءة أولها: أنهم أتعبوا أبدانهم وعقولهم طلبا في تلك العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة وثانيها: أنهم عند الموت يضيع عنهم رأس المال من غير فائدة وثالثها: أن تلك المتاعب الشديدة التي كانت موجودة في الدنيا في نصرة تلك الضلالات تصير أسبابا للعقوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت، وعند الوقوف على هذه المعاني يظهر أنه لا يعقل خسران أقوى من خسرانهم، ولا حرمان أعظم من حرمانهم، ونعوذ بالله منه.." (١)

"أما قوله تعالى: وما الله بغافل عما تعملون ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: قرأ ابن كثير ونافع وعاصم بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة، وجه الأول: البناء على أول الكلام، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، ووجه الثاني: البناء على أنه آخر الكلام واختيار الخطاب لأن عليه الأكثر ولأنه أدل على المعنى لتغليب الخطاب على الغيبة إذا اجتمعا.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٣٣/٢٦

المسألة الثانية: قوله تعالى: وما الله بغافل عما تعملون تهديد شديد وزجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة، لأن الغفلة إذا كانت ممتنعة عليه سبحانه مع أنه أقدر القادرين وصلت الحقوق لا محالة إلى مستحقيها.

[سورة البقرة (٢) : آية ٨٦]

أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون (٨٦)

اعلم أن الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن والله سبحانه مكن المكلف من تحصيل أيهما شاء وأراد، فإذا اشتغل بتحصيل أحدهما فقد فوت الآخر على نفسه، فجعل الله ما أعرض اليهود عنه من الإيمان بما في كتبهم وما حصل في أيديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشراء، وذلك من الله تعالى في نهاية الذم لهم لأن **المغبون** في البيع والشراء في الدنيا مذموم حتى يوصف بأنه تغير في عقله فبأن يذم مشتري متاع الدنيا بالآخرة أولى.

أما قوله تعالى: فلا يخفف عنهم العذاب ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: في دخول الفاء في قوله: فلا يخفف قولان، أحدهما: العطف على اشتروا والقول الآخر بمعنى جواب الأمر، كقولك أولئك الضلال انتبه فلا خير فيهم والأول أوجه لأنه لا حاجة فيه إلى الإضمار.

المسألة الثانية: بعضهم حمل التخفيف على أنه لا ينقطع بل يدوم، لأنه لو انقطع لكان قد خف، وحمله آخرون على شدته لا على دوامه والأولى أن يقال: إن العذاب قد يخف بالانقطاع وقد يخف بالقلة في كل وقت أو في بعض الأوقات، فإذا وصف تعالى عذابهم بأنه لا يخفف اقتضى ذلك نفي جميع ما ذكرناه.

أما قوله تعالى: ولا هم ينصرون ففيه وجهان: الأكثرون حملوه على نفي النصرة في الآخرة يعني أن أحدا لا يدفع هذا العذاب عنهم ولا هم ينصرون على من يريد عذابهم ومنهم من حمله على نفي النصرة في الدنيا، والأول أولى لأنه تعالى جعل ذلك جزاء على صنيعهم، ولذلك قال: فلا يخفف عنهم العذاب وهذه الصفة لا تليق إلا بالآخرة، لأن عذاب الدنيا وإن حصل فيصير كالحدود التي تقام على المقصر ولأن الكفار قد يصيرون غالبين للمؤمنين في بعض الأوقات.

[سورة البقرة (٢) : آية ٨٧]

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون (٨٧)

اعلم أن هذا نوع آخر من النعم التي أفاضها الله عليهم ثم إنهم قابلوه بالكفر والأفعال القبيحة، وذلك لأنه تعالى لما وصف حال اليهود من قبل بأنهم يخالفون أمر الله تعالى في قتل/ أنفسهم وإخراج بعضهم بعضا من." (١)

"١ -.

(مضى زمن والناس يستشفعون لي ... فهل لي إلى لبنى الغداة شفيع)

٢ -.

(يقولون صب بالنساء موكل ... وما ذاك من فعل الرجال بديع)

٣ -.

(إلى الله أشكو نية شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي أمس جميع)

٤ -.

(لعمرك إني يوم جرعاء مالك ... لعاص لأمر المرشدين مضيع)

٥ -.

(ندمت على ما كان مني فقدتني ... كما يندم **المغبون** حين يبيع)

٦ -.

(إذا ما لحاني العاذلات بحبها ... أبت كبد مما أجن صديع)

٧ -.

(وكيف أطيع العاذلات وحبها ... يؤرقني والعاذلات هجوع)

[٥٢٦]

وقال أيضا // (من الطويل) //." (٢)

"وقالوا قد ذكره سيبويه في المصادر قال هو مثل العرفان والحرمان والإتيان والوجدان تقول لقيته لقية ولقيا ولقيانا ولقي ولقاء وهي ضعيفة ولقيانة الغريب الشهد العسل والنحل جمع نحلة وهي زنابير العسل المعنى يقول للعاذلة تريدين إن املك المعالي رخيصة ومن جتني الشهيد قاسي لسع النحل ولا يبلغ حلاوة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣/٥٩٤

(٢) الحماسة المغربية الجراوي ٢/٩٢٨

العسل إلا بمقاساة اللسع وهو من قول العتابي

(وإن جسيمات الأمور مثوبة ... بمستودعات في بطن الأساود)

١٠ - الغريب تجلى تكشف والإجلاء الكشف وروي والخيل تدعى يريد وأصحاب الخيل وهو الفرسان يدعون بالانتساب على طريق الفخر وطلب الاشتهار المعنى يقول للعاذلة تحذرين علينا الموت والحرب تستعر والفرسان في غمراتها تفتخر ولم تعلمي ما تجلى عنه من الظهور والغلبة وما تعقب من الكرامة والرفعة ولم تعلمي أن الدائرة علينا أو عليهم وهذا يشير إلى الوقعة التي شهدها في الكوفة مع الخارجي قبل ورود هذا الممدوح إليها

١١ - الإعراب جعل الاسمين اسما واحدا ففتح الراء وصرف الاسم ضرورة الغريب دلير ولشكروز اسمان من أسماء الديلم وهما الشجاع بالعربية والغبين **المغبون** وهو فعيل بمعنى مفعول كما تقول قتيل بمعنى مقتول وشريت الشيء إذا بعته وشريته ابتعته وهاهنا أراد الابتياع المعنى يقول إذا حصلت لنفسي إكرام هذا الممدوح بمهجتي لم أغبن وكنت رابحا والمعنى لو ابتعت المنية مغتبطا بها ولقيتها غير كاره لها جزاء لما أولاني هذا الممدوح من كرامته لما غبنت في ذلك وكنت اربح الناس بهذا

١٢ - الغريب الأنابيب جمع أنبوب وهو ما بين كعوب القناة وحلا واحلو لي واستحليته واحلوليته بمعنى وأمر الشيء يمر إمرارا المعنى يريد أن الحرب شديدة المرارة وهذا أشار إلى الوقعة التي جرت بالكوفة ولم يشهدها الممدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة والمعنى يقول تمر الرياح التي تخطر بيننا ثم نذكر إقبال الممدوح وما يدعو ذلك إليه عند قدومه فيحلو لنا القتال فنقدم على الأعداء وقد عاب قومه عليه فتحلولي مع قوله تجلى وقالوا كيف جمع بينهما في القافية ولا صحة للواو وليس الأمر كذلك لأن الواو والياء إذا سكتنا وانفتح ما قبلهما." (١)

"الأشرفية، ولقد زفت إلى أجل خاطب، ورقت بعد انحطاطها إلى أسنى المراتب، فانها وإن كانت بكر فكر أكابر، فما هي إلا بنت عدة آباء ولدت على فراش عواهر، كان عليه البغاء في العالمين علامة، أعني ابن مسيلمة ذا الداء وأسأل الله السلامة، فجاءت ذات غرام لا يشفي قطمها إلا السودان، وأردت أن أكون ناكحها الثاني لا تفاق الألوان، وأبى الله لها أن تهدى إلا إلى المقر الأرفع، وأن تضع الابتناء بالبغي من الهمام الأروع، ولست يائسا على عدمها، ولا راج شفاء كلمي بكلمها:

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣/٢٩١

تحمل أهلها عني فبانوا ... على آثار من ذهب العفاء «١»

وكأني بساميه عرض هذا الكتاب على من لا أسميه، فقرن حاجبيه ولوى شفتيه ولمس عثنونه تعجبا وأمال عطفيه تطرفا وقال: أذكرتني سجع الكهان، وأسمعتني قعقعة صعصعة بن صوحان، والله المستعان على ما يصفون، وإنما هي نفثة صدرت عن صدر مصدور فاز «٢» نافثها بصفقة **المغبون**. وأما سؤاله عما حصل من الكتب في غيبته:

فما هي إلا البحر جاد بدره ... ومكنني من لجه وسواحله

حصل من نفائسها أعلاق نفيسة، وأضحت على بعد المراحل عليها موقوفة حبيسة، لو امتدت يد إليها لشلت، ولو سعت إليها قدم لما أقلت جثتها ولا استقلت، لا ابن العديم يعدمها، ولا القيلوي يقللها ولا الصفي يصطفيها ولا المجد يختزلها:

خلا لك الجو فبيضي واصفري

وتعداد المجدد منها يقصر عنه الكتاب، ويقصر دونه الخطاب، والله الموفق.

[٨٥٦] أبو علي المنطقي: لم أظفر باسمه وهو مجيد؛ قال الخالع: هو من أهل البصرة

---

(٨٥٦) - ترجمته في الوافي ٢٢: ٣٦٠- ٣٦٤ (عن ياقوت) وسقطت الترجمة من ك.." [١]

"فأطالت من شهرته، وضمنته نصرة الدين الحنيف الذي لله عناية بنصرته، وجعلته تاريخا بؤرخ بفتحه كما أرخ للنبي صلى الله عليه وسلم بدار هجرته، وإذا أنصف واصفه قال: إنه لليوم البدري في اقتراب النسب، وإنه العجيبة التي لم تجفل عنها الأيام في صفر وإنما أجفلت عنها في رجب، فما أكثر الفائز فيه **والمغبون**، والمسرور والمحزون فمن جد راكب ومن جد راجل، ومن عز قادم وذل راحل، ولطالما جد الخادم في السعي له وأبصار العدا تزلقه، وألسنتهم تسلقه، وما منهم إلا من أكثر الشناعة بأن ذلك السعي للاستكثار من البلاد، والله يعلم أنه لم يكن إلا للاستكثار من موارد الجهاد، لا جرم أن صدق النية كان له عقبى الدار، وتلك الأقوال الكاذبة كان لها عقبى البوار، ويوم هذا الفتح يفتقر قبله إلى أيام تجلو بياضه عن سوادها، ويلقح لها بطون المساعي حتى يكون هو نتيجة ميلادها، ولما ظفر به الخادم لم يكن لأهل النجامة فيه قول يرد كذابه، ولا يقبل صوابه والشهب الطالعة على ذوات السروج، أصدق نبأ من الشهب الطالعة من ذوات البروج، على أنهما وإن اتفقا رجما فإنهما يختلفان علما، فعلم هذه يسأل عنه ثغر الأعناق،

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥/٢٠٣٦

وعلم هذه يسأل عنه بطون الأوراق، ولما دخل البلد وجد به أمما لولا أن ضربت عليهم الذلة لدافعوا المنايا مكاثرة، وغالبوا السيوف مصابرة، وهم طوائف مختلفو الألسنة والألوان، وإن قيل إنهم أناسى فإن صورهم صور الجان، ومنهم طائفة استشعرت حبس نفوسها، وفحصت الشعر عن أوساط رءوسها، وتوحشت بالرهبانية حتى ارتاعت العيون من أشكالها ولبوسها، ولما رأوا طلعة الإسلام داخلة عليهم أعلنوا بالجؤار واصطرخوا جميعا كما يصطرخون غدا في النار، وزادهم غيظا إلى غيظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة، وقد صار الناقوس أذانا، وكلمة الكفر إيمانا، وأقيمت الجمعة، وهي أول جمعة حظي الأقصى بمشهدها، وحضرتها الأمة الإسلامية بأحمرها و أسودها، فمن باك بدمعة سروره الباردة، ومن مجيل نظره في نعمة الله الواردة، ومن شاكر للزمن الذي أبقاه إلى يومه هذا الذي كل الأيام له حاسدة من كان ولده تقدم قبله أو بعده فكأنه لم يولد، وكانت هذه الجمعة في رابع شعبان، وهو الشهر الذي جعله الله طليعة لشهر الصيام، وليلة نصفه هي الليلة المعروفة بإحياء قيامها إلى حين وفاة شخص الظلام، والتي يغفر فيها لأكثر من شعر غنم كلب من ذوي الذنوب والآثام، وجيء باللواء الأسود فركز من المنبر في أعلاه، ونطق لسان حاله فقال: من كان." (١)

"عند الله مما طلعت عليه الشمس، ولا يوازى فتحه عنوة أن يتعدى إليهم أضراره، ولا شك أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطاره.

فرأى الخادم عند ذلك أن الرأي مشترك، وأن له معتركا كما أن السيف له معترك، وتقرر تسليم البلد ودموع أهله قد خضبت أحداقها، وأقرحت آماقها١ ولم تطب أنفسهم بفراق قمامه حتى كادت الهام تفارق أعناقها، فعلى حسب ذلك التراب تقوم قيامتهم، وتشيل نعامتهم، ولطالما ابتهلوا عنده أيام الحصار، واستنصروه فلم يحظوا منه بمعونة الانتصار، وكيف يرجى النصر من معبود تقر شيعته بقتله؟، أم كيف يدفع عن غيره من كان هو مبتلى بمثله، وهذه عقول سخيفة نفذ فيها كيد شيطانها، وأخفى عنها محجة الحق على وضوح بيانها.

ولقد كان يوم التسليم عريض الفخار، زائد العمر على عمر أبويه من الليل والنهار، واشتق من اسمه معنى السلامة للمسلمين والهلاك للكفار، وزاده فخرا إلى فخره أنه وافق اليوم المسفر عن ليلة المعراج النبوي الذي كان في تلك الأرض موعده، ومن صخرتها مصعده، وذلك هو الإسراء الذي ركب إليه ظهر البراق٢، واستفتح له أبواب السبع الطباق، ولقي فيه الأنبياء على اختلاف درجاتهم، فظفر خير ملقى بخير لاق،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١٣٤/٢

وبركة ذلك اليوم سرت إلى هذا، فأطالت من شهرته، وضمنته نصرة الدين الحنيف الذي لله عناية بنصرته، وجعلته تاريخا يؤرخ بفتحه كما أرخ النبي -صلى الله عليه وسلم- بدار هجرته، وإذا أنصف واصفه قال: إنه لليوم البدري في اقتراب النسب، وإنه العجيبة التي لم تجفل عنها الأيام في صفر، وإنما أجفلت عنها في رجب، فما أكثر الفائز فيه **والمغبون**، والمسرور والمحزون فيمن جد راكب ومن جد راجل، ومن عز قادم وذل راحل.

---

١ جمع مأق ومؤق طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع من العين، أو مقدمها أو مؤخرها.

٢ البراق دابة ركبها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة المعراج، قال صاحب القاموس "٣/ ٢١٢"، وكانت دون البغل وفرق الحمار.." (١)

"وجود مثله؛ وكان شاعرا محسنا. وبالإسناد قال الخطيب: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ قال: وكان أحد الرؤساء يقول: سمعت جماعة من أهل العلم والأدب يقولون: إن الرضي أشعر قريش؛ فقال ابن محفوظ: هذا صحيح، وقد كان في قريش من يجيد القول إلا أن شعره قليل، فأما مجيد مكثر فقليل إلأ الرضي. أنبأني زيد عن أبي منصور محمد بن عبد الرحمن عن أحمد بن علي قال: أنشدني القاضي أبو العلاء محمد بن علي قال: أنشدنا الشريف أبو الحسن الرضي لنفسه: رمل مجزوء:

إشتر العز بما شئ ... ت فما العز بغال

بقصار الصفر إن شئ ... ت أو السمر الطوال

ليس **بالمغبون** عقلا ... من شرى عزا بمال

إنما يدخر الما ... ل لحاجات الرجال

والفتى من جعل الأموا ... ل أثمان المعالي

وبالإسناد قال أحمد بن علي: قال لي علي بن علي: ولد الرضي ببغداد في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكانت وفاته في يوم الأحد السادس من المحرم سنة ست، وأربعمائة، ودفن في داره بمسجد الأنباريين.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٢٩٧

٢٢٤ - محمد بن الحسين بن أحمد بن الطبيب الأديب،

أبو علي من أهل المحمدية، قرية بالعراق؛ كان أديبا فاضلا شاعرا مبرزا. كتب." (١)

"(فإنا لله وإنا إليه راجعون)

من حادثة تقصم الظهر، وتهدم العمر، وتفت فى العضد، وتوهى الجلد، وتضاعف الكمد، وتشيب الوليد، وتنخب لب الجليد، وتسود القلب، وتذهل اللب، فحينئذ تقهقر المملوك على عقبيه ناكصا، ومن الأوبة إلى حيث تستقر فيه النفس بالأمن آيسا، بقلب واجب [١]، ودمع ساكب، ولب عازب، وحلم غائب، وتوصل [٢]، وما كاد حتى استقر بالموصل، بعد مقاساة أخطار، وابتلاء واصطبار، وتمحيص الأوزار، وإشراف غير مرة على البوار والتبار. لأنه مربين سيوف مسلولة، وعساكر مغلولة، ونظم [٣] محلولة. ودماء مسكوبة مطلولة [٤]، وكان شعاره كلما علا قتبا، أو قطع سبسبا: (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) [٥]. فالحمد لله الذى أقدرنا على الحمد، وأولانا نعماء تفوت الحصر والعد.

وجملة الأمر [أنه [٦]] لولا فسحة في الأجل، لعز أن يقال: سلم من البأس أوصل، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة **المغبون**، وألحق بألف ألف ألف ألف ألف هالك بأيدى الكفار أو يزيدون، وخلف خلفه جل ذخيرته، ومستمد [٧] معيشته.

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى ... أعز وأحداث الزمان تهون

وبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه ... وبت أريه الصبر كيف يكون

---

[١] واجب: مضطرب.

[٢] ابن خلكان: «فتوصل».

[٣] ابن خلكان: «ونظام عقد محلولة».

[٤] مطلولة: مهدرة.

[٥] سورة الكهف ٦٢.

[٦] من ابن خلكان.

[٧] كذا في ب وابن خلكان، وفي الأصل. «مستمدة».." (٢)

---

(١) المحمدون من الشعراء القفطي، جمال الدين ص/٢٤٤

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٤/٩٦

"(أحن حنين الواله الطرب الذى ... ثنى شجوه بعد الحنين التذكر)

٢٦٨ - وقال قيس بن الملوح

(إلى الله أشكو نية شقت العصا ... هى اليوم شتى وهى أمس جميع)

(أيا حرجات الدار حيث تحملوا ... بذى سلم لا جادكن ربيع)

(ولو لم يهجنى الظاعنون لهاجنى ... حمائم ورق فى الديار وقوع)

(تداعين فاستبكين من كان ذا هوى ... نوائح ما تجرى لهن دموع)

(وإن انهمال الدمع يا ليل كلما ... ذكرتك وحدى خاليا لسريع)

(مضى زمن والناس يستشفعون بى ... فهل لى ليلى الغداة شفيع)

(ندمت على ما كان منى فقدتنى ... كما يندم المغبون حين يبيع)

(عدمتك من نفس شعاع فاننى ... نهيتك عن هذا ونحن جميع)

(فقربت لى غير القريب وأشرقت ... ثنايا عذاب ما لهن طلوع)." (١)

"عليه حين استخلف، فقدم خناصرة أو دابق، وكانت عنده قطيعة من أديم أحمر للنبي صلى الله عليه وسلم.

ابن بنت حامد:

من كبار المعتزلة المتكلمين قدم حلب وافدا على الأمير سيف الدولة بن حمدان، وتكلم مع أبي عبد الله بن خالويه بحضرته في مسألة خلق القرآن، وذكر ابن خالويه أنه قطعه، وقد ذكرنا ذلك في ترجمة ابن خالويه، وهذا ابن بنت حامد كان يكنى أبا بكر، واسمه أحمد بن عبيد الله، وقد سبق ذكره.

ابن بنت أبي عبد الله:

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٢/١٩٨

محمد بن يوسف بن المنيرة كان من أهل شيزر، روى أبياتا لجده أبي عبد الله بن المنيرة، رواها عنه عثمان بن عيسى البلطي.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطي، إجازة، ح.

وأنبأنا حمزة بن علي بن عثمان المخزومي قال: أنشدنا البلطي قال: أنشدني رجل من أهل شيزر يزعم أنه ابن بنت الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن منيرة لجده المذكور:

ومهند تقفو المنون سبيله ... أبدا فكيف يقال ريب منون

شرك المنايا في النفوس فرحن عن ... غبن وراح وليس بالمغبون

(٢٤١- ظ)

لو أن سيفا ناطقا لتحدثت ... شفراته بسرائر وشجون

فكأنما القدر المتاح مجسما ... في حده أو عرض عز الدين

والد مشرس:

حدث عن أبي شيبة الخدري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنه ابنه مشرس، وغزا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية واجتاز بحلب، أو ببعض عملها.." (١)

"هو ما تسمع؛ قال سليمان للزهري: هل تعرفه قال: يا أمير المؤمنين إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته، قال أبو حازم: أجل والله لو أحببت الله لعرفتني ولكن لم تحب الله فنسيتني، فقال الزهري: يا أبا حازم تشتمني! قال: لا، ولكنك شتمت نفسك، أما علمت أن للجار حقا كالقرابة حقا كالقرابة

جاء سليمان يوما إلى طاوس فلم ينظر إليه، فقيل له في ذلك، فقال: أردت أن يعلم أن الله رجالا يزهدون فيما لديه.

وشاور سليمان عمر بن عبد العزيز في أمر، فقال سليمان: هل علينا عين فقال عمر نعم عين بصيرة لا تحتاج إلى تحديق، وسمع نافذ لا يحتاج إلى إصغاء.

حضر أعرابي إلى مائدة سليمان فجعل يمد يده فقال له الحاجب: كل ما بين يديك، فقال الأعرابي: من أجدب انتجع، فشق ذلك على سليمان وقال له: لا تعد إلينا؛ ودخل آخر فمد يده فقال له الحاجب: كل مما يليك، فقال: من أخصب تخير، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه.

وحكى عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كنت نديما لسليمان بن عبد الملك، وإني لعنده ذات

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٤٧١٠/١٠

يوم إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب أعرابيا وله دين، فلو أذنت له فسمعت كلامه، قال: نعم، يا غلام، إيذن للأعرابي، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه ما يحب إن قلته، فقال له: يا أعرابي إنا لنجود بالاحتمال على من لا نأمن غيبه ولا نرجو نصحه وأنت المأمون غيبا والناصح جيبا فهات، فقال الأعرابي: أما إذا أمنت بادرة غضبك فإني مطلق لساني بما خرست به الألسن بإذنه، لحق الله عز وجل وحق أمانتك يا أمير المؤمنين، إنه تكنفك قوم أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بآخرتهم ورضاك بسخط الله، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فإنهم لم يألوا الأمانة والأمة خسفا وعسفا وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت، فلا تفسد آخرتك بدنيا غيرك، فإن **المغبون** كل **المغبون** من أفسد آخرته بدنيا غيره، فقال له سليمانك أما أنت فقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك، قال: نعم يا أمير المؤمنين وهو لك لا لغيرك، فقيل." (١)

"ديني على ظبياته ما يقتضى ... فبأي حكم يقتضون رهوني

وخشيت من قلبي الفرار إليهم ... حتى لقد طالبته بضمين

كل النكال أطيق إلا ذلة ... إن العزيز عذابه بالهون

يا عين مثل قذاك رؤية معشر ... عار على دنياهم والدين

لم يشبهوا الإنسان إلا أنهم ... متكونون من الحما المسنون

نجس العيون فإن رأيتهم مقلتي ... طهرتها فنزحت ماء جفوني

أنا إن هم حسبوا الذخائر دونهم ... وهم إذا عدوا الفضائل دوني

لا يشمت الحساد أن مطامعي ... عادت إلي بصفقة **المغبون**

ما يستدير البدر إلا بعدما ... أبصرته في الضمر كالعرجون

هذا الطريق اللحب زاجر ناقتي ... واليم قاذف فلكي المشحون

فإذا عميد الملك حلى ربعه ... ظفرا بفأل الطائر الميمون

ملك إذا ما العزم حث جياده ... مرحت بأزهر شامخ العرنين

بأغر ما أبصرت نور جبينه ... إلا اقتضاني بالسجود جبيني

تجلو النواظر في نواحي دسته ... والسرج بدر دجى وليث عرين

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٤٢٤

عمت فضائله البرية فالتقى ... شكر الغني ودعوة المسكين
قالوا وقد شنوا عليه غارة ... أصلات جود أم قضاء ديون
لو كان في الزمن القديم تظلمت ... منه الكنوز إلى يدي قارون
أما خزائن ماله فمباحة ... فاستوهبوا من علمه المخزون (١)
ما الرزق محتاجا بعرصته إلى ... طلب وليس الأجر بالمنون
أقسمت أن ألقى المكارم عالما ... أني برؤيته أبر يميني
ساس الأمور فليس يخلي رغبة ... من رهبة، وبسالة من لين
كالسيف رونق أثره في متنه ... ومضاؤه في حده المسنون
شهدت علاه أن عنصر ذاته ... مسك وعنصر غيره من طين

---

(١) سقط البيت من ن ر ق.." [1]

"المصطفين الأخبار (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) البقرة: فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد، وتحكم في تلك الأبشار أولو الزيغ والعناد (١) ، فأصبحت تلك القصور، كالممحو من السطور، وأمست (٢) تلك الأوطان مأوى الأصداء والغربان، تتجاوب في نواحيها البوم، وتتناوح في أراجيها (٣) الريح السموم، ويستوحش فيها الأنيس، ويرثي لمصابها إبليس:
كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى ... وأقيال ملك في بسالتهم أسد
فمن حاتم في وجوده وابن مامة ... ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا ... لنا عبرة تدم الحشا ولمن بعد فإنا لله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر، وتهدم العمر، وتفت في العضد، وتوهي الجلد، وتضاعف الكمد، وتشيب الوليد، وتنخب لب الجليد، وتسود القلب، وتذهل اللب، فحينئذ تقهقر المملوك على عقبه (٤) ، ن ا كسا، ومن الأوبة إلى حيث تستقر في النفس بالأمن آيسا، بقلب واجب، ودمع ساكب، ولب عازب، وحلم غائب، وتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار، وابتلاء واصطبار، وتمحيص الأوزار، وإشراف غير مرة على البوار والتبار، لأنه مر بين سيوف مسلولة، وعساكر مفلولة، ونظام عقود محلولة، ودماء مسكوبة

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٤٠/٥

مطلولة، وكان شعاره كلما علا قتبا، أو قطع سبسبا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) الكهف: فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد، وأولانا نعما تفوت الحصر والعد، وجملة الأمر أنه لولا فسحة في الأجل، لعز أن يقال سلم البائس أو وصل، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة **المغبون**، وألحق بألف ألف ألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار

---

(١) ن: والأفك والعناد.

(٢) ق ع ن بر من: وآضت.

(٣) ع بر من: أرجائها.

(٤) ن ق: عقبيه.." (١)

"عليه السلام. وقيل هم عبدة الملائكة. وقيل عبدة الكواكب، وهو إن كان عربيا فمن صبأ إذا خرج. وقرأ نافع وحده بالياء إما لأنه خفف الهمزة وأبدلها ياء، أو لأنه من صبأ إذا مال لأنهم مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم، أو من الحق إلى الباطل.

من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ. مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملا بمقتضى شرعه. وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا، ودخل في الإسلام دخولا صادقا: فلهم أجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم. ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب، ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب. ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن، أو بدل من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه معنى الشرط، وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية، ورد بقوله تعالى: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٦٣ الى ٦٤]

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (٦٣) ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين (٦٤)

وإذ أخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة. ورفعنا فوقكم الطور حتى أعطيتم الميثاق،

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٣٦/٦

روي أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها، فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا

. خذوا على إرادة القول: ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة. واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه، أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب، أو اعملوا به. لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي، أو رجاء منكم أن تكونوا متقين. ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف، أي: قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا.

ثم توليتم من بعد ذلك أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه. فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة، أو بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه. لكنتم من الخاسرين **المغبونين** بالانهماك في المعاصي، أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل. ولو في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره، فإذا دخل على لا أفاد إثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره، والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده، وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٦٥ الى ٦٦]

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥) فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (٦٦)

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة لقسم، والسبت مصدر قولك سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت، وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام، واشتغلوا بالصيد، وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على ساحل يقال لها أيلة، وإذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه، فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد. فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء: وهو الصغار والطرد، وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم، فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى: كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله: كونوا ليس بأمر إذ لا قدرة لهم عليه، وإنما المراد به سرعة التكوين، وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم، وقرئ «قردة» بفتح القاف وكسر الراء، و «خاسين» بغير همزة.." (١)

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٨٥/١

"ألا إنما غادرت يا أم مالك ... صدى إينما تذهب به الريح يذهب

فيه ثقيل أول مطلق بإستهلال ذكر إبن المكي أنه لأبيه يحيى، وذكر الهشامي أنه للواثق، وذكر حبش أنه لإبن محرز وهو في جامع أغاني سليمان منسوب إليه.

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب للمجنون:

فو الله ثم الله إني لدائب ... أفكر ما ذنبي إليها وأعجب

ووالله ما أدري علام قتلتني ... وأي أموري فيك يا ليل اركب

أأقطع حبل الوصل فالموت دونه ... أم أشرب رنقا منكم ليس يشرب

أم أهرب حتى لا أرى لي مجاورا ... أم أصنع ماذا أم أبوح فأغلب

فأيهما يا ليل ما ترتضيه ... فإني لمظلوم وإني لمتعب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر ن شبة قال: ذكر هشام بن الكلبي ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن علي قال: حدثني إبن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي عن أبيه أن أبا المجنون وأمه ورجال عشيرته إجتمعوا إلى أبي ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحم وقالوا له أن هذا الرجل لهالك وقبل ذلك ففي اقبح من الهلاك بذهاب عقله وإنك فاجع به أباه وأهله فنشدناك الله والرحم أن تفعل ذلك، فو الله ما هي أشرف منه ولا لك مثل مال أبيه وقد حكمك في المهر وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل، فأبى وحلف بالله وبطلان أمها أنه لا يزوجه إياها أبدا وقال: أفضح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحد من العرب وأسم إبنتي بميسم فضيحة، فأنصرفوا عنه.

وخالفهم لوقته فزوجها رجلا من قومها وأدخلها إليه فما أمسى إلا وقد بنى بها، وبلغه الخبر فأيس منها حينئذ وزال عقله جملة فقال الحي لأبيه: أحجج به إلى مكة وأدع الله عز وجل له ومره أن يتعلق بأستار الكعبة فيسأل الله أن يعافيه مما به ويبغضها إليه فلعل الله يخلصه من هذا البلاء، فحج به ابوه، فلما صاروا بمنى سمع صائحا في الليل يصيح: يا ليلى، فصرخ صرخة ظنوا أن نفسه قد تلفت وسقط مغشيا عليه، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائل اللون ذاهلا فأنشأ يقول:

عرضت على قلبي العزاء فقال لي ... من الآن فأيأس لا أعزك من صبر

إذا بان من تهوى وأصبح نائيا ... فلا شيء أجدى من حلولك في القبر

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أطراب الفؤاد وما يدري

دعا بإسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائرا كان في صدري

دعا بإسم ليلى ضلل الله سعيه ... وليلى بأرض عنه نازحه قفر

وقال:

أيا حرجات الحي حين تحملوا ... بذي سلم لا جادكن ربيع

وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى ... بلين بلا لم تبلهن ربوع

ندمت على ما كان مني ندامة ... كما يندم **المغبون** حين يبيع

فقدتك من نفس شعاع فإنني ... نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقربت لي غير القريب فأشرقتإليك ثنايا ما لهن طلوع وذكر خالد بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعاها أن ليلى وءدته بل أن يختلط أن تستزيره ليلة وجدت فرصة لذلك، فمكث مدة يراسلها في الوفاء وهي تعده وتسوفه، فأتى أهلها ذات يوم والحي خلوف فجلس إلى نسوة من أهلها حجرة منها بحيث تسمع كلامه فحادثهن طويلا ثم قال: ألا أنشدكن أبياتا أحدثتها في هذه الأيام، قلن بلى، فأنشدهن:

يا للرجال لهم بات يعروني ... مستطرف وقديم كاد يبليني

من عاذري من غريم غير ذي عسر ... يأتي فيمطلني ديني ويلويني

لا يعد النقد من حقي فينكره ... ولا يحدثني إن سوف يقضيني

وما كشكري شكر لو يوافقني ... ولا مناي سواه لو يوافيني

أطعته وعصيت الناس كلهم ... في أمره وهواه وهو يعصيني

قال: فقلن له: ما أنصفك هذا الغريم الذي ذكرته، وجعلن يتضاحكن وهو يبكي، فأستحيت ليلى منهن ورقت له حتى بكت وقامت فدخلت بيتها وأنصرف هو.

في الثلاثة الأبيات الأول من هذه الأبيات هزج طنبوري للمسدود، قالا في حبرهما:." (١)

"أحدثتني يا قلب أنك صابر ... على الهجر من لبنى فسوف تذوق

أطعت وشاة لم يكن لك فيهم ... خليل ولا دان عليك شفيق

فمت كمدا أو عش معنى فإنما ... تحملني ما لا أراك تطيق

سمى الدهر والواشون بيني وبينها ... فقطع حبل الوصل وهو وثيق

قال أيضا:

---

(١) المرقصات والمطربات ابن سعيد ا المغربي ص/٩٧

سقى طلل الدار التي كنتم بها ... بشرقي سلع صيف وربيع

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

يقولون صب بالنساء موكل ... وما ذاك من فضل الرجال بديع

إلى الله أشكو نية شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي أمس جميع

لعمرك أني يوم جرعاء مالك ... لعاص لأمر المرشدين مطيع

ندمت على ما كان مني ندامة ... كما ندم **المغبون** حين يبيع

لعبد الله بن شبيب:

يقلن وقد أبصرن نسكي وتوبتي ... إلى الله ما هذا تحين تتوب

... امرءا غض الشباب وللصبا ... قديما من الغض الشباب نصيب

لقيس بن الحدادية:

أجدك إن نعم نأت أنت جازع ... قد اقترنت لو أن ذلك نافع

قد اقترنت لو أن في قرب دارها ... جداء ولكن كل من من مانع

فإن تلقين أسماء قبلي فحيها ... وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع

وظني بها حفظ لغيبي ورعيه ... لما استرعيت والظن بالغيب واسع

ولا يسمعن سري وسرك ثالث ... ألا كل سر جاوز اثنين شائع

كأن فؤادي يوم شقين من عصى ... حذار وقوع البين أو هو واقع

وقد يحمد الله العزاء من الفتى ... وقد يجمع الشمل الشتيت الجوامع

وقالت وعيناها يفيضان عبرة ... فديتك بين لي متى أنت راجع

فقلت لها والله يدري مسافر ... إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

فشدت على فيها اللثام وأعرضت ... وأمعن بالكحل السحيق المدامع

قال قيس المجنون:

لعلك أن تروى بشرب على القدم ... وترضى بأخلاق لهن خطوب

فتبلى وصال الواصلين فتعلمي ... خلائق من تصفي الهوى ويشوب

وألقى من الحب المبرح سورة ... لها بين لحمي والعظام دبيب

لقد شف هذي النفس أن ليس بارحا ... لها شجن ما يستطاع قريب

فلا القلب تخليه الأماني فيشتفي ... ولا النفس عما تعلمين تطيب

لك الله أني واصل ما وصلتني ... ومثن بما أوليتني ومثيب

وآخذ ما أعطيت عفوا وإنني ... لأزور عما تكرهين هيوب

فلا تتركي نفسي شعاعا فإنها ... من الوجد قد كادت عليك تذوب

قال غيره:

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله ... غزالان مكحولان مؤتلفان

طلبتهما صيدا فلم أستطعهما ... وختلا ففاتاني وقد قتلاني

قال غيره:

ألا ربما غرتك عند خطابها ... وولدت الوعد الكذوب الولائد

تساقط منهن الأحاديث غضة ... تساقط در أسلمته المعاقد

قال عمر بن أبي ربيعة:

وإذا تنازعك الحديث تطرفت ... منه القليل ولم ترد إكثارا

يصغي إليه السامعون لحسنه ... فكأنما يسقون منه عقارا

قال نعيم النبهاني:

ظللنا بيوم عند أم محلم ... نشاوى ولم نشرب طلاء وخمرا

إذا صمتت عنا صحونا لصمتها ... وإن نطقت كانت لألبابنا شكرا

قال ابن الطثرية:

أماتت وأحيت بالتمنع والمنى ... فؤادا رميا قد أصيب مقاتله

وتملك رق النفس مني إذا دنت ... سقاط حديث يغلب الحق باطله

قال قيس بن ذريح:

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ... ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري

وكنا جميعا قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حالي غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة بظهور

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلها ... ولكنما الدنيا متاع غرور

قال جميل:

كأن لم يكن نأي إذا كان بيننا ... تلاق ولكن لا أخال التلاقيا." (١)

"الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧)

﴿الذين ينقضون عهد الله﴾ النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا وعهد الله ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ الآية وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ ﴿من بعد ميثاقه﴾ أصله من الوثاقة وهي إحكام الشئ والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى ثوثقته كما أن الميعاد بمعنى الوعد أو الله تعالى أى من بعد توثقته عليهم ومن لا بتداء الغاية ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ هو قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين أو قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض والأمر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى وأن يوصل في موضع جر بدل من الهاء أى نوصله أو في موضع رفع أي هو أن يوصل ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بقطع السبيل والتعويق عن الإيمان ﴿أولئك﴾ مبتدأ ﴿هم﴾ فصل والخبر ﴿الخاسرون﴾ أى **المغبونون** حيث

البقرة (٢٨ _ ٢٩)

استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب." (٢)

"ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (١٤٩)

---

(١) التذكرة السعدية في الأشعار العربية محمد بن عبد الرحمن العبيدي ص/٥٣

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/ ٧٥

﴿وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم﴾ ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل وأصله أن من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده غما فتصير يده سقوطا فيها لأن فاه وقع فيها وسقط مسند إلى فى أيديهم وهو من بابا الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وإن استحال أن يكون فى اليد تشبيهم لمايحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا﴾ وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم ﴿قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلي وانتصاب ربنا على النداء ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ **المغبونين** في الدنيا والآخرة." (١)

"قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢)

﴿قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا﴾ أي شاهدا بصدق ما ادعيه من الرسالة وانزال القرآن علي وبتكذيبكم ﴿يعلم ما فى السماوات والأرض﴾ فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقى وباطلكم ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ منكم وهو ما يعبدون من دون الله ﴿وكفروا بالله﴾ وآياته ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ **والمغبونون** في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو اياكم لعلى هدى أوفي ضلال مبين وروى أن كعب بن الاشراف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت." (٢)

"الرجل إن انكسر جبره وإن صرع انعشه وإن ذل أعزه وإن اعوج أقامه وإن عثر أقاله وإن افتقر أغناه وإن عرى كساه وإن غوى أرشده وإن خاف أمنه وإن حزن أفرحه وإن تكلم صدقه وإن أقام بين ظهراني قوم اغتبطوا به وإن غاب عنهم أسفوا عليه وإن بسط يده قالوا جواد وإن قبضها قالوا مقتصد وإن أشار قالوا عالم وإن صام قالوا مجتهد وإن أفطر قالوا معذور قال الشاعر

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه

يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظورا عليه مكاسبه

وشين الفتى في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/٦٠٦

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٦٨٢

آخر

ما وهب الله لامرئ هبة ... أشرف من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فإن عدما ... فإن فقد الحياة أجمل به

آخر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

وإن حل أرضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب

وقال طاوس ما قلادة نظمت من در وياقوت بأزين لصاحبها من العقل ولو ناصح المرء عقله لأراه ما يزينه مما يشينه **فالمغبون** من أخطأ حظه من العقل." (١)

"بالقصار البيض إن شئت ... أو السمر الطوال

ليس **بالمغبون** عقلا ... مشتر عزا بمال

إنما يدخر المال ... لحاجات الرجال

والفتى من جعل الأقوال ... أثمان المعالى

أبو طالب المأمونى

يقول

لى في ضمير الدهر سر كامن ... لا بد أن تستله الأقدار

وقال أيضا

وما شرف الإنسان إلا بنفسه ... أكان ذووه سادة أم مواليا

وقال

اذا الغيث وفى الروض واجب حقه ... وزاد فإن الغيث للروض ظالم

ابن العميد:

هو أبو الفضل محمد بن أبى عبد الله الحسين بن محمد* عرف بابن العميد، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداويج توفى ابن العميد بالرى في محرم سنة ستين وثلاثمائة يقول

لن يصرف الدهر من سجيته ... أرب أريب وحول ذى حيل

أى معين صفا على كدر الدهر ... وأى النعيم لم يزل

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١١٢

وقال أيضا

من يشف من ذا بآخر مثله ... أثرت جوانحه من الأدواء

داوي جوى بجوى وليس بحازم ... من يستكف النار بالحلفاء." (١)

"ائذن له. فلما استقبلها طفر ثم أقعى بين يديها، فوجدت والله له، ورأيت أثر ذلك، وتنوقت تنوقا [١] خلاف ما كانت تفعل بنا. فأدخل يده فى ثوبه فأخرج لؤلؤتين فقال:

انظرى يا زرقاء، جعلت فداك! ثم حلف أنه نقد فيهما بالأمس أربعين ألف درهم.

قالت: فما أصنع بك؟ قال: أردت أن تعلمي. فغنت صوتا ثم قالت: يا ماجن هبهما لى! قال: إن شئت والله فعلت. قالت: قد شئت. قال: فاليمين التى حلفت بها لازمة [لى [٢]] إن أخذتهما إلا بشفتيك من شفتى. فقال ابن رامين للغلام:

ضع لى ماء ثم خرج عنا؛ فقالت: هاتهما. فمشى على ركبتيه وكفيه وهما بين شفتيه وقال: هاك؛ فلما ذهبت تتناولهما جعل يصد عنها يمينا وشمالا ليستكثر منها؛ فغمزت جارية على رأسها، فخرجت كأنها تريد حاجة ثم عطفت عليه؛ فلما دنا وذهب ليروغ دفعت منكبيه وأمسكتهما حتى أخذت الزرقاء اللؤلؤتين بشفتيها من فمه ورشح جبينها عرقا حياء منا. ثم تجلدت علينا فأقبلت عليه [٣] وقالت: المغبون فى استه عود.

فقال: فأما أنا فلا أبالى، والله لا يزال طيب هذه الرائحة فى أنفى وفى ما حييت.

قال: واجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع. فلما تغنت الزرقاء وسعدة بعث معن فجيء ببدرة فصبها بين يديها، وبعث روح فجيء ببدرة فصبها بين يديها، ولم تكن عند ابن المقفع دراهم، فبعث فجاء بصك ضيعة، وقال: هذه عهدة ضيعتى خذيها، فأما الدراهم فما عندى منها شيء. وشربت زرقاء دواء فأهدى لها ابن المقفع ألف دراجة [٤] .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال: كان روح بن حاتم بن المهلب كثير الغشيان لمنزل ابن رامين، وكان يختلف إلى الزرقاء، وكان محمد بن جميل يهواها وتهواه؛ فقال لها:

---

[١] تنوق فى الأمر: تأنق فيه.

[٢] زيادة عن الأغانى.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣/١١٢

[٣] كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «علينا» .

[٤] نوع من الطيور.." (١)

"الله تعالى وأحكمه بما أنزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيده ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود. وقيل أراد به قطع الأرحام التي أمر الله بوصلها ويفسدون في الأرض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أولئك هم الخاسرون أي **المغبونون**. وأصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم.

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٨ الى ٢٩]

كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (٢٩)

كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى: وكنتم أمواتا يعني نطفا في أصلاب آبائكم فأحياكم يعني في الأرحام والدنيا ثم يميتكم أي عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم يعني بعد الموت للبعث ثم إليه ترجعون أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم. قوله عز وجل: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الأرض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ثم استوى إلى السماء أي قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد، وقال ابن عباس: ارتفع وفي رواية عنه صعد. قال الأزهري معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك أن الله تعالى خلق الأرض أولا ثم عمد إلى خلق السماء. فإن قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى: والأرض بعد ذلك دحاها قلت: الدحو البسط فيحتمل أن الله تعالى خلق جرم الأرض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الأرض بعد ذلك، فإن قلت هذا مشكل أيضا لأن قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا يقتضي أن ذلك لا يكون إلا بعد الدحو. قلت: يحتمل أنه ليس هنا ترتيب وإنما هو على سبيل تعداد النعم كقوله الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه: ألم أعطك؟ ألم أرفع قدرك؟ ألم أدفع عنك؟ ولعل بعض هذه النعم متقدمة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧٧/٥

على بعض والله أعلم فسواهن سبع سماوات خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتي ذكر خلق الأرض عند قوله تعالى: قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين في سورة حم السجدة إن شاء الله تعالى وهو بكل شيء عليم يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى:

[سورة البقرة (٢): الآيات ٣٠ الى ٣٢]

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٠٣) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢)

وإذ قال ربك أي واذكر يا محمد إذ قال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله، وقيل إذ زائدة والأول أوجه للملائكة جمع ملك وأصله مألك من المألكة والألوكة وهي لفظ البغوي وهي الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض، فعبدوا دهرا طويلا، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا، فبعث." [(١)]

"يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الأثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه السلام، أن يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم: إن لم تقبلوا ما في التوراة وإلا أرسلت هذا الجبل عليكم خذوا أي قلنا لهم خذوا ما آتيناكم أي ما أعطيناكم بقوة أي بجد واجتهاد واذكروا ما فيه أي ادرسوا ما فيه لعلكم تتقون أي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى وإلا رضت رؤوسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم، ويقولون: بهذا السجود رفع عنا العذاب.

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٤ الى ٦٧]

ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين (٦٤) ولقد علمتم الذين اعتدوا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٤/١

منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥) فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (٦٦) وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (٦٧)

ثم توليتم أي أعرضتم من بعد ذلك أي من بعد ما قبلتم التوراة فلولا فضل الله عليكم ورحمته أي بالإمهال لكنتم من الخاسرين أي **المغبونين** بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى. قوله عز وجل: ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم أي جاوزوا الحد في السبت يقال: سبت اليهود لأنهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم، وأصل السبت القطع.

(ذكر الإشارة إلى القصة) قال العلماء: بالأخبار إنهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض أيلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها. فإذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى: إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم إن الشيطان وسوس إليهم، وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر، وشرعوا منه إليها أنهارا فإذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان إلى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل: إنهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة، ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤوا على السبت وقالوا ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف، وكانوا نحو سبعين ألفا صنف أمسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف أمسك ولم ينه وصنف انهمكوا في الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر ألفا، فلما أبى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغيروا على ذلك سنين، ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد، ولم يفتحوا الباب فلما أبطئوا تسوروا عليهم الجدار فإذا هم جميع قردة لهم أذناب وهم تتعاوون، وقيل: صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتولدوا. قال الله عز وجل: فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين أمر تحويل وتكوين، ومعنى

خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات فجعلناها يعني عقوبتهم بالمسخ نكالا أي عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل:." (١)

"تخطه بيمينك يعني ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي إذا لارتاب المبطلون معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي إليك لارتاب المشركون من أهل مكة، وقالوا إنه يقرأه من كتب الأولين أو ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه أنهم إذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت بل هو آيات بينات يعني القرآن في صدور الذين أوتوا العلم يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدون نعته وصفته في كتبهم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون يعني اليهود وقالوا يعني كفار مكة لولا أنزل عليه آيات من ربه أي كما أنزل على الأنبياء من قبل وقيل: أراد بالآيات معجزات الأنبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك قل إنما الآيات عند اللہ أي هو القادر على إنزالها إن شاء أنزلها وإنما أنا نذير مبين أي إنما كلفت الإنذار وليس إنزال الآيات بيدي أولم يكفهم أنا أنزلنا هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم معناه أن القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء لأن معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها إن في ذلك يعني القرآن لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا قال ابن عباس معناه يشهد لي أني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب، وشهادة الله إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه يعلم ما في السماوات والأرض أي هو المطلع على أمري وأمركم ويعلم حقي وباطلكم لا تخفى عليه خافية والذين آمنوا بالباطل قال ابن عباس: بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى اللہ لأن ما سوى الله باطل وكفروا بالله. فإن قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد. قلت نعم فائدته أن ذكر الثاني لبيان قبح الأول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان أن الباطل قبيح أولئك هم الخاسرون أي **المغبونون** في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان. قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحارث حيث قال «فأمطر علينا حجارة من السماء» ولولا أجل مسمى قال ابن عباس ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا استأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب وقيل يوم بدر لجاءهم العذاب وليأتينهم يعني العذاب، وقيل الأجل بغتة

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٥١

وهم لا يشعرون بإتيانه.

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٤ الى ٦٠]
يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤) يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (٥٥) يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون (٥٦) كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون (٥٧) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين (٥٨)
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٥٩) وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم (٦٠)
يستعجلونك بالعذاب أعاده تأكيدا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين أي جامعة لهم لا يبقى منهم أحد إلا دخلها يوم يغشاهم العذاب أي يصيبهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون. قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون
قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة فإنها واسعة آمنة، وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها أي فجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبير: إذا." (١)
"[سورة التغابن (٦٤): الآيات ٣ الى ٦]
خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير (٣) يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور (٤) ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم (٥) ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد (٦)
خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم أي إنه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الأعضاء وقد علم بهذا أن صورة الإنسان أحسن صورة وأكملها وإليه المصير أي المرجع في القيامة يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٨٣

والله عليم بذات الصدور معناه أنه لا تخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قوله تعالى: ألم يأتكم يخاطب كفار مكة نبأ الذين كفروا من قبل يعني خبر الأمم الخالية فذاقوا وبال أمرهم أي جزاء أعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب أليم أي في الآخرة ذلك أي الذي نزل بهم من العذاب بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا معناه أنهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة أحلامهم ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا فكفروا أي جحدوا وأنكروا وتولوا أي أعرضوا واستغنى الله أي عن إيمانهم وعبادتهم والله غني أي عن خلقه حميد أي في أفعاله ثم أخبر الله تعالى عن إنكارهم البعث فقال تعالى:

[سورة التغابن (٦٤): الآيات ٧ الى ١٣]

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (٧) فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير (٨) يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (٩) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير (١٠) ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم (١١)

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين (١٢) الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٣)

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل أي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن أي يوم القيامة ثم لتنبؤن أي لتخبرن بما عملتم وذلك على الله يسير أي أمر البعث والحساب يوم القيامة فآمنوا بالله ورسوله لما ذكر حال الأمم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي أنزلنا يعني القرآن سماه نورا لأنه يهتدى به في ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني أنه مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه.

قوله عز وجل: يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ والمراد في المجازاة والتجارة وذلك أنه إذا أخذ الشيء بدون قيمته فقد غبن **والمغبون** من غبن أهله ومنازله في الجنة وذلك لأن كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وقيل إن قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن أعظم من هذا وقل هو غبن المظلوم للظالم لأن

المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الآخرة غابنا لظالمه وأصل الغبن في البيع والشراء وقد ذكر الله في حق الكافرين «انهم خسروا وغبنوا في شرائهم فقال تعالى: اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المؤمنين." (١)

"إعادته هنا. وقد تضمنت هذه الآية الكبيرة نوعا من البديع يسميه أرباب البيان: بالطباق.

وقد تقدم شيء منه، وهو أن تأتي بالشيء وضده، ووقع هنا في قوله تعالى: بعوضة فما فوقها، فإنهما دليلان على الحقير والكبير، وفي قوله: فأما الذين آمنوا، وأما الذين كفروا، وفي قوله تعالى: يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا، وفي قوله: ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وفي قوله: ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل. وجاء في هذه الثلاثة الأخيرة مناسبة الطباق، وهو أن كل أول منها كائن بعد مقابله، فالضلال بعد الهداية

لقوله: كل مولود يولد على الفطرة

، ولدخول أولاد الذين كفروا الجنة إذا ماتوا قبل البلوغ، والنقض بعد التوثقة، والقطع بعد الوصل. فهذه ثلاثة تناسبت في الطباق. وفي وصل الذين بالمضارع وعطف المضارعين عليه دليل على تجدد النقض والقطع والإفساد، وإشعار أيضا بالديمومة، وهو أبلغ في الذم، وبناء يوصل للمفعول هو أبلغ من بنائه للفاعل، لأنه يشتمل ما أمر الله بأن يصلوه أو يصله غيرهم.

وترتيب هذه الصلات في غاية من الحسن، لأنه قد بدأ أولا بنقض العهد، وهو أخص هذه الثلاث، ثم ثنى بقطع ما أمر الله بوصله، وهو أعم من نقض العهد وغيره، ثم أتى ثالثا بالإفساد الذي هو أعم من القطع، وكلها ثمرات الفسق، وأتى باسم الفاعل صلة للألف واللام ليدل على ثبوتهم في هذه الصفة، فيكون وصف الفسق لهم ثابتا، وتكون النتائج عنه متجددة متكررة، فيكون الذم لهم أبلغ لجمعهم بين ثبوت الأصل وتجدد فروعه ونتائجه، ولما ذكر أوصاف الفاسقين أشار إليهم بقوله: أولئك، أي: أولئك الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة من النقض والقطع والإفساد.

هم الخاسرون: وفسر الخاسرون بالناقصين حظوظهم وشرفهم، وبالهالكين، وسبب خسرانهم استبدالهم النقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والإفساد بالإصلاح، وعقابها بالثواب، وقيل: الخاسرون **المغبونون** بفوت المثوبة ولزوم العقوبة وقيل: خسروا نعيم الآخرة، وقيل: خسروا حسناتهم التي عملوها، أحبطوها بكفرهم. والآية في اليهود، ولهم أعمال في شريعتهم وفي المنافقين، وهم يعملون في الظاهر عمل المخلصين. قال القفال: الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملا يجزى عليه. كيف: قد تقدم أنه اسم استفهام عن

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٣٠٢

حال، وصحبه معنى التقرير والتوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام.

وقيل: صحبه الإنكار والتعجب، أي إن من كان بهذه المثابة من القدرة الباهرة والتصرف التام والمرجع إليه آخرا فيثيب ويعاقب، لا يليق أن يكفر به. والإنكار بالهمزة إنكار لذات." (١)

"الكافر أن يحسب أنما يملي الله لزيادة الإثم، وأنه إنما يملي لأجل الخير كان قوله: ولهم عذاب مهين يدفع هذا التفسير، فخرج ذلك على أن الواو للحال حتى يزول هذا التدافع الذي بين هذه القراءة وبين ظاهر آخر الآية. ووصف تعالى عذابه في مقاطع هذه الآيات الثلاث: بعظيم، وأليم، ومهين. ولكل من هذه الصفات مناسبة تقتضي ختم الآية بها. أما الأولى فإن المسارعة في الشيء والمبادرة في تحصيله والتحلي به يقتضي جلالة ما سورع فيه، وأنه من النفاسة والعظم بحيث يتسابق فيه، فختمت الآية بعظم الثواب وهو جزاؤهم على المسارعة في الكفر إشعارا بخساسة ما سابقوا فيه. وأما الثانية فإنه ذكر فيها اشتراء الكفر بالإيمان، ومن عادة المشتري الاغتباط بما اشتراه والسرور به والفرح، فختمت الآية لأن صفقته خسرت بألم العذاب، كما يجده المشتري **المغبون** في تجارته. وأما الثالثة فإنه ذكر الإملاء وهو الإمتاع بالمال والبنين والصحة وكان هذا الإمتاع سببا للتعزز والتمتع والاستطاعة فختمت الآية بإهانة العذاب لهم. وأن ذلك الإملاء المنتج عنه في الدنيا التعزز والاستطالة مآله في الآخرة إلى إهانتهم بالعذاب الذي يهين الجبابرة. ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب في أنتم للمؤمنين، والمعنى: على ما أنتم عليه أيها المؤمنون من اختلاطكم بالمنافقين. وإشكال أمرهم وإجراء المنافق مجرى المؤمن، ولكنه ميز بعضا من بعض بما ظهر من هؤلاء وهؤلاء من الأقوال والأفعال قاله: مجاهد، وابن جريج، وابن إسحاق. وقيل: الخطاب للكفار، والمعنى: على ما أنتم عليه أيها الكفار من اختلاطكم بالمؤمنين قاله: قتادة، والسدي. قال السدي وغيره: قال الكفار في بعض جدلهم: أنت يا محمد تزعم في الرجل منا أنه من أهل النار، وأنه إذا اتبعك من أهل الجنة، فكيف يصح هذا؟ ولكن أخبرنا بمن يؤمن منا، وبمن يبقى على كفره، فنزلت. فقيل لهم: لا بد من التمييز. وقال ابن عباس: وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين. وقيل: الخطاب للمؤمنين والكافرين، وهو قريب مما قاله الزمخشري: غاية ما فيه أنه بدل الكافرين بالمنافقين فقال: (فإن قلت) : لمن الخطاب في أنتم؟ (قلت) : للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق، كأنه قيل: ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم، لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٠٨/١

إلى نبيه بإخباره بأحوالكم. قال الزمخشري: ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب، بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله." (١)

"على أن اشتبه عليه ما يجب بما يجب أن لا يشتبه. وقال ابن عطية: معنى قوله: فلا تسألن ما ليس لك به علم، أي إذ وعدتك فاعلم يقينا أنه لا خلف في الوعد، فإذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك أن تقف وتعلم أن ذلك لحق واجب عند الله، ولكن نوحا عليه السلام حملته شفقة البنوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير، وعلى هذا القدر وقع عقابه، ولذلك جاء بتلطف وترج في قوله: إني أعظك أن تكون من الجاهلين. ويحتمل قوله:

فلا تسألن ما ليس لك به علم، أي: لا تطلب مني أمرا لا تعلم المصلحة فيه علم يقين، ونحا إلى هذا أبو علي الفارسي وقال: إن به يجوز أن يتعلق بلفظ عام كما قال الشاعر:

كأن جزائي بالعصا أن أجلدا ويجوز أن يكون به بمنزلة فيه، فتتعلق الباء بالمستقر. واختلاف هذين الوجهين إنما هو لفظي، والمعنى في الآية واحد. وذكر الطبري عن ابن زيد تأويلا في قوله: إني أعظك أن تكون من الجاهلين لا يناسب النبوة تركناه، ويوقف عليه في تفسير ابن عطية. وقيل:

سأل نوح ربه حين صار عنه ابنه بمعزل، وقيل: قبل أن عرف هلاكه، وقيل: بعد أن عرف هلاكه سأل الله له المغفرة. أن أسألك من أن أطلب في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأديبا بأدبك، واتعاظا بموعظتك، وهذه إنابة من نوح عليه السلام وتسليم لأمر الله. قال ابن عطية: والسؤال الذي وقع النهي عنه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة، وطلبة ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه. وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا، وظاهر قوله: فلا تسألن ما ليس لك به علم، يعم النحوين من السؤال، ولذلك نبهت على أن المراد أحدهما دون الآخر، والخاسرون هم **المغبونون** حظوظهم من الخير انتهى. ونسب نوح النقص والذنب إلى نفسه تأدبا مع ربه فقال: وإلا تغفر لي، أي ما فرط من سؤالي وترحمني بفضلك، وهذا كما قال آدم عليه السلام.

قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم. تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين: بني الفعل للمفعول، فقيل: القائل هو الله تعالى، وقيل: الملائكة تبليغا عن الله تعالى. والظاهر الأول لقوله:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٤٤٧

منا، وسنمتعهم. أمر عند نزوله بالهبوط من السفينة ومن الجبل مع أصحابه للانتشار في الأرض، والباء للحال أي:." [1]

"وقدم بغداد، ولقبه القائم سيد الوزراء، وكان معتزليا، له النظم والنثر (١) ، فلما مات طغرلبك؛ وزر لألب آرسلان قليلا ونكب.

يقال: غنته بنت الأعرابي في جوقها (٢) ، فطرب، وأمر لها بألفي دينار، ووهب أشياء، ثم أصبح، وقال: كفارة المجلس أن أتصدق بمثل ما بذلت البارحة.

وقيل: إنه أنشد عند قتله (٣) :

إن كان بالناس ضيق عن منافستي (٤) ... فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت **المغبون** يتبعني ... كل بكأس (٥) المنايا شارب حاسي

ما أسعدني بدولة بني سلجوق! أعطاني طغرلبك الدنيا، وأعطاني ألب آرسلان الآخرة.

ووزر تسع سنين، وأخذوا أمواله، منها ثلاث مائة مملوك.

وقتل صبرا، وطيف برأسه، وما بلغنا عنه كبير إساءة، لكن ما على غضب الملك عيار.

قتل بمرو الروذ في ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربع مائة، وله اثنتان وأربعون سنة (٦) .

قيل: كان يؤذي الشافعية، ويبالغ في الانتصار لمذهب أبي حنيفة (٧) .

---

(١) أورد الباخرزي في " الدمية " ٢ / ٨٠٨ وما بعدها شيئا من نظمه ونثره.

(٢) الجوق: الجماعة من الناس. (القاموس) .

(٣) البيتان في " الكامل " ١٠ / ٣٢.

(٤) في " الكامل " مناقشتي.

(٥) في " الكامل ": لكأس.

(٦) انظر " الكامل " ١٠ / ٣١، و" وفيات الأعيان " ٥ / ١٤٢، وقد أورده صاحب " النجوم الزاهرة " في وفيات سنة (٤٥٧) .

(٧) ونقل ابن خلكان عن السمعاني في " الذيل " أنه صحب أبا المعالي الجويني إمام =." [2]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٦٣/٦

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١١٤/١٨

"وقال ابن سعد، ومطين، وعبد الصمد بن الفضل، وغيرهم: سنة خمس عشرة ومائتين.

زاد ابن سعد: ببلخ، في النصف من شعبان، وقد قارب المائة، وكان ثقة، ثبتا في الحديث -رحمه الله (١) -.

قلت: لم يلق البخاري بخراسان أحدا أكبر منه.

روى له: الجماعة.

أخبرنا يوسف بن أبي نصر، وعبد الله بن قوام، وطائفة، سمعوا الحسين بن أبي بكر، قال:

أخبرنا أبو الوقت، حدثنا أبو الحسن المظفري، أخبرنا ابن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس، قال:

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ) (٢) .

٢١٥ - عبيد الله بن موسى بن أبي المختار باذام العبسي * (ع)

الإمام، الحافظ، العابد، أبو محمد

---

(١) " طبقات ابن سعد " ٧ / ٣٧٣.

(٢) البخاري ١١ / ١٩٦ في أول كتاب الرقائق.

قال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحا، ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا، ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا، فغلب عليه الكسل عن الطاعة، فهو **المغبون**، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله، فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله، فهو **المغبون**.

(*) تاريخ ابن معين: ٣٨٤، طبقات ابن سعد ٦ / ٤٠٠ طبقات خليفة: ت ١٣٢١، التاريخ الكبير ٥ / ٤٠١، التاريخ الصغير ٢ / ٣٢٦، المعارف: ٥١٩، و٥٣٢، المعرفة والتاريخ ١ / ١٩٨، الضعفاء للعقيلي: لوحة ٢٧٠، الجرح والتعديل ٥ / ٣٣٤، مشاهير علماء الأمصار: ت ١٣٨٥، تهذيب الكمال: لوحة ٨٩١، تذهيب التهذيب ٣ / ٢٢ / ١، العبر ١ / ٣٦٤، ميزان الاعتدال ٣ / ١٦، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٥٣، الكاشف ٢ / ٢٣٤، دول الإسلام ١ / ١٣٠، طبقات القراء لابن الجزري ١ / ٤٩٣، تهذيب

التهذيب ٧ / ٥٠، خلاصة تذهيب الكمال: ٢٥٣، شذرات الذهب ٢ / ٢٩، الرسالة المستطرفة: ٦٢.." (١)

"(١٠٦٨٨) - وأبو هاشم المكي [عو] .

إسماعيل بن كثير.

صدوق.

له عن التابعين.

[أبو هانئ، أبو هدبة، أبو هرمز]

(١٠٦٨٩) - أبو هانئ ذكره هكذا ابن معين، وقال: ضعيف.

(١٠٦٩٠) - أبو هدبة.

هو إبراهيم بن هدبة.

(١٠٦٩١) - أبو هرمز.

عن أنس.

هو نافع.

لينه ابن معين.

لحقه سعدويه الواسطي.

[أبو هريرة، أبو هشام، أبو هفان، أبو هلال]

(١٠٦٩٢) - أبو هريرة.

عن مكحول.

وعنه أبو المليح الرقى.

لا يعرف.

(١٠٦٩٣) - أبو هاشم القناد.

كان يتبع الحسين.

حدث عنه كامل بن طلحة.

لا يعرف، وخبره منكر.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٥٥٣/٩

أخبرنا أحمد بن هبة الله، أخبرنا عبد العزيز (١) بن محمد.

إجازة، أخبرنا تميم، أخبرنا الكنجروذى، أخبرنا أبو عمرو الحيرى، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا كامل، حدثنا أبو هشام القناد، عن الحسين بن علي - يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال: **المغبون** لا مأجور ولا محمود.

(١٠٦٩٤) - أبو هشام.

عن أبي معاذ.

مجهول كشيخه.

حدث عنه سهل بن عثمان العسكري.

(١٠٦٩٥) - أبو هشام الرفاعي.

هو محمد بن يزيد (٢) .

(١٠٦٩٦) - أبو هفان الشاعر.

حدث عن الأصمعي بخبر منكر.

قال ابن الجوزي: لا يعول عليه.

(١٠٦٩٧) - أبو هلال الثعلبي (٣) .

عن ابن عباس.

وعنه أبو إسحاق.

لا يعرف، وذكره البخاري في الضعفاء وسماه عميرا، وقال: لا يتابع على حديثه.

---

(١) في س: عبد المعز.

(٢) ٤ - ٦٨.

(٣) قال الدولابى: أبو هلال عمر بن تميم ويقال التغلبي (هامش ل) .

(*)."[١]

"يقال: غنته بنت الأعرابي في جوقها، فطرب وأمر لها بألفي دينار، ووهب أشياء ثم أصبح وقال: كفارة المجلس أن أتصدق بمثل ما بذلت البارحة.

---

(١) ميزان الاعتدال الذهبي، شمس الدين ٤/٥٨٢

وقيل: إنه أنشد عند قتله:

إن كان بالناس ضيق عن، منافستي ... فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت **المغبون** يتبعني ... كل بكأس المنايا شارب حاسي

ما أسعدني بدولة بني سلجوق! أعطاني طغرلبك الدنيا، وأعطاني ألب آرسلان الآخرة.

ووزر تسع سنين وأخذوا أمواله منها ثلاث مائة مملوك. وقتل صبرا وطيف برأسه وما بلغنا عنه كبير إساءة كن ما على غضب الملك عيار. قتل بمرو الروذ في ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربع مائة وله اثنتان وأربعون سنة.

قيل: كان يؤذي الشافعية ويبالغ في الانتصار لمذهب أبي حنيفة.

ووزر بعده نظام الملك.." (١)

"كما يجد المشتري **المغبون** ألم خسارته. وأما الثالثة فتضمنت الإملاء وهو الإمتاع بالمال وزينة الدنيا، وذلك يقتضي التعزز والتكبر والجبروت فختمت هذه الآية بما يقتضي إهانتهم وذلتهم بعد عزهم وتكبرهم.." (٢)

"(تبا لدهر أصبحت ... صروفه تلعب بي)

(كأنه وليدة ... لاهية باللعب)

وله كتاب في نقد الشعر وكتاب غريب القرآن وكتاب بحر النحو فيه نقض مسائل كثيرة على أصول النحويين

ومن شعر الكفرطابي بيتان في كل كلمة منهما زاي

(تجاوزت أجواز المفاوز جازيا ... بأزرق غزته نزوع النواهز)

(وزجيت بزلا كالجوازي مجهزا ... وأزجيت عزم الهبرزي المناجز)

ومن شعره في السيف

(ومهند تقفو المنون سبيله ... أبدا فكيف يقال ريب منون)

(

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٣/٣٣٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٥٠٧

(ترك المنايا في النفوس فرحن عن ... غبن وراح وليس **بالمغبون**)

(لو أن سيفا ناطقا لتحدثت ... شفراته بسرائر وشجون)

(وكأنما القدر المتاح مجسم ... في حده أو عزم عز الدين)

والكفرطابي هذا هو شيخ لأبي الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان الشيرازي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الميم مكانه وقيل إن الكفرطابي قرأ على الطليطلي

٣ - (المنجم المغربي)

محمد بن يوسف المنجم قال ابن رشيق غلب عليه التنجيم وأورد له قوله

(لقد طبع الله الحسين بن عسكر ... على الخلق الفضفاض والكرم المحض)

(فتى الدهر متلاف لكل ذخيرة ... سماحا وجودا سالم الدين والعرض)

وقوله

(لعمري لئن كنا حليفي صناعة ... لقد سبقت ريش الخوافي القوادم)

(فقل للذي استهزا بنا في فعاله ... مقالي يقظان وعرضك نائم)

(سيغسل عني الماء فعلك كله ... وقولي باق والعظام رمائم)

(تدب على الأعضاء منه عقارب ... وتنفث في الأحشاء منه أراقم)

(فإن كان ذا عرض تلوح كلومه ... فعندي ضمادات له ومراهم)

قلت هذا يشبه ما جرى ليزيد بن مفرغ لما هجا عبيد الله بن زياد وأمكنه الله منه ولم يمكنه يزيد بن معاوية من قتله ومكنه من عقوبته فسقاه نبيذا حلوا جعل فيه مسهلا فأسهل بطنه وطيف به وهو على تلك الحال وقرن معه هرة وخنزير فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون به." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٥/١٦٢

"(ويأبون إلا ليته ولعله ... ومن أين للمقصوص بالطيران)

(رويد الأماني إن رزء محمد ... عدا الفلك الأعلى عن الدوران)

(وحسب المنايا أن تفوز بمثله ... كفاك ولو أخطأته لكفاني)
(

(أثاكلتيه والثواكل جمة ... لو أنكما بالناس تأتسيان)

(أذيلا وصونا واجزعا وتجلدا ... ولا تأخذا إلا بما تدعان)

ومن موشحات أحمد الأعيمى

(ما حال القلوب وفي غمض الجفون ... عيون ظباها أمضى سهام المنون)

(قسي الحواجب ... سهامها عيناه)

(كنوين كاتب ... قد خطهن الله)

(وخضرة شارب ... مع ما حوت شفتاه)

(من در وطيب لو بعت روحي وديني ... في رشف لماها ما كنت **بالمغبون**)

(يا من يتعزز ... اخضع لعبد العزيز)

(إن كنت تميز ... جماله تمييزي)

(والخد المطرز ... بأبدع التطريز)

(والخال العجيب قد جال في النسرين ... كزنجي تاها في روض الياسمين)

(لا أصغي للاحي ... يلح في تعذالي)

(ووجه الصلاح ... حبي لهذا الغزال (

) من هو في الملاح ... من الطراز العالي)

(قد كالقضيب في الانثنا واللين ... وخصر إن ضاهى به لرقة ديني)

(كشفت القناعا ... مستوهبا منه قبله)

(فاستحيا امتناعا ... أظنها منه خجله)

(فقلت انخضاعا ... ما قال قيس لعبله)

(أما أنا حبيبي نطيش من غرشوني ... شيم غين رشاها ألا تغرش منوني)." [١]

"كان بينه وبين جدي سديد الملك مودة وكان أكثر زمانه عند فإذا اشتاق أهله مضى إلى المعرة بقدر ما يقضي أربه ثم يعود والمعرة إذ ذاك لشرف)

الدولة مسلم بن قريش وكان نازل جدي وهو بشيزر وحاصره مدة ونصب عليه عدة مجانيق وقاتل حصنا له يسمى الجسر ورحل عنه ولم يبلغ غرضا فعمل الشيخ أبو المعافى من الطويل

(أمسلم لا سلمت من حادث الردى ... وزرت وزيرا ما شددت به أزرا)

(ربحت ولم تخسر بحرب ابن منقذ ... من الله والناس المذمة والوزرا)

(فمت كمدا بالجسر لست بجاسر ... عليه وعاين شيزرا أبدا شزرا)

فلما بلغت الأبيات شرف الدولة قال من يقول هذا فينا قالوا رجل يعرف بابن المهذب من أهل المعرة قال ما لنا ولهذا الرجل اكتبوا إلى الوالي بالمعرة يكف عنه ويحسن إليه فربما يكون قد جار عليه فأخرجه وأحوجه

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٨٨/٧

أن قال ما قال وهذا من حلم شرف الدولة المشهور ومن شعره الكامل

(ومهفهف كالغصن في حركاته ... متهضم لي خصره المهضوم)

(يهتز من نفس المشوق قوامه ... لينا كما هز القضيب نسيم)

(رشأ إذا رشقت سهام لحاظه ... فلهن في قلب المحب كلوم)

(يحلو ويمرر وصله وصدوده ... وكذا الهوى أبدا شقا ونعيم)

(كن كيف شئت فإن وصلي ثابت ... تتصرم الأيام وهو مقيم)

(قلبي الذي جلب الغرام لنفسه ... فلمن أعاتب غيره وألوم)

ومن شعره يصف الوباء والفرنج من الكامل

(ولقد حللت من الشآم ببقعة ... إعزز بساكن ربعها **المغبون)**

(وبئت وجاورها العدو فأهلها ... شهداء بين الطعن والطاعون)

٣ - (البوازيجي الصوفي الشافعي)

سالم بن عبد السلام بن علوان بن عبدون بن الربع أبو المرجى الصوفي الدقوقي المعروف بالبوازيجي قدم بغداد وتفقه للشافعي وبرع في الفقه وسمع الكثير وصحب أبا النجيب السهروردي وانتفع به وتقدم عنده وانقطع إلى الخلوة ومداومة الذكر والاشتغال بالله تعالى ومكابدة الأعمال وجاور بمكة ونفع الله به خلقا كثيرا وكان قوالا بالحق وتوفي سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة)." [١]

"أبيضين ثم فوقه وتحته أحمران وفيه يقول كمال الدين ابن العطار وقد تسلطن بدمشق من الطويل

(أتى الأشقر الملك الذي بشرت به ... ملاحم من قيل الأعاريب والفرس)

(سيبلغ أقصى الشرق والمغرب ملكه ... ألم تر أن الشرق والغرب للشمس)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٥/٥٢

ولما جرت المجانيق إلى حصاره بصهيون قال الوداعي ومن خطه نقلت من الخفيف

(جلب المسلمون غلة غل ... مشتريها **المغبون** والمخذول)

عرضوا عينها بعرضة صهيون وكان الكيال عزرائيل

(فاستعاضوا عنها الشهادة نقدا ... والنسيات في الجنان المقيل)

٣ - (سنقر الأمير)

شمس الدين الجمالي مملوم الأمير جمال الدين آقوش الأفرم أعرفه وهو في جملة البريدية بدمشق المحروسة ولما جاء الفخري وجرى له ما جرى جعل أخاه سيف الدين بها در نائبا في بعلبك ثم إنه أخذ طبلخاناة بعد موت الفخري فيما أظن ولما توفي تعصب الجراكسة مع أخيه شمس الدين سنقر وخلصوا له الإمرة ونيابة فتوجه إلى بعلبك ثم إنه حضر في أيام الكامل من استخرج من شمس الدين ميراث سيف الدين بهادر الجمالي المذكور منه فقام في القضية الأمير سيف الدين يلبغا والأمير فخر الدين أياز وشهد له جماعة من أمراء دمشق بأنه أخوه وخمدت القضية بعد أن عزل من النيابة في بعلبك ثم إنه عاد إليها وباشر النيابة جيدا إلى أن كتب الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى باب السلطان في ولاية الأمير بدر الدين بكتاش المنكورسي نيابة بعلبك ونقل الأمير شمس الدين سنقر إلى طرابلس فورد المرسوم وتوجه إلى طرابلس فأقام بها تقدير شهرين وأو أكثر ثم توفي في طاعون طرابلس في أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مائة رحمه الله تعالى

٣ - (الزيني المعمر المسند)

(

سنقر بن عبد الله الزيني الشيخ المسند الخير المعمر علاء الدين أبو سعيد الأرمني ثم الحلبي القضائي ولد سنة ثمان عشرة وست مائة وجلب إلى حلب سنة أربع وعشرين وشراه قاضي حلب زين الدين ابن الأستاذ وسمع مع أولاده كثيرا وكتبوا له في صفر وأنه لا يفهم بالعربي ثم سمع في سنة خمس وما بعدها سمع من الموفق عبد اللطيف وعز الدين ابن الأثير وابن سداد بهاء الدين وابن روزبه وسمع الثلاثيات من ابن الزبيدي بدمشق وسمع ببغداد من الأنجب الحمامي وعبد اللطيف ابن القبيطي وجماعة." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٥/٣٠٠

"وقوله

(لا غرو أن صاد قلبي ... هذا الغزال الربيب)

(أشراك جفنه هدب ... بها تصاد القلوب)

(وفيه أوصاف حسن ... يروق فيها النسيب)

(وطرفه المتنبي ... بالسحر وهو حبيب)

وقوله

(قربت كاس الراح من خده ... أزف معطارا لمعطار)

(قال لي الندمان هذا الذي ... يسعى إلى الجنة بالنار)

وقوله

(سألت الغصن لم تعرى شتاء ... وتبدو في الربيع وأنت كاسي)

(فقال لي الربيع على قدوم ... خلعت على البشير به لباسي)

وقوله

(قد دبق القلب بدبوقة ... وجن منها فهو مفتون)

(واعجبا للحب في فعله ... بشعرة قيد مجنون)

وأنشدني قال أنشدني إبراهيم بن أحمد بن علي بن محمد بن نيروز بن زمور بن علي) القرشي قال أنشدني الوجيه المناوي لنفسه

(جاء من لحظه بسحر مبين ... بفتور في جفنه وفتون)

(وثنى قده الصبا في تثني ... ه فواخجلة القنا والغصون)

(قمر بعت في هواه رشادي ... بضلالي ولست **بالمغبون**)

(لا عجيب أني ضللت بليل الش ... عر لكن تيهي بصبح الجبين)

(فيه ما تشتهي النفوس من الحس ... ن وتلتذه لحاظ العيون)

(سال دمعي إذ سال في خد من أه ... وى عذار كالمسك للتزيين)

(فعجبنا من سائلين غني ... بنضار وسائل مسكين)

(ويك يا سعد ذر قديم حديث ... عن أناس وخد حديث شجون)

(كل حسن الأنام دون الذي أه ... وى وكل العشاق في الحب دوني)

(قسما بالقدود نالت من التي ... ه وما في أغصانها من لين)

(وسهام الألحاظ ترمي بها الأص ... داغ عن قوس حاجب كالنون)." (١)

"القاسم ترى لو وقفوا هؤلاء هذه المدة الطويلة على باب ملك الروم ما رحمهم فكيف تظن بمن هو أرحم الراحمين وبكى

٣ - (الزواق)

عبد الواحد بن فتوح الزواق وبعض الناس يقول فيه المنبز وهو كتامي نشأ بتونس وبها تأدب

قال ابن رشيق في الأنموذج هو شاعر مفلق قوي أساس الشعر كأنه أعرابي بدوي يتكلف بعض التكلف وفي قصائده طول عريان الظاهر من حلية الأدب لغفلة في طبعه وثقل في سمعه ضمني وإياه مجلس مذاكرة ومعه غلام من ولد عبد الله بن غنجة الكاتب وكان مفتونا به فجفا علي بعض كلام الغلام ورابه ذلك مني فقال الزواق بعد ذلك ما تراه يصنع فقال له

(إن يكن خيرا فأنت له ... أو يكن شرا فدعه لنا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١٥/١٦

(نتقي عنك السهام ولا ... بد منها أن تلم بنا)

وبلغني ذلك فكتبت إليه من فوري وكانت له عندي مقدمات سوء

(أيهذا المدعي لسنا ... كف من غربي أنا وأنا)

(أرأيت الضغن كيف بدا ... ورأيت الشر كيف رنا)

(بعتني وكسا بلا ثمن ... كيف لو أعطيت بي ثمنا)

(لا ترد شتمي ومنقصتي ... إنما **المغبون** من غبنا)

ومما أورده للزواق في وصف ديك)

(وهب لأطيار ذو خبرة ... عنه بما يعرب عن خبرها)

(فنص جيدا ورقا منبرا ... دار الذي عود من خدرها)

(واستفتح الصوت بتصفيقه ... استفتاح ذات الطارفي شعرها)

(فبلبل البلبل في غصنه ... وأرق الورقاء في وكرها)

(كأنما توج ياقوتة ... فاتخذ الشنفين من شطرها)

(كأنما يخطر في حلة ... من عدني الوشي لم يشرها)

وقوله في وصف فرس." (١)

"القاسم الكاتب من أهل الحلة السيفية وهو أخو الحسين وكان الأكبر تصرف في الأعمال الديوانية وكان فاضلا أديبا مدح الأكابر وسافر الشام وكان غاليا في التشيع مبالغا في الرفض خبيث العقيدة مجاهرا بتكفير الصحابة رضي الله عنهم توفي سنة تسع وسبعين وخمس مائة من شعره من الخفيف

(يا غزالا غازلت فيه غرامي ... فأبى أن يدين لي أو يديني)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩/١٧٩

(لا وما رق من مدامة خدي ... ك وماء أريقه من جفوني)

(وعذاب يحملن ظلمك حملي ... لعذاب ظلما به تبتليني)

منها في مدح علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(أصف السيد الذي يعجز الوا ... صف عن عد فضله في السنين)

(خاصف النعل خائض الدم في بد ... ر وأحد والفتح خوض السفين)

(ذا القضايا التي بها حصل التميي ... ز بين المفروض والمسنون)

منها في هجو الصحابة رضي الله عنهم وأخزاه

(سل براة عمن تولت وأفكر ... أن طلبت النجاة فكر ضنين)

(أيولى على البرية من لي ... س على حمل سورة بأمين)

(إن في مرحب وخيبر والبا ... ب بلاغا لكل عقل رصين)

(ورجوع التيمي أخيب بالرا ... ية كفا من صفقة **المغبون**)

(ألشك من شوكة الحرب حادوا ... يوم أحد أم خيفة للمنون)

(وأرى الحالتين توجب للإب ... طال إبطال ما ادعى من فتون)

(وكفى فتح مكة لمن استي ... قظ أو نال رشده بعد حين)

(حين ولى النبي رايته سع ... د المفدى من قومه بالعيون)

(فشجاه الأعسى عليهم وللأو ... سي شعب من قلبه غير دون)

(فرأى أن عزله بعلي ... هو أحمى لمجده من أفون)

(عجب البيت إذ رقت قدماه ... كتفا جل عن يدي جبرين
)

(رتبة لو سما سواه إليها ... قابلته الأصنام من غير هون)

(ثم قالت أتكسروني يا قو ... م وبالأمس كنتم تعبدوني)

(وإذا ما عددت سبق ذوي الهج ... رة يوما هجانهم والهجين)." [١]

"وله أيضا:

سألت الغصن لم تعرى شتاء ... وتبدو في الربيع وأنت كاسي

فقال لي الربيع على قدوم ... خلعت على البشير به لباسي وقال:

قد دبق القلب بدبوقه ... وجن منها فهو مفتون

واعجبا للحب من فعله ... بشعرة قيد مجنون وقال:

جاء من لحظه بسحر مبين ... بفتور من جفنه وفنون

وثنى قده الصبا في تثني ... ه فوا خجلة القنا والغصون

قمر بعت في هواه رشادي ... بضلال ولست **بالمغبون**

لا عجيب أني ضللت بليل الش ... عر لكن تيهي بصبح الجبين

فيه ما تشتهي النفوس من الحس ... ن وتلتذه لحاظ العيون

سال دمعي إذ سال في خد من أه ... وى عذار كالمسك للتزيين

فعجبنا من سائلين غني ... بنضار وسائل مسكين

ويك يا سعد ذر قديم حديث ... عن أناس وخذ حديث شجون

كل حسن النام دون الذي أه ... وى وكل العشاق في الحب دوني

قسما بالقدود مالت من التي ... ه وما في أغصانها من لين

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٢٣/٢١

وسهام الألحاظ ترمي بها الأص ... داغ عن قوس حاجب كالنون

ودلال الحبيب والوصل والتي ... هـ وحكم الهوى بها من يمين

لا تناسيت بالملام عهودا ... أحكمت عقدها علي يميني

لو تناسيتها لضاق مجالي ... في اعتذاري إلى وفاء ودين." (١)

"عليهم الحال، وانقلب الفال (١) ، انشمر (٢) المشركون ففازوا بصفقة **المغبون**، فكما راموا العز ذلوا (٣) ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾ (٤) ، فالذين قتلوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء.

قال (٥) الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن بشير، أخبرنا عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظي قال: عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا في، فأمر بي النبي صلى الله عليه وسلم أن ينظروا: هل أنبت بعد؟ فنظروا فلم يجدوني أنبت، فخلى عني وألحقني بالسبي.

وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق، عن عبد الملك بن عمير، به (٦) . وقال الترمذي: "حسن صحيح".

ورواه النسائي أيضا، من حديث ابن جريج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن عطية، بنحوه (٧) .

وقوله: ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ أي: جعلها لكم من قتلكم (٨) لهم ﴿وأرضا لم تطؤوها﴾ قيل: خيبر. وقيل: مكة. رواه مالك، عن زيد بن أسلم. وقيل: فارس والروم. وقال ابن جرير: يجوز أن يكون الجميع مرادا.

﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ : قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص قال: أخبرتني (٩) عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفو الناس، فسمعت وئيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه، قالت: فجلست إلى الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، فمر وهو يرتجز (١٠) ويقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل ...

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيها عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة (١١) له -تعني المغفر -فقال عمر: ما جاء بك؟ لعمري والله إنك لجريئة (١٢) ، وما يؤمنك أن

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ١٢٦/٢

يكون بلاء أو يكون تحوز. قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بي (١٣)

---

(١) في ت، أ: "وانقلب عليهم الفال".

(٢) في أ: "اشمر".

(٣) في ت: "فلما راموا العز أذلوا".

(٤) في ت:"يقتلون ويأسرون".

(٥) في ت: "روى".

(٦) المسند (٣١١/٥) وسنن أبي داود برقم (٤٤٠٤) وسنن الترمذي برقم (١٥٨٤) وسنن النسائي (٩٢/٨) وسنن ابن ماجه برقم (٢٥٤٢) .

(٧) النسائي في السنن الكبرى برقم (٨٦١٩) .

(٨) في ت، ف: "قبلكم".

(٩) في ت: "وروى الإمام أحمد بإسناده عن".

(١٠) في ت: "يرتجل".

(١١) في ت: "مشيقة" وفي ف: "نشيقة".

(١٢) في ت: "محدبة".

(١٣) في ت، ف: "لي".." [١]

"ما رأيت أفضل من وكيع قيل ولا ابن المبارك قال قد مكان لإبن المبارك فضل ولكن ما رأيت أفضل من وكيع كان يستقبل القبلة ويحفظ حديثه ويقوم الليل ويسرد الصوم ويفتي بقول أبي حنيفة وكان قد سمع منه شيئا كثيرا قال يحيى بن معين وكان يحيى بن سعيد القطان يفتي بقوله أيضا مات سنة سبع وتسعين ومائة

٦٥٥ - وهب بن أحمد بن أبي العز بن العز الدمشقي المنعوت بالشهاب عرف بإبن أبي العيس كتب عنه الدمياطي وذكر أنه مات سنة إحدى وخمسين وست مائة ودفن بمقابر الصوفية رحمهم الله تعالى

٦٥٦ - وهب بن منبة بن عبد الله الغزنوي ذكره السلفي فى معجم شيوخه وقال قدم علينا بغداد وأنشدنا أبياتا قال أنشدني حامد بن محمد بن محمد القمعاني الحنفي بقربه للقاضي أبي زيد الدبوسي صاحب

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٩٩/٦

الطريقة فى الخلاف شعر ... مضيت والحاسد **المغبون** يتبعني ... إن المنية كاس كلنا حاس
لو كان للناس ضيق فى مزاحمتي ... فالموت قد وسع الدنيا على الناس ... قال أبو طاهر وهب هذا فقيه على مهذب أبي حنيفة كتبنا عنه عن أبيه

٦٥٧ - الوليد بن حماد الكوفي ابن أخي الحسن بن زياد حدث عنه أحمد بن أبي عمران قال سمعت الوليد يقول قلت لعمي الحسن بن زياد الست قد رأيت زفر ابن الهذيل وأبا يوسف عند أبي حنيفة قال نعم قلت فكيف رأيتهما عنده قال كعصفورين قد انقض عليهما بازي

٦٥٨ - ولاد بن محمد بن حمدان بن علي بن ولاد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن قيس." (١)

"قوله: ﴿فعليهم غضب من الله﴾ أي: إنه - تعالى - حكم عليهم بالعذاب، ثم وصف ذلك العذاب فقال - تعالى -: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ .

قوله: ﴿ذلك بأنهم﴾ مبتدأ وخبره؛ كما تقدم، والإشارة ب «ذلك» إلى ما ذكر من الغضب والعذاب؛ ولذلك وحد، كقوله: «بين ذلك» و: [الرجز]

٣٣٦٢ - كأنه في الجلد..... ... ...

قوله: ﴿استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ أي: ذلك الارتداد وذلك الإقدام على الكفر؛ لأجل أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة، ﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ أي: ذلك الارتداد إنما حصل لأجل أنه - تعالى - ما هداهم إلى الإيمان، وما عصمهم عن الكفر.

قال القاضي: المراد أن الله تعالى لا يهديهم إلى الجنة، وهذا ضعيف؛ لأن قوله - تعالى -: ﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ معطوف على قوله: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ فوجب أن يكون قوله: ﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ علة وسببا موجبا لإقدامهم على ذلك الارتداد، وعدم الهداية يوم القيامة إلى الجنة ليس سببا لذلك الارتداد ولا علة، بل كسبا عنه ولا معلولا له، فبطل هذا التأويل.

ثم أكد أنه - تعالى - صرفهم عن الإيمان؛ فقال - عز وجل -: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ قال القاضي: الطبع ليس يمنع من الإيمان لوجوه:

الأول: أنه - تعالى - أشرك ذكر ذلك في معرض الذم، ولو كانوا عاجزين عن الإيمان به لما استحقوا الذم بتركه.

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية عبد القادر القرشي ٢/٢٠٩

الثاني: أنه – تعالى – أشرك بين السمع، والبصر، والقلب في هذا الطبع، ومعلوم أن مع فقد السمع والبصر قد يصح أن يكون مؤمنا، فضلا عن طبع يلحقهما في القلب.

الثالث: وصفهم بالغفلة، ومن منع من الشيء لا يوصف بأنه غافل عنه، فثبت أن المراد بهذا الطبع السمة والعلامة التي يخلقها في القلب، وتقدم الجواب في أول سورة البقرة.

ثم قال – تعالى –: ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: أي: عما يراد بهم في الآخرة.

ثم قال: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ ، أي: **المغبونون**، والموجب لهذا الخسران أنه – تعالى – وصفهم بصفات ستة:." (١)

"**والمغبون**: من غبن في أهله ومنازله في الجنة، ويظهر يؤمئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وتضييعه الأيام.

قال الزجاج: ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة إلى من هو أعلى منزلة منه.

فإن قيل: فأي معاملة وقعت بينهما حى يقع الغبن فيها؟ .

فالجواب: هو تمثيل للغبن في الشراء والبيع كقوله: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾ [البقرة: ١٦] ، فلما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا، ذكر أيضا أنهم غبنوا، وذلك أن أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا، واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة، وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا، وقد فرق الله الخلق فريقين: فريقا للجنة وفريقا في السعير.

وقال الحسن وقتادة: بلغنا أن التغابن على ثلاثة أصناف:

رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي به، ورجل علم علما وعمل به فنجا به، ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه بسببه، ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه، فعمل ذلك الوارث في بطاعة ربه، ورجل كان له عبد، فعمل العبد بطاعة ربه فسعد، وعمل السيد بمعصية ربه فشقي.

وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه، فيقول الله تعالى لهما: قولا ما أنتما بقائلين، فيقول الرجل: يا رب أوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حلال أو من حرام، وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك، ولم يبق لي ما أوفي فتقول المرأة: يا رب، وما عسى أن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٨/١٢

أقول، اكتسبه حراما وأكلته حلالا، وعصاك في مرضاتي ولم أرض له بذلك، فبعدا له ومحقا، فيقول الله تعالى: قد صدقت فيؤمر به إلى النار، ويؤمر بها إلى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة، فتقول له: غبناك غبناك، سعدنا بما شقيت أنت؛ فذلك يوم التغابن» .

فصل

استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿ذلك يوم التغابن﴾ على أنه لا يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية، لأن الله تعالى خص التغابن بيوم القيامة فقال: ﴿ذلك يوم التغابن﴾ ،." (١)

"وختمت كل وحدة من هذه الآيات الثلاث بصفة للعذاب غير ما ختمت به الأخرى؛ لمعنى مناسب، وهو أن الأولى تضمنت الإخبار عنهم بالمسارعة في الكفر، والمسارعة في الشيء والمبادرة في تحصيله تقتضي جلالته وعظمته، فجعل جزاؤه ﴿عذاب عظيم﴾ مقابلا لهم، ويدل ذلك على خساسة ما سارعوا فيه. وأما الثانية فتضمنت اشتراءهم الكفر بالإيمان، والعادة سرور المشتري واغتباطه بما اشتراه، فإذا خسر تألم، فختمت هذه الآية بألم العذاب، كما يجد المشتري **المغبون** ألم خسارته.

وأما الثالثة فتضمنت الإملاء - وهو الإمتاع بالمال وزينة الدنيا - وذلك يقتضي التعزز والتكبر والجبروت فختمت هذه الآية بما يقتضي إهانتهم وذلتهم بعد عزهم وتكبرهم.

فصل

قال ابن الخطيب: احتج أصحابنا - بهذه الآية - في إثبات القضاء والقدر؛ لأن الإملاء عبارة عن تأخيره مدة - والتأخير من فعل الله تعالى - والآية دلت على أن هذا الإملاء ليس بخير لهم، فهو سبحانه خالق الخير والشر.

ودلت على أن المقصود من هذا الإملاء هو أن يزدادوا إثما، فدل على أن المعاصي والكفر بإرادته وأكد بقوله: ﴿ولهم عذاب مهين﴾ .

وأيضا أخبر عنهم بأنهم لا خير لهم في هذا الإملاء؛ لأنهم لا يحصلون إلا زيادة البغي والطغيان، والإتيان بخلاف خبر لله - مع بقاء ذلك الخبر - جمع بين النقيضين، وهو محال. وإذا لم يكونوا قادرين - مع ذلك الإملاء - على الخير والطاعة - مع أنهم مكلفون بذلك - لزم في نفسه بطلان مذهب المعتزلة.

وأجب المعتزلة عن الأول بأن المراد: ليس خيرا لهم بأن يموتوا كما مات الشهداء يوم أحد؛ لأن هذه الآيات في شأن أحد، ولا يلزم من كونه ليس خيرا من القتل يوم أحد إلا أن يكون في نفسه خيرا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣١/١٩

وعن الثاني بأنه ليس المراد ليقدموا على الكفر والعصيان؛ لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] فيحتمل أن تكون اللام للعاقبة – كقوله: ﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ [القصص: ٨]– أو يكون فيه تقديم وتأخير، تقديره: لا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثما، إنما نملي لهم خير لأنفسهم. أو لأنهم لما ازدادوا طغيانا – بإمهاله – أشبه حال من فعل أهل السنة فلأنهم يحيلون تعليل أفعاله تعالى بالأغراض، وأما على قولنا فلأنا إنما نعلل بغرض الإحسان، لا بالتعب فسقط ما ذكروه.." (١)

"ارج دنياك وارج مولاك واعلم ... أن راجي سواه غير مقال

وابتغاء الثواب من ربك اعمل ... فهو يجزي الأعمال بالمثقال

واغتنم غيبة الرقيب ففيها ... لقلوب الرجال أي صقال

وأحل في الوجود فكر غني ... عن ضروب الإنعام والأحقال

وإذا الوقت ضاق وسعه بالصب ... ر ولا تنس من شهير المقال

ربما تكره النفوس من الأم ... ر له فرجة كحل العقال

لا غرو أن وقع توان، أو تلوم دهر ذو ألوان، فالأمر بين الكاف والنون، ومن صبر لم يبوء بصفقة **المغبون**، وللسعداء تخصيص، ومع التقريب تمحيص، وما عن القضاء محيص، والمتصرف في ماله غير معتوب، وقديم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمادي أطاب الله محضره، وسدد إلى المرامي العلية نظره، ناطقا بلسان التفويض، سارحا من الرضا في الفضاء العريض، لائذا بالانقياد والتسليم، قائما على أسكفة «١» باب الأدب لمثابة حكم الحكيم.

ومنها: والوقائع عافاكم الله وعاظ، ونحن هجود وفي الحي أيقاظ، وما كل المعاني تؤديها الألفاظ. وهذا الفنا الذي نشأ عن الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا.

وإذا أحب الله عبدا حماه الدنيا، وما هي إلا فنون، وجنون فنون، وحديث كله مجون. وقد يجمع الله الشتيتين، ولن يغلب عسر يسرين ولا باس، ويا خطب لا مساس، وأبعد الله الياس، وإنما يوفي الأجر الصابرون، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. وهي طويلة بديعة.

أسمع بحضرة غرناطة لما قدم عليها وارتسم في جملة الكتاب بها، وحدث عن رضي الدين أبي أحمد إبراهيم الطهري، بسماعه من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي، بسماعه من أبي الوقت طراد. وعن الإمام

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٦/٦

سراج الدين أبي حفص عمر بن طراد المعري القاضي بالحرم الشريف، وعن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الحميد الهمداني، وعن الإمام بهاء الدين الخميري عن أبي الطاهر السلفي، وعن جماعة غيرهم، وكان وروده على الأندلس في أوائل عام خمسة عشر وسبعمائة، وحضر بها غزوات، ولقي من كان بها من الأعلام. ثم انصرف عنها في أوائل عام ثمانية عشر، وأحل بسبتة، فأكرم رئيسها أبو عمر يحيى بن أبي طالب العزفي قدومه، وأنزله بدار جليلة كان بها علو مطل على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لأمر اقتضى." (١)

"بحفظ دينه، ودل تمسكه بأيمانه على صحة إيمانه وقوة يقينه، ولا حظته عيون السعادة فكان في حزب الله الغالب وهو حزبنا، وقابلته وجوه الإقبال فأرته أن **المغبون** من فاته تقريبنا وقربنا، ورأى إحساننا إليه بعين لم يطرفها الجحود، ولم يطرقها إعراض السعود، فسلك جادة الوفاء وهي من أيمن الطرق طريقا، واقتدى في الطاعة والولاء بمن قال فيهم بمثل قوله: وحسن أولئك رفيقا

«١» ولما كان المجلس العالي ... هو الذي حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة ما حاز، وفاز من برنا وشكرنا بجميل المبادرة إلى الخدمة بما فاز، وعلم مواقع إحساننا إليه فعمل على استدامة وبلها، واستزادة فضلها، والارتواء من معروفها الذي باء بالحرمان [منه] «٢» من خرج عن ظلها، مع ما أضاف إلى ذلك: من شجاعة تبيت منها أعداء الدين على وجل، ومهابة تسري إلى قلوب من بعد من أهل الكفر سرى ما قرب من الأجل- اقتضت آراؤنا الشريفة أن نمد على أطراف الممالك المحروسة منه سورا مصفحا بصفاحه، مشرفا بأسنة رماحه.

فرسم بالأمر الشريف العالي- لا زال يقلد وليه فضلا، ويملأ ممالكه إحسانا وعدلا- أن يفوض إليه كيت وكيت: لما تقدم من أسباب تقديمه، وأوميء إليه من عنايتنا بهذا البيت الذي هو سر حديثه وقديمه، ولعلمنا بأولويته التي قطبها الشجاعة، وفلكها الطاعة، ومادتها الديانة والتقى، وجادتها الأمانة التي لا تستزلها الأهواء ولا تستفزها الرقى.

وليكن لأخبار العدو مطالعا، ولنجوى حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعا، ولديارهم كل وقت مصبحا حتى يظنوه من كل ثنية عليهم طالعا، وليدم التأهب حتى لا تفوته من العدو غارة ولا غرة، ويلزم أصحابه بالتيقظ لإدامة الجهاد الذي جرب الأعداء [منه] «٣» مواقع سيوفهم غير مرة؛ وقد خبرنا من." (٢)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٤١١/٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢٠/١٢

"ولا عتب على الدهر فيما اقترف إن كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف. واعتذر بما وهب عما سلب، فعفا الله عما سلف. ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية، قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن أباه وجلس للتعزية:

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا[1]

لا رزء أصبح في الإسلام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا[2]

وقال زكي الدين بن أبي الأصبع: أحسن شعر افتن فيه صاحبه، بالجمع بين التعزية والتهنئة، قول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع، يعزيه بالرشيد ويهنيه بالأمين، حيث قال:

تعز أبا العباس عن خير هالك ... بأكرم حي كان أو هو كائن

حوادث أيام تدور صروفها ... لهن مساو مرة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا أنت مغبون ولا الموت غابن[3]

ولعمري، إن جمال الدين بن نباتة قال، في تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الأفضل بالسلطة بعد أبيه، ما هو أحسن من قول أبي نواس الذي استحسنه ابن أبي الأصبع، وقول من تقدمه. وإن تأخر ابن تباتة فقد تقدم بنباتة، فإنه استطرب في قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية إلى آخرها وأتى بمعان منها سلامة الاختراع، والذي يؤدي إليه اجتهاد ذوقي، إن هذه القصيدة من العجائب في هذا النوع، وأوردت مطلعها في براعة الاستهلال، لكن تعين إيراده هنا لندخل منه إلى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع، ليتأيد ما أشرت إليه من غرابة أسلوبها، وهو قوله رحمه الله تعالى:

هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع ... شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

نرد مجاري الدمع والبشر واضح ... كوابل غيث في ضحى الشم قد همى[4]

سقى الغيث عنا تربة الملك الذي ... عهدنا سجاياه أعز وأكرما

---

١ حباء: تفضيل في العطاء.

٢ رزء: مصيبة.

٣ **المغبون**: الذي لا يعطى حقه.

٤ همى: هطل.." [1]

"وخبره منكر أخبرنا أحمد بن هبة الله قال أنا عبد العزيز بن محمد إجازة قال أنا تميم انا الكنجرودي أنا أبو عمرو البختري انا أبو يعلى الموصلي ثنا كامل بن طلحة الجحدري قال ثنا أبو هشام القناد عن الحسين بن علي رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "**المغبون** لا مأجور ولا محمود".

١٢٨٨ - " أبو هشام " عن أبي حرة اسمه سلمة بن سليمان الضبي تقدم.

١٢٨٩ - " أبو هشام " عن أبي معاذ مجهول كشيخه حدث عنه سهل بن عثمان العسكري.

١٢٩٠ - " أبو هشام " والدابي المقدام اسمه زياد مر ذكره قريبا في أبي هاشم.." [2]

"ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ... فلسان حالي في الشكاية أنطق

وقوله لأبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي يعزيه عن ابنه:

من مبلغ شيخ أهل العلم قاطبة ... عني رسالة محزون وأواه

أولى البرايا بحسن الصبر ممتحنا ... من كان فتياه توقيعا عن الله

أبو الحسن بن الموسوي النقيب

من وسائط قلائده قوله لأبي إسحاق الصابي من قصيدة:

لقد تمازج قلبانا كأنهما ... تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن

أنت الكرى مؤنسا طرفي وبعضهم ... مثل القذى مانعا عيني من الوسن

وقوله:

اشتر العز بما بيع ... فما العز بغال

بالقصار الصفر إن شئ ... ت أو السمر الطوال

ليس **بالمغبون** عقلا ... مشتري عزا بمال

إنما يذخر المال ... لحاجات الرجال

وقوله في مرض وزير:

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١٣٩/١

(٢) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ١١٨/٧

يا دهر ماذا الطروق بالألم ... حام لنا عن بقية الكرم

إن كنت لا بد آخذا عوضا ... فخذ حياتي ودع حيا الأمم

لا در در السقام كيف رمى ... طيب آمالنا من السقم

وقوله:

ما عذر من ضربت به أعراقه ... حتى بلغن إلى النبي محمد." (١)

"والرشد «١» المختبر «٢» ، وحينئذ يدفع المال.

قال ع»

: والبلوغ لم تسقه الآية سياق الشرط، ولكنها حالة الغالب على بني آدم أن تلتئم عقولهم فيها، فهو الوقت الذي لا يعتبر شرط الرشد إلا فيه، فقال: إذا بلغ ذلك الوقت، فلينظر إلى الشرط، وهو الرشد حينئذ وفصاحة الكلام تدل على ذلك لأن التوقيت بالبلوغ جاء ب «إذا» ، والمشروط جاء ب «إن» التي هي قاعدة حروف الشرط، «وإذا» ليست بحرف شرط إلا في ضرورة «٤» الشعر، قال ابن عباس: الرشد في العقل

- في شعره، فرفع أمره إلى عمر بن الخطاب، فلما كشف عن مؤتزره لم يجده أنبت فقال: «لو أنبت الشعر لحددتك» . فكل ذلك يفيد أن نبات شعر العامة علامة من علامات البلوغ. وأما ما قاله أبو حنيفة، فغير ظاهر فإن شعر العانة قد امتاز عن غيره من الشعور بأنه لا ينبت إلا عند البلوغ، أما غيره، فقد يتقدم البلوغ كشعر الجسد، وقد يتأخر عنه كشعر اللحية والشارب.

ينظر: «نظام الحجر» لشيخنا: سليمان رمضان عثمان.

(١) أما الرشد، فقال كثير من العلماء: إنه الصلاح في المال وحسن التصرف فيه وتثميره وتنميته.

وذهب الشافعي وجماعة إلى أن المراد به الصلاح في المال والدين.

أما طرق معرفته، فتختلف باختلاف أحوال المختبر نفسه، فهي في الذكور الذين يخالطون الناس في الأسواق وغيرها، تختلف عنها في الإناث اللاتي لا يخالطن الناس في الأسواق. والأمر في معرفة الرشد ليس من السهولة بالدرجة التي تظن، فالذين يخالطون الناس في الأسواق يختبرون بدخول الأسواق ومخالطة من فيها حتى يشاهدون ما يجري بين الناس من بيع أو شراء، فينكرون على المغبون، ويغبطون الرابح، وبذلك تحصل لهم الخبرة، ويثبت لهم الرشد.

---

(١) لباب الآداب للثعالبي الثعالبي، أبو زيد ص/٢١٦

والذين لا يختلطون بالناس في الأسواق ممن يسمون بالطبقة العليا يدفع إليهم نفقة قليل من الزمن ليرى كيف ينفقونها ويتصرفون فيها، فإن أحسنوا النظر في تصرفها، فقد استبان رشدهم، وثبت استقامة نظرهم، وإلا فهم على السفه وعدم الرشد.
أما الإناث فيختبرن بدفع قليل من المال لشراء ما يلزم للبيت من حاجيات الطهي وما إلى ذلك من كل ما يختص به النساء، عادة، فإن تبين من صنيعهن حسن التصرف واستقامة النظر، فقد تحقق رشدهن.
ينظر: «نظام الحجر» لشيخنا سليمان رمضان عثمان.
(٢) لم يختلف العلماء في أن الصبي إذا بلغ رشيدا زال الحجر عنه، ووجب دفع ماله إليه، وإنما اختلفوا في وقت اختباره ومعرفة متى يحسن التصرف.
فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه: إن الاختبار قبل البلوغ والمعنى: وبعد التمييز.
وذهب مالك إلى أن الاختبار بعد البلوغ.
ينظر: «نظام الحجر» لشيخنا سليمان رمضان عثمان.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٠) .
(٤) ظاهر عبارة بعضهم أن «إذا» ليست بشرطية، قال: «وإذا ليست بشرطية لحصول ما بعدها، وأجاز سيبويه أن يجازى بها في الشعر، وقال: «فعلوا ذلك مضطرين» ، وإنما جوزي بها لأنها تحتاج إلى جواب، ـ." (١)

"وقوله: أني مسني الشيطان بنصب ... الآية، النصب: المشقة، فيحتمل أن يشير إلى مسه حين سلطه الله على إهلاك ماله وولده وجسمه حسبما روي في ذلك، وقيل: أشار إلى مسه إياه في تعرضه لأهله وطلبه منها أن تشرك بالله فكأن أيوب تشكى هذا الفصل، وكان عليه أشد من مرضه، وهنا في الآية محذوف تقديره: فاستجاب له وقال: اركض برجلك فروي أن أيوب ركض الأرض فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها، فذهب كل مرض في داخل جسده، ثم اغتسل فذهب ما كان في ظاهر بدنه، وروي أن الله تعالى وهب له أهله وماله في الدنيا، ورد من مات منهم، وما هلك من ماشيته وحاله، ثم بارك له في جميع ذلك، وروي أن هذا كله وعد به في الآخرة، والأول أكثر في قول المفسرين.
ت: وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قال عبد قط، إذا أصابه هم أو حزن: اللهم، إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك،

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٧٢/٢

عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله غمه وأبدله مكان حزنه فرحا، قالوا: يا رسول الله: ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟

قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن» «١» . قال صاحب «السلاح» : رواه الحاكم في «المستدرك» ، وابن حبان في «صحيحه» . ت: ورويناه من طريق النووي عن ابن السني بسنده عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك في قبضتك» ، وفيه: «فقال رجل من القوم: إن **المغبون** لمن غبن هؤلاء الكلمات، فقال:

أجل، فقولوهن/ وعلموهن من قالهن، التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه وأطال فرحه» «٢» انتهى.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٢) ، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٢٥٣) كتاب «الرقائق» باب: الأدعية ذكر الأمر لمن أصابه هم أو حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا (٩٧٢) ، وابن حبان (٧/ ٤٠٤، ٤٠٥) - الموارد باب: ما يقول إذا أصابه هم أو حزن (٢٣٧٢) ، وأبو يعلى (٩/ ١٩٨- ١٩٩) (٣٣١/ ٥٢٩٧) ، والحاكم (١/ ٥٠٩) كتاب «الدعاء» والشجري في «أماليه» (١/ ٢٩٩) ، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٩) ، (١٠/ ١٨٩- ١٩٠) .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. ا. هـ.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٩) رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان.

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٤) . [.....]."[١]

"وأعلى قدر من شاء من عباده وزينه بالعلم المبين ورفق من أراد به الخير وأرشده إلى الصراط المتين الغني الذي لا يبخل على عبده مع تطاول السنين والأمر وراء هذا فخطبه تصدع القلوب وأدبه يرتدع به الحاسد **المغبون** وشكله من المفرحات وعدله مع المداراة من المحاسن)

الواضحات كتوقفه في تنفيذ الحكم الثابت في مصر بأرشدية عبد القادر بن عبد الغني القباني وكذا بإقرار

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٧٠

أبي بكر بن عبد الغني بما في جهته لأم ولديه الأول والثاني ونحوه الحكم بالبراءة بين ابن قاوان ووصيه العالي المكان وترك الوصف بالشرف المجحود حين مباشرته بعض العقود ممن اجتمع له بديع الفهم وقوة الحافظة وانتفع الأجلاء ببديهته فضلا عن رؤيته التي على التحقيق محافظة ولشعراء بلده والقادمين عليه فيه غرر المدائح ودور المنائح وقد تكررت زيارته لطيبة وبشارته من الصالحين بدفع كل كرب وريبة فلله دره من بحر علم لا تكدره الدلاء ونحر لحاسده بسهم لا ينفك مدى الدهر عنه به الابتلاء إن تكلم في الفقه فالجواهر قاصرة عن بحر علمه والمطلب بل الكفاية من وافر سهمه فتقريره فيه واضح جلي وتعبيره عن دقائق مشكله راجح على أوفى أصوله فالفخر أو الولي أو في العربية فبلسان شاهد بتضلعه وبيان يعجب منه كل بليغ كلما سمعه أو المعاني فالفريد في المفردات والمباني أو الصرف فتصريفه إليه المنتهي أو الكلام فتحريه مثبت ليفين الإيمان الذي يشتهى أو التفسير فالكاشف لدسائس كشافه والعارف لما يزيل الألباس عن المناظر باعترافه أو الحديث فالفائق الرائق في تقريره الشاسع وتحريره النافع أكرم به من فريد جبلت القلوب الصافية على حبه ووحيد عطفت عليه السادة فكلهم يرجو القربة بقربه جمع بين المعقول والمنقول ودفع الجهل عن نواحيه بقطع كل مشكك سول ومن يجعل الله نورا فلا استطاعة لإطفائه ومن شنع على محاسنه وجب الدعاء بطول بقائه.

محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد الشمس المغربي الأصل النشيلي ثم القاهري الأزهري الشافعي نزيل مكة ويعرف بالنشيلي. ولد في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بنشيل من الغربية ونشأ بها ثم تحول مع شقيقه أحمد الماضي إلى الأزهر فجود القرآن على الفقيه إبراهيم الظني نسبة لقرية قريبة من طرابلس وحضر تقاسيم العبادي سنين وقرأ على الزيني زكريا في المنهاج وعلى النور السهلي الشذور لابن هشام وسمع في العربية أيضا على الشرف موسى البرمكيني وأخذ الفرائض والحساب عن الشهاب السجيني والوسيلة لابن الهائم عن البدر المارداني بقراءة عبد العزيز الميقاتي وتميز فيهما بحيث أقرأهما، وحج رجبيا في سنة الزيني عبد." (١)

"(خذوا): قلنا لهم خذوا، (ما آتيناكم): من الكتاب واعملوا به، (بقوة): بجد وطاعة، (واذكروا ما فيه): اقرءوا ولا تنسوه، (لعلكم تتقون): لكي تتقوا عن المعاصي، (ثم توليتم من بعد ذلك): أعرضتم عن الوفاء بعد أخذ الميثاق، (فلولا فضل الله عليكم ورحمته): بتوبته عليكم أو بتأخير العذاب، (لكنتم من الخاسرين): **المغبونين** الهالكين، (ولقد علمتم)، حال، (الذين اعتدوا): جاوزوا عن الحد، (منكم في

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٦/٢٧١

السبت)، أمرناهم بالعبادة وترك صيد البحر فيه فخالفوا، (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)، أي: نودوا يا أهل القرية كونوا قردة أو معناه بتكويننا إياهم، وليس ثم قول والمسخ صورى ومعنوي والخسء الصغار والطرد، (فجعلناها): المسخة أو القردة أو القرية، (نكالا): عبرة، (لما بين يديها): لمعاصريهم أو لما بحضرتها من القرى أو لأهل تلك القرية أو لأجل ما تقدم." (١)

"المزني: دخلت على الشافعي في مرض موته، فقلت: كيف أصبحت؟

فقال: أصبحت من الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، ولكأس المنية شاربا، وعلى الله واردا، فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها. ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

لما بلغ معاوية موت الحسن بن علي رضي الله عنهما سجد وسجد من حوله، فدخل عليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال له: يابن عباس أمات أبو محمد؟ قال: نعم رحمه الله، وبلغني سجودك، والله يابن آكلة الأكباد «١» لا يسد حسدك إياه حفرتك، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك. قيل:

مضيت والحاسد المغبون يتبعني ... إن المنية كأس كلنا حاسي «٢»

لو كان للناس ضيق في مزاحمتي ... فالموت قد وسع الدنيا على الناس

أبو الطيب:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

مطرف: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فالتمسوا نعيما لا موت فيه. في الحديث المرفوع: «لو أن الطير والبهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا» . وقيل:." (٢)

"﴿ثم توليتم﴾ أي أعرضتم عن الوفاء بالميثاق

﴿من بعد ذلك﴾ من بعد أخذ ذلك الميثاق المؤكد

﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتوفيقكم لتوبة أو بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه

﴿لكنتم من الخاسرين﴾ أي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٦/١

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٣٨

وقيل لولا فضل تعالى عليكم بالإمهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الأنسب بما بعده وكلمة لولا إما بسيطة أو مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشئ لوجود غيره كما أن لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب." (١)

"﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا﴾ بما صدر عني وعنكم ﴿يعلم ما في السماوات والارض﴾ أي من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ وهو ما يعبد من دون الله تعالى ﴿وكفروا بالله﴾ مع تعاضد موجبات الإيمان به ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ **المغبونون** في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي أحسن حيث لم يصرح بنسبة الإيمان بالباطل والكفر بالله والخسران إليهم بل ذكر على منهاج الإبهام كما في قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين." (٢)

"على قدم شكواك، وأحرم بتوجيه قلبك إلى قبلة نجواك، تجد الحق عندك وليس بسواك.

حقيقة – وجد العارف فجاد بنفسه، فوجد الله عنده، وتواجد المريد فحاكى، ومن لم يبك تباكى.

رقيقة – زك نفسك لقلبك، تزك عند ربك، بعها منه رخيصة، فهي على ثمنها لديه حريصة " إن الله اشترى..... ".

حقيقة – الزوال وقت المناجاة، فطهر قلبك قبله من الحاجات، وإياك والحظ، فذهاب نقطته أسرع من اللحظ.

رقيقة – الزاد لك وهو مكتوب، والزائد عليك وهو مسلوب، فأجمل في طلب المضمون، ولا تلزم نفسك صفقة **المغبون**.

حقيقة – أمر بالتوكل لتقصر الطرف عليه، وأذن في التسبب لتنصرف منه إليه، فذاك مخبر بحقيقة التفرد وهذا مظهر لحكمة التعبد.

رقيقة – الملك أبو الدنيا، وهو مع ذلك محبوس فيها، تبهم عليه الأبواب، ويستدعي الحراس والحجاب، فإذا خرج حدقت إليه الألحاظ وأحدقت بجهاته الحفاظ، أي حظ حظ من فقد نعمة " فامشوا في مناكبها

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٩/١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤٤/٧

وكلوا من رزقه ".

حقيقة – قال صاحب الزهر الأنيق: علا مات المحبة أربع الإفلاس، والاستئناس، والأنفاس، والوسواس. قلت: الإفلاس التجرد إلا عنه كالخليل، والاستئناس التوحش إلا منه كالكليم، والأنفاس والوسواس صلة الاسم وعائده.

رقيقة – ذكر مذكر بمالقة، فقام الخطيب الشيخ الولي أبو عبد الله الساحلي بهذا البيت:

ليت شعري أفي زمام رضاكم ... كتب اسمي أم في زمام (١) الهوان

---

(١) ق: ذمام؛ والزمام: الديوان.." [١]

"وقال:

عداوة العاقل مع عسرها ... آمن من صداقة الأحمق

يمكن الأحمق من نفسه ... عمدا ومن أحبابه يتقي

لا يحفظ الأحمق خلا ولا ... يرضاه للصحبة إلا شقي وقال:

إذا أمعنت في الدنيا اعتبارا ... رأيت سرورها رهن انتحاب

بعاد عن تدان، وافتقار ... عن استغنا، وشيب عن شباب

حياة كلها أضغاث حلم ... وعيش ظله مثل السراب وقال:

من تره يسرف ماله ... يتلفه في لذة وانهماك

فذلك **المغبون** في رأيه ... يسلك بالنفس سبيل الهلاك وقال:

من لا يرى في الناس قاصرة ... عن الكمالات لم يكمل له أدب

ومن يكن راضيا عن نفسه أبدا ... فذاك غر عن الآداب محتجب

آداب الإنسان تحقيقا تواضعه ... وجريه دائما على الذي يجب وقال:

يحق الحق حتما دون شك ... وإن كره المشكك والملد

صريح الحق قد يخفى ولكن ... بعيد خفائه لا شك يبدو وقال:

كل ما قد فات لا رد له ... فلتكن عن ذاك مصروف الطمع." [٢]

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣١٢/٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٧٨/٥

"ديني على ظبياتهم ما ينقضي ... فبأي حكم يقبضون رهوني

وخشيت من قلبي الفرار إليهم ... حتى لقد طالبته بضمين

كل النكال أطيق إلا ذلة ... إن العزيز عذابه بالهون

يا عين مثل قذاك رؤية معشر ... عار على دنياهم والدين

لم يشبهوا الإنسان إلا أنهم ... متكونون من الحما المسنون

نجس العيون فإن رأتهم مقلتي ... طهرتها فنزحت ماء جفوني

أنا إن هم حسبوا الذخائر دونهم ... وهم إذا عدوا الفضائل دوني

لا يشمت الحساد أن مطامعي ... عادت إلي بصفقة المغبون

ما يستدير البدر إلا بعدما ... أبصرته في الضمر كالعرجون

هذا الطريق اللحب زاجر ناقتي ... واليم قاذف فلكي المشحون

فإذا عميد الملك حل بربعه ... ظفرا بفأل الطائر الميمون

قوله:) أأسومهم وهم الأجانب طاعة (، هو من قول البحتري:

ولست أعجب من عصيان قلبك لي ... عمدا إذا كان قلبي فيك يعصيني

وبعده:

ملك إذا ما العزم حث جياده ... مرحت بأزهر شامخ العرنين." (١)

"ومثله لحبيب:

من كان مرعى عزمه وهمومه ... روض الأماني لم يزل مهزولا

ولغيره:

منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

ولمسلم:

لولا منى العاشقين ماتوا ... غما وبغض المنى غرور

وقال الصابئ:

وكم من يد بيضاء حازت جمالها ... يد لك لا تسود إلا من النقس

إذا رشقت بيض الصحائف خلتها ... تطرز بالظلماء أردية الشمس!

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٢٤

أبن المعتز:

إني إذا لم أجد يوما مراسلة ... وضاقت بي منتهى أمري وملتمسي

لمرسل عبرة في إثرها نفس ... يا ليت شعري هل يأتيكم نفسي؟

وقال أبو محمد الحريري، رحمه الله تعالى:

جزيت من أعلق بي وده ... جزاء من يبني على اسه

وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه

ولم أخسره وشر الورى ... من يومه أخسر من أمسه

وكل من يطلب عندي جنى ... فماله إلا جنى غرسه

لا ابتغي الغبن ولا أنثني ... بصفقة **المغبون** في حسه

ولست بالموجب حقا لمن ... لا يوجب الحق على نفسه

ورب مذاق الهوى خالني ... أصدقه الود على لبسه

وما درى من جهله إنني ... أقضي غريمين الدين من جنسه

فأهجر من أستبغاك هجر القلى ... وهبه كالملحود في رمسه

والبس لمن في وصله لبسة ... لباس من يرغب في انسه

ولا ترج الود ممن يرى ... انك محتاج إلى فلسه!

وله أيضا:." (١)

"منها ومن المعجب ما كتبه الجد في شأنه هذا إلى تلميذه الأديب الذيق الألمعي أبي الطيب الغزي المقدم ذكره وكان أرسل إليه كتابا مع نجاب الشام وكتب إليه في حاشيته ما نصه وأما أخوكم العلامة ولدنا العمادي فإنه في الصحة والسلامة والنعمة والكرامة وهو يسلم عليكم ويعرض وافر شوقه إليكم فانتقد أبو الطيب من تعبيره بلفظ العلامة المستفيض إطلاقه على الزمخشري ما جنح إليه وحكم عليه بقوة حدسه وبعد ما رجع إلى دمشق تخلص للإقراء والإفادة وولي تدريس المدرسة الشبلية في سنة سبع عشرة وألف ثم ولي بعدها المدرسة السليمية في سنة ثلاث وعشرين ولما ورد دمشق المولى أسعد بن سعد الدين قاصدا الحج راجت لديه فضائله وظهرت له مزيته فأقبل عليه بكليته ولما عاد إلى الروم وولي الإفتاء صيره ملازما على قاعدتهم وكان قبل ذلك بمدة أخذ عنه المولى أحمد بن زين الدين المنطقي المقدم ذكره المدرسة

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٩٣/٣

السليمية فصنع العمادي قصيدة في مدح المولى أسعد المذكور يتطلب فيها إعادة المدرسة إليه ويتظلم من الدهر ومطلعها

(بك أسعد الروم ابن سعد الدين ... يسمو عماد العلم ثم الدين)

ومن جملتها وهو محل الغرض

(لك أشتكي مولاي أفظع وصمة ... كادت لشدة قهرها تصميني)

(يا ضيعة الإعمار في طلب العلى ... بالعلم والنسب الذي بالشين)

(أمن المروءة وهي أسمى رتبة ... أنى أعادل بابن زين الدين)

(لا بل يرجح ثم يغصب منصبي ... وأعود منه بصفقة **المغبون**)

(لو كنت مع كفو قرنت لهان لي ... لكنه بئس القرين قريني)

(أو كان ثم تعادل لهضمته ... فانظر إلى دهري بمن يبلوني)

فقرر عليه المدرسة وله فيه قصيدة بديعة يشكر صنيعه فيها مطلعها

(إلا هكذا فليسعد العبد سيد ... فلا زلت في سعد ومولاي أسعد)

وهي طويلة ثم ولي بعد ذلك المدرسة السليمانية والإفتاء بالشام في سنة إحدى وثلاثين وألف وتوجه إلى الحج وهو مفت في سنة ثلاث وثلاثين وكبر صيته بعد ذلك واشتهر وسلم له علماء عصره ومما يروى أنه رفع منه لشيخ الإسلام يحيى بن زكريا فتوى وعليها جوابه فكتب ابن زكريا عليها إلى جانبه الجواب كما به أخونا العلامة أجاب وهذه غاية في المدحة وعلو الرتبة وقد مدحه أكثر الشعراء عصره من الأدباء." (١)

"فإن الليالي مع أنها ولود بمثله لم تنجب، والدهر على أنه أبو العجب إلا أنه بأعجب منه لم يعجب.

كان مقيما بقرية جبع من جبل عاملة، يركض جدواد طبعه في ميدان الفضل ويهز عامله.

حتى طوى على طي شقة الأرض، واستأذن من طرف الخضر في ذرع مساحتها من الطول والعرض.

فخرج يركض النجائب، ويتبع في سيره العجائب.

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/٣٨١

ويحن ويئن، وما له قلب مطمئن.

وهم سالم المهجة مع مس الضر، معافى الحشاشة مع الفقر المر.

فلم يفده البعد عن أحبابه، إلا تبييض مسود شبابه.

فاعتاض عن السواد بالبياض، وبئس والله هذا الاعتياض.

ثم رجع إلى ووطنه شاكيا وعثاء السفر، ومنشدا عند خيبة المسعى وتخلف الظفر:

نجيب أبناء الزمان من به ... نضارة الدهر وريعان المنى

طوف آفاق البلاد ليرى ... له نظيرا في الذكا فما رأى

فعاد بعد طول عمر نأيه ... بصفقة المغبون يبدي المشتكى

وأصبحت عين البلاد بعده ... لبعده مملوءة من القذى

ونظم رحلة تتلاشى عندها الرحل، وأودعها من أبكار أشعاره ما ليس بالدخيل ولا المنتحل.

وهو في النظم مقدم غير مؤخر، وكأنا القلم لإطاعته مسخر.

وقد أوردت له ما تبتهج به الأزمان، وتتنادم عليه في مجالس أنسها الندمان.

فمنه قوله:

عزة النفس وانقطاع النصيب ... أوجبا ذلتي وهجر الحبيب

فتعوضت عن مرامي وقصدي ... ببعادي عنه وقرب الرقيب

وانقضى العمر في الأماني وما كن ... ت إلى الله راجعا من قريب

هو دائي إذا يشا ودوائي ... فهو ما زال علتي وطبيبي

وقوله يمدح السيد مبارك بن مطلب حاكم الحويزة:

يا سائلي عن أربي ... في سفري ومطلبي

لي مطلب مبارك ... مبارك بن مطلب

نجل على المرتضى ... سبط النبي العربي

الطيب بن الطيب ب ... ن الطيب بن الطيب

أمان كل خائف ... غياث كل مجدب

منيل كل نعمة ... من فضة وذهب

في فضله وجوده ... تسمع كل العجب

الأسد الكاسر لا ... يخشاه فرخ الثعلب

كما السخال جملة ... ترعى وجرد الأذؤب

والفرس والترك له ... دانت وكل العرب

إذا حللت أرضه ... نسيت أمي وأبي

وأسرتي وولدي ... بنتا يكون أو صبي

ومن يكن حيدرة ... أباه والجد النبي

فكلما تصفه ... من دون أدنى الرتب

وله من قصيدة، مطلعها:

ألا هل لمضني هجركم من يعوده ... فيخضر بعد الهجر بالعود عوده

وهلا وعدتم إذ بخلتم بوصله ... فقد تجبر القلب الكسير وعوده

وتحي نفوس صوح الدهر نبتها ... وتجنى رياحين اللقا ووروده

فقد هجرته لذة النوم بعدكم ... ومشرب صافي الود عز وروده

دنوتم فأحييتم قلوبا بوصلكم ... وقلبي بحر النأي مات وجوده

بخلتم على مضناكم وهو عبدكم ... وما حاتم إن عد يوما وجوده

وكتب إلى الحريري الحرفوشي:

سعدت بلثم كف يا كتابي ... لمولى عالم علم ممجد

فتى في الفضل ليس له نظير ... عويص المشكلات له تمهد

بني ربع العلى بعد انهدام ... وجدد ما وهى منه وشيد

له قلم إذا ما جال يوما ... فما الخطى والعضب المهند

فخص من السلام مدى الليالي ... بتسليم جزيل ليس ينفد

اغتناما للفرصة، وحذرا من فوت ما ليس في تركه مندوحة ولا رخصة.

وجهت هذه العجالة، معتمدا على الاختصار مضربا عن الإطالة.." (١)

"وصارت عيون المشفقين قلائدا ... عليه وعين الحقد تنظر عن شذر

وقلت ستندى بالثمار أناملي ... فما كان إلا أن قبضت على جمر

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢٣٥/١

وعدت كما عاد المسيء مذمما ... أغص بشكرى وهو يحسب من وزرى

وما ساء حظا كالذي اجتلب الهوى ... وأسلمه محض الوداد إلى الهجر

إني لأعجب مني ومن تواضع الشيخ في مناجاته إياي وهو الطود الأشم، واتخاذه أذني صدفا لدرر عباراته وهو البحر الخضم.

واقتراحه على أن أبرز من خباء أبكار الشعر، ربيبة خدر، ونتيجة فكر.

تكون معجزة ابن الحسين، ومفحمة الخالديين.

تنطوي على مدح ما انتشر عن ألوية فضائل ذاته المعجز ألسن الواصفين وصفها، وتتضمن نشر ما نسم من طيب أذيال فواضل صفاته المعطر مشام الناشقين عرفها.

وقيامي له على قدم الحد، أفرى فلوات السعي وأمتطي صهوات الجد.

أقتنص الشوارد، وأتناول الفراقد.

وأغوص على الغرر، من بنات الفكر.

إلا أن تكامل عقدها، وجاءت نسيج وحدها.

من مستفزات القلوب، تهادى أناة الخطو بكر عروب.

تجر على مهيار الديلمي ذيل دلالها، وتسكر الشريف الموسوي بجريالها.

لو رآها المخضرمون، لجاءوا إليها من كل حدب ينسلون.

وبعثت بها مع لطم الشكر، إلى جناب إمام العصر.

كيف حال الجريض دون القريض، وغاض زلال راحته وهو الغضيض، ولم سد عني باب اعتنائه، ومحا ما كتب من إملائه.

حتى استهدفتني ألسنة الشامتين، وأحدقت إلى أعين العدى، وليس عندي منه ما يغض أجفانهم ولا قذى.

فياليت شعرى ما الذي أوجب هذا الصد، ولم لم يحسن القبول فليحسن الرد.

وليكن بدون قوله ما أصنع بالقصائد دونه وشعره، حتى اسود وجه آمالي ولم يبيض حجره.

بعدما خطفتني منه مخالب الظنون، ورجعت أقلب أكفي بصفقة **المغبون**.

أحاسب عن أوزار العباد، وأعاقب بجناية قوم عاد.

وعهدي بالشيخ جبلا آوى إليه، وحمى أحوم حوله، وعمادا أعتمد بعد الله عليه.

فما بال الجبل لم يأو، والحمى لم يحم والعماد لم يحو.

وما باله في مسراته وأنا في ليل الهموم، أتوقع تنفس صبحها، وأبتهل إلى الله تعالى في طلوع شمسها.
فعندما حلت أكف الابتهال عرى الدحى، ولاح من تنفس صبح الوصال أشعة شمس المنى.
حال بين طرفي وسناه قذاة البين، وأصبحت مصابا بعين.
أعوذ بالله من أن يلهى الشيخ عني زخرف المتمشدق، وتستميله أقاويل الدخيل وجنة المتملق.
والزخرف عتبة التلاشي، والتمشدق باب الهول.
فالأقاويل مطية الكذب، والدخيل قذال يد الرد، والتملق مزراب النفاق.
ولي في محبته الجنان الثابت، والقلب الصابر، وللسان الرطب، والفم الشاكر.
وله مني الوداد المحض، والقصائد الغر.
وله منه أنة المتوجع، ولوعة المصاب، وحرقة المهجور، وخشية المرتاب.
وما أراه من اقتفائه أثر الملتبس عليهم الأمر، في كسر زجاجة ودادي من زيد وعمرو.
ولا غرو قد يدمى الجبين إكليله، وتهجر الحسام قيونه.
وكثيرا ما يضل المدلج دليله، وتخطىء المؤمل ظنونه.

السيد أحمد بن محمد المعروف بابن النقيب
السيد المولى، من هو بكل ثناء أحق وأولى.
حل من الشرف في ذروته، وتحكم من الأدب في بحبوحته وعقوته.
وقد تمتعت الرياسة دهرا بعده النضر، وشرفت النقابة له عبقريها الحسان ورفرفها الخضر.
فألقت إليه السيادة أفلاذها، واتخذت السعادة طاعته عصمتها وملاذها.
فرفه لأهل الأدب هضابا، وأرشفهم إلى ظماء من ماء مكارمه رضابا.
فالفضائل ملء حقيبته، والآمال تستنتج بيمن نقيبته.
ومآثره بادية الأوضاح، ونعمه سائلة الغرر والأوضاح.
ومجلسه بأصناف المعارف حافل، وفمه بحل ما يعي الأفهام كافل.
وله القلم الذي يكاد من نداوة بنانه، يبيض وجه الطرس بتسويد النقوش من بجدائع بيانه.
فهناك جنان البلاغة لم يطمث أبكارها إنس قبله ولا جان، وأشجار البراعة لم يقطف ثمارها عين ناظر ولا يد جان.
من كل لفظ مع معناه روح وجسد، إذا سمع الناس تركيبه خلقن له القلوب الحسد.

وقد ذكرت من كلامه الشريف، ولفظه العالي المنيف.

ما تجعله سيد الكلام، وتقطع عن المغالي في مدحه مادة الملام.

كقوله:." [1]

"وقال آخر: أشد الفاقة عدم العقل.

ومن فصول ابن المعتز: العقل غريزة تزينها التجارب. ومنها: حسن الصورة الجمال الظاهر، وحسن العقل الجمال الباطن.

ومن الشعر السائر على وجه الدهر:

يعد شريف القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

إذا حل أرضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب

أرى العلم نورا والتأدب حكمة ... فخذ منهما في رغبة بنصيب

وما اجتمعا إلا لمن صح عقله ... وكم عالم للشيء غير لبيب

ذم العقل_كان يقال: إن العقل والهم لا يفترقان.

وقال ابن المعتز:

وحلاوة الدنيا لجاهلها ... ومرارة الدنيا لمن عقلا

ومن قلائد أبي الطيب:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فصل لابن المعتز - العقل كالمرآة المجلوة يرى صاحبه فيها مساوئ الدنيا حتى يشرب النبيذ، فإذا ابتدأ بشربه صدئ عقله بمقدار ما يشرب، فإن أكثر منه غشيه الصدأ كله حتى لا تظهر له صورة ترك المساوئ، فيفرح ويمرح. والجهل كالمرآة الصدية أبدا فلا يرى صاحبه إلا مسرورا نشيطا قبل الشرب وبعده.

وقال الحسن البصري: لو كانت للناس كلهم عقول لخربت الدنيا. وقال بعضهم: لو كان الناس كلهم عقلاء ما أكلنا رطبا ولا ماء باردا. يعني أن العاقل لا يقدم على صعود النخيل لاجتناء الرطب ولا على حفر الآبار لاستنباط المياه.

وأنشد:

لما رأيت الدهر دهر الجاهل ... ولم رأى المغبون غير العاقل

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/٢٩٦

رحلت عيسا من خمور بابل ... فبت من عقلي على مراحل

مدح القلم والخط والكتابة - كان يقال: القلم أحد اللسانين، وعقول الرجال تحت أسنة أقلامها.

وقال بعض الفلاسفة: صورة الخط في الأبصار سواد، وفي البصائر بياض.

وقال إقليدس: القلم صائغ الكلام، يفرغ ما يجمعه القلب، ويصوغ ما يسبكه اللب.

وقال أيضا: الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جثمانية.

وقال جعفر بن يحيى: لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم.

وقال المأمون: لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة.

وقال أبو الفتح البستي:

إذا افتخر الأبطال يوما بسيفهم ... وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة ... مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

هذا ما اخترته في مدح الخط والقلم من الكتاب المذكور. ونضيف إليه من مختار غيره فنقول: قال صاحب كتاب أدب المسافر: الخط لليد لسان، وللخلد ترجمان فرداءته زمانة الأدب، وجودته تبلغ بصاحبه شرائف الرتب، وفيه المرافق العظام التي من الله بها على عباده فقال جل ثناؤه (وربك الأكرم الذي علم بالقلم) .

وروى جبير عن الضحاك في قوله تعالى (علمه البيان) قال: الخط، وهو لمحة الضمير، ووحي الفكر، وسفير العقل، ومستودع السر؛ وقيد العلوم والحكم؛ وعنوان المعارف، وترجمان الهمم. انتهى.

نظر أعرابي إلى فقال: كواكب الحكم في ظلم المداد.

(وقال) حكيم: القلم قيم الحكمة. إن هذه العلوم تند فاجعلوا الكتب لها حماة، والأقل١م لها رعاة.

(وقال) سهل بن مروان: القلم أنف الضمير إذا رعف أعلن أسراره، وأبان آثاره.

وقيل: الأقلام رسل الكلام.

وقيل: ما أثبتته الأقلام لا تطمع في دروسه الأيام.

وقال فيلسوف: الخط لسان اليد.

قيل لنصر بن سيار: إن فلانا لا يكتب فقال: تلك الزمانة الخفية.

وزعم المنجمون: إن القلم في حساب الجمل وزنة نفاع، لأن لكل منهما من العدد مائتان وواحد.

وقال ابن الرومي وأجاد:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فالموت والموت لا شيء يعادله ... ما زال يتبع ما يجري به القلم

بذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

ذم القلم والخط والكتابة: قال ابن المعتز في ذم القلم:

وأجوف مشقوق كأن شباته ... إذا استعجلتها الكف منقار لاقط

وتاه به قوم فقلت رويدكم ... فما كاتب بالكف إلا كشارط

وقال أبو العلاء المعري: لو كان في الخط فضيلة لما حرمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.." (١)

"وله

لو بيع بالشهباء جامع جلق ... يوما لأضحى البائع المغبونا

هل مثل جامعها الرحيب وماؤه ... يحكيه ماء سيما جيرونا

وله

جس نبضي الطبيب لما رآني ... ذا نحول وقال داء عضال

ألم حل في سويدا فؤادي ... ليس يرجي يا صياح منه نصال

قلت حقق مما اعتراني فنادى ... أنت أدرى مما اعتراك الهزال

قلت صرح فإنني ذو ذهول ... لست أدري فقال هذا محال

كيف ينسى ما خامر القلب واللب ... ب وفي الفكر دائبا لا يزال

وأشنى قائلا بماذا أداوي ... داء صب أضناه حبا غزال

وله

يا نجل طه اني محب ... وجدك المصطفى المطهر

وقد روينا معنى حديث ... المرء مع من أحب يحشر

وله

يا فريد العصر يا من هو في العلياء نجم ... لا تسئ ظنك فينا ان بعض الظن اثم

ومن ذلك للشيخ منصور الدمشقي خطيب السقيفة قوله

عاذلي ظن قبيحا مذ رأى عشقي ينمو ... ظربي ما هو فيه ان بعض الظن اثم

وله أيضا

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٦٤

ظن بالناس ميلا واتبع الخيرات تسمو ... واجتنب ظنا قبيحا ان بعض الظن اثم

وفي ذلك للعلامة الشيخ عبد الباقي حفيد بن غانم المقدسي المصري

صادني خشف ربيب ... فاتن بالحسن يسمو

ظن عذالي سلوى ... ان بعض الظن اثم

وله

وأغيد حيي بتفاحة ... محمره اللوان ذات اصفرار

يفضح غصن ألبان أن ماس بال ... الأعطاف والبدر وشمس النهار

فقال خذ شاهد جمالي بها ... ان لم يكن للوصل عني اصطبار

فعندي اللون خدي إذا ... ضممته للثم غب النفار

ولونها الآخر يحكيك إذا ... نأى وقد شط بحبي المزار

وله." (١)

"رنا فأودع قلبي ... سهم الآسى والمنون

فذاب من حر شوقي ... فقطرته جفوني

ومن شعر المترجم في المجون ما كتبه لبعض أحبابه مهنئا له بزفاف وهو قوله

قيمت لك الأفراح في كانون ... إذ كنت بالأسخان كالكانون

أوصيك عبد المحسن التقوى فلا ... تأتي إليها من ورا الطاحون

قد كنت ترغب بالحرام وطالما ... جئت البيوت بأظهر وبطون

أصبحت ترغب في الحلال تكلفا ... ورجعت منه بصفقة **المغبون**

وأقمت في شق العجوز مخيما ... والناس راجعة على ذنون

فأسلم ودم بالكسكسون منعما ... تحشى النقانق في حشا خاتون

وكان المترجم ذهب إلى الروم وأوصى صاحبا له يقال له الشيخ عبد الوهاب السؤالاتي في باب الجامع الأموي وقال له مهما وقع من الوظائف محلولات اكتب لي عنها حتى أتخذها لمعاشي فصار الشيخ عبد الوهاب يكتب له الحمد لله الأسعار رخيصة وسعر اللحم كذا والخبز كذا واللبن كذا والحمص والعدس وما شابهها ولا يتعرض إلى شيء مما أوصاه به فضجر منه فكتب له هذين البيتين في ضمن كتاب أرسله له

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١/١٩٥

وهما قوله

فأما أن تكون أخي بصدق ... فأعرف منك غثى من ثميني

وإلا فأطرحني وأتخذني ... عدوا أتقيك وتتقيني

وبالجملة فقد كان نزهة النفوس وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد النهالي

ابن يوسف المعروف بالنهالي الحنفي الرهاوي الأصل الحلبي المولد نزيل قسطنطينية الأديب الألمعي الفاضل الكامل قرأ على أفاضل بلدته وكان مكبا على تحصيل الفضائل والكمالات وأقام مدة بالمدرسة الحلاوية وصار له غاية الاكرام من الوزير محمد باشا الراغب وكان المترجم أديبا شاعرا فمن شعره قوله

يا راكب اللهو قصر ... عنان خيل التصابي

يداك لم تقو حبس ... اللجام بعد الشباب

وله

كنت في غفلة من العشق لما ... أيقظتني نواعس الأجفان

كشفت عن مجاز عيني غطاها ... فأرتها حقائق الأكوان." (١)

"نزلنا لديهم نرتجي من نوالهم ... موانح أسرار لسقم الهوى تشفي

فوافى بشير بالهناء مبشرا ... لحسن قبول قد تسامى بلا صرف

ومنح فيوض من سحاب سمائهم ... بأمداد فضل وبله دائم الوكف

فلا بدع إن وافى السرور لأسعد ... بمدح كرام سرهم للسوى ينفي

فأهديهم مني السلام تحية ... بمسك ختام عطره جل عن وصف

تغاديهم ماسح بالسفح أدمع ... وما مستجير جاء يأوى إلى الكهف

وقوله

شط النوى بأحبتي فجفوني ... فتواصلت بالمرسلات جفوني

وتصاعدت نار الجوى بجوانحي ... والنوم من شوقي جفته عيوني

---

(١) سلك الدرر في أعيا ن القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١١٨/٤

لولا فراق أحبتي وبعادهم ... ما بت أروى لوعة المحزون

أبغي السرى والعيس عز مسيرها ... والطرق سدت عن فتى مسجون

يا جيرة طال اغترابي عنهم ... عنكم رحلت بصفقة **المغبون**

وسريت أقطع للبلاد سياحة ... بمهامه رجلا وفوق متون

فظننت صحبي يحفظون مودتي ... بعدي فحابت في الصحاب ظنوني

ودعتهم أرجو اتصال رسائل ... منهم فلم يجد الرجا ودعوني

لم يكفهم هذا التناسي والجفا ... حتى قلوني بالجفا وسلوني

كم أحتسي منهم سلاف ملامة ... في ذوقها رشف لكأس منون

خلوا الملام على البعيد ببعده ... ودعوا شؤنكم لكم وشؤني

وجدي سما شوقي نما دمعي هما ... نومي انتفى صبري اختفى بفنوني

عطفا جميلا وابعثوا برسالة ... تشفى الفؤاد وبالوصال عدوني

ودعوا التمادي في الوعود تفضلا ... فلقد قضيت من البعاد ديوني

وقوله أيضا

حبي وحبك للجمال اليوسفي ... هو خالد وبغيره لا أشتفي

بالبعد تلحاني ولم تر حسنه ... فإذا نظرت فبعد ذلك عنف

فبخده الوردي روض قد جنت ... منه نواظرنا وإن لم يقطف

وبثغره ماء الحياة لوارد ... فبورده نار الجوانح تنطفي

تحلو محاسنه لناظر وجهه ... وحديثه العذب الهني يلذ في

قد شاقني لما بدا متبسما ... برق الثنايا من عقيق المرشف

ولقد قنعت بكأس خمر حديثه ... لما منعت من الرحيق القرقف." (١)

"يقول الحق جل جلاله: وقالوا أي: كفار قريش: لولا أنزل عليه آيات «١» من ربه تدل على صدقه، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى، ونحو ذلك. وقرأ نافع وابن عامر وحفص: بالجمع «آيات» ، كثيرة، قل إنما الآيات عند الله، ينزل منها ما شاء متى شاء، ولست أملك منها شيئا، وإنما أنا نذير مبين إنما كلفت بالإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات، وليس من شأني أن أقول: أنزل على آية كذا دون آية

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١٥٦/٤

كذا، مع علمي أن المراد من الآيات ثبوت الدلالة على نبوتي، والآيات كلها في حكم آية واحدة فى ذلك.
أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم، أي: أو لم يكفهم إنزال آية مغنية عن سائر الآيات، إن كانوا طالبين للحق، غير متعنتين، وهو هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل زمان ومكان، فلا يزال معهم آية ثابته، لا تزول ولا تنقطع، كما انقطع غيره من الآيات، وفي ذلك يقول البوصيري:
دامت لدينا ففاقت كل مءجزة ... من النبيين إذ جاءت ولم تدم
إن في ذلك أي: فى هذه الآية الموجودة في كل زمان إلى آخر الدهر، لرحمة لنعمة عظيمة، وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون دون المتعنتين. قال يحيى بن جعدة: إن ناسا من المسلمين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوها، فيها بعض ما يقول اليهود، فألقاها، وقال: كفى بها حماقة، أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاء به نبيهم، فنزل: أولم يكفهم ... إلخ «٢» .
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أي: شاهدا بصدق ما أدعيه من الرسالة وإنزال القرآن على، وتكذيبكم، يعلم ما في السماوات والأرض، فهو مطلع على أمري وأمركم، وعالم بحقي وباطلكم، فلا يخفى عليه شيء. والذين آمنوا بالباطل، وهو ما يعبد من دون الله، وكفروا بالله وبآياته منكم أولئك هم الخاسرون **المغبونون** في صفقتهم، حيث اشتروا الكفر المؤدي إلى النيران، بالإيمان المؤدي إلى الخلود في الجنان. روي أن كعب بن الأشرف وأصحابه من اليهود قالوا: من يشهد لك بأنك رسول الله؟ فنزل: قل كفى ... إلخ.
الإشارة: اقتراح الآيات والكرامات كله جهل وحمق إذ ليس بيد النبي أو الولي شيء من ذلك، وإنما هو مأمور بالوعظ والدلالة على الله، والدعاء إليه، والكرامة لا تدل على كمال صاحبها، «ربما رزق الكرامة من لم تكمل له

---

(١) قرأ ابن كثير، وأبو بكر، وهمزة، والكسائي «آية» بالتوحيد على إرادة الجنس، وقرأ الباقون بالجمع. انظر الإتحاف (٢/ ٣٥١) .
(٢) أخرجه الدارمي فى (المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث ١/ ١٣٤، ح ٤٧٨) ، وأبو داود فى المراسيل (باب ما جاء فى العلم) ، وابن جرير فى التفسير (٢١/ ٧) من حديث يحيى بن جعدة، مرسلا.." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣١٣/٤

"الشيخ حتى دنا من ناقتي فحل العقال، وأخذ يتخطى ويتمطى ذات اليمين وذات الشمال. فنفرت الناقة في مجاهل تلك الأرض، وجعل يستوقفها زجرا فتشتد في الركض. فبادرت أعدو إليها حتى استأنست من النفار، ورجعت بها أتنور تلك النار، وإذا الشيخ قد أخذ كل ما هناك وسار. فصفقت صفقت الأواه، وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم عمدت إلى عقال ناقتي المجفلة، وإذا طرس قد عقل به مكتوبا فيه بعد البسملة:

قل لسهيل: لست **بالمغبون**، ... لولاي ذقت غصة المنون

فأنت والناقة في يميني ... ملك بحق ليس بالمنون

لكن عفوت عنك كالمديون ... وهبته الدين لحسن الدين

فقدم الشكر إلى ميمون!

قال: فعجبت من أخلاقه، وأسفت على فراقه. ووددت على ما بي من الفاقة، ولو مكث واستتبع الناقة.

المقامة الثانية وتعريف بالحجازية." (١)

"من فاته ود أخ صادق ... فذلك **المغبون** حق اليقين

من لم يكن له أخ صادق فهو خاسر حقا

من قاس ما لم يره بما رأى ... أراه ما يدنو إليه ما نأى

من قاس ما لا يراه من الأمور بما رآه منها رأى البعيد قريبا، وحكم على المستقبل بالماضي.

من قنع استغنى ولاقى حظا ... ولم يخف لائمة ووعظا

من قنع استغنى عن الناس ولم يلمه أحد.

من كان فوق محل الشمس موضعه ... فليس يرفعه شيء ولا يضع

من كان شريفا، مثل الشمس، لم يرفعه أحد ولم يخفضه أحد.

من كان للخير مناعا فليس له ... على الحقيقة إخوان وخلان

من منع خيره لم يجد صديقا.

---

(١) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي اليازجي، ناصيف ص/٨

من كان للعقل سلطان عليه غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان
من حكم عقله لم تسيطر عليه نفسه ولاحرصها.

من كان مرعى عزمه وهمومه ... روض الأماني لم يزل مهزولا
من رعى الأماني الكاذبة عاش هزيلا
من لاح في عارضه القتير ... فقد أتاه بالبلى نذير
من لاح الشيب في عذاره كان نذيرا له بفنائه.

من لسعته حية مرة ... تراه مذعورا من الحبل
من لدغته الحية خاف من الحبل.

من لك بالمحض وليس محض ... يخبث بعض ويطيب بعض
أين الإنسان المبرأ من كل عيب؟ إنه لا وجود له، فالإنسان خبيث حينا وطيب حينا.

من لك يوما بأخيك كله ... من لم تجده هكذا فخله
هل تستطيع أن تملك أخاك كله؟ إذا استطعت فتمسك به وإن لم تستطع فاتركه.

من لم تفده عبرا أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى
من لم يعتبر بحوادث الزمان كان أعمى.

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما ... راح به الواعظ يوما وغدا
من لم يعظه الدهر لم يعظه الناس.

من لم يقف عند انتهاء حده ... تقاصرت عنه فسيحات الخطا
من لم يقف عند حده ضاقت به خطاه
من لم يكن عقله يؤد به ... لم يغنه واعظ من الأدب

من لم يؤد به عقله لم يؤد به الناس.

من لم يواس الناس من فضله ... عرض للإدبار إقباله
من لم يعن الناس بفضله وماله أدبر حظه منهم بعد الاقبال.

مـن لم يؤدبه والداه ... أدبه الليل والنهار
من لم يؤدبه أبوه وأمه أدبه الدهر بأيامه ولياليه.

من مات فات وفي المقابر يستوي ... تحت التراب شريفه ووضيعه
من مات فات، والناس يتساوون في المقابر سواء أكانوا شرفاء أم وضعاء، أغنياء أم فقراء.

من ناط بالعجب عرى أخلاقه ... نيطت عرى المقت إلى تلك العرى
من عجب بأخلاقه مقته الناس
من يحتفر حفرة يوما سينز لها ... فإن حفرت فوسع حين تحتفر
من حفر حفرة وقع فيها.

من يخبرك بشتم عن أخ ... فهو الشاتم لا من شتمك
شتمك من بلغك الشتيمة.

من بر يوما بر به ... والدهر لا يغتر به
من بر الناس بره الناس، فلا تغتر بالدهر.

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامة ولحصد الزرع إبان
من يزرع الشر يحصد الندامة، ولكل زرع حصاد.

من يزرع المعروف يحصد ما رضي ... لكل شيء غاية ستنقضي
من يزرع المعروف يحصد المعروف، ولكل شيء نهاية.

من يستعن بالرفق في أمره ... يستخرج الحية من وكرها
من ترفق في أموره استطاع أن يخرج الحية من وكرها بالحيلة والدهاء.

من يعرف الشمس لا ينكر مطالعها ... أو يجهل الخيل لا يستكرم الرمكا
من يعرف الشمس لا ينكر جمالها عندما تشرق، ومن طلب الخيل الكريمة بحث لها عن أب كريم وأم كريمة.

من يكشف الناس لا يجد أحدا ... تصح منه له سرائره
من عرف الناس لم يجد فيهم من هو صافي الضمير.

من يلدغ الناس يجد من يلدغه ... لا يعدم الباطل حقا يدمغه
من أساء إلى الناس أساء إليه الناس، ولا بد للحق أن يدفع الباطل وأن ينتصر عليه.

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام
من كان ذليلا سهل عليه الذل، فهو مثل الميت لا تؤلمه الجراح.

حرف النون." (١)

"كرمت مثواهما إحدى النساء الإنكليزيات ولم يذهب سعيهما في بلاد أمريكا هباء منثورا فإنه لا يرى الإنسان في الولايات المتحدة بالقارة المذكورة محلا من المحلات إلا وجدت المرأة فيه بجانب الرجل تؤدي الأعمال كما يؤديها هو، وتحقق من أن حقوقها صارت مرعية فهي لا تمنع من اكتساب ما يقوم بمعاشها ومعاش آويها من أي عمل رضيت به فهذه هي النساء، وهذا هو الفخر إذ أن امرأة تعجز عن أعمالها الرجال في بلاد مثل أمريكا.

قيدر ابنة مينوس الكريني

---

(١) نظم اللآل في الحكم والأمثال عبد الله فكري ص/٣٤

هي حليلة "ثيزى" ملك أثينا هامت أثناء تغيب زوجها بابنه "أبيوليت" المولد من زوجته الأولى "أثيوبا" ملكة الأمازون، وكان جميلا فتانا، ولما تمادى بها الوجد والألم وابتلاها الكتمان بالسقم باحت بما تجده من حر الجوى وبرحاء الهوى إلى أمينة سرها "أوتون"، أما "أبيوليت" فكان مفتونا بحب "أديسيا" سجينة أبيه ذات النسب الملكي التي كانت أيضا كلفت به دون أن يعلم كل بماله في قلب الآخر فكانوا يمثلون سلسلة عشاق ومعاشيق، ولكن تحت طي الستر والخفاء مخافة الافتضاح إذا قدر الجفاء.

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا ... وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

فلما أرجف بموت "ثيزى" زينت "أوتون" ل "فيدر" مطارحة "أبيوليت" أحاديث الوجد وأطماعه [في إرث] العرش بالنيابة عن ابنها الطفل الذي كانت الأمة تتردد في الاختيار بينه وبين "أديسيا" تلك التي استبشرت بالفكاك من الأسير حال، إيقافها "أبيوليت" على دخيلة الأمر بعد إذ كانت يئست من الخلاص، وتلا عليها لسان الحال ذوقي عذاب ربك لات حين مناص، فعالنتاه كلتاهما بحديث وجد مقيم معقد بلسان أغن ينشد:

أرى في فؤادي لوعة الحب لا تهدا ... أهذا الذي سماه أهل الهوى وجدا

قال "أديسيا" عقدي وداد وولاء ورمى "فيدر" بسهمي نفرة وجفاء، ولم يمض إلا مثل حسوة طائر، أو لهنة مسافر حتى قيل: عاد "ثيزى" حيا فسقط في يدي "فيدر" وقالت: ويداه، لقد جئت شيا فريا، ثم عضت بنانها الخضيب بثنايا الندامة وفوقت إلى قيمتها "أوتون" نبال التقريع والملامة، ولكن كان قد سبق السيف العذل، فلجأت إلى الغدر والختل حتى إذا حل زوجها الصرح قابلته بوجه باسر، ودمع ماطر، وخرطوم كمخلب كاسر وقالت بصوت يقصف كالهذيم: ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم إن "أبيوليت" رماني لاقتناص عن قوس احتياله بحربات نافذات كادت تفري عرضا وفرو تثلم سد المأرب.
وفب رواية إن ذلك كان بلسان "أوتون" ليتم الدست على "ثيزى" **المغبون** فانطلقت عليه زخارفها وجهر في مجاهل مخارفها، فنشبت برجله الحبالة، ولم يدر أن عرسه أروغ من ثعالة، ففار على ابنه غيظا كما يفور المرجل ولعنه وهو يحرق عليه الأرم قائلا: امض إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم، ثم توسل إلى مبعود البحر نبتون أن يهلك ابنه الخؤن، فمضى "أبيوليت" في رهط من حاشيته أسيفا حزينا قاصدا مدينة "مسيىنة"
وكان أوعز إلى "أريسيا" أن تلحق به ليشهد المعبودات على اقترانهما وليقطعا غابر العمر في حجر بعضهما فبينما هو سائر على شاطئ البحر إذا بالأمواج علت كالشواهق، ثم هوت متكسرة كأنما رميت بجلاهق، فبان من تحتها تنين أقشر هائل المنظر أجش الصوت تنوب أنيابه عن ملك الموت، ففر القوم هلعا متوارين

عن الأبصار إلا "أبيوليت" فإنه قابله بقلب من فولاذ، وصدر كأنه تيار، ورمى فؤاده بحربة هي للأرواح أحرق." (١)

"أعني به شرف الدين المعد إذا ... عد الكرام كبسم الله في الصحف

وقوله مكاتبا أحد الأئمة الأعلام:

لو فتشوا عن قلبي المرهون ... وتحرشوا جمر الغضا المكنون

لتيقنوا أني حفظت وضيعوا ... عهد الهوى وابنت خير أمين

فعلام قالوا مال عنا وارعوى ... عنا وخان وكان غير خؤون

ما ملت لا والله بل مالوا وقد ... شهدت ركائبهم بصدق يميني

هزت قدودهم وقالوا للصبا ... هزؤا أعند البان ميل غصون

هل أنكروا ميل الغصون فيطلبوا ... برهان دعوى العاشق المفتون

فإذا شرى برق الغوير وبعته ... دمعي رجعت بصفقة **المغبون**

ولفرط أشواقي وشدة لوعتي ... وتهتكي في حبهم وجنوني

لا بد لي من أن أقول صدقتم ... والله يعلم حرقتي وأنيني

وإذا بكيت على الربا فتضاحكت ... أنفاسها بمباسم النسرين

قالوا عيون السحب ترسل دمعها ... والدمع دمعي والعيون عيوني

أحبابنا والله ما صنع العدى ... ما تصنعون بقلبي المحزون

أيصيبني كيد الأعادي عندكم ... أسفي وإخلاص الهوى من ديني

ولشقوتي قد كنت أعتقد الهوى ... هذا الذي أخلصت فيه يقيني

لولا هواكم لم أقل جنح الدجى ... والبرق يذكي لوعتي وشجوني

يا بارقا ألقى سناه على الربا ... ولهيبه في قلب كل حزين

قف بالحمى الغربي لكن واضعا ... خدا ومن لي إن وضعت جبيني

واسأل بروج الحي عن أقمارها ... وبرغم أنفي إن تراها دوني

وبمهجتي البدر الذي لو قسته ... بالشمس لا يرضى ولا يرضيني

لم يكفه سهري فعلم طيفه ... ظلما وقد غضب الكرى يشكوني

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٤٨

خذ في التجني كيف شئت تحكما ... وامطل وإن كنت الملي ديوني

لا أستطيع أقول لست بمنصف ... يا بدر إجلالا لبدر الدين." (١)

"وأحكامه. إذ رأيت أمامه حمامة. قد جعلت طوق العبودية في عنقها علامة. فقلت لها: حدثيني عن ذوقك وشوقك. وأوضحي لي ما الحكمة في تطويس طوقك. فقالت: أنا المطوقة بطوق الأمانة. المقلدة بتقليد الصيانة. ندبت لحمل الرسائل. وتبليغ الوسائل للسائل. ولكني أخبرك عن القصة الصحيحة. فإن الدين النصيحة. ما كل طائر أمين. ولا كل حالف يصدق في اليمين. ولا كل سالك من أصحاب اليمين. وإنما المخصوص بحمل الأمانة جنسي. فيشترى بالتحريج. ويعرف الطريق بالتدريج. فأقول: حملوني فأحمل كتب الأسرار. ولطائف الرسائل والأخبار. فأطير وعقلي مستطير. خائفا من جارح جارح. حاذرا من سائح سابح. جازعا من صائد ذابح. فأهاجر. وأكابد الظمأ في الهواجر. وأطوي على الطوى في المحاجر. فلو رأيت حبة قمح مع شدة جوعي رجعت عنها. فأرتفع خشية من كمين فخ مدفون. أو شرك يعيقني عن تبليغ الرسالة. فأنقلب بصفقة **المغبون**. فإذا وصلت. وفي مأمني حصلت. أديت ما حملت. وعملت ما علمت. فهنالك طوقت. وبالبشارة خلقت. وأنقلب إلى شكر الله على ما وفقت.

أيا ربي وصلتم أو هجرتم ... فعبدكم على حفظ الأمانة

مقيم لا يزحزحه عذول ... ولا يثني معنفه عنانه

حملت لأجلكم ما ليس تقوى ال ... جبال الشم تحمله رزانة." (٢)

"آلائه. وأمجد لبلائه. وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه توكل راض بقضائه وصابر لبلائه ... أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإن الاقتصار عليها سلامة. والترك لها ندامة. وأحثكم على إجلال عظمته وتوقير كبريائه وقدرته. والانتهاء إلى ما يقرب من رحمته. وينجي من سخطه وينال به ما لديه من كريم الثواب. وجزيل المآب. فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب. وأليم العذاب. ووعيد الحساب. يوم توقفون بين يدي الجبار. وتعرضون فيه على النار. يوم لا تتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد. يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه. لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه. يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون. يزم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا.

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٠٦٤

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٢٩/٤

إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. فإن الدنيا دار غرور وبلاء وشرور. واضمحلال وزوال. وتقلب وانتقال. قد أفنت من كان قبلكم وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم. من ركن إليها صرعته. ومن وثق بها خانته. ومن أملها كذبته. ومن رجاها خذلته. عزها ذل وغناها فقر. والسعيد من تركها والشقي فيها من آثرها. والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بها. فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة. وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكظم وتندموا فلا." (١)

"طريق ولا مذهب. ولو تعرضت لسخطه. بعد ما عرفته من شططه. لتحملت دونه الوزر في ظلمي. ولكنت مقدمته إلى ذمي. ومن قعد تحت الريبة ركبته. ومن تعرض للظنة نالته

ومن دعا الناس إلى ذمه ... رموه بالحق وبالباطل

وأقل ما كان ينبعث من حضوري أن يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضي عنها. ويبتذلني لها. فأكون قد ضررت نفسي ولم أنفع غيري فإذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين. وتكررت عليه كرتين. يرى بولي من أوليائه. داء لا يقدر على دوائه. ويرى وقودا لا يصل إلى إطفائه. ويتبين في حالة متصلة بحالة ثلمة لا يمكن سدها. ومحنة لا يستوي لها ردها. فلما مثلت بين تخلفي آمنا. وحضوري خائفا. عدلت بين طرفي في الرؤية. ووزنت بين مقداري المحنة. فرأيت أن أميل مع السلامة. وأقنع من العمل بالنية. واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة. فغبت وكلي غير جسمي شاهد. وتميزت وما أنا إلا مشاهد. وبعدت وقلبي سهيم. وأغضيت على عين كلها قذى. وانطويت على صدر كله شجا. وانصرفت بقلب ساقط راض وأغمضت بجفن ضاحك باك وقلت:

فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ... ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ولقد نسجت في ذم الظالم حلالا لا يبلها الماء. ولا يجففها الهواء. ولا تغطي عليه الظلماء. والمغبون من احتقب الإثم والغارم من غرم العرض والرابح من محنته فانية. ومثوبته باقية. ولو أنصف الظالم لكان يعزى. ولو أنصف المظلوم لكان يعنى. جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد. ولا ليومها غد. وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر. وخاتمة لقائه لريب الدهر. ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين. ولا أخلاه فيما بعده من الشاكرين. برحمته.

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٥/٣٧

قال صفي الدين الحلي يعزي الملك الأفضل صاحب حماة بوالده الملك المؤيد

خفض همومك فالحياة غرور ... ورحى المنون على الأنام تدور

والمرء في دار الفناء مكلف ... لا قادر فيها ولا معذور

والناس في الدنيا كظل زائل ... كل إلى حكم الفناء يصير

فالنكس والملك المتوج واحد ... لا آمر يبقى ولا مأمور

عجبا لمن ترك التذكر وانثنى ... في الأمن وهو بعيشه مغرور

في فقدنا الملك المؤيد شاهد ... ألا يدوم مع الزمان سرور

ملك تيمنت الملوك برأيه ... فكأنه لصلاحهم إكسير

ما آل أيوب الذين سماحهم ... بحر بأمواج الندى مسجور

وبكت له أهل الثغور وطالما ... ضحكت لدست الملك منه ثغور." (١)

"وليس في تلك القرية غاية لكن فيها عذراء تلتف من جسمها في رداء الجمال الطبيعي الرائع، ولها نفس أشد وعورة مما تنطوي الغابة عليه؛ ففي ظاهرها الرونق الذي يفتن فيجذب إليها، وفي باطنها القوة التي تلتوي فتدفع عنها؛ وهي ابنة عم "الجمل" واسمها "خضراء" وكأن فيها زهو خضرة الربيع، ولم تكن تعشق إلا القوة، فما يزين لها من الرجال إلا ابن عمها، وهي شديدة الإعجاب به، وإنما إعجاب المرأة برجل من الرجال مفتاح من مفاتيح قلبها.

وكانت "خضراء" جاهلة كنساء القرى، بيد أنها تلميذة بارعة للطبيعة التي نشأت فيها وزاولت أعمالها؛ فهي بذلك أقوى نفسا وأشد مراسا من الفتيات المتعلمات؛ إذ اتخذت شكلا ثابتا من أشكال الحياة، والحياة هي صنعتها هذه الصنعة أو قامتها على هذه الهيئة، على حين أن المتعلمات يمضين أيام النشأة وسن الغريزة في التلقي عن الألفاظ والكتب، وفي توهم الصور المختلفة للاجتماع دون مبـاشرتها وفي توقي أعمال الحياة بدلا من مخالطتها؛ فيؤول ذلك منهن إلى قوة في التخيل قلما ترضي الحقيقة الإنسانية المؤلمة حين تصادمها يوما ما؛ وتتم الواحدة منهن، ولكن باعتبار أنها تمت تلميذة للمدرسة لا امرأة للحياة بما فيها مما يعجب وما لا يعجب.

وكانت خضراء أشبه بدورة النهار: تفتح أجفانها على أشعة الفجر كل يوم، ولا تزال نهارها في دأب وعمل،

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٨٣/٦

فنفى ذلك عن أخلاقها ما يجلبه السكون من الخمول والميل إلى العبث والدعابة، وحصلت لها من الحياة حقيقة عرفت منها أن المرأة عامل من أكبر العوامل في النظام الإنساني؛ عليه أن يصبر على الكد والتعب إذا أراد أن يظهر بطبيعته الحقيقية لا بطبيعته المزورة المصنوعة؛ ورأت الرجل يستأثر بجلائل الأعمال ولا يترك للمرأة إلا كما يترك عقرب الساعات لعقرب الثواني في الرقعة التي تجمعها؛ فهذا الصغير لا يبرح يضطرب في "دائرته الضيقة" يهتز من جزء إلى جزء، حتى إذا أتم الدقيقة في ستين هزة كاملة ذهب الأول بفضلها كلها وخطا بها خطوة واحدة: ثم يعود المستضعف المسكين إلى مثل عمله ولا يزال دأبهما وإن أكثرهما عملا وتبعا هو أقلهما قيمة وظهورا؛ ولكن هذا الضعيف **المغبون** لم ينله ما ناله إلا من كونه هو وحده الذي بني في هذا النظام على فضيلة الصبر والدقة، ليكون أساسا للآخر؛ فعرفت "خضراء" كيف تقيد طبيعتها من تلقاء نفسها، وتقرها على الصبر والرضا والسكون إلى حظها الطبيعي والاغتباط به؛ إذ كان فضل الرجل على المرأة ليس في كونه أكثر منها فضلا أو." (١)

"قال الشرواني أيضا: قلت مكاتبا السيد الفاضل الرباني يوسف إبراهيم الأمير الكوكباني بجدة المحمية:

تذكرت من حالت عن الود والعهد ... ففاضت دموع العين شوقا على خدي.

خليلي مر بالتي من بعدها ... أقضي الليالي بالتفكير والسهد.

وقولا لها طال اجتنابك عن فتى ... غدا بك صبا لا يعيد ولا يبدي.

فجودي بما يشفيه من ألم الهوى ... وينجو به من قادح الشوق والوجد.

عسى ترحم الصب المعنى بزورة ... يفوز بها بعد القطيعة والبعد.

رعى الله أياما تقضت بقربها ... وليلات أفراح خلت في ربي نجد.

بها كنت في روض الرفاهة مارحا ... فولت وآلت لا تعود إلى أهلي.

نعم هكذا الأيام تمضي وعودها ... محال فمالي لا أميل إلى الزهد.

وحسبك يا قلبي حبيبا موافق ... أمين وفي لا يخونك في الود.

كمثل أخي المجد المؤثل يوسف ... أمين المعالي كوكب الفضل والرشد.

شريف عفيف أريحي مهذب ... مناقبه جلت عن الحصر والحد.

به أشرقت شمس المعارف والهدى ... على فلك العلا مذ كان في المهد.

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٨٠/٣

جدير بأن يسمو على كل فضائل ... حري بذا المدح المنظم كالعقد.
فلا زلت بالعم المكرم هاديا ... لأهل النقى والفضل يا خير من يهدي.
وأزكى صلاة الله ماذر شارق ... وما حن مشتاق وما أن ذو وجد.
يخص بها الهادي الشفيع محمد ... آل له والصحب ذو الفضل والمجد.
فأجابه (يوسف الكوكباني) لافص فوه:
تهادت إلى سوحي وزارت بلا وعد ... ومنت لتطفي من فؤادي لظى الوجد.
وجادت على رغم الرقيب بوصلها ... فداوت عليل الشوق من ألم الصد.
رشيقة قد تخجل الغصن والنقا ... فوا خجلة الأأغصان من مائس القد.
منعمة من لحظها السحري والظبا ... فما سحر هاروت وما الصارم الهندي.
حمت روض خديها صوارم لحظها ... فما حامت الآمال حول حمي الخد.
ويقولون أن الخمر بين شفاهها ... وأين وذا في الذوق أحلى من الشهد.
وقد حال دون الرشف عقرب صدغها ... وقام بلال الخال يحمي جنى الورد.
هم زعموا أن الثنايا لآلى ... وشتان ما بين المقاصد والعقد.
وكم مغرم من شدة الوجد والهوى ... تشاوره الأحزان في القرب والبعد.
يعاني قامات الغصون تسليا ... ويستحسن الرمان شوقا إلى الهند.
ولكنني في شرعة الحب واحد ... سأبعث في أهل الهوى أمة وحدي.
تحير فكري بين صبح جبينها ... وإشراق شمس الفرق في الفاحم الجعد.
ومهما دجا ليل الذوائب لاح من ... سنا ثغرها برق إلى حسنها يهدي.
فلم أرض تشبيه الحبيب بغيره ... ولا نظم خدن الفضل بالجوهر الفرد.
بليغ أتاني منه معجز أحمد ... ومن يبدي بالفضل مستوجب الجهد.
خدين المعالي واحد العصر له ... محامد أدناها يحل عن العد.
لك الله قد حيرتني في مهامه ... البلاغة فاعذرني إذا حرت عن قصدي.
وأني قد أصبحت في دار غربة ... وفارقت أوطاني وأهلي وذا ودي.
وألهي عن الشعر الشعير ولم أكن ... لأحسن ما يحلو من النظم في النقد.
فلفقت لا أني أجاريك نظما ... كلامي على أن اتكالي على الود

فعذرا وسترا للقصور ودمت في ... نعيم بلا حصر ونعمى بلا حد

ولبعضهم:

يستوجب الصفح في الدنيا ثمانية ... لا لوم في واحد منهم إذا صفعا

المستخف بسلطان له خطر ... وداخل الدار تطفيلا بلا دعا

ومنذ أمره في غير منزله ... وجالس مجلسا عن غيره ارتفعا

ومتحف بحديث غير سامعه ... داخل في حديث أثنين مندفعا

وطالب الفضل ممن لا خلاق له ... ومبتغي الود من أعدائه طمعا

وللحريري صاحب المقامات:

جزيت من اعلق به وده ... جزاء من يبني على أسه

وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه

ولم أخسره وشر الورى ... من يومه أخسر من أمسه

وكل من يطلب عندي جنى ... فا له إلا جنى غرسه

لا أبتغي الغبن ولا انثني ... بصفقة **المغبون** في حسه

ولست بالموجب حقا لمن ... لا يوجب الحق على نفسه." (١)

"عنهم إن وقع منهم بعض الشيء، وذلك في قوله في «التغابن» : يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم [٦٤ \ ١٤، ١٥] .

وصرح في موضع آخر بنهي المؤمنين عن أن تلهيهم الأموال والأولاد عن ذكره جل وعلا، وأن من وقع في ذلك فهو الخاسر **المغبون** في حظوظه، وهو قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون [٦٣ \ ٩] ، والمراد بالفتنة في الآيات: الاختبار والابتلاء، وهو أحد معاني الفتنة في القرآن.

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٢٣١

قال ابن عباس، والسدي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وغير واحد: فرقانا: مخرجا، زاد مجاهد: في الدنيا والآخرة، وفي رواية عن ابن عباس: فرقانا: نجاة، وفي رواية عنه: نصرا. وقال محمد بن إسحاق: فرقانا أي: فصلا بين الحق والباطل، قاله ابن كثير.

قال مقيده عفا الله عنه: قول الجماعة المذكورة: إن المراد بالفرقان: المخرج يشهد له قوله تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية [٦٥ \ ٢] ، والقول بأنه النجاة أو النصر، راجع في المعنى إلى هذا ؛ لأن من جعل الله له مخرجا أنجاه ونصره، لكن الذي يدل القرآن واللغة على صحته في تفسير الآية المذكورة هو قول ابن إسحاق ؛ لأن الفرقان مصدر زيدت فيه الألف والنون، وأريد به الوصف أي الفارق بين الحق والباطل، وذلك هو معناه في قوله: تبارك الذي نزل الفرقان [٢٥ \ ١] ، أي الكتاب الفارق بين الحق والباطل، وقوله: وأنزل الفرقان [٣ \ ٤] ، وقوله: وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان [٢ \ ٥٣] ، وقوله: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان [٢١ \ ٤٨] ، ويدل على أن المراد بالفرقان هنا: العلم الفارق بين الحق والباطل، قوله تعالى في الحديد: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم الآية [٥٧ \ ٢٨] .

لأن قوله هنا: ويجعل لكم نورا تمشون به، يعني: علما وهدى تفرقون به بين الحق والباطل، ويدل على أن المراد بالنور هنا الهدى، ومعرفة الحق قوله تعالى فيمن كان." (١)

"ظلمات الجهل، والشك، والشرك، والنفاق.

قوله تعالى: يوم يجمعكم ليوم الجمع.

يوم الجمع هو يوم القيامة، وقال الشيخ – رحمة الله تعالى علينا وعليه –: ظرف منصوب باذكر مقدرة أو بقوله: خبير [٦٤ \ ٨] .

فيكون المعنى: أنه يوم القيامة خبير بأعمالكم في الدنيا لم يخف عليه منها شيء فيجازيكم عليها، سمي يوم الجمع ؛ لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، كما قال تعالى: قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم [٥٦ \ ٤٩ – ٥٠] .

وتقدم للشيخ – رحمة الله تعالى علينا وعليه – الكلام عليه في عدة مواضع منها في الجزء الثالث عند قوله تعالى: ذلك يوم مجموع له الناس [١١ \ ١٠٣] .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٢/٢

ومنها في الجزء السابع عند الآية المتقدمة: قل إن الأولين والآخرين لمجموعون [٥٦ \ ٤٩ - ٥٠] .

ومن أصرح الأدلة فيه: آية «الشورى» : وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه، ثم قال: فريق في الجنة وفريق في السعير [٤٢ \ ٧] .

قوله تعالى: ذلك يوم التغابن.

الغبن: الشعور بالنقص ومثله الخبن لاشتراكهما في حرفين من ثلاثة، كما في فقه اللغة: فبينهما تقارب في المعنى كتقاربهم في الحرف المختلف، وهو الغين والخاء ولخفاء الغين في الحلق وظهور الخاء عنها كان الغبن لما خفي، والخبن لما ظهر.

وقد بين تعالى موجب الغبن للغابن **والمغبون** فقال: ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم [٦٤ \ ٩] ، وبين حال **المغبون** بقوله: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير [٦٤ \ ١٠] .

وقد بين العلماء حقيقة الغبن في هذا المقام بأن كل إنسان له مكان في الجنة ومكان في النار، فإذا دخل أهل النار النار بقيت أماكنهم في الجنة، وإذا دخل أهل الجنة الجنة." [١]

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٠١/٨